

حلم الغرفة الحمراء

t.me/fantazynov

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

2016 م - 1437 هـ

دار الحكايات ش.م.م

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - تليفاكس: 00961/1/553873

E-mail: dar.alhikayat@gmail.com

صنع في
لبنان

حلم الغرفة الحمراء

رواية

تساؤ هوشيه تشين

ترجمة

محمد خليل فرحات



t.me/fantazynov

الفصل الأول

وفيه تلتقي تشن شيه بين، حجر الإدراك الروحاني.
ويُصادف شيا يو-تسون العذراء ذات البصيرة الفذة.

عندما بدأت الآلهة نو غوا، بإصلاح قبة السماوات، قامت بصنع 36,501 قطعة من كتل الرخام الحجرية، ووضعتها على المنحدر الهائل للجبل الأسطوري العظيم - كان ارتفاع كل واحدة منها 120 قدماً، وقطرها لا يقل عن 240 قدماً. لم تستخدم الآلهة من هذه الكتل الحجرية، سوى 36,500 تاركة القطعة الأخيرة مطروحة في الظل تحت قمة المروج الخضراء؛ إلا أن يدي الآلهة المقدستين لامستا هذا الحجر، فدبت فيه الحياة الروحانية الأبدية، ومُنح قُوى خارقة للطبيعة، وأصبح بمقدوره التحرك كيفما يشاء - فيروح ويجيء ويبدل حجمه ويُغيّر شكله بالطريقة التي يُريدها. لكنّه كان حزيناً جداً؛ فهو الحجر الوحيد الذي أهملته الآلهة، وتركته مرمياً في الظل يائساً يندب حظّه التّعيس.

وفي أحد الأيام، وبينما كان قابِعاً في مكانه يتحسّر على مصيره، لمح راهباً بوذيّاً وكاهناً طاوياً بمظهرين غريبين قادمين باتجاهه، وهما يتحدثان ويضحكان .

عندما وصل هذين البشريّين إلى ظلّ القمة، جلسا بالقرب من الحجر وتابعا الحديث. فتحدّثا في البداية، عن الجبال التي تلفّها الغيوم، والبحار التي يُغطيها الضباب، وعن غرائب الحياة الأبدية - ثمّ ما لبثا أن بدّلا الموضوع، وتكلّما على الثروة والتّرف والرفاهية، والأشياء الجميلة في الحياة، وعن عالم التربة الحمراء⁽¹⁾،

(1) عالم الأرض، أي عالم الحياة الفانية.

وكائناتها وأشجارها وزهورها وجمالها. حرك ذلك الفضول في الحجر والنزعة إلى الطبيعة البشرية، وأثار لديه الرغبة بتجربة مُتعة الحياة الفانية بنفسه. ومن أجل هذا الغرض، خاطب كُلاً من الرّاهب والكاهن، قائلاً:

- «عذراً أيُّها السيِّدين المُوقرين على المُقاطعة، لكنني غير قادرٍ على الاستمرار في سماع ما تقولان وأنا تغمرني رغبة شديدة في تذوق مُتعة العالم الدنيويّ التي تتكلمان عنها. لكنني، وبالرّغم من شكلي الذي يوحى بأنني مُجرّد مادة صلبة صمّاء، لكنّ لديّ القُدرة على الفهم والإدراك والشّعور بالامتنان؛ فلو أنّكما سيّدَي المُوقرين، تفضّلان عليّ وتأخذاني بجولةٍ في التربة الحمراء وتدعاني أتذوق متعتها وملذّاتها لبضع سنواتٍ، فسأكون مُمتناً لكما، ولن أنسى جميلكما هذا أبد الدهر».

أجاب البشريّين وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة سميحة:

- «صحيحٌ أنّ أرض التربة الحمراء لها ملذّاتها وبهجتها، لكنها خداعة وزائلة، والسعادة فيها غير كاملة، وكلّ الأشياء الجميلة يُسمّمها طمع البشر وحسدهم، وفي النهاية ستجد أنّ كلّ متاعها وملذّاتها قد ملأتها الآلام، وغلبت عليها الأحزان. فلنسا ناصحين لك القيام بهذه المُغامرة».

إلاً أنّ نار الاشتياق للمُتعة الأرضية التي اتقدت في جوف الحجر، لم يكن من السهل إخماها. فتجاهل تحذير الرّجلين، واستمرّ بالتوسّل إليهما. فالتفت الرّاهب إلى صديقه الكاهن وقال مُتنهّداً:

«لدينا هنا مثالٌ آخر على الجماد الذي يتوق إلى الحركة وعلى اللاوجود الذي يهوى الخضوع للوجود...»

ثمّ التفت إلى الحجر، وقال:

- «سنأخذك بجولةٍ إلى أرض التربة الحمراء طالما أنّك مُصرٌّ على ذلك،

ولكن لا تلمنا إذا ما خالفت مرادك».

فهتف الحجر بلهفة على الفور:

«نعم، نعم! بالتأكيد لا... بالتأكيد لا...»

عندها قال الراهب:

- «بما أنك على قدرٍ من الفهم والإدراك، فلا بُدَّ من إضفاء شيء من التحسين على مادتك؛ لأننا لو حملناك إلى ذلك العالم على حالتك هذه، فلسوف تُركل وتُضرب وتُشتم كما يُفعل مع الأجسام الجامدة الأخرى. فهل تُحب أن تكون جوهرةً طوال رحلتك وتعود من بعدها إلى شكلك الأصلي؟»
وافق الحجر على العرض، فقام الراهب بممارسة بعض الطقوس الخاصة بطاقة قانون الوجود المطلق، وحوّل الحجر إلى جوهرة خلابة يضاوية الشكل من الجاد الشفاف، وبحجم القلادة. وضع الراهب الحجر على راحة يده وخاطبه مُبتسماً:

- «سُعتبر منذ الآن جوهرة ثمينة، لكنك لا زلت تفتقر إلى مسحةٍ من الضقل النهائي - من الضروري حفر بعض الكلمات المُميّزة عليك لتبدو معها لكل ناظرٍ فريداً ونادراً، وعندها سنأخذك إلى الأراضي الزاهرة، حيث ستعجم بعطايا إحدى العائلات الغنية والمُرْفهة، وتُسّر بكل ما يُمكن أن توفّره الثروة من المسرات، والملذات والمتاع».

إغبط الحجر بما سمعه، ثم قال للراهب:

- «هل لي أن أسأل عن طبيعة الأحرف التي سيتم حفرها عليّ؟ وإلى أين ستأخذونني؟»

اكتفى الراهب بالابتسام قائلاً:

- «لا تكن فضولياً الآن، فستعرف كل شيء في وقته».

أنهى الراهب كلامه، ثم وضع الحجر في كُمه، وسار مع الكاهن إلى مكانٍ مجهول.

لا نعلم تماماً كم هو عدد العصور والحقب التي مضت قبل أن يمرّ كاهن

الفراغ الكبير بمُحاذاة الجبل الأسطوري العظيم (بالقرب من المُنحدر الهائل وقمة المروج الخضراء)، ولكن ما نعلمه، أنه وصل إلى ذلك الحجر المكون في الظل، وهو على شكله الأول وبمادته الأصلية.

أما الكلمات التي كانت قد حُفرت عليه، فلها قصتها المُشوّقة والطويلة. قرأ الكاهن تلك الكلمات حتّى النهاية، وأدرك من خلالها بأنّ هذا الحجر هو نفسه الذي كان قد نُقل منذ زمنٍ إلى أرض التربة الحمراء، ثمّ إلى الساحل الآخر على يدّ الراهب البوذي - راهب الفراغ الأبدي، ورفيقه كاهن الزّمن اللامحدود. فما كان محفوراً هو إذن قصة الحجر نفسه: قصة الأرض التي ينحدر منها، ومكان تجسيده، وطريقة جمع الثروات وانهارها، والصعود والسقوط، والنجاح والفشل، ولذة اللقاء وألم الفراق - قرأ الكاهن كل ذلك بالتفصيل - وتابع يقرأ كل ما له علاقة بشؤون العائلة التي زارها الحجر أوّل الأمر، ثمّ المشاعر الرقيقة لعذارى الغُرف الحمراء، والقصائد والألغاز التي ترد عادة في هذا النوع من القصص. وأخيراً، خُتِمت كتابات الحجر، بالأبيات التالية:

لا فضائل خولتني ارتقاء مكانٍ في السماء،
وما جنيتُ إلاّ الحزن من حياتي في أرضِ الفناء،
تلك الحقيقة لم تزل موجودة منذ الأزل،
كانت من قبل مولدي، وستبقى من بعد السّفر -
فمن يدوّن حروفها حكاية تُروى للبشر؟

ارتأى الكاهن أنّ هذه السطور يُمكن أن تتحوّل إلى مادة مناسبة للتسلية في لحظات الخمول ووسيلة للتخفيف من الملل، فنقلها بكامل تفاصيلها، ووضع لها عنواناً جديداً: «نُسِخت بيد كاهن». وفيما بعد وضع لها وو يو - فينغ عنواناً آخر هو: «حلم الغرفة الحمراء»، في حين أطلق عليها كونغ مي - تشي إسم «مرآة النسيم وضوء القمر النادرة». وعمل تساؤ هوشيه - تشين عليها في وقتٍ لاحق، لعشر سنوات متواصلة، وقام بمراجعتها وتنقيحها خمس مرات. وقسمها إلى فصول، ثمّ وضع لكل فصل شطرين تحليليين. وما لبث أن وضع لها عنواناً جديداً هو: «عذارى

تشين لينغ الإثني عشر»، ثم أضاف لهذه الرواية قصيدة جديدة:

صفحات تفيض بالكلام وحروف لا تُرضي الأنام-

ونفحات من حرّ الهوى ومزيج دمع وآلام.

ويقولون أن مؤلفها أحقّ العقل بليد-

فهم ما طالوا مقصده ولا نالوا مغزاها المفيد.

وأخيراً، عندما أعدّ تشيه بن تشاي نسخة إضافية وزوّدها بالشروحات الجديدة

في عهد تشاي-هسو، أعطاه عنواناً مناسباً إضافياً هو: «قصة الحجّر».

إذاً، أصبح أصل قصتنا التي ستتابعها الآن جليئاً، وأصبح بإمكان القارئ فهم

مضمون الكتابات المنقوشة على الحجر بشكل واضح وصریح. أما الآن، فستتابع

هذه القصة معاً:

في الجنوب الشرقي كان هناك مدينة تُدعى سوشاو، وكان يوجد في المنطقة

المُحيطة بـ «تشانغ-من»، أحد المداخل الأساسية للمدينة، مركزاً من أهم المراكز

المعروفة بالغنّى والرفاهية في أرض التربة الحمراء. وكان خارج المدينة يقع أحد

المعابد المعروف بـ «معبد القرع» نسبة إلى شكله الذي يُشبع ثمرة القرع إلى حدّ

بعيد. وإلى الجوار من هذا المعبد كان يعيش أحد رجال طبقة النبلاء، تشين شيه-

يين⁽²⁾ مع زوجته فينغ-شيه⁽³⁾. وبالرغم من أنهما لا يتميّزان بالغنّى المفرط الذي تتميّز

به عادة عائلات هذه الطبقة من المجتمع، إلا أنهما كانا يتميّزان باللياقة الأخلاقية

وحسن السلوك ومن ذوي المكانة المُحترمة في المنطقة. لم يكن تشين-شيه من

الذين يهتمون بالشهرة والثروة.. فكان قانعاً بما لديه، ولا يحلم بأكثر ممّا يستطيع

الوصول إليه. كان تشين-شيه يُكرّس وقته في زراعة الخيزران وريّ الأزهار، وهو

يحتسي النبيذ ويكتب الشعر. إلا أنّ شيئاً وحيداً كان يُنغص عليه سعادته: فما هو قد

زاد عُمره على الخمسين دون أن يُرزق بولدٍ ذكر يتمناه من أجل كبره... لكنّ ما كان

(2) لفظ مُتجانس بمعنى «جوهر الحقيقة الخفي».

(3) أي تنحدر من الأسرة «فينغ».

يُسَهِّل عليه مسيرة حياته هذه، ابنته الوحيدة، لوتوس الصغيرة، والتي لم يكن عُمرها قد تجاوز الثلاث سنوات بعد.

وفي يوم صيفي طويل شديد الحرارة، وبينما كان شيه-يين جالساً في مكتبته يُشغل نفسه بالقراءة، سقط الكتاب من يده الواهنة، وارتدى على مكتبه غارقاً في نوم عميق. وبدا وكأنه قد انتقل في منامه إلى عالمٍ بعيدٍ لم يألفه من قبل. وفجأةً، لمح راهباً بوذياً وكاهناً طاويّاً قادمين باتجاهه. وكان الطاوي يُخاطب صديقه البوذي:

- «أخشى من أنه كان عليك عدم تحمّل مسؤولية التدخل في مصير الحجر. فما الذي تنوي فعله الآن؟».

- «لا تقلق»، قال الراهب، وأضاف: «الحقيقة أن هذا الحجر مُنغمسٌ في قصة عاطفية لا بُد وأن تقع على الأرض عاجلاً أم آجلاً... وبعيداً عن التدخل في مصيره كما تقول، فأنا لستُ أَلعب الآن سوى دور الوسيلة ليقوم بما عليه القيام به».

- «إذاً، لدينا مجموعة أخرى من الأرواح التي جلبت على نفسها لعنة التجسيد! فمن أين أتت هذه المأساة، ومتى سيحين موعد وقوعها الفعلي؟»
أجاب الراهب البوذي:

- «إنها قصة طويلة وظريفة. فالحجر، وكما تعلم، راح يطوف ويجول في الكون منذ أن اكتسب قواه الخارقة للطبيعة. وفي أحد الأيام، وصل إلى قصر السحب البنفسجية- قصر إلهة الاسترشاد. ثم قامت الإلهة، والتي تعرف الكثير عن موضوع هذا الحجر وعن مصيره، بالاحتفاظ به في خدمتها، ومنحته عنوان «صفحة الحجارة القُدسية». وفي أحد الأيام، وبينما كان يقوم بنزهة على طول ضفاف نهر لينغ، وصل إلى مكان رأى فيه زهرة قُرْمزية تنمو بالقرب من صخرة التجسيدات الثلاث. صُدِم الحجر بجمال هذه النبتة الأخاذ، ثم قَرَّر رعايتها، ورَبَّها يومياً من قطرات الندى العذب. وفي ظلّ هذه الرعاية الرقيقة، نشطت زهرة الأرجوان، واستمرت تمتصّ سنة بعد سنة، الجواهر الكونية للسماء والأرض إلى أن تشبعت

بها، واكتسبت هي أيضاً خصائص خارقة للطبيعة، وحوّلت نفسها إلى إلهة جنيّة فائقة الجمال. ثم ما لبثت أن أظهرت طبيعة بشرية فريدة مُفعمة بروح الانحراف. ثم اعتادت بعد ذلك على سبر عالم الفراق الحزين، والتغذّي على فاكهة الحبّ العُدري، والشرب من نافورة الحزن الشديد. لقد كانت شديدة الشكر والامتنان للرعاية اللطيفة التي أبدّها الحجر لها، لكنّها كانت حزينة، لأنها لم تعرف كيف تُسدّد هذا الدّين له، وظلّت تُفكّر بالطريقة التي تستطيع من خلالها ردّ الخدمة له عرفاناً بالجميل... وكانت أحياناً تُحدّث نفسها بهذا الخصوص وتقول: "لا أستطيع ردّ المعروف بالطريقة الرقيقة التي عاملني بها، فهو ليس بحاجة إلى النّدى العذب... ولكن لعلمي أسدّد ذلك من دموعي، عندما نهبط معاً على شكل بشر إلى أرض التربة الحمراء".

«كانت تلك فكرة غريبة، لكنّها تماشى مع رغبة الحجر الدّنيوية. والنتيجة، هي أنّ كلاهما سيتجسّدان وسيهبّطان إلى العالم الدّنيويّ مع عدد كبير من الأرواح المتورّطة معهما بطريقة أو بأخرى، وكلّ سيلعب دوره في تلك المأساة الأرضية»
قال الطاوي:

- «إنّها لقصة غريبة فعلاً، فأنا لم أسمع من قبل بشيء كتسديد الدّيون بالدموع. وأعتقد بأنّ قصص هذه المخلوقات ستكون مُختلفة تماماً عن قصة "النسيم وضوء القمر" المدرسية.»
أجاب البودي:

- «نعم، لا شكّ في ذلك. ففي قصص الشخصيات الشهيرة، عادة ما نهتمّ بالخطوط الموجزة لسيرتهم، بالإضافة إلى القصائد التقليدية التي تأتينا منهم أو تلك التي تتناولهم. لكننا لا نتعرّف عادة على تفاصيل حياتهم اليومية، وما يأكلونه أو يشربونه، وكذلك ما الذي يُفكرون به أو يقولونه لبعضهم البعض. أمّا في ما خصّ قصص النسيم وضوء القمر، فهي عادة ما تتناول خطوط واضحة كاللقاءات أو المواعيد السريّة أو التسلّلات المخفية؛ ولا

يجرؤ أحد على وصف المشاعر والرغبات الحقيقية التي تدفع أو تُحرِّك أبطال وبطلات هذه القصص. ولكن لديّ ما يكفي من الأسباب لأعتقد بأنّ قصص هذه المخلوقات ستكون مُختلفة تماماً، سواء أكانت جيدة أم سيئة، أم أنها مُفعمة بالأحاسيس البالغة الرقة أو الإسراف المُفرط».

قال الطاوي:

- «أقترح بأن نهبط نحن أيضاً إلى العالم الأرضي عندما يحين الوقت، والعمل على إنقاذ ما يستحق إنقاذه».

أجابه البوذي وقد أبدى نوعاً من الدهشة:

- «هذا ما كنتُ أفكر فيه أنا أيضاً! ولكن علينا أولاً أن نأخذ الحجر إلى إلهة الإرشاد وتسجيله. وعلينا أن نتنظر حتّى تهبط كل الأرواح المتورّطة قبل أن نهبط نحن أيضاً - فلم يهبط منهم سوى النصف حتى الآن».

سمع شيء-يين كل كلمة من هذا الحديث، ولم يستطع مقاومة الرغبة في التوقف عند هذه النقطة منه ليقول:

- «تحياتي لكما يا سيّدا العالم الروحاني. لقد سمعتكما للتوّ تتحدّثان عن شيء لم أسمع به من قبل، والذي لم أفهمه ولم يستوعبه عقلي جيداً. هلاًّ تكزّمتما وأوضحتا شيئاً من ذلك لعقلي البليد، فلربما كانت تلك وسيلة لإنقاذي من آلام الجحيم؟»

تبسّم الخالدين معاً وقالوا:

- «للأسف، لا نستطيع إفشاء أسرار السماء، ولكن، إذا ما تذكّرنا عندما يحين الوقت، ستكون قادراً على تجنّب لسعات الجحيم الحارق».

فكر شيء-يين قليلاً، ثمّ تابع يقول:

- «بما أنكما لا تستطيعا إفشاء أسرار السماء كما تقولان، فلربّما أريتماني الحجر الذي تتحدّثان عنه».

أجاب البوذي، وهو يُخرج الحجر من كمّ ثوبه ويُقدّمه إلى شيء-يين:

- «سأريك هذا الحجر، لكن ذلك سيكون جزءاً من مصيرك».

كان الحجر هو نفسه الذي عرفنا سابقاً: يتخذ شكل قلادة، نصف شفافة وواضحة، ولكن قد حُفرت عليه أربع كلمات صغيرة هي: "تونغ لينغ باو يوو" (حجر يشم الإدراك الروحاني الكريم). ولكن قبل أن يتمكن شيه-يين من النظر إلى الجهة الثانية للحجر، أخذه الراهب منه وقال:

- «ها نحن قد وصلنا الآن إلى أرض الوهم».

ثم رأى شيه-يين أمامه قوساً صخرياً ضخماً، وقد حُفرت في أعلى مُقدّمته ثلاث كلمات: "أرض الوهم العظيمة". ثم ظهر على عمودين يقعان في أسفل وسط القوس أبياتاً من الشعر تقول:

حينما يطغى الباطل على الحقيقة، تصير الحقيقة عندها ضلالاً؛

وحينما يصير اللاوجود واقعاً، سيكون الوجود في الأذهان باطلاً.

عبر كلٌّ من الراهب والكاهن القوس، ولكن عندما حاول شيه-يين اللحاق بهما، سمع صوتاً هائلاً يُشبه انهيار الجبال وتشقق الأرض. وفجأة صحى من نومه فلم ير شيئاً سوى سطوع الشمس المتوهجة على فناء الدار، والظل البارد الذي تُسكّله أوراق شجر الموز العريضة المتدلّية. وفي تلك اللحظات، كان قد نسي الكثير ممّا رآه في الحلم، وتراجعت أغلب الأحداث من ذاكرته.

في هذه الأثناء، وصلت المُربية وهي تحمل ابنته لوتوس بين ذراعيها. وشعر شيه-يين بالسعادة والاعتزاز حينما لاحظ كيف أن ابنته قد أصبحت أكثر جمالاً، وأصبحت تبدو كالجوهرة المشرقة. وعلى الفور مدّ ذراعيه، وأخذ الطفلة ولاعبها قليلاً، ثم أخذها إلى المدخل لتُشاهد أحد المواكب الذي كان مازاً من أمامه. وحينما همّ بالدخول إلى البيت، لمح كاهناً بوذيّاً وراهباً طاويّاً يسيران باتجاهه. كان البوذي يسير حافي القدمين ويُغطّي رأسه الجرب. وكان الطاوي أعرج القدم، وأشعث الشعر. وما إن وصلا إلى الباب وشاهدا شيه-يين حاملاً ابنته بين ذراعيه، انفجر الراهب بالبكاء وقال:

- «أيها المتبرّع السّخي، ما الفائدة من احتضانك لهذه المخلوقة البائسة بهذه

الطريقة، فهي لن تجلب لأهلها سوى التعاسة والحظ السيء؟
عمل شيه-يين على تجاهله، وظنّ أنه واحد من المسؤولين الذي يعمل على
لفت الانتباه، لكنّ الراهب استمرّ في الكلام:
- «أعطني إياها كضحيّة من أجل بوذا، هينا هاتها».

شعر شيه-يين بالانزعاج. وبينما كان يهيمّ بالدخول إلى البيت،
انفجر الراهب ضاحكاً، وهو يُشير بيده نحو شيه-يين وُردّد الأبيات التالية:
لا طائل من الحب والرعاية والحنان؛
فنبات الكالتروب ستُفسده الثلوج...
والبهجة، وإن زيّنتها فوانيس الأعياد،
فسيعمّها الحزن ويلقّها السواد.⁽⁴⁾

وبينما وقف شيه-يين يتأمل في معاني القصيدة ومقاصدها، وبطريقة تصرف
الراهب ورفيقه الغريبة، سمع الكاهن يقول لرفيقه:

- «لن نُغادر المكان معاً الآن، فليذهب كل منا في طريقه الخاص. وعندما
يحين الوقت، سأكون بانتظارك على جبل باي مانغ، وسأذهب معك إلى
أرض الوهم الباطل⁽⁵⁾، وسنقوم بما يجب علينا القيام به».
- «هذا رائع، قال الراهب»

وقبل أن يتمكن شيه-يين من التحدّث إليهما، كان كل منهما
قد اختفى في جهة على نحوٍ مُفاجئ. لكن ما قطع تفكيره كان ظهور تشيا يو-
تسون⁽⁶⁾ بحالةٍ مُزرية، وهو تلميذ جامعي يسكن إلى جواره في معبد القرع. كان

(4) هو نوع من الشعر على شكل أُلغاز أو كلماتٍ مفتاحية تُخبر عن المُستقبل. والقصد من
وراء ذكر «نبات الكالتروب»، أن الطفلة لوتوس، ستُصبح خليعة سيّئة لـ هُويه بان الفظّ
والمغرور، وكلمة «الثلج»، هي لفظ مُتجانس مع هُويه.

(5) تسمية أخرى لـ «عالم الأرض الفاني».

(6) أي. غير المثقّف.

هذا الشاب من مواطني بلدة هوشو من عائلة جيدة ولكنها كانت تعاني من الفقر المُدقع، وكان في طريقه إلى العاصمة من أجل إجراء امتحاناته المُقررة لكنّه وجد نفسه مُحاصراً في سوشو. كان تشاي يعمل على تأمين معيشة له غير ثابتة عن طريق بيع المخطوطات اليدوية والنقوش الخُطية.

حينما لمح تشاي جاره شيه-يين قال وهو يُحييه:

- «ما الذي أتى بك إلى المدخل؟»

- «لا لشيء البتة»، أجاب شيه-يين، وأضاف: «كنتُ أحاول تهدئة طفلي الباكية. لكنك وصلت في الوقت المُناسب. رجاءً أدخل وساعدني على تمضية هذا اليوم الصيفي الطويل».

أخذت المربية لوتوس من يدي شيه-يين، وأحضر الشاي إلى المكتب... وهكذا وجد شيه-يين مُبَرراً لوجوده في البيت - فهو يستقبل زائراً جديداً اليوم. كان يو-تسون يُسلي نفسه بتفحص الكتب المصفوفة على الرفوف في المكتب. وفجأة سمع صوتاً قادمًا من الخارج عبر النافذة. إقترب من النافذة ولاحظ خادمةً تجمع الزهور في فناء الدّار. ولكن، وبالرغم من أنها ليست مثالية الجمال، ولا تمتلك ذلك السحر الكافي لإثارة المشاعر، وقف يو-تسون يُحدّق في وجهها، وعيناه ثابتتين عليها. وعندما انتهت من عملها وهمّت بالمُغادرة، أدارت رأسها إلى الأعلى فجأة فالتقت عينها بعينه، وأصبحت على بينة من وجود شخص ينظر إليها من وراء النافذة: كان رأسه ملفوفاً بعمامة يرثى لها، في حين كانت ملابسه من أسوأ ما رآته. لكنّه، وعلى الرغم من الفقر الذي كان واضحاً على حالته، كان حسن الشكل، بهي الطلعة، واسع الصدر، عريض المنكبين، بقمٍ مرسومٍ؛ يُضاف إلى هذا حاجبيه الدقيقين كسيفين فوق عينين واسعتين أشبه بنجمين في الليلة الظلماء. وكان أنفه متوسط الحجم، ووجنتاه مربعتان.

انطلقت الخادمة بعيداً إلى البهو الداخلي في عجلة من أمرها ثمّ قالت في نفسها:

- «إنّه رجل قوي البنية وحسن الملامح. لكنّه في الوقت نفسه، فقير الحال... كما يبدو من مظهره - فلا بدّ أنّه تشيا يو-تسون الذي كان يُشير إليه سيدي

في أغلب أحاديثه... والذي قال عنه الكثيرون بأنهم تمنّوا مدّ يد العون له، لكنهم كانوا يفشلون في العثور على الفرصة المواتية لذلك، من الواضح أنّ فقره كبير، لكنّه لا يبدو كأولئك الذين سيقون فقراء طوال حياتهم. ولعلّ سيّدي كان على حقّ حين توقع له مُستقبلاً زاهراً، وبأنه لن يستمرّ على مثل هذه الحال من البؤس».

لبثت تُفكّر للحظات، لكنّها لم تستطع منع نفسها من استراق نظرة أخرى إليه وهي تبتعد عن المكان إلى الفناء الداخلي. وهذا دليلٌ على ما أصبح في قلبها من مشاعر حميمة ممزوجة بالفرح الذي لا يمكن كبتّه. أمّا يو-تسون، فقد كان سعيداً بالانطباع الذي أحدثه للوهلة الأولى، وراح يُحدّث نفسه:

- «بالتأكيد هي ليست خادمة عادية، ويبدو أنّها ستقدّرني كثيراً وإن كانت إنجازاتي قليلة في هذا العالم...»

وفي إحدى الليالي التي يحتفل فيها الأهالي بعيد الحصاد، كان يو-تسون يقبع وحيداً في غرفته داخل معبد القرع - لكنّه لم يكن قد نسيّ تلك الخادمة بعد - فعاد إلى التفكير بها في هذه المناسبة الاحتفالية. فأيقظ ضوء القمر أحاسيسه، وألّف أبياتاً من الشعر قرّر أن يقولها لها في لقائهما الأول. ثمّ تنهد مُتَحسراً على المسافة الزمنية التي تفصل بينه وبين تحقيق ما يصبو إليه، وراح يُلقي أبياته بصوتٍ عالٍ - وهو يُقارن نفسه فيها بقطعةٍ حجرٍ كريمٍ تنتظر من يكتشفها ويعرف قيمتها ويُقدّرّها. وفجأةً سمع صوت شبيه-بين الذي وصل إليه في هذه اللحظة. قال شبيه-بين مُبتسماً:

- «أرى أنّك رجل مُفعمٌ بالطموح يا أخي يو-تسون!»

- «أوه، لا!»، ردّ يو-تسون، وقد ارتسمت على وجهه بسمة تملؤها الدهشة، وأضاف: «إنّها مُجرد سطور شعريّة قديمة أرددها فقط. ولكن ما الذي جاء بك إلى هنا يا أخي شبيه-بين؟»

- «الليلة عيد الحصاد، وهو عيد لمّ الشمل وجمع أهالي البلدة. وقد ارتأيت في هذه المناسبة أن تتشرّف برفقتي. لقد أعددت بعض أنواع الشراب في مكتبي، وسأكون سعيداً لو قبلت دعوتي لتشارك الشرب ونحتفل معاً».

وعلى الفور، قبل يو-تسون الدعوة دون تردّد، ورافق تشيه-يين إلى منزله. في البداية، صبّ كل منهما الشراب في أقداح صغيرة، وراحا يرتشفانه جرعةً جرعةً... ولكن بعد أن انسجما وفاضاً سعادة، راحا يملآن الأقداح الضخمة ويشربان بنهم. كانت أصوات الآلات الموسيقية تصدح في كل بيتٍ من بيوت البلدة، وبدا القمر في الأعالي بديراً كاملاً وضوءه يُنير كل شيء. أمّد الشراب يو-تسون بالجرأة وراح يرتجل شعراً للقمر الذي يتلأأ كالفضّة المُشعة في قلب السماء. صفّق تشيه-يين لِمَا سمعه من كلّ قلبه، وقال لصديقه مُغتبطاً:

- «كنتُ دائماً أقول بأنك لست من الأشخاص الذين يقون متخفين في الظل. إنّ قصيدتك هذه لبشيرٍ خيرٍ يُنبئ بأشياء جميلة قادمة. والآن دعني أهنتك على ذلك!»

وما لبث أن ملأ قَدَح يو-تسون، ثمّ ملأ قَدَحَه وارشفه بجرعةٍ واحدة.

قال يو-تسون بشيءٍ من الخجل:

- «أرجو منك أن تعذرني على قلةِ تواضعي - فما أودّ قوله هو أنني لستُ خالٍ كليّةً من القدرة على استحضر واستعمال التراكيب التي تتطلبها الامتحانات والاختبارات. وأعتقد بأنني أتمتع بالقدرة والفرصة المقبولة من أجل النجاح. لكنّ ما يُعيق حركتي وقُدرتي هو أنّ محفظتي فارغة، والعاصمة تقع في مكانٍ بعيدٍ عن هنا. ولن يكون باستطاعتي أبداً توفير المصروف اللازم للرحلة عن طريق العمل المتواضع والسّخيف الذي أقوم به».

وعلى الفور سأله تشيه-يين:

- «ولماذا لم تذكر هذا من قبل؟ لقد كنتُ أفكر في هذه النقطة كثيراً، ولكن لم يكن مُفترضاً بي أن أتحدّث في الأمر. إنّ امتحانات المطرانية ستقام السنة القادمة، وعليك أن تتحرّك إلى العاصمة من أجل الدراسة والمتابعة. ويُشرفني، لو سمحت لي، أن أتحمّل كامل مصاريف رحلتك ورعاية أحوالك بسعادة تامة».

وما لبث أن أنهى كلامه، حتّى طلب إلى خادمه إحضار خمسين قطعةً من

الفضة، وبدلّين من الثياب الشتوية السميكّة، وقال:

- «سيكون يوم التاسع عشر من هذا الشهر يوماً مُشرقاً ومؤاتياً للسفر. فيمكنك أن تستأجر مركباً وتبدأ رحلتك إلى العاصمة. وسأكون في الشتاء القادم مُنتظراً ومُستعداً لتهنّتك على عودتك بالنجاح المؤكّد».

قبل يو-تسون الفضة والثياب دون تردّد. وفي اليوم الثاني، بعث شيه-يين بكتايي توصية إليه مع خادمه ليُقدّمهما في العاصمة إلى بعض الأشخاص المرموقين لتأمين مبيت له. لكن الخادم عاد دون تسليمهما وهو يحمل أخباراً تركها يو-تسون مع خادم المعبد إلى شيه-يين يشكره على لطفه وكرمه، ويُبلغه فيها بأنّه قد انطلق برحلته عند الخامسة فجر اليوم لأنه لا يُؤمن بالتوقّعات، ولذلك غادر دون انتظار اليوم التاسع عشر.

والحقيقة، أنّ الوقت قد مرّ بسرعة، بينما كانت الأيام زاخرة بالأحداث. وما لبث مطلع العام الجديد أن وصل ثمّ مضى، وسرعان ما جاء عيد الخامس عشر من بداية الخريف - عيد الفوانيس. ولما كان شيه-يين لا يشعر بأيّ ميل لحضور هذه الاحتفالات الفصلية، طلب من خادمه هو تشاي⁽⁷⁾ أخذ ابنته لوتوس لمُشاهدة الألعاب النارية ومواكب الفوانيس.

ومن أجل قضاء حاجته المُلحّة، ترك الخادم التعيس الطفلة وحيدة تحت سقيفة أحد المداخل. وعندما عاد لاصطحابها، لم يجد لها أيّ أثر، وشعر بمحنة رهيبة، وهبّ يبحث عنها طوال الليل - وحينما أيقن بأنها قد تكون وقعت بين يدي أحد الخاطفين، اختفى بدوره خائفاً من مواجهة سيّده وسيّدته، وغادر على وجه السرعة إلى قريته.

كان خبر فقدان الإبنة الوحيدة أشبه بصاعقة وقعت على شيه-يين وزوجته. وبسبب الحزن الشديد الذي أنهك صحتهما، ارتمى شيه-يين أولاً مريضاً طريح الفراش، وما لبثت أن ارتمت زوجته هي الأخرى إلى جانبه تُعاني المرض الشديد. وبقياً لفترة طويلة يخضعان للعلاج ولاستشارات الأطباء ومعايناتهم، وحتى لقارني

(7) أي. بداية المتاعب.

كان لخسارة لوتوس الأثر الكبير على حياة الأبوين؛ فقد اختفت السعادة من البيت، وكانت ساعات العذاب تأتي بالجملة بينما تمرّ لحظات الفرح كلمعان البرق. وبعد مرور شهر على المُصيبة، وبالتحديد في الخامس عشر من الشهر الثالث، شبّ حريقٌ داخل معبد القرع، ولما كانت قضبان الخيزران والخشب تُستخدم بكثرة في جسور وركائز وتقسيمات المعبد، فقد خرجت النيران عن السيطرة وامتدت إلى كل أنحاء المنطقة المُحيطة بالمعبد - بما فيها منزل شيه-يين المتاخم للمعبد والذي أتت عليه النيران بالكامل. في هذه الأثناء تحدّث شيه-يين مع زوجته قليلاً، ثمّ قرزا الانتقال للعيش في مزرعتهما. ولكن في السنوات التالية، تتابع وقوع القحط والطوفان على نحوٍ متسلسل، وانتشرت العصابات وقُطّاع الطرق في أغلب المناطق والمسالك. ثمّ تلا ذلك وصول الفرق العسكرية، وبين ابتزاز هؤلاء ونهب قُطّاع الطّرق، أصبحت الحياة مُستحيلة. وفي ظلّ هذه الظروف، أخذ شيه-يين باقتراح زوجته - فباعا المزرعة وغادرا للعيش عند أهلها.

كان فِنغ سو - والد زوجة شيه-يين - من ملاكي الأراضي، الذي جنى ما يكفي من المال ليعيش مع عائلته حياة مقبولة وكريمة. لكنه لم يكن من ذوي الجود، كما أنّه لم يكن سعيداً البتّة بقدوم ابنته مع زوجها كلاجيين للإقامة عنده - فأشعره ذلك بالضيق والاستياء الشديدين. ولحسن الحظ، كان شيه-يين لا يزال يحتفظ ببعض الأموال المتأتية من بيع مزرعته، وكان قادراً على المشاركة في مصاريف العائلة، لكنّه لم يكن يعرف إلا القليل عن تفاصيل الشؤون المالية، كما أنّه كان يجهل الكثير عن طرق المساومة والاستغلال. وهكذا، عندما طلب من عمه فِنغ-سو استثمار بعض المال في ملكياته، وجد هذا الأخير الفرصة للاستغلال، وتجاهل أوضاع صهره وابنته، وطلب مبلغاً لا يُستهان به. وفي غضون سنة أو سنتين، تبخرت الأموال، وبدأ فِنغ-سو يتدمّر من صهره، ويشتكى من تقاعصه، ويؤدي سخطه مُتهدماً إياه بالتبذير في معيشته، ويتهمّه باللامبالاة تجاه العمل، والاهتمام فقط بملذاته الشخصية والأكل واللعب و التكاثر. تنبه شيه-يين، وعلى نحوٍ متأخّر من أنّه قد

وضع نفسه تحت رحمة الرجل الخطأ؛ وكان المرض وسوء الحظ قد زادا في هرم
شيه-يين وعجلاً في شيخوخته؛ فبدأ كمن يعيش أيامه الأخيرة. وفي أحد الأيام،
وبينما كان يتمشى متعكراً على عصاه، رأى كاهناً طاوياً أعرجاً يسير نحوه وهو يتنعل
صندلاً رثاً، ويُردّد الأغنية التالية:

الحسدُ يملأُ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نجري وراء المال والشهرة.
أين الملوك، وأين العزّ والثروة؟
ألم يصيروا في القبورِ المُقفلة -
من تحتِ أعشابِ الياس،
والقِفَارُ المُهملة؟

الحسدُ يملأُ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نجمع كنوز الذهب والفضّة،
ونحيا حياتنا رَغداً،
ونشتهي منها مدداً،
وننسى أنْ أنفسنا، ستلفها غفلة الأسرار؟
الحسدُ يملأُ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى زوجاتنا ذات الجمال والوقار -
وتُغرينا وعودهنّ، طالما نحن أحياء،
بالإخلاص والوفاء!

ثمّ يتزوجن من جديد فور رحيلنا للبعيد.
الحسدُ يملأُ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نرعى، الأحفاد من قَبْلِ البنين.
فكم من أهلٍ قد أعجزتهمُ الأعمار؟
وكم من الأبناء كانوا أبناءً مطيعين؟

عند سماعه لهذه الكلمات، تقدّم شيه-يين من الكاهن على عجلٍ، وسأله:
- «ما الذي تُحاول قوله؟» فكل ما فهمته من ذلك ينحصر في كلمتين فقط
هما: 'أحرار' و'ننسى'.

أجابه الطاوي وهو يتنسم:

- «هذا كل ما تحتاج إليه. لأنك إذا كنت حزراً، فسوف تنسى. وإذا نسيت،
فسوف تكون حزراً. وبمعنى آخر، حينما تنسى تُصبحُ حزراً وحينما تُصبحُ
حزراً، تنسى. لذلك أسميتُ قصيدتي: 'إنسى وكن حزراً'».

وبما أن شيه-يين كان رجلاً يتمتّع بسرعة البديهة والذهن النير، استوعب على
الفور الهدف من كلمات الكاهن المُبهمة، وقال سائلاً الكاهن:

- «هلاً سمحت لي بالإضاءة على ما تفضّلت به من الشّعْر أنفأ؟»
أجاب الطاوي مُشجعاً:
- «تفضل أرجوك».

وهنا، شرع شيه-يين يُردّد الأبيات التالية:

في الغرف القذرة والقاعات المهجورة
التي امتلأت يوماً بالشارات والرُتب.
وكم كانت حقول العُشب والأشجار اليابسة
يوماً، جناناً للجمال وللرُقص والشجن.
هذي العناكب تخطط بيوتها في زواياها، وقد أهملها الزّمن.
يا من تستبدلون حصران النوافذ بالحريز!
وتتفاخرون بالبنين والثروات والدّرر،
تلك معابدم سيُغطيها الصقيع
وتلك أجسادكم ستصير يوماً في السّعير!
اليوم عُرسٌ، وألحانٌ وسَهْرٌ، وأفراحٌ وأقواسٌ وقمر؛
وتناسيتم أكوام العظام الفانية،

في الحُفْرِ تحت الرياح العاتية.
ذهب يملأ الخزائن وفضة تملأ الصناديق -
وجائعون يُنادون، ومتسولون يسخرون!
ونبكي على فراق الأحبة جاهلين - أننا عما قريب راحلون!
بالأبناء نعتني، وتُبالغ بالدرّوس،
ثم في يوم الحصاد، ترى أغلبهم لصوص؛
ونهتمّ بالبنات، ليصيرن سيدات -
فمن ذا الذي يضمن ألا يصيرن مومسات؟
فمن يسخط بمكانه، يُهلك الدهر بنانه.
اليوم، تشعر بالبرودة - فمعطفك أمسى قصير،
وغداً، كفنك أطول، ألم يأتك التذير؟
فإليك ما دأب الحياة: ناسٌ تجيء وتروح؛
وما تزرعه بيديك، غداً يُدميك بالجروح!
فلا تغتزّ بزيتها، ولا تُغالي بالتقدير!
وما تبنيه من ترف، قد صار للوارثين:
(فما نزرعه ونمشي، هو من نصيب الآخرين...)

وفور انتهاء شيه-يين من قصيدته، هتف الطاوي مُهللاً ومُصفقاً بيديه:

- «عظيم، مُدهش!»

ثم قال شيه-يين على الفور، وهو يحمل الكيس عن الطاوي:

- «هيا نطلق معاً!»

ثم انطلقا معاً.

لم توفّر زوجة شيه-يين بعد رحيله مع الكاهن، أي جهد في البحث عن زوجها.
ولكن كيف يُمكن إيجاد رجل غريب الأطوار أراد بنفسه أن يضيع ويغيب عن
الأبصار؟ لكنّها، ولحسن الحظ، كانت لا تزال تحتفظ بالخادمتين اللتين أتت بهما
من سوشو . وتابعت مُستعينة بهما بعملها الخاص في الخياطة والتطريز.

الفصل الثاني

وفيه يتسلّم تشاي يو-تسون عمله الجديد كمُعَلِّم لـ لين تاي-يو ويُعطي لينغ تزو-هسينغ تقييماً لـ يونغ كوفو.

في أحد الأيام، كانت إحدى الخادمتين واقفة على المدخل تشتري بعض الخبز من أحد الباعة المتجولين، عندما سمعت بشكل مفاجئ مُنادين يطلبون من الجميع إفساح الطريق لمرور موكب رفيع المقام. ومن خلال همسات وثرثرات الناس في الشارع، فهمت أنه الحاكم الجديد، وهو في طريقه لتسلّم منصبه. كان الموكب الذي يعبر من أمامها يتألف من شارة الرتبة والشرف التي يحملها بعض الجنود والعذائين في المقدّمة، ومن خلفها كرسيّ ضخم يجلس عليه أحد الرسميين يرتدي عباءة حمراء ويضع على رأسه قبعة سوداء. دُهشت الخادمة بمشهد هذا المسؤول؛ فهي قد سبق لها وأن رأته من قبل. في هذه الأثناء، استكملت شراء الخبز، وانصرفت إلى داخل البيت دون أيّ اهتمام إضافي بالموضوع.

عند المساء، وفي الوقت الذي أرادت فيه عائلة السيد فينغ، الاستراحة من عناء النهار، سُمع طرق على باب المدخل، وصوت يهتف:

- «نحن رُسلٌ أتينا من قِبَلِ الحاكم».

تقدّم فينغ إلى الباب وفتحته، فقال له أحد الرُسل بصوتٍ جهوريّ:

- «إنّا موفدون من قِبَلِ الحاكم الجديد لاستدعاء تشين لاو-يه⁽¹⁾».

عند سماع فينغ لهذه الكلمات، استبدّ به الذعر، وتجمّد فاغراً فاهه وهو يُحدّق

(1) صاحب السعادة تشين.

بالرسول. وبعد أن استوعب الموقف، قال، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة:
- «أنا فينغ سو، وزوج ابنتي هو تشين، لكنّه رحل مع كاهن طاوي ولن يعود
قبل سنوات، أهذا هو من تُريدونه؟»

أجابه الرسول:

- «ربما هو، على كلّ، ستذهب معنا إلى الحاكم طالما أنه صهرك كما تقول،
وهناك ستُخبر سعادته بما تعرف».

في هذه الأثناء، سار فينغ سو برفقة الرُسل إلى الحاكم، وأمضت عائلته ساعات
عديدة من الاضطراب والقلق بانتظار أن يعود.

كانت الساعة قد قاربت على الثانية، عندما عاد فينغ سو إلى المنزل؛ وكان كل
واحد من أفراد العائلة تشغله التساؤلات الكثيرة والمتعبة حول ما حدث.

فور وصوله إلى النز، بدأ فينغ بسرد تفاصيل ما حصل معه:

- «الحقيقة أنّ الحاكم الجديد لم يكن سوى تشاي يو-تسون - وهو صديق
قديم لصهرنا، وكان على علاقة حميمة به في السنوات الماضية. وعند
مرور موكبه صباحاً من أمام بيتنا، شاهد خادمة شيه-يين - أبريكوت،
واقفة عند الباب وهي تشتري الخبز، فاستنتج أنه لا بد من أنّ شيه-يين قد
استقرّ في إقامته هنا، ولذلك بعث رُسله ليتأكد من الأمر. وحينما رويت
له كلّ ما حدث، أصابه القلق والأسى. كما أنه سألني مُستفسراً عما حدث
لحفيدتنا لوتوس، وشرحّ له قصّة اختفائها وكيف خُطفت، فوعدني
بإجراء التحقيقات اللازمة، وبأنه سيأمر رجاله ببذل أقصى جهودهم في
البحث عنها... وأنا على يقين من أنه سيجدها ويُعيدها إلينا.

وبعد انتهاء حديثنا، قدم لي أونصتين من الفضة، فشكرته وغادرت.»

مضت تلك الليلة من دون أيّ حوادث تُذكر. وفي اليوم التالي، وفي ساعات
الصباح الأولى، أرسل يو-تسون بعض رجاله إلى منزل فينغ يحملون الكثير من
الهدايا: طوقين من الفضة وأربع قطع من الحرير المُطرّز لزوج شيه-يين، كعربون
امتنان لما فعله معه شيه-يين من قبل، كما أنه بعث برسالة إلى فينغ سو، يطلب فيها

من السيدة شيه-يين يد الخادمة أبريكوت لتكون زوجته الثانية، وبأنه ما زال يبذل ما في وسعه مع الرسميين من أجل الوصول إلى لوتوس.

وكان فينغ سو مسروراً لذلك بالطبع، وحريصاً على أن يُرضي الحاكم الجديد؛ فسارع إلى توظيف كل طاقاته من أجل إقناع ابنته لتوافق على طلب الحاكم في ما خصّ أبريكوت، لتعزيز هدفه، فوافقت ابنته على هذا الطلب - لا سيّما وأنّ أبريكوت قد بلغت من العمر مبلغاً يتطلّب تزويجها في كل الأحوال. وهكذا، وفي أمسية اليوم نفسه، نُقلت الخادمة محمولة على كرسيّ جميل مُزخرف إلى تشاي يو-تسون، الذي كان مسروراً جداً بذلك. وللتعبير عن امتنانه، أرسل مئة قطعة فضية لـ فينغ سو، والكثير من الهدايا القيّمة إلى زوجة شيه-يين.

والآن، بدأ يو-تسون الاهتمام بـ أبريكوت ورعايتها. ونتيجة للواقعة البديهة التي حدثت منذ بضع سنوات، فقد أصبحت أبريكوت الزوجة الثانية للحاكم. ليس هذا وحسب، بل أنه وفي إحدى السنوات، حملت أبريكوت بطفل لـ يو-تسون، وبعد ستة أشهر - عندما تُوفيت زوجته الأولى - تحوّلت أبريكوت لتُصبح الزوجة الوحيدة بالنسبة للحاكم.

إنّ هذا الوضع الاستثنائي الذي وصل إليه يو-تسون يتطلّب العودة إلى الوراء لتوضيح الأمر:

والحقيقة هي أنّ يو-تسون كان قد غادر إلى العاصمة فور تلقّيه قطع الفضة كمُساعدة له من شيه-يين (كما رأينا سابقاً). وبسبب نجاحه في الامتحانات، وتفوّقه، حصل على درجة تشين-شيه في الدراسات العليا من المرتبة الثالثة، وأدرج اسمه عن طريق الانتقاء على لائحة تعيينات المحافظين. وبعد مُتابعته الدراسة وتخطّيه لمرحلة القضاة، تمّ تعيينه كحاكم على مُقاطعة جو-شاو؛ ولكن، وعلى الرغم من التميز والكفاية في إنجازاته وقدراته، إلّا أنه كان أكثر فساداً ويتصرّف بشكل مُتغطرس مع أقرانه، ولا يُبدي إلّا السلوك الوقح تجاه رؤسائه.

وفي أقلّ من سنة، كان يو-تسون قد اتُّهم بالعديد من المُخالفات العامة، بالإضافة إلى حالات معيّنة منّ الابتزاز والفسل في تحقيق العدالة.

وما كاد العام أن ينقضي، حتى عاود يو-تسون سلوكه الشاذ، فنَدد بإقامة أحد النصب التذكارية للعرش من قبل السلطات المحلية العليا، ثم استمر في إظهار تصرفاته المتعجرفة؛ فراح يُدعُ في ابتكار الشعائر والطقوس، وبشكل علني، وفي الوقت نفسه، سعى للتمتع بسمعة ونزاهة واستقامة الكثيرين، فكان أشبه بمخلوق قد جُبِلَ جوهره بمزيج من طبيعة النمر والذئب معاً؛ والحقيقة أنه، وبعد أن تسبب في الكثير من المتاعب للمنطقة، وبعد أن جعل الحياة لا تطاق بالنسبة للشعب، غضب جلالة الإمبراطور منه إلى حد كبير، وأصدر الأوامر، بتنحيه عن منصبه فوراً، وبحرمانه من أي صفة رسمية بعد الآن. وبالرغم من شعور يو-تسون بالمدلة، إلا أنه عمل على عدم إظهار ذلك وراح يتصرف بشكل طبيعي. وبعد أن تم تسليم مسؤولياته إلى خلفه الجديد، أرسل عائلته مع كل ما يملكه إلى بلده، وبدأ جولة له في الإمبراطورية.

وفي أحد الأيام، وصل إلى يانغشو، إحدى المراكز الحكومية الأساسية لاحتكار الملح، وهناك وقع طريح الفراش مريضاً لمدة تزيد على الشهر. وبعد أن شفي تماماً، كانت مذكراته قد تناقصت إلى حد كبير، وقُرر البحث عن وظيفة له في هذه المنطقة، والمكوث فيها مدة من الزمن قبل أن يُتابع رحلته. وفي هذه الفترة بالتحديد، التقى بعضد الأصدقاء القدامى، وعلم منهم بأن لين دجو-هاي، أمر مركز إنتاج الملح الحكومي، كان يبحث عن مُعلّم لابنته. ونظراً لما يتمتع به هؤلاء الأصدقاء من نفوذ ومراكز مهمة، فقد استطاع بمعونتهم أن يحصل على هذه الوظيفة.

كان لين دجو-هاي من مواطني سُوشاو وينتمي إلى إحدى العائلات النبيلة في المنطقة. وكان جدّه ماركيزاً ذو مكانة مرموقة فيما مضى. وقد توارثت العائلة هذا اللقب أباً عن جدّ، لكنّ وبسبب طبيعة نظام التسلسل الأرستقراطي، توقف هذا اللقب وأُلغِيَ عن العائلة مع وفاة والده - لكنّ دجو-هاي، استطاع الحصول على موقعه من خلال امتحانات التوظيف التي كانت تُجرى لكبار موظفي الدولة؛ فتخطى ذلك بنجاح باهر، لا سيّما وأنه كان في مركز تان هُو⁽²⁾ - وهو أحد أهم المراكز

(2) هو لقب يُعطى لثاني أعلى مناصب في الامتحانات الإمبراطورية.

العليا من الدرجة الثانية في مركز الامتحانات التي يُشرف عليها القصر الإمبراطوري. كانت عائلته صغيرة الحجم، ولم يكن لديه أي أشقاء أو شقيقات. أما ولده الذكر الوحيد الذي رُزق به، فقد توفي السنة الماضية عن عمر لم يتجاوز الثلاث سنوات - وبالزغم من أن دجو-هاي كان قد اتخذ العديد من الخليلات، إلا أن قدره كان أقوى ومُصرّاً على ألا يُرزق بوريث من الذكور. أما الآن، وهو في عُمر الأربعين، فقد رُزق بطفلة من زوجته مدام تشيا، كانت الطفلة بعمر الخمس سنوات، وتُدعى بلاك دجايد.

كان دجو-هاي وزوجته يُحبّان طفلتهما الوحيدة حُباً جمّاً، لا سيّما من بعد وفاة ابنهما الوحيد، وقررا تربيتهما بالطرق نفسها التي كانت مُتبعة بالنسبة للأولاد الذكور. كان دجو-هاي مسروراً وسعيداً جداً بما يفعله بالنسبة لـ بلاك دجايد، ابنته الوحيدة، التي كانت تتمتع بالذكاء الطبيعي وبالنظرة الثاقبة. وبعد مرور ما يزيد على السنة تقريباً، تُوفيت مدام تشيا بسبب مرضٍ حاد، ووقعت الطفلة جاييد فريسة الحزن والألم على فراقها، الشيء الذي حملها على ترك الدراسة. اعتاد دجو-هاي على الانطلاق بجولات في مُحيط المنطقة، والسير في الحقول في أيام تميّزت بالنسيم العليل والجو الدافئ.

وفي يومٍ من أيام هذه الجولات، مرّ دجو-هاي، على إحدى الحانات والتقى بأحد أصدقائه القدامى. كان اسم هذا الصديق لينغ تزو-هسينغ، تاجر التحف، والذي كان شيه-يين قد التقى به أثناء الامتحانات في العاصمة. كان شيه-يين يفتخر كثيراً بعلاقته بهذا الرجل، بينما كان همُّ تاجر التحف هذا، مُنصبّاً على جمع أكبر عددٍ من الموظفين النافذين والرجال الكبار واللامعين. وما لبث أن أصبحا من أشدّ الأصدقاء بعد أن تطورت العلاقة بينهما على نحوٍ سريع.

سأل يو-تسون صديقه، بعد أن تبادلوا التحيات والاستفسار عن أوضاع بعضهما البعض:

- «ما الأخبار التي لديك من العاصمة؟»
- «لا شيء يُذكر»، أجابه دجو-هاي، وتابع قائلاً: «ولكن، لعلك تُريد الاطلاع

على ما حصل في منزل أحد أقربائك هناك».

- «ولكن ليس لديّ أقرباء في العاصمة».

- «لكنهم يحملون كُنيّتك نفسها».

- «ما هي العائلة التي تُلَمّح إليها؟»

ردّ عليه دجو-هاي مُبتسماً:

- «أنا أتحدّث عن عائلة يونغ كوفو، وأتمنّى أن لا يُشعرك ارتباط اسمك بهم

بأي نوع من العار أو الخجل».

أجابه يو-تسون:

- «الواقع، أنّ عائلتنا كبيرة جدّاً؛ فمنذ عهد تشيا فا، أحد سلالة عائلة هان

الإمبراطورية في الجانب الشرقي، نمت عائلتنا وتفرّعت وتمدّدت إلى

العديد من المُقاطعات. أمّا بالنسبة لفرع عائلة يونغ كوفو، فنحن على

صلة، ولكن من جهةٍ بعيدة جدّاً. وبكلّ الأحوال، لسْتُ بصدد جمعهم، لا

سيّما وأنهم من طبقةٍ أعلى من طبقتي بكثير».

قال دجو-هاي بنوع من المُسايرة:

- «عليك أن لا تكون مُتواضِعاً إلى هذه الدرجة يا صديقي؛ فالحقيقة أنّ

أوضاع يونغ كوفو المالية قد انحدرت كثيراً، وهم يُعانون الآن أزمة كبيرة.

فلم تعد أوضاعهم الآن كما كانت عليه سابقاً».

قال يو-تسون مُستغرباً:

- «أُيعقل ما تقوله؟ لقد مررتُ السنة الماضية على تشينلينغ، وشاهدتُ معالم

المدينة، ومن بين ما رأيته، كانت قصور تشيا القديمة - والتي كانت تنتشر

تقريباً على طول امتداد الشارع الشمالي من الجانبين؛ فمن الجانب الشرقي

أملاك نينغ كوفو، ومن الجانب الغربي أملاك يونغ كوفو، ومن ثمّ يلتقيان

معاً عند نقطة في الجهة الغربية. وكان الانطباع الذي راودني هو أنّهم في

عزّازدهارهم.

عند ذلك سأله يو-تسون:

- «ألم تسمع بالمثل القائل: "أَنْ مَثْوِيَة الأَقْدَام تَمُوتُ، لَكِنهَا لَا تَسْقُطُ أَبَدًا"؟ وهذا بالتحديد ما يُمكن أن يُطبَّق على عائلة تشيا. فبالرغم من مظهر الرقي والازدهار الذي لا يزال يبدو عليهم، إلا أنهم بعيدون كلَّ البعد عن رفاهية الثروة الضخمة التي كانوا يتمتعون بها من قبل. فكل أفراد العائلة قد اعتادوا على حياة الترف والرفاهية، ولكن لم يتنبه أياً منهم لضرورة الاقتصاد في عمليات الانفاق والمصاريف التي لم تعد تناسب مع مداخيلهم المتدهورة. أنا أفهم بأن أولئك المسؤولين عن مالية العائلة يعرفون جيداً مدى صعوبة مواجهة الأزمة، ولكن كل ما هم فيه الآن كان متوقَّعاً. أما الذي يُخيِّب الآمال، هو أن هذه الأجيال الصاعدة تُفَاقم الأمر سوءاً أكثر من الأجيال التي سبقتها».

- «وكيف يُمكن حدوث ذلك»، قال يو-تسون، وأضاف: «لقد أُخبرت بأن هاتين العائلتين قد عانتا الكثير من أجل توفير مُتطلبات العيش والتعليم لأولادهما».

أجاب تزو-هسينغ، بإصرار:

- «لكن الحقيقة هي التي أُخبرك بها. والآن دعني أقول لك شيئاً عن هاتين العائلتين: إنَّ مؤسسي كُلاً من نينغ كُوفُو و يونغ كوفُو كانا أخوين. وكان تشيا ين، اللورد الأول لـ نينغ كُوفُو هو الأكبر؛ فقد كان لديه أربعة أبناء، وبعد موته، حلَّ مكانه في اللقب أخيه الأصغر تاي-هُوا. كان لهذا الأخير ولدين - مات الأول بسن الثامنة أو التاسعة، أم الثاني وهو الأكبر، ويُدعى دجينغ، فقد أصبح الوريث الوحيد. لكن دجينغ لاو-يه هذا، كان قد أصبح مبهوراً ومولعاً بالسحر الطاوي وبما يُسمَّى إكسير الحياة، اللذين جذبا كل اهتمامه، ولم يعد يأبه لأي شيء آخر. ثم ترك كل شيء، حتى اللقب، وذهب ليعيش في أحد المعابد الطاوية. لم يكن تشيا جين يهتم كثيراً بالكتب؛ فاستهلك طاقته وصرف وقته في أشياء لا قيمة لها، وغير ذلك من الأشياء التي أدت إلى قلب نينغ كُوفُو رأساً على عقب. وقد ترك

خلفه ولدًا هو في السادسة عشرة، ويُدعى دجونغ.

«هذا يكفي بالنسبة لعائلة نينغ كُوْفُو. أما الآن، فدعني أخبرك شيئاً عن عائلة يُونغ كُوْفُو، والتي وقع لها ما وقع للعائلة السابقة التي أخبرتك عنها. بعد وفاة تشيا فا، اللورد الأول في أسرة يُونغ كُوْفُو، نجح ابنه البكر تاي-شان في الحصول على اللقب. تزوج تاي-شان من ابنة الماركيز شيه - الذي كان ماركيزاً على تشينلينغ - وأنجب منها ولدين، وهما شيه وتشينغ. ولم يلبث تاي-شان أن توفي بعد بضع سنوات، لكن زوجته مدام شيه لا تزال على قيد الحياة. ورث تشيا-شيه لقب أبيه، لكنّه لم يكن يتميّز بأيّ قُدّرات استثنائية، كما أنّه لم يكن له أيّ دور مهمّ في إدارة شؤون الأسرة. أمّا أخيه الأصغر، تشيا تشينغ، فقد كان ذات شخصيّة قوية وقُدّرات عالية، كما أنّه كان من المُفضّلين لدى جدّه. عمل هذا الأخير على شقّ طريقه بنفسه وبني له مُستقبلاً جيّداً عن طريق الامتحانات الإمبراطورية، لكنّه عند وفاة والده، أعفاه من وظيفة الأعمال العادية، وعينه - كتكريمٍ لذكرى والده الذي كان من أفضل أعضاء حاشيته - سكرتيراً مُساعداً في إحدى الوزارات. وفي حملها الأول، وضعت له زوجته، مدام وانغ صبيّاً أسمياه تشُو. وبعد أن نجح في امتحانات المُقاطعة وهو بعمرِ الرابعة عشر، تزوج تشُو وأنجب ولدًا، لكنّه توفي قبل أن يبلغ العشرين. وفي حملها الثاني، وضعت الزوجة فتاة في أول العام. ولكن المُميّز في الأمر هو ولادة طفلها الذكر الثاني الذي خرج إلى هذا العالم وفي فمه قطعةٌ حجر كريم لامع، وكان عليه نوع من النّقش! أليس ذلك مُفاجئاً واستثنائياً؟»

ردّ يو-تسون:

- «نعم إنّه كذلك بالتأكيد. وأتصوّر بأنّه سيُحدث علامة فارقة في العالم».
- «هذا ما يقوله الجميع»، قال تزو-هسينغ، وتابع: «ومهما يكن من أمر، فقد شغفت به جدّته وفضلته على جميع أحفادها. وفي عيد ميلاده الأول، قام والده - بهدف تحديد ميوله وشخصيّته - بوضع أشياء كثيرة أمامه وتركه يختار من بينها أولاً؛ لقد تجاهل الطفل كل شيء من حوله، وتحزّك مُباشرة ليُمسك بمساحيق التجميل. استاء الوالد من ذلك، وقرّر بأنّ ولده عندما

يكبر سيكون من النوع الفاسق والفاجر. ولذلك، لم يُعر هذا الإبن أي اهتمام. لم تأبه الجدّة بكل ذلك، ولم يُحدث لديها أي فرق بالنسبة للطفل. بل على العكس من ذلك، فقد أحبته أكثر، وازدادت تعلقاً به وعملت على تكريس حياتها من أجله. أصبح هذا الولد الآن في سنّ السابعة أو الثامنة، كثير الإيذاء، لكنّه ذكيّ جداً لدرجة أنّك لن تجد من يُشبهه من مئة من أقرانه. كان يقول أشياء غريبة بالنسبة إلى طفل في مثل سنّه - من ذلك مثلاً قوله بأنّ النساء خُلِقن من الماء والرجال من الطين، وهذا سبب شعوره بالنقاء والطهارة، ويشعر بالنشاط في حضور شخص معين، وبالفساد والاضطهاد في حضور شخصٍ آخر. أليس هذا بشيء غريب يصدر على لسان ولد في مثل عُمره؟ إنّه بلا شك، سيصير عندما يكبر كما قال عنه والده فاسداً وفاجراً».

قال يو-تسون:

- «أخشى بأنك قد أخطأت بحق باو-يو. أعتقد بأنّه يُمثّل أحد المخلوقات الاستثنائية التي وُلدت في ظروف خاصة، والتي لم تُقدّر حقّ تقديرها، ولذلك يصعب فهمه أحياناً. ولنقول بصراحة، إنّ الأرض والسماء يهبان الإنسان عادة ميزاته الخاصة إلى جانب بعض الميزات المتوسطة، ولهذا سيكون من الصعب على أحدنا التفريق بينهما. وبكل الأحوال، ففي الأمثلة النادرة والعديدة من المراحل التاريخية، فالخير الاستثنائي والشرّ الاستثنائي لا يزالان يلمعان على صفحات التاريخ منذ القِدَم؛ فالأول يُجسّد المعيار المثالي للسماء والأرض؛ والثاني، إنحرافاته المروّعة. الأول يَجِيء إلى العالم حينما يسود الانسجام؛ والثاني، عندما تُهدّده الكوارث. الأول يقود إلى السلام والنظام؛ والثاني، يَجلبُ الحرب والنزاع. ومن الأمثلة الواضحة على الأول: الأباطرة ياو، وشوْن، ويو، وتانغ. ووو، والحكيمن كونفوشيوس ومينشوس، وبعض الفلاسفة أمثال الأخوين تشينغ وتشو هسي؛ ومن الأمثلة على الثاني: الطُّغاة تشيه يو، وكوْنغ كوْنغ، وتسيه،

وتشؤ والإمبراطور الأول، والعديد من المغتصبين والخونة أمثال: وانغ مانغ، وهوان وين، وتشين كواي.

«واليوم، وتحت سلطة حاكمنا المُقدّس، يعمّ السلام والازدهار، والمعيار المثالي واضح المعالم في كل مكان. وفي الحقيقة، هناك فائض بخصوص هذا المعيار المثالي الذي يُجسّد نفسه على شكل الندى العذب والنسيم العليل. ومن جهة ثانية، ليس هناك من مكانٍ تحت السماء أو تحت الشمس دليلاً على أيّ انحرافات قد تُصيب هذا المبدأ على الإطلاق؛ بل على العكس من ذلك، كان على هذه الانحرافات إخفاء رؤوسها القبيحة في الهوة الساحقة في أعماق الأرض حيث تقبع هناك ساكنة وخائرة القوى. ولكن ما يحصل بين الحين والآخر، بسبب تأثير ضغط الغيوم أو هبوب الرياح، هو أنّ بعض هذه العناصر الشريرة تشقّ طريقها إلى الفضاء، وتشتبك مع أشكال ضئيلة من المعيار المثالي، مُتسببةً بحدوث عواصف عنيفة ورعد وبرق هائلين.

«وتحت تأثير هذه الظروف الخاصّة، يظهر النوع الثاني الذي تحدّثت عنه سابقاً، ممّا يؤدي إلى تشكّل قوّة جديدة، وهي الناتجة عن اتّحاد بعض أشكال المعيار المثالي مع انحرافاتهِ. وبناء على هذا كلّهِ، فإنّ الأشخاص من هذا النوع، لن يكونوا قادرين على أن يكونوا حُكماء، ولا أن يكونوا من أولئك القادرين على تخريب أو تدمير العالم. بل على العكس من ذلك، فهم قد يتحوّلون إلى أشخاص رومانسيين إذا ما وُلدوا في أُسرٍ ذات مركز وثروة، أو شعراء وناسكين إذا ما وُلدوا في أُسرٍ مُثَقّفة في ظلّ ظروفٍ متوسطة. وحتى أنّ الأشخاص الذين قد يولدون في أوضاعٍ من الفاقة والتواضع، فإنّهم سيتحوّلون إلى ممثلين أو عاهرين. وليس هناك من احتمالاتٍ بأن يُصبحوا فيها خدماً أو عبيداً، كأولئك الذين يُؤمرون من قِبَل أصحاب الطبقات الوسطى بطُرقٍ فظّة، وهم في ظروفٍ أكثرَ حظاً.

«وأستنتج من كلّ ما أخبرني به عن باؤ-يؤ، بأنني ليس عندي أدنى شكّ من أنّه يُمثّل إحدى هذه الانحرافات الباهرة للمعيار المثالي. لعلّه مولعٌ إلى حدّ الإفراط

بالجنس اللطيف وعاطفي جداً تجاههنّ، لكنّه لن يتحوّل إلى خليعٍ أو فاسق بالمعنى العادي للكلمة».

- «قد يكون ما تقوله صحيحاً»، قال لينغ تزو-هسينغ بتلعثم، وتابع: «والآن، دعني أخبرك عن البنات. كانت الكبرى ابنة تشانغ لاو-يه، وتُدعى كاردينال سبرينغ لأنها وُلدت في اليوم الأول من السنة الجديدة كما سبق وذكرت. وكانت قد اختيرت سيّدة لخدمة الموائد في البلاط الامبراطوري بسبب جاذبيتها وعفتها. أمّا الثانية، والتي ولدت من إحدى خليلات شيه لاو-يه السرية، تُدعى ولكوم سبرينغ. وكانت الثالثة من بنات شيه لاو-يه أيضاً، ولكن ليس من زوجته الأولى، وتُدعى كويست سبرينغ. وأمّا الرابعة فكانت شقيقة تشايّ دجين، رئيس أسرة نينغ كوفو، وتُدعى كومباشن سبرينغ. تعلّمت جميع الفتيات على يد مُعلّمٍ خاص، كما أخبرتك، وأصبحن ضليعات جداً في الكلاسيكيات».

- «ويا لها من أسماء مُشتركة يحملنها!»، قال يو-تسون مندهشاً، وأضاف: «فقد تتوقّع من أيّ واحدٍ منّا تجنّب إطلاق أسماء مثل: سبرينغ، وكريمسون، وفريغرينس وغيرها على بناته. ولعلّها أسماء مُستعملة من قبل الناس المُبتدلين أو العامة».

- «أرى أنّك مُخطئ في اعتبار اختيارهم لإسم سبرينغ يُعبّر عن الابتذال أو قلة الذوق. لقد تمّ اختيار هذا النوع من الأسماء لأنّ ولادة ابنتهم الأولى قد حدثت في اليوم الأول من السنة، كما سبق لي وأخبرتكم، وهو بداية الربيع. وقد كانت أسماء الفتيات من الجيل السابق تتشابه مع أسماء الصبيان إلى حدّ بعيد. فمثلاً: اسم والدّة تلميذك هو 'مين'، وهذا الإسم، بالطبع، فيه الأصل الجذري كما في شيه وتشينغ. ويُمكنك أن تسأل تلميذك عن ذلك في أيّ وقت».

- «لا بد أنّ ذلك صحيحاً»، قال يو-تسون، وأضاف: «لأنّني الآن أدركتُ لماذا يقرأ تلميذي دائماً كلمة 'مين' وكأُنها 'مي' ويكتبها دون أيّ نوع من التشديد

اللفظي⁽³⁾. لكنك لم تأتِ على ذكر أولاد شيه لاو-يه. ألم يكن لديه أيًا منهم؟»

- «بلى، ولكن دعني أقول أولاً أن تشيا تشينغ كان لديه ولدٌ آخر من خليلته. ولستُ أدري أي نوع من الأبناء هو. أما بالنسبة لـ تشيا شيه، فقد كان لديه ولدين أيضاً، كان اسم الأول لي يان - وعمره الآن يزيد على العشرين. ومنذ حوالى الستين، تزوج ابنة أخت مدام وانغ. ومن المعروف أنه لم يهتم بالتعليم والكتب، لكنّه دبلوماسي التصرف ولطيف الكلام، وهو إلى حدّ كبير رجل على مستوى عالمي. عاش لي يان مع تشيا تشينغ وله دورٌ فعّال في إدارة شؤون أسرة يونغ كوفو. لكنّه ومنذ زواجه، كان يتعرّض لكثير من النكسات من قبل زوجته؛ فهي لم تكن جميلة جداً، بل أنها كانت ذكية وقادرة. والجميع يقول بأنها تعرف الكثير عمّا يدور في أسرّتي تشيا أكثر من كلّ الرجال مُجتمعين».

- «تبدو لي مثل أيّ واحدٍ من أولئك الناس الذين يتميّزون بقدرٍ غير عادي»، قال يو-تسون ذلك، ثمّ نظر من النافذة، وتابع: «أصبح الوقت متأخراً ومن الأفضل الشروع بالعودة قبل أن يُقفل باب المدينة».

وبينما كان الصديقان يدفعان الحساب ويستعدان لمُغادرة الحانة، دخل أحد زملاء يو-تسون القُدّامي. وبعد الانتهاء من تبادل التحيات، علم يو-تسون من صديقه بأن المحكمة قد قرّرت إعادة تعيين الموظفين الذين كانوا قد أُحيلوا على التقاعد مؤخراً. وعلى الفور اقترح لينغ تزوّج هسينغ بأنه على يو-تسون التحدّث مع راعيه للبحث في أمور الوظائف واغتنام الفرصة.

وفي اليوم التالي، عندما تناول يو-تسون المسألة مع دجوهاي ردّ هذا الأخير قائلاً:

(3) كان ذكر أسماء الحكّام والوالدين بشكلٍ واضح من المحرّمات، ولذلك كانت لا تُذكر إلا في أشكالٍ أو ألفاظٍ مُموّهة.

- «سأكون سعيداً للقيام بما يُمكنني بهذا الخصوص. والواقع أن والدته زوجتي ترغب بأخذ ابنتي للبقاء في بيتها والاعتناء بها. والحقيقة، أن الخدم الذين أرسلتهم من أجل ذلك كانوا قد وصلوا، وهم هنا الآن، إلا أن ما أخطر الموضوع هو مرض الصغيرة - وهي الآن قد تماثلت للشفاء تقريباً، وسأعدها للانتقال معهم في الثاني من الشهر المقبل. وبمناسبة ذهابك إلى العاصمة، هلاً أمكن لك مُرافقتها في هذه الرحلة، وسأعتبره جميلاً منك؟»

وافق يو-تسون على ذلك فوراً. كانت الطفلة بلاك دجايد مُستاءة من فراق والدها، إلا أن الجدّة أصرت على ذلك. وعمل والدها على إقناعها بأنه لا يُخطط للزواج من جديد، وبأنها ستكون سعيدة في ظلّ رعاية جدّتها ورفقة أبناء عمّها. وهكذا، غادرت الطفلة في الوقت المُحدّد وبرفقتها مُربيّتها والخادمة، بالإضافة إلى الخدم التي كانت الجدّة قد بعثت بهم لاصطحابها، وانطلق معهم يو-تسون في مركبٍ آخر. وصل الجميع إلى العاصمة في الوقت المُقرّر. وانصرف يو-تسون على الفور للقاء تشيا تشينغ، الذي وافاه ورحب به بحرارة - لا سيّما وأنّه كان قد تلقى رسالة من دجو-هاي يوصي بـ يو-تسون. سرّ تشيا تشينغ بضيفه وخدمه بقدر استطاعته. وما إن مضت بضعة شهور، حتّى تلقى يو-تسون ترقية عالية لمثاليته في العمل.

الفصل الثالث

وفيه تتلقى بلاك دجايد كلّ الترحيب والرعاية من جدتها
ويكون باو-يو مُنزعجاً جداً من ابن عمه

في هذه الأثناء، التقت بلاك دجايد بالمزيد من الخدم في أسرة يونغ كوفو، كما أنها سمعت الكثير عن ترف وثروة عائلة جدتها، وكانت شديدة الإعجاب بكياسة وملابس الخادمت اللواتي كنّ قد أرسلنَ لمُرافقتها إلى العاصمة، بالرغم من أنهنّ خادمت من الدرجة الثانية أو الثالثة. وانطلاقاً من كونها طفلة متباهية وحساسة، فقد صمّمت على مُراقبة خطواتها ووزن كلماتها لتجنّب أيّ أخطاء قد ترتكبها.

كانت بلاك دجايد تُشاهد من نوافذ محفّتها، روعة المدينة الامبراطورية واثرائها الذي لا يُضاهها، والتي بلا شك، تتفوّق على كل ما تتميز به يانغشُو. وفجأة، لمحت على الجانب الشمالي لأحد الشوارع بوّابة ضخمة مهيبه، تتألف من مدخل رئيسي كبير، ومدخلين صغيرين على كلا الجانبين. وتمثالين ضخمين لأسدين نافرين من الجهتين، وفي أعلى المدخل الرئيسي لوحة حُفرت عليها الكلمات: 'نينغ كوفو'⁽¹⁾. كان المدخل الرئيسي مُغلقاً، بينما ظهر واحدٌ من المداخل الصغيرة مفتوحاً، وبُقربه عدد كبيرٌ من الخدم يجلسون على مقاعد طويلة. ولمسافة قصيرة إلى الغرب، كانت هناك بوّابة ضخمة أخرى مُقسّمة تماماً كالأولى، مع لوحةٍ مُشابهة من فوق مدخلها الرئيسي تحمل الكلمات نفسها. عبرت محفّة بلاك دجايد المدخل الجانبي إلى جهة

(1) أي: «السلام والأمان للقصر وأهله».

الغرب. وبعد عبورها مسافة لا تتعدى رمية سهم، توقّف حملة المحفّة وانسحبوا من المكان، وحلّ محلّهم أربعةٌ من الصبية لم يتجاوز عمر كلّ منهم الأربع عشرة، يرتدون أزياء رسميّة لافتة. ثمّ ترجّلت الخادِمات من عرباتهنّ وسرن من خلف محفّة بلاك دجايد سيراً على الأقدام، إلى أن وصل الجميع إلى بابٍ مُغطّى بالزهور المتدلية. وأمامه، وضع الحملة المحفّة وانسحبوا، ثمّ رفعت الخادِمات عن بلاك دجايد الستائر من حولها لكي تنزل.

وظهر إلى الجهة الداخلية من الباب المُغطّى بالزهور، شُرفَتين تؤدّيان إلى قاعة مرور يُزيّن وسطها حاجز ضخّم من الرّخام. يليها قاعة ضخمة تتألّف من الرّدهة الرئيسيّة التي تعجّ بالعوارض المقوّسة والأعمدة المُزخرفة المطلية بالألوان المختلفة. وتتدلى من العارضات الخشبيّة، أقفاص طيور البيغاء والطيور المُغرّدة، وغيرها من الطيور المختلفة الأشكال والأحجام. حينما وصلت بلاك دجايد، وقفت الخادِمات اللواتي كُنّ يجلسن على شرفة القاعة الرئيسيّة كصفٍّ واحدٍ، وقُلن بصوتٍ واحدٍ:

- «لقد كانت السيّدة لاؤ تاي-تاي⁽²⁾ تسأل بقلبي منذ لحظات، وهي على أحرّ من الجمر، عن حفيدتها، المتوقّع وصولها بين لحظةٍ وأخرى كو-نيانغ⁽³⁾».
- ثمّ تقدّمن إلى الباب ورفعن الستارة، وهتفن:
- «أوه! لين كو-نيانغ قد أصبحت هنا!»

وما إن دخلت بلاك دجايد الباب، حتّى هبت سيّدة مُسنّة ذات شعرٍ فضّي لاستقبالها. شعرت بلاك دجايد أنّ هذه السيّدة هي جدّتها، فحاولت أن تنحني أمامها، لكنّ جدّتها احتضنتها على الفور وهي تبكي، وراحت تُدللها بشتّى الأسماء اللطيفة والمُحبّبة - ثمّ أجهش كل من كان بالغرفة بالبكاء مأسورين بهذا المشهد

(2) هو لفظٌ تشريف لوالدة سيّد القصر. وستُستخدم في هذه الرواية تحت أسماء مُتعدّد، مثل:

«الأمّ الكبيرة، الأمّ الحاكمة، السيّدة الكبيرة... إلخ.

(3) هو تعبير يُستخدم للإشارة إلى السيّدات غير المتزوّجات.

العاطفي المؤثر. عندما توقفت سيّدة العائلة⁽⁴⁾ عن البكاء، انحنت بلاك دجايد، وتمّ تقديمها إلى خالاتها، مدام هسينغ و مدام وانغ، ولي هوان - زوجة الزّاحل تشاي تشو. ثمّ التفتت سيّدة العائلة إلى الخادّات وقالت:

- «أطلبين من سيّداتكن أن يأتين، وأخبروهنّ بأنّ عليهنّ الذهاب إلى المدرسة اليوم فهناك ضيفٌ قادم».

وما هي إلاّ لحظات، حتّى دخلت ثلاث سيّدات برفقة العديد من المُربيات والخادّات: كانت الأولى ولكوم سبرينغ، السّمينّة لكنّها لطيفة. والثانية، كويست سبرينغ النحيقة والمُفعمّة بالحيوية والمُتحرّرة، وأخيراً الثالثة، وهي كومباشن سبرينغ التي كانت لا تزال طفلة.

بعد تقديمهنّ، أعدّ الشاي، وقُدّم للجميع. بدأت بلاك دجايد بالإجابة على الأسئلة الغزيرة التي انهمرت عليها من قبل الجدّة والخالات. ومن جملة هذه الأسئلة: متى مرضت والدتها؟ وما هي الأدوية التي وُصفت لها؟ ومن هم الأطباء الذين أحضروا لمعالجتها؟ ومتى حصلت الوفاة؟ ومن حضر عملية الدفن؟ وكانت كلّما غاصت بلاك دجايد في الحديث عن مرض والدتها ووفاتها، ازدادت الجدّة في البكاء والنحيب. وتقول:

- «من بين كلّ أولادي، أحببت والدتك أكثر من الجميع. وها هي الآن قد سبقتنني إلى القبر، حتّى أنني لم أستطع إلقاء نظرةٍ أخيرة عليها».

ثمّ عاودت احتضان بلاك دجايد بين ذراعيها وانفجرت في البكاء.

وبالرّغم من أنّ بلاك دجايد كانت تبدو للوهلة الأولى نشيطة ومُتعايفة، إلاّ أنّها كانت لا تزال ضعيفة القوى نتيجة المرض الذي كانت تُعاني منه سابقاً. ولهذا، راحت الجدّة تسألها عن نوع الدواء الذي تأخذه، وعن الفحوصات التي أُجريت لها. أجابتها بلاك دجايد وقد ارتسمت على وجهها ابتسامةٌ شاحبة:

- «كنتُ ولا زلتُ على هذه الحال منذ فترةٍ طويلة. لقد أشرف على علاجي

(4) تعبيرٌ هو في الأصل «تشاي-مو»، أو «والدة آل تشيا».

العديد من الأطباء المعروفين، ووصفوا لي كل أنواع الأدوية والعقاقير، لكنني لم أتحسن كثيراً. وأذكر وأنا في الثالثة من عمري، بأن أحد الرهبان البوذيين قد جاء لزيارة والدي وطلب إليهما أن يهبوني له كضحية لـ بوذا، وقال بأنني سأبقى مريضة طوال عمري في حال رفضوا طلبه. وقال بأن العلاج الآخر يكون في ابتعادي عن البكاء والنحيب، وأن لا يُسمح لي أبداً برؤية أحد من أقرباء أُمِّي. وكما تعلمين، لا أحد يأبه بهذه التفاهات والخرافات، لكنني ما أزال حتى الآن أتناول بعض حبوب الجنكة أو الجينسنغ الصيني».

قالت لها الجدة تُطمئنها:

- «لدينا هنا من يُركب بعض أنواع الحبوب، وسأمر بإعداد النوع الذي تتناولينه منها».

وفجأة، سمعت بلاك دجايد قهقهة صادرة من الفناء الأمامي، وصوت سيدة شابة يقول:

- «لقد تأخرت عن إلقاء التحية على ضيفتنا القادمة إلينا من الجنوب».

راحت بلاك دجايد تتساءل في نفسها: 'من تكون هذه يا تُرى؟ ولما لاذ الجميع بالصمت والرصانة؟ - ألأنّ هذه القهقهة لا تتناسب مع جوّ الهيبة أو المُحافظة التي تُخيّم على المكان؟' وبينما بلاك دجايد سارحة في تفكيرها، إذا بسيدة شابة تدخل القاعة. كانت طويلة ونحيفة، وتبدو عليها علامات النعمة والكياسة والثقة بالنفس. كانت ثيابها مُزدانة بالألوان الفاقعة أكثر من تلك التي على شقيقات الجدة الكبيرات، وتضع كمية لا بأس بها من الحلّي والمجوهرات؛ فالواضح أنّها قد صرفت الكثير من الوقت على تجهيز نفسها، ولكن كان هناك شيء ما فيها يبدو كعلامة فارقة لا يُمكن إلا وأن تكون محطّ اهتمام كل مُراقبٍ دقيق.

- «لم تتمكّني من التعرّف إليها بالتأكيد».

قالت الجدة ذلك تُخاطب بلاك دجايد، بينما نهضت هذه الأخيرة لتُحيي القادمة الجديدة. وتابعت الجدة:

- «لكنها صاحبة أكثر الألسنة تسلطاً وحقاقة في هذه الأسرة. وهي التي يُلقَّبونها بـ 'الفلفلة الحازة' في نانكينغ، ويُمكنك أن تُناديها بذلك أنت أيضاً».

وفي الحال، هبَّت إحدى حالات بلاك دجايد لتقديم الزائرة كعملية إنفاذ لها:

- «أقدمُ لكِ الفلفلة الحازة'، فينيكس، زوجة تشاي لين».

أمسكت فينيكس بيدي بلاك دجايد، وراحت تنظر إليها بإعجاب لفترة طويلة قبل أن تُعيدها إلى الجدّة. وهي تقول:

- «يا لها من فتاة رائعة. وبصراحة هي من أجمل الأشياء التي رأيتها حتّى الآن. ولا عجب أن السيّد لاؤ تاي-تاي تتحدّث عنها باستمرار. ولكن كم هي قساوة القدر عندما يحرم هذه الفتاة الجميلة من والدتها».

وما إن أنهت فينيكس كلامها، حتى سحبت منديلها وراحت تمسح به عينيها الدامعتين. وهنا التفتت إليها الجدّة وقالت بصوتٍ رقيق:

- «أُتحاولين دفعي إلى البكاء من جديد؟ فضلاً عن أن شقيقتك الصغرى هذه قد وصلت من بعد رحلة طويلة وشاقة وليست على ما يُرام. لقد عملنا ما بوسعنا لتهدئتها، فلا تُحاولي إزعاجها من جديد».

قالت فينيكس وقد ارتسمت على شفيتها بسمة الأسف:

- «سامحيني، لقد كنتُ مأخوذة بمزيجٍ من السعادة والحزن على لقاء مي-مي⁽⁵⁾، ولم أحسب أن ذلك سيزيد من حزن سيدة العائلة».

ثمّ عادت وأمسكت بيدي بلاك دجايد، وسألته عن عمرها، وإذا ما كان لديها مُعلّم، وما نوع الدواء الذي تتناوله. ثمّ نصحتها بأن لا تُشغل بالها بالحنين إلى الوطن، من أجل أن تشعر بالراحة هنا، وبأن لا تتردّد في طلب ما تُريد، وأن تُبلغها عن أي إهمال أو فظاظة قد تلاقيها من الخادِمات في القصر. وختمت كلامها لها بالقول:

- «وعليك أن تتذكري دائماً، يا مي-مي بأنك لست في منزلٍ غريب».

(5) «الشقيقة الصغرى».

في هذه الأثناء، أخذت مدام هسينغ الأنسة بلاك دجايد لتقديم الاحترامات والتحيات لـ تشاي شيه؛ فدخلت عربة كانت تقف عند الباب المُغطى بالأزهار، وعبرت الجانب الشرقي للمدخل الرئيسي، ثم دخلت باباً مطلياً باللون الأسود. وبدا لـ بلاك دجايد بأن هذا المُجمّع السكني قد كان في ما مضى جزءاً من حديقة يُونغ كُوفُو – لكنّ عملية بناءه كانت أقل مستوى من منازل يُونغ كُوفُو المعروفة، بالرغم من وجود الشرفات والممرّات، والعُرف الجانبية، وتصاميم الزهور، والصخور المنقوشة، وكل ما يُشير إلى التخطيط الجيّد لقصرٍ من القصور المبنية وفق تخطيط ونظام. وما أن دخلت مدام هسينغ وبلاك دجايد البهو الداخلي، حتى أُقبل عددٌ من الخادِمات لاستقبالهما. وبعد أن جلستا في غرفة جلوس مدام هسينغ، أرسلت إحدى الخادِمات لإبلاغ تشيا شيه عن وصول بلاك دجايد. عندما عادت، اقتربت من سيّدتها وقالت:

- «يقول سيّدي لاو-يه، بأنّه لا يشعر بالراحة، وبما أنّ هذا اللقاء الآن سيُشعل الحزن في قلبه، فلن يُقابل الضيفة اليوم. وقال أنّ على لين كو-نيانغ أن تشعر بالراحة هنا، وأن تعتبر بيت جدّتها كبيتها».

نهضت بلاك دجايد من مكانها وهي تُصغي إلى الرسالة التي تتلوها الخادِمة من عمّها الأول. طلبت إليها مدام هسينغ أن تبقى على الغداء، لكنها رفضت كنوعٍ من قواعد التشرّيفات التي تفرض عليها قبول دعوة عمّها الثاني دون تأخير.

عفت مدام وانغ بلاك دجايد من دعوة تشاي تشين، وقالت لها:

- «إنّه مشغول اليوم، وستريه في وقت آخر، ولكن هُنالك أمرٌ عليّ تحذيرك منه. أعرف بأنك لن تخوضي في المشاكل مع أخواتك، وبأنك ستدرسن معاً وستعجب إحداكن الأخرى. ولكن تتابني الكثير من الشكوك حول ابني – المصيبة التي عندي؛ فهو ليس في البيت الآن، لكنّه سيعود لاحقاً، وستريه وتعرفين عليه بنفسك – فلا تعيره أي اهتمام. مع أنّ أياً من شقيقاته لا تجرؤ على تشجيعه في النهاية لكي لا يتغيّر على نحوٍ مُفاجئ».

وقفت بلاك دجايد تفكّر في نفسها: 'لقد سبق لي وأن سمعت من والدتي الكثير

عن ابن عمِّي هذا، وكيف أَنه وُلِدَ وفي فمه قطعة حجر كريم، وشغف جدّته به، وكيف أَن والده لم يتحمَّلَ عناء تربيته وتعليمه. فلعلّه هو من تُشير إليه مدام وانغ الآن! ثمّ قالت تُخاطب مدام وانغ:

- «لقد سمعتُ والدتي تتحدّث عن هذا الأخ الأصغر. ولكن ما المُخيف في الأمر؟ إذ من الطبيعي أَن أكون مع أخواتي، أمّا هو فسيكون مع الإخوة». رَدّت مدام وانغ موضحة:

- «لكنّه لم يولد كبقية الأطفال؛ فهو يعيش مع لاو تاي-تاي تربطه علاقات جيّدة مع الفتيات والخادِمات. والحقيقة، أَنه يتصرّف على نحوٍ مقبول إذا ما تُرك لوحده، ولكن عندما تقوم أياً من الفتيات بتشجيعه، فسيتحول إلى ما يُشبه المُستحيل، ويتفوّه بأنواع غريبة من الكلمات والأشياء. لهذا أقول لك بأن لا تعيره أي انتباه ولا تهتمي لأي شيء ممّا يقوله».

وأثناء العودة لتناول الغداء في منزل الجدّة، عبرا بالقرب من منزل فينيكس، وأشارت مدام وانغ إليه وقالت لـ بلاك دجايد:

- «أصبحتِ تعلمين الآن إلى أين تذهبين عندما تحتاجين أي شيء». عندما وصلا إلى غرفة طعام الجدّة، كانت الخادِمات تعملن على تحضير المائدة. وتمّ وضع كرسيّاً على كل جانب من مكان جلوس الجدّة. تقدّمت فينيكس إلى الكرسي الذي على الجهة اليسرى إلى جانب الجدّة، وأشارت إلى بلاك دجايد للجلوس عليه؛ رفضت بلاك دجايد الجلوس، لكن الجدّة خاطبتها على الفور:

- «إنّ خالاتك وشقيقاتك لا يتناولن الغداء هنا، بالإضافة إلى أنّك ضيفتنا اليوم، ولذلك عليك بالجلوس الآن».

عندها، ارتبكت بلاك دجايد، ثمّ اعتذرت وجلست؛ جلست مدام وانغ، أمّا فينيكس ولي هوان، فبقيتا واقفتين ومُستعدّتين لتلبية طلبات الجدّة. وبالنسبة لفتيات الربيع⁽⁶⁾، فقد جلسن بالترتيب ووفقاً للعمر: فجلست ولكوم سبرينغ على الجانب

(6) أي الفتيات اللواتي يحملن إسم «سبرينغ» الآتي ذكرهن.

الأيمن للجدّة، وجلست كويست سبرينغ ثانية إلى اليسار، وجلست كومباشن سبرينغ ثانية على اليمين. أمّا في الفناء الخارجي لغرفة الطعام، فقد وقفت العديد من الخادّات ينقلن الأواني من وإلى المطبخ. بعد الغداء، صرّفت سيّدة العائلة كل من مدام وانغ، ولي هوان، وفينيكس، من أجل أن تتكلّم بحرية مع حفيدتها بلاك دجايد.

وفجأة، سُمع صوت أقدام في الفناء الخارجي للغرفة، وأطلّت إحدى الخادّات تُعلن عودة باو-يُو. وبغض النظر عن حركاته وشيطناته الصبيانية، فقد كانت بلاك دجايد تتوقّع رؤيته.

وقفت بلاك دجايد تتأمّله: فرأت شاباً مُفعماً بجمالٍ وجاذبية لا توصفان؛ كان وجهه يُضيء كالقمر الكامل، وكانت حيويته أشبه بزهور الربيع في صبيحة ربيعية، وكان شعره مصفوفاً وكأنّه قد نُفِشَ بإزميل نحاتٍ مُحترف، أمّا الحاجبين فكانا أسودين وكأنّهما قد رُسما باتقان، ولُونا بالحبر. كان كريماً حتى في غضبه، وكان محبوباً حتى في عبوسه. كان يرتدي قُبعة رخامية مُزدانة بالحجارة الكريمة والنفيسة، وعباءة حمراء مُزخرقة بالفراشات والأزهار. كان الحجر الكريم الذي ولد معه، يتدلى من عنقه في خيطٍ من الحرير الملون.

كانت بلاك دجايد تقف مشدوّهة؛ فقد كانت ملامحه مألوفة لديها، ولربّما سبق لها وأن رآته في مكان ما من قبل. أمّ باو-يُو، فقد كان بدوره مأسوراً بملامحها الجذابة والأخاذة. فقد كان حاجبيها الجميلين متقوسين وكأنّما رسمتهما ريشة فنان حاذق. وكانت عيناها السعيدتين، تلمعان وكأنّهما تشتاقان الدموع - أمّا أنفاسها الرقيقة والسريعة، فكانت دليل على تركيبها الرقيقة. كانت في هدوئها أشبه بالوردة المُتكرسة المنعكسة على سطح المياه الجارية؛ وفي حركتها، كانت تُشبه الصفصافة الرشيقة المُتمايلة مع الريح. كان في قلبها نقطة ضعفٍ إضافية أكثر من تلك التي لدى باي كان⁽⁷⁾؛ كما أنّها كانت رقيقة وهشة أكثر من هسي شيه.

(7) هو تعبير يُشير إلى أنّ بلاك دجايد كانت تفيض بالأحاسيس الرقيقة.

قال باؤ-يؤ وكأنما يُبدي إعجابه:

- «يبدو لي وكأنني قد سبق ورأيت هذه ال-مي-مي' من قبل».

ردّت الجدّة على الفور باستهزاء:

- «كلامٌ سخيف، كيف يُمكن أن تكون قد رأيتها من قبل؟»

- «لا أقصد بأنني قد رأيتها حقيقة»، قال باؤ-يؤ مُتجاوباً مع سؤال الجدّة، وتابع: «ولكنني، أشعر وكأنني أقابل صديقاً لم أره منذ زمن بعيد».

- «أنا سعيدة لسماع ذلك»، قالت الجدّة، وأضافت: «ولذلك، من المُفترض أن تكونا صديقين جيّدين».

تقدّم باؤ-يؤ وجلس إلى جوار ابنة عمه، وبدأ بطرح أنواع مُختلفة من الأسئلة المُتعلقة بالمقاطعة الجنوبية. ثمّ سألها:

- «ألديك أيّ حجر يشمّ كريم⁽⁸⁾؟»

- «لا، ليس لديّ منه»، أجابته بلاك دجايد، وقالت: «إنّه نادر، ولا يوجد مع أحدٍ كما هي الحال معك».

وعلى الفور، انفعل باؤ-يؤ واحمرّ غضباً، وصرخ:

- «إنّه نادرٌ بالفعل!، أعتقد بأنّه شيءٌ سخيفٌ، لا أرغب في اقتناء أي نوع منه».

ثمّ سحب الحجر من عنقه وطرحه أرضاً. هرعت الخادِمات إلى الحجر لرفعه عن الأرض، بينما أخذته الجدّة بين يديها، توبّخه، وتعمل على تنفيس غضبه تجاه الحجر النفيس الذي تتوقف عليه حياته. قال باؤ-يؤ باكياً:

- «ليس لدى أخواتي أيّ شيءٍ مثله، وأنا الوحيد الذي ولدتُ به. والآن

عرفتُ أيضاً أن هذه ال-مي-مي الجميلة كالحورية، لا تملكه هي الأخرى،

فلماذا أريد هذا الحجر السخيف، وماذا أفعل به؟»

ردّت الجدّة على الفور بصوتٍ رقيق:

(8) يقصد الحجر الكريم الذي كان في فمه وقت ولادته.

- «إنّ مي-مي تملك واحداً مثله بالفعل. لكنّ عمك كان متأثراً جداً لفراقها، فأصرّ على الاحتفاظ بهذا الحجر كذكرى منها. أمّا قولها لك بأنّها لا تملك مثله، فلأنّها لم ترد أن تبدو لك بمظهر المُتبخّحة. والحقيقة، أنّ حجرها الكريم هذا كان أفضل من حجرك. والآن، أعده إلى عنقك قبل أن تعرف والدتك بالأمر».

بدا باو-يُو مُقتنعاً بتفسير الجدة، فلم يعد يُبدي أي اعتراض وهي تُعيد تعليق الحجر في عنقه.

خُصّصت لـ بلاك دجايد غرفٌ قريبة من غرف باو-يُو في جناح الجدة. وعندما انتقلت إليها مع راعيتها الوحيدة وخدامتها الشابة سنُو داك، قدّمت لها الجدة أيضاً، بيربل كوُكو، إحدى خادوماتها المُفضّلات. بالإضافة إلى ذلك، أُعطيت بلاك دجايد أيضاً، أربع قيمات على العمل المنزلي، وأربع أو خمس خادومات لكلّ الخدمات، كاللواتي لدى الجدة بالضبط.

كانت راعية باو-يُو تُدعى لي ما؛ أمّا خادمته فكانت بيرفايدينغ فريغرانس، والتي كانت أيضاً من المُفضّلات عند الجدة - كانت هذه الخادمة جيّدة ويقظة وأمينّة، ومُخلصة لكل من تُرسل لخدمته - ولذلك، كانت لا تأبه لأحد أبداً حين كانت بخدمة الجدة. أمّا الآن، وهي في خدمة باو-يُو، فقد كانت تُكرّس كلّ وقتها له؛ كانت هذه الخادمة في الأصل تُدعى بيرل، ولكن بسبب اسم عائلتها هُو (أي وردة)، فقد عمد باو-يُو إلى استبدال اسمها باسم جديد مُشتقّ من أحد المقاطع الشعريّة: 'من عطر الزهر الفوّاح، نعرف بأنّ اليوم دافئ'. وكانت قد خُصّصت له من أجل تويّخه وتقويم سلوكه المنحرف، لكنّها كانت تحزن في أغلب الأحيان لأنّه لم يكن يستمع إلى أيّ من نصائحها أو توجيهاتها.

في تلك الليلة، وبعد أن آوى كل من باو-يُو ولي ما إلى الفراش، لاحظت بيرفايدينغ فريغرانس أنّ بلاك دجايد وبيربل كوُكو لا تزالان صاحيتين، فصعدت إليهما بصمتٍ للزيارة.

عندما رأتها بلاك دجايد قالت:

- «اجلسي يا تشيهيه- تشيهيه⁽⁹⁾».

جلست فريغرانس على حافة السرير. فقالت لها بيربل كوَّوُ:

- «لقد كانت لي كوَّ-نيانغ تبكي منذ لحظات، لأنها كانت قبل ذلك قد تسببت

عن غير قصد بإثارة غضب باؤ-يُو، ودخل في إحدى نوباته الجنونية».

قالت فريغرانس تُخاطب بلاك دجايد:

- «يجب أن لا تأبهي له يا كوَّ-نيانغ. فأنتِ لم تري شيئاً من تصرّفاتِه المُفاجأة

بعد. فلو تركتِ نفسكِ تتأثرين بشيء بسيط كالذي حدث اليوم، فلن شعري

بأي نوع من لحظات السلام والهدوء».

وفي الصباح التالي، وبعد أن حضرت أمام سيّدة العائلة، ذهبت بلاك دجايد

لتدعو مدام وانغ، فوجدتها تتحدّث مع فينيكس، ومع خادميتين من منزل أخيها.

لكنّها لم ترد مقاطعتهن، فانضمّت إلى فتيات 'الربيع' اللواتي كنّ حاضرات من

أجل صباحية الجدة. وعلمت من كويست سبرينغ بأنهن كنّ يُناقشن كيفية مُساعدة

نجل شقيقة مدام وانغ، المُتهم بجريمة القتل التي كانت مُقامة ضده في دوائر حاكم

ينغتيانفو.

والجدير ذكره هنا، أن تشيا يو-تسون كان قد عُين حديثاً حاكماً لمقاطعة

ينغتيانفو عن طريق مساعي تشيا تشينغ الحميدة. وليس هناك من حاجة للقول بأنّه

لم يوفّر جهداً في تبرئة هسويه بان. ولا بُدّ من الإشارة أيضاً إلى أنّ القضية تتعلق

بـ لوتوس، ابنة تشيه شيه-ين المفقودة، والتي كانت قد بيعت من قبل خاطفها أولاً

إلى فينغ يوان، ثمّ إلى هسويه بان. وقد وقع شجار على أحقيّة امتلاك الفتاة الضحية

- حيث تلقّى فينغ يوان ضرباً مُبرحاً من قبل خادم هسويه بان، حيثُ توفي لاحقاً

متأثراً بجروحه.

والآن يُعتبر هسويه بان الابن الوحيد؛ فقد توفي والده عندما كان لا يزال طفلاً،

(9) أي يا أختي الصُغرى؛ نلاحظ هنا كيف كانت تُعامل الخادِمات المُقرّبات، لا سيّما بيرفايدينغ

فريغرانس، التي كانت تعتبر خادمة الجدة وقرية إلى منزلتها.

وكتيجة، فقد كان أصابه الفساد جزاء تصرفات أمه، كما أنه كان أمياً تقريباً - بالرغم من انحداره من عائلة «يفوح منها عطر الكتب». والواقع، أنه كان متغطرس وسريع الاندماج بالبيئات الفاسدة، وكان يُفرط في مسالك الفجور والفسق. وبالرغم من زعمه بأنه تاجر ووكيل شراء للعائلة الإمبراطورية، إلا أنه لم يكن يعرف شيئاً عن موضوع الأعمال، واعتمد كلياً على أساليبه الاحتيالية الخاصة ووثق بالخدم. كانت والدته شقيقة الجنرال وانغ تزو-تينغ، قائد حامية العاصمة، وشقيقة مدام وانغ، زوجة تشيا تشينغ. ومن هنا صلتها بأسرة يونغ كوفو، كما أنها كانت تُعرف بين أفراد تشيا باسم هسويه بي-ما⁽¹⁰⁾. كانت تربو على الأربعين ولديها، عدا هسويه بان، ابنة تُدعى بريشوس فيرتشو، وكانت تكبر هسويه بان ببضع سنوات. وكانت هذه الابنة جميلة وحسنة السيرة والسلوك. كان والدها يحبها بقوة، وقد فتح لها المجال للتعليم تحت إشراف مُعلّم خاص، فتفوّقت على أخيها من حيث الثقافة والعلم بعشرات المرات. لكنّها، وبعد وفاة والدها، لم تعد تهتمّ بكتبها إلا النذر اليسير؛ كانت مُدركة بعدم مسؤولية أخيها وتهوّه، وقزرت مُشاركة والدتها بالعناية به.

كان لمُغادرة أفراد عائلة هسويه إلى العاصمة ثلاثة أسباب أساسية: كان هدف الأول، رغبة هسويه بي-ما تقديم ابنتها مرشحة كوصيفة شرف لدى العائلة الإمبراطورية. أمّا الثاني، فكان مُرتبطاً بزيارة شقيقتها وشقيقها الذين لم ترهما منذ عدّة سنوات. وأخيراً، كان هسويه بان يُريد، ولو ظاهرياً، تدقيق حسابات العديد من المحلات التجارية الخاصة هناك، مع أن السبب الحقيقي لذهابه، التمتع ببعض أنواع اللهو والتسلية المُتوافرة في بعض نواحي المدينة.

وقبل وصولهم إلى العاصمة بقليل، سمعوا بأنّ الجنرال وانغ قد عُيّن مُفتشاً عسكرياً على تسع مقاطعات، وأنه كان على وشك المُغادرة لاستلام مركزه الجديد. أفرح هذا الخبر هسويه بان، لأنّ الوالدة، لو كانت قادرة على البقاء مع شقيقها كما هو مُخطّط، فلن يكون هو قادرٌ على التصرف بحرية وفعل ما يشاء. فاقترح على

(10) الخالة.

والدته فتح أحد منازلهم في العاصمة. وبما أن والدته تعرف سلوكه وغايته، فقد فهمت ما يُخطَط له، فقالت:

- «يُمكنا الذهاب إلى بيت خالتك والمكوث عندها؛ فأنا على يقينٍ من أنها ستغضب في حال لم نفعل ذلك. عدا عن أنني لم أرها منذ عدّة سنوات وأفتقدها ومُشاقةٌ كثيراً لرؤيتها. وإن كنت تخشى من أنك لن تكون حراً بالطريقة التي تُريدها، فبإمكانك العيش لوحداً، أمّا من ناحيتنا، أنا وشقيقتك، فسنبقى في بيتها».

وكما كان توقّع هُوييه بي-ما، فقد أصرّت مدام وانغ على بقائهما في يُونغ كُوْفُو، فقد أقاما في بير فريغرانس كورت، على الزاوية الشمالية الشرقية للقصر. كان لهذا المنزل مدخله الخاص من الشارع مباشرة، ويرتبط بمسكن مدام وانغ بممرّ، حيث كان بإمكان هُوييه بي-ما وابنتها الدّخول إلى أقسام يُونغ كُوْفُو الداخلية دون الاضطرار للعودة إلى المدخل. وكانا يفعلان ذلك كلّ يوم - فبعض الأوقات بعد الغداء، وأحياناً كثيرة في المساء. كانت الأم تُمضي أوقاتها أحياناً مع سيّدة العائلة وشقيقتها، بينما كانت بريشوس فيرتشو تسلّي مع فتيات الربيع الثلاث، أو مع بلاك دجايد؛ أمّا في ما خصّ هُوييه بان، فلم تكن لديه من الأسباب ما يمنعه من تنفيذ ما جاء من أجله؛ فسرعان ما وجد ضالته بين أفراد زمر تشيا - حيث وجد العديد من أمثاله الذين يحسّون الخمر، ويُمارسون ألعاب القمار، أو يزورون أماكن المومسات. والواقع، أنّه اكتشف الكثير ليتعلّمه من أصدقائه الجدد. لأنّه، وبالرغم من كون تشيا تشينغ انضباطي بشكل صارم، إلّا أنّه لم يكن قادراً على فهم كل ما يدور بين أفراد زمرة الجديدة. بالإضافة إلى أنّ تشيا دجين، وهو الرأس المُدبّر للزمرة، كان بعيداً عن أيّ شك أو شبهة هو نفسه. وهكذا وجد هُوييه بان نفسه منهمكاً في تقبل نصائحه، رافضاً أي نوع من النصائح التي كانت تأتيه من أفراد أسرته.

الفصل الرابع

وفيه تعجز صفحة الحجر القدسيّة عن تمييز طريدها الأول
وتفشل إلهة الإرشاد في إيقاظ مُرافقها السابق

منذ أن وصلت بلاك دجايد إلى يُونغ كُوْفُو، أغدقت عليها جدّتها العاطفة والحب والمواساة ما لم تُقدّم مثله لـ باو-يُو. وقد احتلّت هذه الفتاة الشّابة مكاناً دافئاً في قلب سيدة العائلة أكثر من فتيات الربيع الثلاث، حفيداتها الحقيقيّات⁽¹⁾. كانت العلاقة بين بلاك دجايد وباو-يُو تزداد أكثر فأكثر - ليس فقط لأنّهما يعيشان في مسكنٍ واحد، ولكن بسبب التقارب الطبيعي الذي احتلّ مكانه منذ لقائهما الأول. في هذه الأثناء، ظهرت الأنسة بريشوس فيرتشو.

ومع أنّها أكبر من بلاك دجايد بمقدار ضئيل، إلّا أنّها كانت تتميّز برؤية وفهم واسعين يتخطيان سنوات عمرها بكثير. كانت لا تشوبها شائبة؛ فكانت دائماً مُستعدّة لإرضاء غيرها، والدخول في جوّ أيّ مناسبة دون تكلف، كما أنّها كانت تتعامل بعطف وإنسانية مع الخدم والعبيد. لكنّ بلاك دجايد، فقد كانت على العكس من ذلك - تميل إلى التكبر وتناى بنفسها عن كل شيء. وهكذا، استطاعت بريشوس فيرتشو، وفي وقتٍ قصير، أن تريح قلوب جميع من حولها، بينما كانت بلاك دجايد غير قادرة على إخفاء غيرتها من ذلك. والواقع، أنّ بريشوس فيرتشو، كانت لا تأبه البتة لكلّ ما أحدثه وجودها في البيت.

أما بالنسبة لطبيعة باو-يُو، فقد كان يتميّز بالبساطة، وهكذا كان سلوكه البريء

(1) أي بنات الإبتة، ووردت هنا بهذا المعنى للدلالة على قرابة الدم.

تماماً يبدو للجميع، في كثير من الأحيان، كضربٍ من الغرابة أو الغموض، إن لم يكن من الجنون.

كان يُعامل الجميع على حدّ سواء، ولم يتوقف أبداً عن اعتبار قرابة الفرد للآخر تسير على نسق واحد ولا تختلف بين شخص وآخر. وكان يعمل في كثير من الأحيان على إغضاب بلاك دجايد عن غير عمد، وكان قصده من وراء ذلك التسلية معها وإسعادها. وفي هذا النوع من المناسبات، كان باؤ-يو دائماً هو الذي يُبادر إلى اللفتة التصالحية في المنزل.

وفي يومٍ كانت فيه أزهار شجر الخوخ في حديقة يُونغ كُوفُو تبلغ أوج إزهارها، اغتتمت يو-شيه زوجة تشيا دجين الفرصة لدعوة سيدة العائلة، ومدام وانغ، ومدام هسينغ وغيرهن من أفراد العائلة، للاحتفال بعيد إزهار الخوخ.

لم يحدث خلال هذا الحفل أيّ شيء استثنائي، لكنّه كان مجرد تجمّع سنوي للعائلة. بعد العشاء، أحسّ باؤ-يُو بالإرهاق وقال بأنّه يرغب في أخذ قيلولة. فقالت تشين-شيه للجدّة:

- «لدينا غرفة جاهزة دائماً من أجل العمّ باو⁽²⁾، سأخذ باؤ-يُو إليها، وأطمأن على راحته فيها».

كانت تشين-شيه زوجة تشيا دجانغ وكنته سيّدة العائلة الكبرى والمفضّلة لديها؛ كانت هذه الكنته شابة فائقة الجمال وتمتلك شخصية مرهفة الإحساس، وتتصرف بكثيرٍ من الودّ واللطف. ولذلك، اطمأنت سيّدة العائلة لترك باؤ-يُو بين يدي رعايتها. كانت الغرفة التي أخذت تشين-شيه باؤ-يُو إليها، من أهمّ الأجنحة في يُونغ كُوفُو وأكثرها فخامةً وترف. إلاّ أنّ باؤ-يُو اعترض على وجود اللفافة المزخرفة والمعلّقة في وسط الجدار - وهي لوحة زيتية تمثّل عالم هان الشهير ليُو هسيانغ وهو يتلقّى التنوير الإلهي. كما أنّه أبدى اعتراضاً أشدّ صرامة بخصوص اللفافتين المعلّقتين على جانبي هذه اللوحة والتي كُتِبَ على كلّ منها الأبيات التالية:

(2) تقصد بذلك باؤ-يُو نفسه، وهو لقبٌ يُطلق عليه احتراماً لمكانة قرابته من الجدّة.

إن التعمق أكثر وأكثر بمسالك العالم

هو المعرفة الحقيقية

وإن التكيف مع تفاصيل عادات وتقاليد المجتمع

هو الإنجاز الحقيقي

ثم قال مخاطباً تشين-شيه قائلاً لها:

- «بصراحة، من المستحيل أن أنام في هذه الغرفة».

- «إذا كنت لا تُحب هذه الغرفة بالذات، فلن تُناسبك أي غرفة أخرى»، ردّت

تشين-شيه، وأضافت: «إلا إذا أردت أن تستخدم جناحي الخاص».

عند سماعه ذلك، ارتسمت على مُحيا باؤ-يُو ابتسامة رضى. لكن مُربيته لي ما

اعترضت على هذا الاقتراح، وقالت:

- «لن يكون من اللائق لعمّ أن ينام في غرفة نوم زوجة ابن الأخ».

- «لا تكوني سخيفة إلى هذه الدرجة»، قالت تشين-شيه مُبتسمة، وتابعت:

«إن العمّ باؤ لا يزال صبيّاً الآن، إن لم يكن قولي هذا يُزعجه. ألم تُلاحظي

أخي الأصغر عندما زارنا الشهر الماضي؟ إنه بعمر العمّ باؤ لكنه أطول منه

بقليل».

وعلى الفور غير باؤ-يُو مجرى الحديث وسأل تشين-شيه:

- «أين هو أخيك؟ أرسلني بطلبه ودعيني أقابله».

والواقع، أن باؤ-يُو أراد من وراء هذا الطلب، رؤية شكل شقيق تشين-شيه

الجميلة والجذابة.

- «إنه في البيت، ويبعد مسافة طويلة من هنا»، أجابت تشين-شيه، وتابعت:

«ومن المؤكّد أنك ستقابله في وقتٍ من الأوقات».

أحسّ باؤ-يُو داخل الغرفة برائحة عطر رقيق ولكن قوي.

ورأى على أحد الجدران في جهة أخرى لوحة للرسم 'تافع بين' تحت عنوان

«سيدة تأخذ قيلولته تحت شجرة البوغونيا»، وبيتين للشاعر صانغ يقولان:

برودة لطيفة تعم أحلامها لأنه الربيع؛

وعطر الورد يُسكر المرء كالخمرة.

وفي وسط الطاولة كانت هناك مرآة قد استخدمتها ذات مرّة الإمبراطورة وُوّ
تسي تيان. وعلى أحد جانبيها، وُضعت صفيحةٌ ذهبيةٌ تُجسّد تمثال تشاو في-ين وهو
يرقص، أمّا الصفيحة على الجانب الآخر فتُجسّد حبة سفرجل رماها لُو-شان عابثاً
على الحسناء يانغ كُووي-في. وكان السرير المحفور قد نامت عليه يوماً الأميرة
شو يانغ، أمّا الستائر اللؤلؤيّة فقد كانت قد صُنعت من أجل الأميرة تونغ تشانغ⁽³⁾.

قال باؤ-يُو يُخاطب تشين-شيه، وقد غمرته الدهشة والسعادة:

- «لقد أحببتُ جناحكِ أكثر».

ردّت تشين-شيه وهي تبسم:

- «إنّه مُناسبٌ للخالدين، إذا جاز لي أن أقول ذلك».

ثمّ قامت بفرش غطاء السرير الذي كانت قد غسلته من قبل هُسي شيه،
ووضع مكان الوسادة المُزخرفة التي احتضنتها مرّة رد مايد. انصرفت مُربية باؤ
بعد أن ساعدته على الإيواء إلى الفراش، وبقيت فقط خادmates الأربع - بيرفايدينغ
فريفرانس، برايت ديزاين، أوتومن سكاى، وماسك مؤون - وقد طلبت إليهنّ تشين-
شيه الخروج لمراقبة القطط التي تلعب تحت المزاريب.

غرق باؤ-يُو في النوم بمُجرد أن أغمض عينيه. ورأى في منامه بأنّه يسير وراء
تشين-شيه إلى مكان رائع - فيه قاعات وغرف مصنوعة من الأحجار الكريمة
والذهب، وحدائق مليئة بالأزهار الجميلة والغريبة. أحس باؤ-يُو بالغبطة، وشعر
بأنّه سيقضي بقية عمره في هذا المكان. وفجأة، سمع أحد الأشخاص يُغني من
الطرف الآخر للتلة:

أحلام الربيع تندثر كما الغيوم الحائرة،

(3) كل هذه الأسماء تُمثّل العاشقات الشهيرات في التاريخ الصيني وأساطيره.

والزهور ترحل مع المياه السائرة.
والعاشقين اليوم هم، كما كانوا منذ الأزل،
حبٌّ وسهْرٌ ودموعٌ واشتياقٌ وغزلٌ؛
فليأخذوا كلامي المُعتبر كحكمةٍ لا تنتظر:
"عشقكم هذا ندم - لن تحصدوا إلا الألم".

بقي صدى هذه الأغنية يرنّ في أُذُنِي باؤ-يُو، إلى أن ظهرت أمامه إلهة جنيّة ذات جمال رائع وبهاء أخاذ، ولا يُشبهها أيّ شيء في العالم الفاني. ألقي باؤ-يُو التحية عليها وقال:

- «أيتها الأخت الخالدة، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ لقد أضعتُ طريقي، وأرجو منك المُساعدة».
ردّت قائلة:

- «أنا إلهة الإرشاد. وأسكن عالم حزن الفراق الموجود في محيط الندم. أنا مسؤولة عن شكاوى العذارى التعيسات والعاشقين الباكين، وعن آثام حبّهم، وعن رغباتهم غير المُحقّقة. لم يكن لقائي بك مُصادفة؛ فمنزلي ليس ببعيد من هنا، وليس لديّ الكثير لأقدمه لك، ولكن لديّ بعض أوراق الشاي الطرية التي جمعتها بيديّ، والقليل من جرار النبيذ التي صنعتها بنفسي أيضاً. ولديّ أيضاً العديد من المُغنّين المُدرّبين على الرقصات الغريبة، وقد أنهموا للتوّ سلسلة من إثني عشرة أغنية وقد أسميتها: 'حلم الغرفة الحمراء'. فلماذا لا تأتي معي؟»

في هذه الأثناء، اختفت تشين-شيه، ولحق باؤ-يُو بالإلهة ووصل إلى مكان يُغطيه قوسٌ صخريّ هائل، حُفرت في وسطه العبارة: «أرض وهم الباطل العظيمة». وقرأ على جانبيّ هذه العبارة البيتين التاليين:

حينما يطغى الباطل على الحقيقة، تصير الحقيقة

عندها ضلالٌ؛

وحينما يصير اللاوجود واقعاً، سيكون الوجود في

الأذهان باطلٌ.

وبعد أن عبر من تحت القوس، وجد باؤ-يؤ نفسه أمام مدخل قصرٍ، ومن فوقه

قرأ العنوان: «بحر العاطفة وفردوس الحب»،

ثُمَّ قرأ من تحتها بيتين يقولان:

في البقاء، كخلود الأرض والسماء،

لن يموت حبُّ مهما تطويه العهود.

وفي الدوام، كتوالي الظلّ والضياء،

لن يغيب وقتٌ للنسيم والسهير في اللاوجود.

كان باؤ-يؤ أصغر من أن يفهم معاني هذه الأبيات. وبالزغم من أن لديه فكرة

ضئيلة ومُبهمّة عن الحب، إلّا أنّه لم تكن لديه فكرة واضحة عن المقصود بالنسيم

والسهير. حرّك ذلك في نفسه الفضول وقزّر اكتشاف الأمر قبل مُغادرته للقصر.

ونتيجة لهذا التفكير البريء، أصبح باؤ-يؤ، ولسبب غير مفهوم، تشغله شياطين

العاطفة.

بعد دخوله الباب الثاني، رأى باؤ-يؤ صفوفاً من المعابد مع كلماتٍ محفورة

عليها مثل: «قسم المشاعر المنحرفة»، «قسم الغيرة المتنافسة»، «قسم بكاء الصباح»،

«قسم مرثاة المساء»، «قسم عواطف الربيع»، و«قسم أحزان الخريف».

بعد أن قرأ باؤ-يؤ كل ذلك، سأل الإلهة:

- «هل من الممكن لك أن تأخذيني عبر هذه المعابد؟»

- «لا»، أجابته الإلهة بحزم، وأضافت: «إنّها تحتوي كل ما له علاقة بماضي

وحاضر ومستقبل عذارى العالم كلّه - اللواتي لن ترعاهنّ عين الخلود».

وبينما هما يتقدّمان، استمرّ باؤ-يؤ يُلحّ على الإلهة حتّى وافقت أخيراً على طلبه

قائلة:

- «حسناً، ستري هذا فقط»؟

نظر باؤ-يُو إلى أعلى فرأى ما كُتِبَ في أعلى المعبد الذي أشارت إليه الإلهة:
«قسم سيِّي الطَّالع». وقرأ هناك أيضاً البيتين التاليين:

من الربيع وأحزانه حتى الخريف ومآسيه؛ نصنع
بأيدينا البلاء؛

إن كانت وجوهنا كالورود وملامحنا كالقمر...
كلّ ما فينا سواء.

وفي الداخل، رأى باؤ-يُو أكثر من عشر حُجرات صغيرة مُقفلة ومُصنَّفة وفقاً
لأسماء مُختلف المُقاطعات. وهنا، رغب في الاطلاع على يتعلق بمُقاطعته، فتقدّم
إلى المُقاطعة المُصنَّفة تحت عنوان: «عذارى تشيلينغ الثلاث عشرة، الملف رقم 1».
وبعد قراءة ذلك، قال يسأل الإلهة:

- «لقد سمعتُ بأنّ تشيلينغ هي مدينة كبيرة. فكيف يُعقل أن يكون فيها ثلاث
عشرة عذراء فقط؟ ففي عائلتنا لوحدها يوجد المئات منهم».
ابتسمت الإلهة وردّت:

- «نحن نحفظ بسجلات الأكثر أهمية منهم».

نظر باؤ-يُو باتجاه الحُجرتين التاليتين، وقرأ على التوالي ما هو محفور فوقهما:
«عذارى تشيلينغ الثلاث عشرة، الملف رقم 2»، و«عذارى تشيلينغ الثلاث عشرة،
الملف رقم 3». ثمّ تقدّم وفتح الحُجرة الأخيرة وأخرج منها ملفاً كبيراً. كانت
الصفحة الأولى مُعتمة ومغمورة كليّة بالضباب الكثيف والغيوم السوداء، ولم يكن
فيها أيّ شيء واضح. وقد نقشت على هذه الصفحة الأسطر التالية:

في الأيام الصافية، التي نادراً ما نراها،

وعبر الغيوم المُشرقة التي تفرّقت في هواها.
كان قلبها مُتباهاً في عَلاها كالسما،
لكنّ موطأها كان على أرضِ الوضاعةِ والبلاء.
لم يستدع فيها الجمال والكمال إلاّ الحسد،
ولم يكن موتها المُعجّل إلاّ افتراء وادّعاء -
ولم يكن رثاء أميرها المُخلص لها إلاّ هباءً بهباءً⁽⁴⁾.

لم يفهم باؤ-يؤ أي شيء ممّا قرأ. ثمّ لاحظ على الصفحة التالية رسماً ملوّناً
لباقة زهور وحصيرة مُتكسرة، وإلى جانبيها قصيدة:

لربما كانت لطيفة - وكريمة النفسِ حبيبة،
وتُشبه جمال الكاسيا ووردةٍ أوركيد الغريبة.
ولكن، ماذا يفيدُ الأمير كلّ ما فيها من صفات؟
ومصيرها أضحى لمرءٍ يهوى تمثيل الحياة!⁽⁵⁾

لم يفهم باؤ-يؤ من هذا أيّ شيء أيضاً. أعاد الملف إلى مكانه وأخذ الثاني من
الحجرة 2. كانت الصفحة الأولى عبارة عن صورة أيضاً - لكنّها تُمثّل عُصن كاسيا
في الأعلى، ومن تحتها زهرة لوتوس ذابلة مُلقاة على جانب بركة جافّة، وقصيدة
تقول:

آه يا رمز الطهارة والبراءة والآمال،
لا تستحقين هذا المصير القاسي والأليم.
ففي الحقلين، شجرة وحيدة ستأتي بالغلل

(4) كان ذلك تصويراً وتوقعاً لمصير برايت ديزاين، إحدى خادمت باؤ-يؤ، التي ضعفت
وتوفيت بطريقة مُخزية.

(5) تُشير الصور في هذه الأبيات إلى بيرفايدنغ فريغرانس، والتي يعني إسم عائلتها «زهور». وكانت قد تزوجت فعلاً من أحد المُمثلين وهو صديق ل-باؤ-يؤ.

وستُعيد روحك إلى أصلها الأول والقديم⁽⁶⁾.

ومن جديد، عجز باؤ-يُ عن استيعاب ما ترمي إليه هذه الصور أو هذه القصيدة، وحاول أن يقرأ ما في الحجرة رقم 1، فوجد صوراً وقصائد تتشابه مع كل ما سبقها. وما إن شرع مُحاولاً قراءة المزيد، حتى انتفضت الإلهة - خوفاً من استمراره في التدخل في أسرار السماء في حال ترك لشأنه - فسحبت الملف من يده وأعادته إلى مكانه، وقالت تُخاطبه:

- «تعال لأريك ما تبقى من المكان. فما نفع ضياع الوقت على هذه؟»

وبينما وقف باؤ-يُ صامتاً وفي حيرةٍ من أمره، كانت الإلهة تشرح لجنياتِها بأن الهدف من مرافقة باؤ-يُ إلى هنا كان من أجل تنويره وتوسيع مداركه، وطلبت إليهنّ المساعدة في هذه المهمة. وكان كل ما تناوله باؤ-يُ من شاي وخمرة وطعام لذيذاً بشكلٍ لم يكن يتوقعه ولا تذوقه من قبل. بعد الوليمة، طلبت الإلهة من الجنيات ترديد أغنية «حلم العُرفة الحمراء»، وأعطت باؤ-يُ نسخة خطية عنها من أجل متابعتها أثناء الغناء، وقالت له:

- «تابع هذه الأغنية معنا لأنك قد لا تفهمها كما تفهم الأغاني والألحان الأرضية الفانية التي اعتدت عليها».

كان أسلوب الغناء رائعاً، لكن باؤ-يُ لم يكن قادراً على فهم الرموز الغامضة التي تُشير إليها كلمات الأغنية. أما الإلهة، فقد تنهدت بعمق عندما أحست بأن باؤ-يُ لم يدرك شيئاً ولم يشعر بأي نوع من الإستنارة الروحية التي تهدف إليها.

في هذه الأثناء، بدأ باؤ-يُ يشعر بالنعاس، وراح يلتمس الأعذار لذلك. بعدها، رافقته الإلهة إلى غرفةٍ مُجاورة حيث تفاجأ بوجود فتاة ذكّرتَه بحفاوة بريشوس فيرتشو بطريقة استقبالها، وبجمال ملامح ومُميّزات بلاك دجايد. كان يتساءل حول

(6) تُمثّل زهرة اللوتوس ابنة تشين شيه-يين، وهي الآن خادمة في منزل هُسويه. وقد عانت الكثير على يد كاسيا زوجة هُسويه بان. أما شخصية «كاسيا» فقد تألفت من حقلين وشجرة واحدة.

ما يُمكن أن يحصل في الخطوة التالية لا سيّما عندما سمع الإلهة تقول له:

- «في أرض التربة الحمراء، غالباً ما تكون الغرف مُفعمة بدنس الرجال والنساء الفجرة. وما يبعث على الأسى، هو المُحاولات الدؤوبة للفصل بين حبّ الجمال والفجور، مُتناسين بأنّ أحدهم قد يؤدّي دائماً إلى الآخر. وبالمثل، من المُفترض أن تكون اللقاءات التي تحصل على تلة الساحرات، وذروة تبدّل وتلاحق الغيوم والمطر، نوع من الحبّ النقي والجمال العفيف. وبالطّبع، أنا أتحدّث هنا عن عموم الرجال والنساء، ولكن لا بد من أن يكون هناك بعض الاستثناءات النادرة - والتي أنت واحد منها. وفي الحقيقة، أنا مُعجبةٌ بك لأنك الأكثر خلاعة من بين الرجال.»

- «كيف أمكنك توجيه هكذا تهمة لي!»، قال باو-يُو محتججاً، وتابع: «لقد أخذت على عاتقي عدم الدخول في مجالات الدراسة، وقد تمّ توبيخي بشدّة على ذلك من قبل والديّ، هذا عدا عن أنّي لا زلت يافعاً ولا أعرف المعنى المقصود من هذه الكلمة.»

- «لا تندهش ولا تتدمر هكذا»، ردّت الإلهة، وأضافت: «إنّ معنى الكلمة الحقيقي هو الانغماس في شيء أو الإفراط فيه. وهناك مئات الأنواع من الانغماس أو الإفراط! ولعلّ النوع الأكثر شيوعاً هو ذلك الجشع والنهم الذي يتعلّق بالجسد. كلنا نعلم أولئك الرديثون الذين لا يستطيعون التفكير بامرأة جميلة من دون التفكير بها إلا كوسيلة من وسائل إشباع رغباتهم الحيوانية. إنهم، في الواقع، خطرٌ دائم وتهديدٌ للجنس البشري. إنّ انغماسك أو نهمك هو النوع الأكثر ثباتاً ورصانة - نوعٌ يُمكن إدراكه ولكن لا يُمكن التعبير عنه. علاوة على ذلك، إنّه نوعٌ من الإسراف والنهم الذي يألّفه العالم - في حين أنّ النوع الآخر يُشكّل خطراً دائماً على البشر؛ إنّ إفراطك ونهمك، يجعلانك من المرحّبين بهم في غرف العذارى. لكنّ ما يجعلك مرغوباً به في غرف العذارى يجعلك تبدو غريباً وغير طبيعياً في عيون العالم. من المُحبذ لك أن تُجرب الأشياء التي يُجربها أغلب الرجال،

وهكذا يتسنى لك التعرف على طبيعتها وعلى حدودها. لقد عملتُ على ترتيب زواجك من شقيقتي تشاين-مي.⁽⁷⁾ وستكون هذه الليلة لك من أجل استكمال اتحادك. وبعد أن رأيت بأَمِّ عينك أن متاعَ دنيا الخيال ليست أكثر ممَّا رأيته، لذا، قد تُدرِّكُ زهوها وتلتفت إلى تعاليم كونفوشيوس ومينشوس وتُكرِّس كل جهودك من أجل رفاهية البشرية.

وما لبثت أن همست في أذن باؤ-يُو بأسرار الغيم والمطر ودفعته إلى شقيقتها تشاين-مي. ثم انصرفت وأغلقت الباب بإحكام من ورائها. إتبع باؤ-يُو تعليمات الإلهة وراح يُسلي نفسه مع عروسه بطُرُقٍ لَزْبَمَا يُمكن تخيلها ولكن قد لا يتسع لها التفصيل هنا. وفي اليوم التالي، خرج باؤ-يُو بنزهة مع عروسه. وفجأة، وجد نفسه في وسط حقلٍ مليء بالأشواك وأشجار العليق، ويعج بالنمور والذئاب. وأمامه بحيرة مياه تسدُّ طريق الهرب عليه. وبعد أن فكَّر ملياً بالذي يُمكن فعله في هذه

الحال، سمع صوت الإلهة من ورائه تقول له:

- «توقَّف وعُد أدراجك قبل فوات الأوان!»

وما إن أنهت كلامها، حتَّى سمع من وسط الماء زئيرٌ قويّ يبعث على الصمَم - وانطلق نحوه حشدٌ من الوحوش المُرعبة. وراح يصرخ وقد أصابه الهلع:

- «أنقذيني يا تشاين-مي! النجدة! النجدة!»

في هذه الأثناء، إستيقظ من نومه، مُبللاً بالعرق البارد، وقد هرعت بيرفايدينغ فريغرانس وبعض الجوارى إلى غرفة نومه، وهُنَّ يهتفن بصوتٍ واحد:

- «لا تخف يا باؤ-يُو فالجميع هُنا إلى جانبك».

وما إن سمع تشين-شيه باؤ-يُو وهو يُنادي تشاين-مي، حتَّى راح يتساءل:

- «كيف حدث أنه يعرف اسم ابنتي؟»

عندما كانت بيرفايدينغ فريغرانس تعمل على تسوية ثياب باؤ-يُو لمست يدها شيئاً بارداً ودبق - فسحبت يديها على الفور وسألت باؤ-يُو عن ذلك. لم يُجبها

(7) تعني بذلك، مزج أفضل ميزات كل من بريشوس فيرتشو وبلاك دجايد.

بشيء، لكنّه امتلاً خجلاً وامسك بيدها يضغظ عليها بلطف. وبما أنّها خادمة ذكية وأكبر منه بعامٍ أو عامين، خجّلت هي أيضاً ولم تقل أيّ شيءٍ آخر. عند المساء، وبينما هي لوحدها في الغرفة مع باؤ-يؤ تُحضر له بدلاً جديداً لتغيير ثيابه، قال لها هامساً:

- «أرجوكِ لا تُخبري أحداً بذلك».

ثمّ راح يقصّ عليها ما حصل معه في الحُلم. وعندما وصل بكلامه إلى ما حصل معه في غرفة العُرس، خجّلت الخادمة، وضحكت وهي تُغطي وجهها بكتلتا يديها. ومنذ تلك اللحظة، تولّع باؤ-يؤُ بها، ولذلك، اقترح عليها أن يشرح لها ما تعلّمه من الإلهة. رفضت بيرفايدينغ فريغرانس اقتراحه في البداية، لكنّها اقتنعت بذلك فيما بعد، لا سيّما عندما علمت بأنّها ستكون في النهاية خليلته الخاصّة. بعد ذلك، بدأ باؤ-يؤُ يُعاملها بلطفٍ ورقة أكثر من قبل، كما قرّرت هي بدورها العمل على راحة سيّدها الشاب وإسعاده بإخلاصٍ وتفاني.

الفصل الخامس

وفيه تزور ليو لاو-لاو يونغ كوفو للمرة الأولى
وتقوم مدام وانغ بمساعدة إحدى قريباتها

بالرغم من أن بلدة يونغ كوفو لم تكن كبيرة بما فيه الكفاية، لكنها كانت تضم أكثر من ثلاثمئة نفس موزعين ما بين أسياد وخدم وسيدات وجواري. ومع أن الأعمال المنزلية فيها لم تكن شيئاً يُذكر، إلا أن أشياء كثيرة كان لا بُد من القيام بها من وقت لآخر. أما بالنسبة لمن كان يُحاول كشف القصة، فقد كانت العقبات والمشكلات تُربكه كلفافة القُنب التي يتدلّى منها ألف طرفٍ سائب. ولكن، وفي خُصم إرباكتنا حول التقنيات التي يُمكن استعمالها من أجل التوسع في تطوير قصبتنا، وصل إلى يونغ كوفو زائرٌ من إحدى العائلات الفقيرة - الذي تربطه قرابة بعيدة بأل تشيا - وعندها فقط، أصبحت عائلة هذا الزائر مصدراً مهماً لتحقيق هدفنا.

كان اسم هذه العائلة وانغ. وكان الجد الأكبر فيها - وهو موظف صغير في العاصمة - قد تعرّف منذ وقتٍ طويل إلى الجد الأكبر لعائلة فينيكس. ولما كان هذا الموظف مأخوذاً بشروء ونفوذ عائلة وانغ الغنيّة، فقد «انتسب إليها» على أنه «ابن أخ» جدّ عائلة فينيكس. بعد وفاته، عاد ولده وانغ تشينغ إلى البلدة للعيش فيها. بعد ذلك، تُوفي وانغ تشينغ، تاركاً ورائه ولداً هو كو-يزو.⁽¹⁾ تزوج كو-يزو من إحدى بنات ليو-شيه، التي أنجبت له ولداً اسمه بان-يزو وبتناً اسمها تسينغ-يزو. أما ليو لاو-لاو،

(1) تُستخدم «يزو» كلاحقة للتصغير.

والدة ليؤ-شيه الأرملة، فقد كانت تعيش معهم في منزلٍ واحد.

أصبحت العائلة اليوم تُعاني من الفقر وتعيش ظروفاً قاسية؛ ففي أفضل أيامها، كان أفرادها يعيشون على ما يُتجونه من مزرعتهم الصغيرة، إلا أن هذه السنة كانت أشبه بالمأساة لهم؛ ولم يكن كؤ-يؤ مُستعداً بما فيه الكفاية من أجل الشتاء الذي أصبح على الأبواب. وفي أحد الأيام، تناول شيئاً من النيذ، وراح يُسلي نفسه بتصرّفاتٍ مؤذية مع زوجته وأولاده - كنتيجة لعدم وجود ما ينشغل به. لم تأبه زوجته لما يفعله ولم يصدر عنها أي ردّة فعلٍ تجاه تصرّفاتِه. لكن لاؤ-لاؤ تدخلت أخيراً، وقالت له:

- «أيتها الصهر العزيز! أرجو ألا يُزعجك تدخلِي، لكننا قومٌ فقراء، وعلينا أن نعرف حدودنا ونأكل بحجم ما يسعه طبقنا. مُشكلك أنك قد فُسدت - فإذا ما وضعت يدك على شيء من المال، صرفته وكأنك تغسل يديك بالماء. وعندما لا تجد ما تصرفه، تتحوّل إلى شخص مؤذٍ وتصرّف بشراسة مع زوجتك وأولادك. إنّ ما تفعله ليس بالسلوك القويم بالنسبة إلى رجل... هناك الكثير من المال الذي يُمكن جنيّه من العاصمة لمن يعرف كيف يعمل ويجني. أمّا ما يصدر عنك من تصرّفاتٍ غبية وفضّة، فلن يُفيدك في شيء ولن يُغنيك من جوع».

- «من الطبيعي والسّهل عليكِ يا حماتي أن تتفوّهي بهذا النوع من التفاهات، أجبها كؤ-يؤ بشيء من الحدّة وهو يتربّع جالساً على الكانغ»⁽²⁾ وأضاف:

«كيف يُمكن الحصول على المال بهذه السهولة التي تتصورينها في المدينة؟ فهل تقترحين عليّ أن أذهب إلى هُناك وأتحوّل إلى لصّ أو قاطع طريق؟»

- «أنا لا أقترح عليكِ أيّ شيء من هذا القبيل»، أجابت لاؤ-لاؤ، وتابعت:

(2) «الكانغ» نوع من أماكن الجلوس المصنوع من الآجر أو الطين الذي يُمكن تدفأته عن طريق إشعال النار من تحته، أو كنوع من المداخن المرتبطة بمدفأة من أمامها. وقد كان هذا النوع من المدافئ واسع الانتشار في الصين القديمة.

«ولكن علينا أن نُفكّر جدياً في حلّ لمُشكلتنا... وعليك أن تعلم بأنّ التمنّيات لن تجلب قطع الفضة إلى منزلنا من تلقاء نفسها».

- «لو أنّ هناك ما يُمكن فعله لما رأيتني جالساً ها هنا دون القيام به»، قال كيو-يُ، وتابع: «فليس لديّ أقرباء يجنون الضرائب أو أصدقاء موظفين. ولو حصل ذلك، فمن المُحتمل أنّهم لن يكونوا مُستعدين لفعل أي شيء بالنسبة لوضعي بكل الأحوال».

- «لن يستطيع أحداً أن يتنبأ بما سيكون»، قالت لاو-لاو، وأضافت: «فلو أنّنا نقوم بالجزء المطلوب منا، فلربّما يوفّقنا الله ويرحمنا ويُسّر أمورنا لما فيه صالحنا. والآن إليك ما يدور في خلدي: لقد انتسب جدك منذ وقتٍ بعيد إلى عائلة وانغ في تشينلينغ. وقد اعتاد هؤلاء منذ عشرين سنة على تقديم الرعاية الجيدة لعائلتك، لكنّ العائلتين، ومنذ ذلك الحين، افرقتا لأنّ جماعتك قد أصبحوا فخورين جداً بفاقتهم وفقرهم. لقد قمتُ بزيارتهم في إحدى المرات برفقة ابنتي، ووجدتهم أناس طيبين ولا تشوبهم شائبة، لا سيّما ابنتهم الثانية التي أصبحت الآن زوجة تشينغ لاو-يه في يُونغ كوفو. لم تُعدّ عائلة وانغ في المدينة الآن، ولكن لما لا تذهب لمُقابلة مدام وانغ؟ فلعلّها لا تزال تذكرنا. وهي قد أصبحت مع تقدّم العمر بها أكثر سخاء وكرماً من ذي قبل - فلا ضرر من المحاولة، ما رأيك؟»

وعلى الفور قالت ليُو-شيه:

- «إنّ الوالدة على حق. لكنني أخشى من مشكلة عودة الماضي وتجدد عهد المتحكّمين بنا».

عند سماع ذلك، بدت على وجه كيو-يُ اللهفة لاكتشاف احتمالات ما قد ينتج عن هكذا زيارة. فقال:

- «بما أنّ الوالدة قد سبق لها وكانت هناك، فلماذا لا تذهب هي الآن وتستطلع

لي الأجواء قبل قيامي بهذه الزيارة؟»

- «أنا؟»، أجابت ليُو لاو-لاو مُحتجة على هذا الطرح. وتابعت: «إنّ زيارتي

لن تُقدّم ولن تؤخّر في شيء، ولكن قد يكون ذلك جيداً بالنسبة لي - لا سيّما وأنّ الخدم لا يعرفونني».

- «إنّ ذلك ليس بمشكلة»، أجابها كيؤ-يزُ مُشجعاً لها، وأضاف: «أقترح أن تذهبي برفقة حفيدك، وأن تطلبي من تشو دجيوأي - خادم مدام وانغ - الذي أذى والدي إليه خدمة كبيرة ذات مرّة... فأنا على يقين من أنّه سيعمل ما في وسعه من أجل مُساعدتنا».

- «أعرف ذلك»، ردّت ليؤ لاؤ-لاؤ، وتابعت: «لكنّ ما تقوله كان منذ زمنٍ بعيد... كما أنّنا لم نرهم من بعد ذلك ولا مرّة. فمن يعرف كيف ستكون ردّة فعلهم تجاه ما نطلبه؟ لكنني، وبالزغم من ذلك، سأحاول عسى أن يتحقق ما نصبو إليه. والآن، أعتقد بأنني يجب أن أتحرّك لا سيّما وأنك رجل ولا يجوز أن تُخاطر بوضع هيبتك على المحكّ، بالإضافة إلى أنّ الابنة لا تزال في ريعان الشباب ولا يحتمل ذلك تواصلها مع أحدٍ من الغرباء. وطالما أنّي مُسنّة وقد عفا عليّ الزمن، فلن يكون لأيّ ردّة فعل غير محسوبة تجاهي أيّ تأثير يُذكر».

وهكذا، صمّم الجميع على زيارة الوالدة أولاً. وفي اليوم التالي، نهضت ليؤ لاؤ-لاؤ من فراشها قبل الفجر، فجهّزت نفسها، وجهّزت الصغير بان-يز الذي سيرافقها بالعربة، وانطلقت إلى المدينة تستطلع طريقها حتّى وصلت إلى يونغ كوفو. وبعد فترة من الانتظار بالقرب من أحد تماثيل الأسود الحجرية، سارت ببطء باتجاه المدخل الجانبي وحيّت بعباراتها اللطيفة وبلهجتها المتواضعة بعض الخدم الجالسين من حول المكان. وقف الخدم يتأملونها هي والطفل يامعان من الرأس حتّى القدمين، ثمّ راحوا يستفسرون عن حاجتها وسبب قدومها. ابتسمت ليؤ لاؤ-لاؤ وأجابت:

- «لقد حضرتُ لمُقابلة تشو تا-يه⁽³⁾ خادم تاي-تاي الخاص. أرجو من

(3) تا-يه (ويعني في الأصل: الأب الأكبر، أو عمّ الشخص الأكبر من والده سنّاً) وقد استُخدم التعبير هنا للتشريف.

أحدكم أيها السادة أن يتكرم ويُخبره بذلك».

فكر الموجودين قليلاً بطلب السيدة، ثم قال أحدهم:

- «أرجو أن تذهبي إلى تلك الزاوية وتنتظري هناك قليلاً، فسوف يأتي إليك
عمًا قريب».

وما إن همّت ليؤ لاؤ-لاؤ بالتحرك نحو الزاوية، حتى سمعت رجلاً طاعناً في
السن يُعاتب الخادم الذي طلب إليها الانتظار قائلاً له:

- كان عليك ألا تدعها تُضيع وقتها بهذه الطريقة».
ثم التفت إلى ليؤ لاؤ-لاؤ وأضاف:

- «إن تشؤ تا-يه في رحلة إلى الجنوب، لكنّ زوجته موجودة الآن في المنزل.
فإذا أردت مُقابلتها، فيإمكانك الذهاب إلى الشارع الخلفي والاستعلام عن
المدخل هناك».

شكرت السيدة ليؤ لاؤ-لاؤ الرجل، وانطلقت مع الطفل باتجاه المدخل
الخلفي. ورأت هناك عدداً من الباعة المتجولين - كان بعضهم يبيع الطعام، والبعض
الآخر يبيع الألعاب وأشياء متنوعة من السلع، ووجد في المكان أيضاً مجموعة من
الغلمان. تقدّمت من أحد الصبية وسألته:

- «ألا تدلّني يا أخي الصغير أين يُمكن أن أجد تشؤ تا-نيانغ؟»⁽⁴⁾

- «أي تشؤ تا-نيانغ تقصدين؟»، سألتها الصبي بفارغ الصبر، وتابع: «فلدينا
الكثير منهم في هذه المنطقة».

- «أقصد تلك التي تكون زوجة خادم تاي-تاي الخاص».

- «الأمر سهل يا سيدتي، أرجوك إتبعيني».

سار الولد برفقة الوالدة إلى الداخل، ثم أشار لها إلى مُجمّع صغير من المباني
السكنية قائلاً لها:

(4) تا- نيانغ (وتعني في الأصل: الأم الكبرى، أو زوجة عم الشخص الأكبر من والده سنًا)
وقد استُخدم التعبير هنا كلقب شرف للمرأة المتزوجة .

- «إنها تسكن هناك»، ثم توقف ونادى بأعلى صوته: «تشو تا-نيانغ، برفقتي سيّدة تُريد مُقابلتك».

أطلت زوجة تشو دجيواي وراحت تتأمل بالزائرة قليلاً، ثم هفت:

- «من؟ ليو لاؤ-لاؤ؟ أنا آسفة لأنني لم أستطع تمييزك على الفور. لقد طال الزمن على لقائنا آخر مرة... رجاءً تفضلي بالدّخول».

وبعد تبادل التحيات، راحت زوجة تشو دجيواي تستفسر عن طبيعة زيارة ليو لاؤ-لاؤ - وما إذا كان مرورها في المكان مُجرّد صدفة أم أنها تقصدها لغرضٍ ما.

- «لم آتِ إلّا من أجل رؤيتك يا عزيزتي»، أجابتها ليو لاؤ-لاؤ، ثم قالت: «وأريد بالمناسبة أن أُلقي تحياتي على عزيزتنا كُو تاي-تاي [مدمام وانغ] طالما أنني أمرّ في المنطقة. ويا ليت ساؤ-ساؤ⁽⁵⁾ تستطيع أن تُرتّب لي مُقابلة مع المدمام وسيكون ذلك شرفاً لي، ولكن إذا لم يكن ذلك مُمكنًا، فأرجو أن تُبْلِغها بزيارتي وتحياتي عندما تسنح لك الفرصة بذلك».

من المؤكّد أنّ زوجة تشو دجيواي لم تنخدع بتبريرات ليو لاؤ-لاؤ، ولم تستطع إدراك الهدف الحقيقي من زيارتها؛ فراحت تستذكر كيف قدّم كُو-يؤ بعض المُساعدة لزوجها في إحدى المُحاكمات، وكيف أنها تشعر بدافع إلزامي لفعل ما يستطيعه من أجل ليو لاؤ-لاؤ. بالإضافة إلى ذلك، أرادت أن تُظهر بأنّها شخص على قدرٍ من الأهمية في يونغ كوفو. وانطلاقاً ممّا تصبو إليه، نظرت إلى لاؤ-لاؤ وقالت بثقة بالغة:

- «استريحي يا عزيزتي. فبعد رحلتك الطويلة من البلدة إلى هنا، لن أدعك ترحلين دون تلك المُقابلة حتّى ولو كانت مع بوذا نفسه. ولكن أقول لك بكلّ صراحة، إنّ ما تطليبه يقع خارج نطاق واجباتنا العادية، ولكن بما أنّك قريبة تاي-تاي، وقد قصدتنا كما لو أنّنا من الأناس ذوي المراكز المهمّة، فسأجعل من هذه المُناسبة فرصة استثنائية ولن أدعك تذهبين خالية

(5) أي: زوجة الأخ الأكبر .

الوفاض. ولكن لا بُدَّ من القول بأنَّ الأشياء هنا الآن أصبحت تختلف كثيراً عما كانت عليه قبل خمس أو ست سنوات. صحيح أن تاي-تاي كان صاحب النفوذ القوي من قبل، ولكن لين يُو⁽⁶⁾ أصبحت هي المسؤولة والمؤثرة الآن، وما أدراك من هي لين يُو؟ إنها بلا شك ابنة أخ تاي-تاي، ولعلك تذكرين جيداً اسم ابنتها - فينغ-كو [فينيكس].»

- «أصحيح هذا؟»، ردَّت لاو-لاو، وقالت: «أتمنى أن تسنح لي الفرصة لمقابلتها قبل مُغادرتي...»

- «بكل تأكيد»، قالت زوجة تشو دجيواي، وأضافت: «إنها امرأة طيبة وتؤنس زوارها. والحقيقة، أنك تحتاجين إلى مُقابلة يُو ناي-ناي وليس تاي-تاي إذا ما أردت أن لا تُغادري فارغة الوفاض.»

- «هذا رائع! أنا مُمتنة لك كثيراً لما تُخبريني به، وسأترك كل شيء لحسن تصرفك ولطفك.»

- «إنه لا شيء يُذكر، لا تقلقي. ومن يدري؟ فلعلك تتبوين مركزاً مهماً في يوم من الأيام وتؤدِّين لي خدمة جلييلة بالمُقابل.»

ما إن أنهت زوجة تشو دجيواي كلامها، حتى أرسلت خادمتها الخاصة لترى ما إذا كان الفطور قد أصبح جاهزاً في جناح الأم الحاكمة⁽⁷⁾، بينما راحت هي تُتابع حديثها مع ضيفتها المُميّزة:

- «أتخيل بأنَّ عمر فينغ كو-نيانغ⁽⁸⁾ لم يتجاوز العشرين عاماً الآن.»

- «إنه لمن المُميّز أن تتحمّل كل هذه المسؤولية وهي لا تزال في ريعان الشباب.»

- «نعم، إنها بلا شك شخص مميّز. إنها تُعالج أموراً أكبر من قدرتها على

(6) هي بادئة ترابئية وتعني «الرقم اثنين» في الرواية.

(7) هي المرأة التي تكون عادة رئيسة الأسرة أو القبيلة.

(8) وتعني «العمّة»: وهي صفة شرف تُطلق على الأنسات غير المتزوجات.

التحمّل - لا بل أكثر من أيّ شخص آخر في المنزل. كما أنّها تتمتع بدكاء
حاد؛ فإذا ما صمّمت على مُعالجة أمرٍ ما، فترينها تُضاهي عشرة رجال
بذلك. على كلّ حال سترين ذلك بأَمّ العين عندما تقابلينها لاحقاً.
إلاّ أنّ الأمر الوحيد الذي يُعانيه الجميع منها، أنّها جديّة وصارمة مع كل الخدم
في المنزل».

في هذه الأثناء عادت الخادمة لتقول بأنّ سيّدة المنزل قد انتهت من إعداد
الفتور، وأنّ فينيكس قد ذهبت إلى جناح مدام وانغ. وعلى الفور، نهضت زوجة
تَشُوّ دجيُوَاي من مقعدها وقالت تُخاطب لاو-لاو:

- «هيا بنا الآن؛ فالسيّدة تعملُ عادة على خدمة تاي-تاي أثناء الوجبات، وما
إنّ تنتهي من ذلك حتّى تعود إلى جناحها سريعاً - والمطلوب مِنّا في هذه
الأثناء التحرك سريعاً وانتظارها هناك قبل أن تشغل بأمور أخرى».

وما إنّ أنهت زوجة تَشُوّ دجيُوَاي كلامها، حتّى انطلقت برفقة ضيفتها إلى جناح
تَشِيَا لين، فطلبت إليها الانتظار في البهو وتابعت سيرها إلى الداخل، وراحت تبحث
عن باشينس، خادمة فينيكس الموثوقة، وأخبرتها عن الزائرة التي تنتظر في البهو -
وتذكّرها بأنّ ليُوّ لاو-لاو قد جاءت للزيارة من قبل، وأنّ مدام وانغ قد استقبلتها
بحفاوة. وبعد أن تبلّغت زوجة تَشُوّ دجيُوَاي موافقة مدام وانغ على الزيارة، هرعت
إلى البهو تستدعي كُلاًّ من ليُوّ لاو-لاو وبان-يز.

عبرت ليُوّ لاو-لاو أولاً غرفة جلوس فينيكس - حيث كانت تعبق رائحة
العطور التي لم يشتم أنفها مثيلاً لها على الإطلاق - بينما كانت عيناها مبهورتان
بالأنواع المُختلفة من الأثاث التي لم ترها عين من قبل. فأصابها الدهول الأشبه
بالدوار والبريق في العينين كما لو أنّها تسير فوق السحاب. ثمّ دخلت مع زوجة
تَشُوّ دجيُوَاي إلى غرفة ناحية الشرق، حيث رأت أنسة جميلة كالوردة، تجلس
على كانغ وثير وهي ترتدي ثوباً من ساتان الحريري المُزركش. وما إنّ اقتربت منها،
وهمت بمُخاطبتها مُستخدمة لقب كوّ ناي-ناي - حتّى سمعت زوجة تَشُوّ دجيُوَاي
تُنادي هذه الأنسة الجميلة بلقب بينغ كو-نيانغ، فتأكّدت بأنّها ليست إلاّ واحدة من

بعد أن جلست ليُو لاؤ-لاؤ في غرفة جلوس باشينس، تراءى إلى سمعها صوت نغم بطيء أشبه بصوت غربال يتحرَّك إلى الأمام تُم إلى الخلف بشكل متواصل. وراحت تلتفت من حولها فعلمت أن الصوت يصدر عن شيء أشبه بالصندوق يتدلَّى من عمود في الغرفة الخارجية وكان يتأرجح بالتزامن مع حركة شيء يتدلَّى من الصندوق. فدهشت بهذا الشيء وهمت للإستفسار عنه، عندما تقدّمت باشينس تُعلن عودة فينيكس إلى جناحها: وعلى الفور، نهضت كلاً من زوجة تشُو دجيُواي وباشينس من مقعدهما، طالبتين إلى ليُو لاؤ-لاؤ الانتظار في مكانها، وتوجّهتا للقاء السيّدة على عجل.

في هذا الوقت وصل إلى سمع ليُو لاؤ-لاؤ أصواتاً وضحكات تقترب من بعيد، تُم رأت ما يُقارب العشر أو الخمس عشرة امرأة يعبرن غرفة الجلوس إلى إحدى الغرف الأخرى على الجهة المقابلة. ولم تمضِ فترة قصيرة حتى خرجت النساء من الغرفة مرّة ثانية وغادرن على الفور. وما هي إلا لحظات حتى دخل مجموعة من الخدم وهم يحملون اشكالاً مُختلفة من الصواني والأطباق المليئة بشتّى ألوان الطعام؛ تُم خيّم الصّمت الكامل على المكان. تلا ذلك خروج خادمتين من إحدى الغرف وهما تحملان طاولة قصيرة الأقدام عليها تشكيلة من الأطباق المُزخرفة المليئة بالمأكولات الشهية التي لم يسبق أن تذوّقها لسان. تُم وضعتا الطاولة بالقرب من ليُو لاؤ-لاؤ. في هذا الوقت، مدّ بان-يّر يده بهدف تناول بعض القطع من اللحم، إلا أن ليُو لاؤ-لاؤ صفعته على يده وطلبت منه الهدوء والصمت. في تلك الأثناء، وصلت زوجة تشُو دجيُواي إلى الباب وأشارت إليها بالدخول وهي تبتسم، فنهضت ليُو لاؤ-لاؤ من مكانها وهي تجرّ بان-يّر من يده وتبعّت زوجة تشُو دجيُواي إلى غرفة فينيكس.

كانت فينيكس تُحرَّك الفحم بيدها بزوج من الملاقط، بينما كانت باشينس تقف بالقرب منها وهي تحمل بين يديها صينية عليها الشاي الساخن. حينما دخلت ليُو لاؤ-لاؤ قالت فينيكس دون أن تلتفت:

- «رجاءٍ اطلبني من الضيفة الدخول».

لكنّها تفاجأت عندما رفعت نظرها ورأت أمامها ليُو لاؤ-لاؤ وراحت تحاول النهوض عن مقعدها - ولكن قبل أن تفعل ذلك، تقدّمت ليُو لاؤ-لاؤ منها، فركعت أمامها وبدأت بالسجود لعدة مرّات مُتتالية. وعلى الفور هتفت فينيكس تُخاطب زوجة تشو دجيُو اي:

- «أرجوكِ يا تشو تشيه-تشيه لا تدعي الضيفة تفعل ما تفعله أمامي... ولماذا لم تخبريني بأنّها تنتظر من قبل؟ فأنا ما زلتُ شابة ولا أعرف طريقة المخاطبة التي تتوافق مع هذه المناسبة لأستعملها».⁽⁹⁾

حاولت فينيكس التحدّث مع بان-يز، لكنّه اختبأ وراء جدّته خجلاً من الكلام، رافضاً التقدّم والردّ على أسئلتها، أو قول ما دفعهما إلى المجيء، لكنّها ابتسمت وقالت:

- «هذه حال كلّ أقربائنا - يتعدون عنّا أو يهربون منّا. والناس الذين يعرفون ذلك يقولون بأنّ هذا ليس ابتعاداً بل إهمالاً لنا، ويا للأسف، فنحن بدورنا أيضاً قد نسينا أولئك الذين يحبوننا ويتقرّبون منّا».

- «للأسف»، تمتت ليُو لاؤ-لاؤ، ثمّ قالت: «إنّ السبب الرئيسي الذي منعنا من القدوم لرؤية كو ناي-ناي، هو انشغالنا وعدم توفّر الوقت لذلك، ولم نردّ إحراج كو ناي-ناي على وجه الخصوص».

- «كفّي عن هذه السخافات»، قالت فينيكس مُعترضة، وأضافت: «حتّى الإمبراطور نفسه علاقاته نادرة، فكيف إذن بالنسبة لكِ أو لي. عدا عن أنّنا إستعراضيين ليس إلّا، ونميل دائماً إلى المظاهر والتزلف».

قالت هذا، ثمّ التفت إلى زوجة تشو دجيُو اي تُخاطبها:

- «هل أبلغتِ ناي-ناي بأنّ لدينا ضيفة؟»

(9) يعني أنّها غير متأكّدة ما إذا كانت أدنى أو أعلى منزلة من ليُو لاؤ-لاؤ في ما يتعلّق بالعلاقات أو القرابة العائلية.

- «لا، لم أفعل ذلك بعد، لا زلنا بانتظار تعليمات ناي-ناي».
- «رجاءً اذهبي واستعلمي عما تفعله تاي-تاي الآن، ولا تُزعجها إذا ما كانت مشغولة بأمرٍ ما؛ فإذا كانت غير مُشغلة بشيء، أخبريها عن ضيفتنا وانظري ماذا تقول».

بعد انصراف زوجة تشو دجيواي، اقتربت فينيكس من بان-يزو تُقدّم له بعضاً من قطع الحلوى. في هذه الأثناء، عادت زوجة تشو دجيواي:

- «تقول تاي-تاي بأنها مشغولة اليوم، وعلى ناي-ناي العمل على استضافة وتكريم الضيفة. وقالت بأنها تشكر الضيفة كثيراً على زيارتها، وأن تُبلغ ناي-ناي عما إذا كانت قد حضرت إلى هنا لسبب مُعيّن».

عند سماعها هذا، قالت ليُو لاو-لاو على الفور:

- «لم آتِ إلى هنا من أجل أيّ هدفٍ خاص. ما أردناه فقط إلقاء التحية وتقديم الاحترام إلى كو تاي-تاي وإلى كو ناي-ناي، بسبب القرابة التي تجمعنا».

انتهت زوجة تشو دجيواي إلى أن ليُو لاو-لاو تستفيض بما لديها من أدب اليوم، فقالت لها:

- «تأكدي جيداً يا عزيزتي من أنك لم تأتِ من أجل شيء؛ ولكن إذا كان لديك ما تقولينه عن سبب زيارتك، فلا داعٍ للحرص أو الخجل من ذلك أمام كو ناي-ناي».

شجعت عبارات زوجة تشو دجيواي هذه ليُو لاو-لاو التي قررت في النهاية البوح بأسباب زيارتها، فقالت وقد وطفح وجهها بحمرة الخجل:

- «من المُفترض ألا أذكر شيئاً كهذا في زيارتي الأولى بعد كل هذه السنوات من الابتعاد. ولكن بما أنني قد قطعُ كلّ هذه المسافة، فإنني أرى أن لا مفرّ من الكلام وطرح الموضوع الآن. حسناً، في الحقيقة لقد مرّت أسرة انسابك بظروف صعبة للغاية... وقد أصابهم الفقر لدرجة لا يجدون معها ما يقتاتون به. والآن، وقد اقترب الشتاء، فإن أوضاعهم ستزداد سوءاً على

سوء. وها أنذا الآن قد أتيت إليك برفقة ابن أخيك الأصغر طلباً للمُساعدة». قالت ذلك ودفعت بان-يز إلى الأمام، ثم قالت تحثه على الكلام: - «أخبر كُو ناي-ناي عما قاله والدك... عن السبب الذي حملنا على المجيء إلى هنا... لا تقف هكذا تُحدّق وأنت صامتاً كالأبكم».

لم تنتظر فينيكس الولد ليقول ما يُمكن أن يكون قد حفظه عن ظهر قلب: - «لا داعي لأن يتكلّم. لقد فهمت ما تعنيه».

ثمّ التفتت إلى ليُو لاؤ-لاؤ تستفسر عما إذا تناولوا طعام الفطور - ومع أنّها أجابتها بالنفي، إلا أنّ فينيكس أمرت الخدم بإعداد السفرة من أجل الضيفين. بعد ذلك، وبينما كانت ليُو لاؤ-لاؤ والطفل يتناولان الطعام في الغرفة الشرقية، أرسلت بطلب زوجة تشو دجيواي وسألتها عن طبيعة ردّ مدام وانغ بالتحديد. فأجبتها:

- «قالت تاي-تاي بأنّ هذه القرابة لم تكن سوى ارتباط بين عائلتين... وقد اعتاد هؤلاء على القدوم إلينا منذ عدّة سنوات، لكننا لم ندعهم يُعادرون أبداً فارغي اليدين. وقالت في النهاية، في حال كانوا يريدون منّا تقديم المُساعدة لهم الآن، فما على ناي-تاي إلا أن تنظر بنفسها في الموضوع وتقديم المبلغ المُناسب».

قالت فينيكس:

- «أنا أستغرب ردّها هذا، فأنا لا أعرف أيّ شيء عنهم. إذن، هم ليسوا بأقارب حقيقيين».

إنتهت ليُو لاؤ-لاؤ من تناول الفطور، ونهضت برفقة بان-يز لتشكر فينيكس، فقالت لها فينيكس مُبتسمة:

- «لقد فهمتُ تماماً ما قصدتِ قوله منذ دقائق؛ ففيما يخصّ الأقارب، لا بُدّ من أن نهتمّ بأمور من هم بأمرس الحاجة إلى المُساعدة قبل أن يتفوهوا مُطالبين بها - ولكن من المُستحيل على تاي-تاي أن تتذكّر كل واحد منهم، عدا عن أنّي قد انشغلتُ بأمورٍ كثيرة مؤخراً. ولكن عليك أن تُقدري

كثيراً حقيقة أننا، وبالرغم من مظهرنا الذي يوحي بأننا أثرياء، لكننا في الواقع لسنا على قدر هذه الصورة التي ترسم في أذهان الكثيرين؛ هذه هي الحقيقة - مع أن القلة من الناس من يُصدّق هذه المقولة. ولكن بما أنك قد قطعت كل هذه المسافة للوصول إلى هنا، وكونها المزة الأولى التي تطلبين فيها مُساعدتنا، فلن ندعك تُغادرين خائبة أبداً. ومن حسن الحظ، أن مدام ناي-تاي قد أعطتني اليوم عشرين قطعة من الفضة من أجل تأمين ملابس للخادِمات... أنا أعلم بأنه مبلغ تافه، ولكن أرجو منك - إن لم يكن لديك ما يُخرجك في الأمر - قبوله مِنِّي رغم ضآلته».

أصابت الشحوب ملامح ليُو لاو-لاو عند سماعها المقطع الأول من كلام فينيكس، لكنها ابتهجت وبدأت تستعيد الأمل وتتنفّس الصعداء عندما سمعت بمبلغ العشرين أونصة من الفضة التي هزّت كيائها. وعلى الفور هتفت بتعبير مُفعم بالدهشة:

- «آه! أنا أعرف بأنها كانت أوقات قاسية، وأنه من الصعب تحملها، ولكن يُقال بأن الجَمَل الذي يموت من الجوع يبقى أكبر من الحصان السمين! وهكذا أقول بأن شعرة من جسد كُو ناي-تاي تضلّ أكبر من خاصرتنا...» حاولت زوجة تشو دجيُوأي أن تقطع هذا التواصل العائلي، بين ليُو لاو-لاو و فينيكس، إلا أن هذه الأخيرة لم تهتمّ بذلك. ولم تمض لحظات حتّى وصلت باشينس وفي يدها كيس من القطع الفضية، بالإضافة إلى كمية من النقود.

قدّمت فينيكس المُساعدة إلى ليُو لاو-لاو وقالت لها:

- «خُذي هذه الفضة وأمني ثياباً للطفل... واحرصي على المجيء إلينا إذا لم تكن هناك من مشاغل تمنعك عن ذلك - ولكن كقرية فقط. لن أوخرِك أكثر من هذا، فالوقت أصبح مُتأخراً وأمامك مسافة طويلة للعودة إلى البلدة. بلّغي أمنيّاتي الطيبة وتحياتي الخالصة للجميع».

وما إن أنهت عبارتها الأخيرة، حتّى نهضت واقفة. أمّا ليُو لاو-لاو فقد شكرت لها عطاياها وكرمها، وغادرت المكان برفقة زوجة تشو دجيُوأي. وفي الطريق

حاولت أن تعطي دليتها قطعة من الفضة، لكنّ هذه الأخيرة رفضتها من حيث أنّ هذا المقدار من المبالغ الزهيدة ليس ذي أهمية بالنسبة لها.

الفصل السادس

وفيه تصف بريشوس فيرتشُو وصفة طبية مُعقدة
ويسمع باو-يُو بعض الأسرار التي لا يمكن الإفصاح عنها

بعد مُغادرة ليُو لاو-لاو، انصرفت زوجة تشُو دجيُوأي لُتبلغ مدام وانغ بما حصل، وحينما علمت من الخادِمات بأن سيديتها تقوم الآن بزيارة إلى هسويه يي-ما، غيَرت وجهتها على الفور، وسارت باتجاه بير فريغرانس كورت. وهناك على الشرفة، شاهدت من بعيد غولدن برايسليت - إحدى خادِمات مدام وانغ - وهي تلعب مع فتاة صغيرة. دخلت زوجة تشُو دجيُوأي إلى المكان بهدوء تام، فرأت مدام وانغ تتحدّث إلى هسويه يي-ما. فلم تزعجهما، واستمرّت بالسير إلى الغرفة الداخلية، حيث كانت بريشوس فيرتشُو تقوم بنسخ بعض أنماط من أنواع المطرِزات مع خادِمتها أوريول. وضعت بريشوس فيرتشُو الفرشاة من يدها، وطلبت من زوجة تشُو دجيُوأي الجلوس.

قالت الأخيرة تسأل وهي تجلس على طرف الكانغ:

- «كيف حالك يا عزيزتي، كو-نيانغ؟ لم نعد نراك كثيراً في الجهة الأخرى منذ زمن بعيد... لماذا؟ ما الذي حصل؟ هل سمعت شيئاً من باو-يُو قد أساء إليك؟»
- «آه... لا أبداً!» أجابت بريشوس فيرتشُو، وتابعت: «قررت ملازمة البيت بسبب المرض الذي عاودني من جديد.»
- «ولكن أين تكمن المشكلة؟ كان بإمكانك استدعاء الطبيب والمباشرة في

القضاء على المرض... فقد يُصبح خطيراً ويستعصي على العلاج في هذه الأيام».

- «لقد تكبدنا الكثير من التكاليف والأعباء، ولكن لم يستطع أي طبيب فعل شيء لي. حتى وصلنا أخيراً إلى أحد الزهبان الذي يدعي بأنه مُتخصِّص في الأمراض التي يفشل في علاجها الأطباء العاديون، وأعطانا وصفة ومعها علبة تحتوي على نوع من البودرة العجيبة المُعطرة. والحقيقة، أنها الشيء الوحيد الذي وفر لي الشفاء والراحة حتى الآن».

- «وما هي هذه الوصفة؟»، سألتها زوجة تشو دجيواي، وأضافت: هلاً أخبرتني عنها من أجل وصفها لمن هم بحاجة إليها؟ إن ذلك سيكون عملاً نبيلاً وعظيماً».

أجابتها بريشوس فيرتشو:

- «إنها أصعب وأعقد من أن نكتبها أو نصفها. فبالرغم من أن مكوناتها عادية ومعروفة، إلا أن تركيبها وملائمة كمياتها صعبة وتحتاج إلى وقت. من ذلك مثلاً: عليك أن تقومي بجمع اثنتي عشر أونصة من زهرة الفاوانيا التي تفتتح في فصل الربيع. واثنتي عشر أونصة من اللوتس الأبيض الذي لا يزهر إلا في فصل الصيف، واثنتي عشر أونصة من الزنبق الأبيض الذي لا يزهر إلا في فصل الخريف، واثنتي عشر أونصة من زهر الخوخ الذي يفتتح في فصل الشتاء. بعد ذلك يتم تجفيف كل هذه الأنواع من الأزهار، ومن ثم يجري طحنها في فترة الاعتدال الربيعي التالي، وبعدها يتم مزجها بالبودرة التي تركها الراهب معنا. ومن أجل تحقيق عملية المزج، لا بد من الحصول على اثنتي عشر تشاين⁽¹⁾ من ماء المطر الذي يسقط في يوم الإمطار - وهو اليوم الأول الذي تبدأ فيه الأمطار بالسقوط -».

- «آه... يا للعجب!»، هتفت زوجة تشو دجيواي باستغراب، وقالت: «هذا

(1) يساوي الـ «تشاين» عشر الأونصة الصينية.

يعني مدة لا تقلّ عن الثلاث سنوات. وماذا سيحدث في حال لم يسقط المطر في اليوم الأول؟»

أجابت بريشوس فيرتشو وهي تنهّد:

- «هذا يعني بأنّه علينا الانتظار. ولكن هذا ليس كل شيء. لأنّ ذلك يتطلّب لاحقاً اثني عشرة تشاين من التّدى الذي يجب أن يُجمع في يوم الندى الأبيض، واثني عشرة تشاين من الضباب الذي يجب جمعه في يوم انتشار الضباب، واثني عشرة تشاين من الثلج الذي يجب أن يُجمع في يوم الثلج الخفيف. وهذه الأنواع الأربعة من الماء يجب أن تُضاف إلى البودرة ومن ثمّ يتمّ خلطها جيّداً. بعد ذلك، يجري تحويل هذا الخليط إلى أقراص دواء... ولا بد من أن تُحفظ هذه الأقراص في جرة قديمة من البورسلين تُدفن في الأرض تحت بعض الأشجار المُزهرة، وتؤخذ منها أقراص الدواء حسب الحاجة».

- «يا للهول!»، قالت زوجة تشو دجيواي، وتابعت تقول كالمصدومة: «وهذا يعني عشر سنوات من عملية التحضير والإعداد فقط، هذا إذا كنت من المحظوظين!»

- «لحسن الحظّ، فإنّ ذلك لن يأخذ منا كل تلك المدة»، قالت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «فبواسطة سلسلة من الفرص السعيدة، استطعنا الحصول على كلّ شيء في غضون سنتين، وصناعة المطلوب من الدّواء. وقد قمنا بدفنها تحت إحدى أشجار الإجاّص الآن».

سألته زوجة تشو دجيواي:

- «وهل لهذه الأقراص أي إسم مُعيّن؟»
- «نعم، بالتأكيد. لقد أطلق عليها الراهب اسم 'أقراص العطر الباردة'».
- «ولكن لم تقولي لي ما هي مواصفات مرضك».
- «ليس بالأمر الخطير... أشعر فقط بوهنٍ وقُصرٍ في النَّفس، وكلّ قرص منها يُساعد على الشفاء الفوري».

كانت زوجة تشو دجيواي تُحاول طرح المزيد من الأسئلة عندما سمعت صوت مدام وانغ تسأل عن الموجود في الداخل. وعلى الفور، هرعت زوجة تشو دجيواي إليها تُبلغها عما حصل مع ليو لاؤ-لاؤ. وعندما همت بمغادرة الغرفة، أوقفتها هسويه بي-ما قائلة:

- «انتظري لحظة. لدي شيء عليك أن تسترجعيه». قالت ذلك، ونادت على لوتس، والطفلة الصغيرة التي رأتها زوجة تشو دجيواي تلعب معها على الشرفة أثناء قدومها. عند سماع سيدتها تُنادي، وصلت مُسرعة وهي تحمل بين يديها صندوقاً مُقضباً يحتوي على اثنتي عشر تويجة زهر مصنوعة من الحرير المُطرز وعلى الطراز الإمبراطوري.

ثم تابعت هسويه بي-ما تقول:

- «كانت هذه التويجات مطروحة هنا منذ فترة. لقد خطر لي بالأمس أن سيدتك ستحبها كثيراً، وفكرتُ في إرسالها غير مزة لكنني نسيت. ولذلك لا بد من تأخذي الصندوق معك الآن؛ أعطي اثنتين لكل كو-نيانغ من أولادك الثلاثة. وما تبقى من الست تويجات، أعطي اثنتين إلى لين كو-نيانغ، والباقي إلى ناي-ناي».

حملت زوجة تشو دجيواي الصندوق وغادرت الغرفة. وعندما رأت أن غولدن برايسليت لا تزال في الخارج، سألتها:

- «هل تلك هي الفتاة التي كانوا يتحدثون عنها؟ أعني الخادمة التي شمل شراؤها تأمين الحياة».

- «نعم هي نفسها، بكل تأكيد».

ففي هذه اللحظة، خرجت لوتس من الغرفة. فأمسكتها زوجة تشو دجيواي من يدها وراحت تتأملها عن كثب... وقالت تُخاطب غولدن برايسليت:

- «إنها تُدكرني بـ دجانغ ناي-ناي في القصر الشرقي».⁽²⁾

(2) تقصد تشين-شيه، زوجة تشيا دجانغ.

- «هذا صحيح... وهذا ما كنت أنوي قوله»، ردّت عليها غولدن برايسليت موافقة.

سألت زوجة تشو دجيواي لوتس عن عمرها، وأين كان والديها، وغير ذلك من الأسئلة المُشابهة... لكن لوتس كانت تكتفي بهزّ رأسها، والقول بأنها لا تعرف أيّ شيء. في اليوم التالي، قامت فينيكس بزيارةٍ إلى عائلة نينغ كيوفو بناءً على دعوةٍ من يو-شيه، ورفقة باو-يُو الذي ألحّ على مرافقتها. وقد صودف في الوقت نفسه، وجود تشين تشانغ شقيق تشين-شيه، الذي كان باو-يُو يرغب بلقائه، في المكان حيث كان يقوم بزيارةٍ شقيقته. كان تشين تشانغ بعمر باو-يُو، ولكن بجسمٍ نحيفٍ وملامح رقيقة. حتّى أنّه كان أكثر وسامة من باو-يُو - لكنّه أشدّ خجلاً وأكثر ميلاً إلى الحركات الأنثوية. بعد العشاء، بدأ الأولاد حديثهم حول ما يعينهم، وراحت السيدات تلعبن الماجونغ. كان باو-يُو مأخوذاً بصديقه الجديد ومُنغمساً في الكثير من الأفكار السيئة كعادته. جلس يُفكّر قليلاً في نفسه قائلاً:

- «لم أعتقد أبداً بوجود أشخاص رائعين بهذا الشكل. فمُقارنته به، أجد نفسي أشبه بالحيوان الذي يتمرّغ بالوحول أو كهجينٍ أصابته القروح. كم هو عازٍ أن أولد في عائلة غنية، وأُمنع من العلاقات الحميمة مع هذا النوع من الأشخاص الرائعين!»

وفي الوقت نفسه، كان تشين تشانغ يحسّ بالمشاعر ذاتها تجاه باو-يُو لكنه كان فقط يأسف لكونه فقيراً. وحينما سأله باو-يُو ما إذا كان يذهب إلى المدرسة وعن نوع الكتب التي كان يقرأها، أخبره تشين تشانغ بأنّه قد أصبح خارج المدرسة لأنّ معلّمه قدّم استقالته منها حديثاً. ثمّ قال بأنّ والده كان يُفكّر في الطلب من تشيا تشينغ للسماح له بارتياح مدرسة العائلة. عند ذلك عرض باو-يُو عليه بأنّه سيكون سعيداً ليفعل ما يوسعه من أجل أن يسمح له تشيا تشينغ الالتحاق بهذه المدرسة. وطمأنه إلى أنّ ذلك سهل، وأنّ كل ما عليه فعله هو التحدّث مع الأمّ الحاكمة وإخبارها بأنّه يريد فقط الرفيق الملائم. أمضى الصديقان طوال فترة ما بعد الظهر يتحدّثان ويُخطّطان لما يُمكنهما القيام به في المُستقبل - وهكذا أصبحت أسرع

صديقين في فترة وجيزة وقبل أن يفترقا من جديد.

إنتهت لعبة الماجونغ. وحينما بدأ عدّ الرقائق، ظهرت خسارة كل من يُو- شيه وتشين-شيه - وأصبح من واجبهما تنفيذ الشرط المُتفق عليه وهو إقامة وليمة للرابحين مع أداء أدوار مسرحية لدى عائلة نينغ كُوْفُو في الأيام القليلة القادمة.

بعد العشاء، تم إرسال تشين تشانغ إلى منزله أولاً من حيث أنه يُقيم في مكان بعيد نوعاً ما. أما الخادم العجوز تشياو تا، الذي طلب منه المُضيف إيصال تشين تشانغ إلى بيته - فقد بدأ مُستاءً من هذه المهمة، وكان مشغولاً بشتم المُضيف عندما وصل باو-يُو وفينيكس إلى المدخل حيث تنتظر العربات، وقد سمعاه يصرخ غاضباً:

- «إبن السلحفاة أيُّها اللعين! أي نوع من المضيفين أنت؟ أيُّها البائس عديم الشفقة! دائماً تُكَلِّفني بأعمال لا يرغب فيها أحد أو يقوى على تحملها. فمن تعتقد نفسك؟ ومن تظنّه جدك اللعين يكون؟ لستُ فقط أكنّ الاحتقار للأندال من أمثالك، بل أنني...»

حاول دجيا دجانغ رده وإسكاته، لكنّ تشياو تا كان عنيداً ولم يتجاوب مع أي محاولة لتهدئته. والواقع أنه كان خادم العائلة العجوز الذي خدم جدّ دجيا دجانغ الأكبر، كما أنه كان قد أنقذ حياة سيّده في ساحة المعركة. وبسبب هذا، ونظراً لتقدمه في السن، لم يعد أحداً يفكر في تأديبه ووضع حدّ لتصرفاته المُشينة، فتمادى كثيراً وتحوّل إلى وقح فوق العادة؛ فبدلاً من أن يحترم دجيا دجانغ ويرضخ له، أصبح يُناديه باسمه ويقول له بأنه لن يقبل بأن يُمارس أحد عليه دور السيد. بقي هذا الخادم في قمة نفوره وانفعاله، فتابع يصرخ:

- «يا دجانغ كو-يُو! لا أنت ولا والدك، ولا حتى جدك، يستطيع أن يقول بأنه السيد على تشياو تا».

ثمّ وقف وهو يُشير بإصبعه عمداً إلى دجيا دجانغ ويقول:

- «كيف كان مصيرك اليوم لولا تشياو تا؟ والآن بدلاً من أن تدفعوا الديون التي لي بدمتكم جميعاً، تعملون على إرهابي واستغلامي. ولذلك، أقول لك إخرس، وإلا وضعتُ شفرة هذا الخنجر في أحشائك».

كانت فينيكس مُقتنعة بأن هذا العجوز قد تمادى وتجاوز الحدّ، فاقتربت من دجيا دجانغ وقالت:

- «لما لا تتحرك وتُلَقِّن هذا المُتعجرف درساً في الأخلاق والفضيلة... إنه لمن العار على عائلة كعائلتنا أن تترك هذا الأحمق يتصرّف بهذه الطريقة على هواه». وما هي إلاّ لحظات حتى حضر بقيّة الخدم على عَجَلٍ، بأمرٍ من دجيا دجانغ، وراحوا يجرّون العجوز تشياو تا بعيداً. وبسبب هذه المُعاملة غير المتوقّعة التي تلقّاها، تحوّل العجوز إلى ما يُشبهه المؤمن الذي دنّسته الذنوب، فراح يصرخ ويتوسّل الجميع بضرورة أخذه إلى قاعة دفن الأسلاف من أجل البوح بأحزانه وعذاباته إلى روح سيده الأكبر المتوفى:

- «لا بدّ من إخبار تاي لاو-يه ما الذي يفعله الأولاد، وكيف تحوّل هؤلاء إلى وحوشٍ كاسرة من بعده. فهل تظنّون أنّ تشياو تا أعمى ولا يرى شيء: لا أبداً، وأنا أوّكد لكم ذلك. فهو يعلم ما الذي يفعله مع صهره الشاب، ويعرف أيضاً من الذي يُثير الرماد في العيون. فلا يُمكن لأحدٍ أن يُخفي ساعده المكسور في جيبه. فكل شيء سيظهر وينكشف عاجلاً أم آجلاً...» تظاهرت كل من فينيكس ويو-شيه بأنهما لا يسمعان شيئاً، إلاّ أنّ باو-يو بدأ بطرح الأسئلة ويُكرّر ببراءة بعض الكلمات التي نطق بها العجوز مُستفسراً عن معانيها. فردّت عليه فينيكس قائلة:

- «لا تهتم أو تُكرّر تلك الكلمات الرديئة التي نطق بها إنسان سكير فاقد الوعي! وإذا سمعتك تكررّها أمام أحدٍ من جديد فسوف أُخبر تاي-تاي بالأمر».

شعر باو-يو بالخوف لأنّها المرّة الأولى التي تُخاطبه فيها فينيكس بهذه الطريقة. فأقرّ بذنبه قائلاً:

- «لن أكرّر ذلك مُطلقاً، فأرجو ألاّ تُخبري تاي-تاي».

وافقت فينيكس، ووعدته بعدم إخبار أحد، وبأنّها ستعمل ما يوسعها من أجل إقناع حاكمة المنزل بضرورة السماح لـ تشين تشانغ الالتحاق بمدرسة عائلة تشيا.

الفصل السابع

وفيه يلتقي باؤ-يُو بالجوهرة المُذهّبة عن طريق الصدفة
وتسنع الفرصة السعيدة لـ بريشوس فيرتشُو بإدراك
'الفهم الروحاني'

بعد عودته إلى يونغ كُوْفُو، تحدّث باؤ-يُو مع حاكمة العائلة، بأن تسمح لـ
تشين تشانغ الإلتحاق بمدرسة العائلة. وقال أنه، وبسبب توفّر الصحبة الحميمة في
المدرسة، سيعمل بكّد من أجل تحقيق أفضل النتائج. كما أنه عمل على وصف
شخصية تشين تشانغ لها وعن تصرّفاتة وحسناته. وقال بأنه سيفعل ما بوسعه من
أجل إرضائها. أمّا بالنسبة لـ فينيكس، فقد أدّت دورها هي أيضاً بهذا الخصوص،
وقالت بأن تشين تشانغ سيأتي لزيارة حاكمة المنزل في القريب العاجل. فما كان
من الأمّ إلاّ الموافقة والردّ على هذه الموضوع بالإيجاب.

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه، ذهب باؤ-يُو لمُقابلة بريشوس فيرتشُو. وعند
وصوله إلى بير فريغرانس كورت، وجد هسويه بي-ما تُخيط بعض الثياب من أجل
الخدمات. فأخذته في أحضانها تُعانقه، وقالت له:

- «إنّه لمن الجميل يا بُنيّ أن تأتي لرؤيتي في هذا اليوم البارد. تعال اجلس
هنا على هذا الكانغ واحصل على بعض الدفء».

ثمّ طلبت من الخدمات إعداد بعض الشاي الحار. سألتها باؤ-يُو عمّا إذا كان
هسويه بان موجود في البيت، فردّت عليه عمته وهي تنتهّد:

- «إنّه دائماً في مكانٍ ما خارج البيت، ولن تحظى به أبداً وفي كلّ الأوقات».

عندها قال باؤ-يؤ:

- «أتمنى أن تكون تشيه-تشيه أفضل منه في ذلك».
ردت عليه عمدته بابتسامة:

- «إنها أفضل بقليل. إنها هُناك في الداخل»، وتابعت وهي تدله إلى إحدى الغرف الداخلية: «لماذا لا تذهب إليها؟ سأنضم إليك فور انتهائي من هذا الثوب».

وعلى الفور، نهض باؤ-يؤ من مكانه وأسرع باتجاه الغرفة الداخلية حيث رأى بريشوس فيرتشو جالسة وهي تخط بدورها. كان شعرها الأسود اللامع مرفوعاً بعقدة، وترتدي ثوباً ليس بالجديد ولا بالقديم - لكنه كان جميلاً وزاهياً. وكان كل شيء من حولها مُرتباً ونظيفاً.

سألها باؤ-يؤ وهو ينظر إليها نظرات إعجاب:

- «هل أنت بخير تشيه-تشيه؟»

- «نعم أنا بخير».

أجابته بذلك، ثم دعته إلى الجلوس، وسألته عن السيّدة حاکمة المنزل، وعن مدام وانغ، وغيرهما. ثم لفت نظرهما يشم الحجر الكريم الذي يضعه دائماً من حول عنقه، وقالت له:

- «لقد سمعت الكثير عن هذا اليشم الذي تُعلّقه، ولكن لم تسنح لي الفرصة أبداً لأراه وأتمنّى به عن قرب. وهذا ما سأفعله اليوم».

خلع باؤ-يؤ الطوق من رقبتة وناول له تشيه-تشيه، التي راحت تتفحصه بتمعن من جميع جوانبه. ورأت أنه لا يزيد عن حجم بيضة العصفور، قُرحي اللون كالعقيق، ومُتألّق كغيمة مُهدّبة بأشعة الشمس. وهذا بالتأكيد، الحجر نفسه الذي رآه كاهن الفراغ العظيم الطاويّ تحت قمة المروج الخضراء على الجبل الأسطوريّ العظيم، وها هو الآن، بشكله المصغّر والمُنقبض - يحمل الأحرف المحفورة عليه التي نقشها كاهن الفراغ الأبدي البوذي؛ نُقش على الجانب الأمامي:

يا جوهرة الإدراك الروحاني النفيسة

لا تنسي أبداً، ولا تضيعي أبداً
فالحياة الخالدة دائمة الوجود.

وعلى الجانب الآخر نُقِش:

1 يُدمّر الأرواح الشريرة

2 يُشفي الأمراض المُستعصية

3 يتنبأ بالنعم والمصائب

وبعد تفحصها للجانبين، نظرت بريشوس فيرتشو إلى الجانب الأمامي وإعادة قراءة ما نُقِش عليه بصوت عالٍ. وقد لاحظت وجود أوريول واقفة بقربها وهي تُصغي إليها بإمعان. قالت لها:

- «لماذا لم تذهبي لإحضار الشاي؟»
أجابتها أوريول وهي تبتسم:

- «إن ما قرأته كؤ-نيانغ للتو، يُشبه تماماً تلك الكلمات المحفورة على قلاذتها».

وفور سماعه لما قالته أوريول، سأل باؤ-يؤ تشيه-تشيه:

- «إذن، هناك كلمات محفورة على قلاذتك أنت أيضاً يا تشيه-تشيه؟ رجاءً دعيني أرى ذلك».

- «لا تُصغ لما قالته»، ردّت تشيه-تشيه، وتابعت: «ليس هناك أي كلمات عليها».

- «أرجوكِ دعيني أراها»، قال باؤ-يؤ ملحاً عليها، وأضاف يتوسلها: «لقد سمحتُ لكِ بقراءة ما هو محفور على قلاذتي».

عند هذا الحدّ، افسحت بريشوس فيرتشو بأنّ هناك ما هو محفور على قلاذتها، وقالت:

- «هناك رمزٌ حظّ قد حُفِرَ عليها، وهذا هو سبب إصرار والدتي على تعليقها في رقبتي على الدوام - إنها لشيءٍ ثقيلٍ موضوع من حول الرقبة».

ثمّ خلعت القلادة وناولتها إلى باؤ-يُو، الذي أمسك بها وراح يقرأ على الجانب الأمامي:

لا تتخلي عنها أبداً، ولا تتركها مطلقاً

وعلى الجانب الآخر قرأ:

الحياة الطويلة، تستمر إلى الأبد

وبالمثل، أعاد باؤ-يُو قراءة هذه الرموز بصوتٍ عالٍ، ثمّ قرأ ما هو مكتوب على قلاذته، وقال:

- «إنها مثل قلاذتي بالفعل».

قالت أوريول:

- «لقد قال تلك الكلمات أحد الرهبان الذي اقترح ضرورة حفرها على نوع من القلاذات الذهبية أو النيفسة».

وقبل أن تنهي أوريول كلامها، قاطعتها بريشوس فيرتشو، ووبختها لعدم إحضارها الشاي، وطلبت منها الخروج من الغرفة.

عندما كان باؤ-يُو جالساً بالقرب من بريشوس فيرتشو، لفتته رائحة عطر غير عادي. فسألها:

- «أي نوع من العطور تستعملين؟ فلم يسبق لي أن شممت شيئاً مثله من قبل».

- «أنا أكره العطور»، ردّت عليه، وأضافت: «فأنا لا أرى سبباً يستدعي الفرد لرشّ الروائح العطرة على جسمه أو ثيابه».

- «ولكن ما هو إذن؟»

أجابت بريشوس فيرتشُو بعد قليل من الصمت والتأمل:

- «لعلّ ذلك ناتجٌ عن كبسولة العطر الذهبية التي تناولتها صباح اليوم».

قال باؤ-يُو وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة:

- «وما هي كبسولة العطر الذهبية هذه؟ ويا لها من رائحة، دعيني أحصل على واحدة منها أنا أيضاً».

أجابت بريشوس فيرتشُو ضاحكة:

- «لا تكن سخيفاً، فليس مُحبيّاً أن تتناول العقاقير لمُجرد التسلية واللهو فحسب».

في تلك اللحظة، وصلت بلاك دجايد، وقد تفاجأت بوجود باؤ-يُو:

- «أوه، يا لخجلي! لقد وصلتُ في اللحظة غير المُناسبة».

سألتها بريشوس فيرتشُو:

- «لماذا تقولين ذلك؟»

ردّت عليها بلاك دجايد بنوع من الجِد:

- «أقصد بأنني لو كنتُ أعلمُ بوجود باؤ-يُو هنا لما أتيت».

قالت بريشوس فيرتشُو وقد ظهر على ملامحها الارتباك:

- «لا زلتُ غير مُدركة لما تقصدينه».

- «أليس ما أقوله واضحاً؟»، ردّت بلاك دجايد بنوع من الحسم، وأضافت:

«من غير المُستحسن دخول أحدٍ على آخر بشكلٍ مُفاجئ. فلو أنّ كل واحدٍ

من زوّارك يأخذ دوره في الزيارة، لما شعرتِ بهم، ولوجدتِ أحدهم يأتي

بعد الآخر دون أن يبقى معاً في الوقت نفسه؛ وهكذا، لن تشعري بقلّتهم،

ولن تكوني وحيدة أبداً».

عندما لاحظ باؤ-يُو أنّ بلاك دجايد تضع عليها معطفاً، سأل الخادِمات ما إذا

كانت الثلوج تتساقط في الخارج. فأجبنه بالإيجاب:

- «نعم، لقد تساقط القليل منها لفترة قصيرة اليوم».

فردّ على الفور:

- «إذن، ائتوني بمعطفي أنا الآخر».

عندما سمعت بلاك دجايد ذلك منه، قالت ضاحكة وهي تُوجّه الكلام إلى

بريشوس فيرتشو:

- «ألم أقل لك ذلك؟ الآن وقد حضرتُ أنا، فقد حان وقت ذهابه هو».

عند ذلك، ردّ باؤ-يؤ:

- «لم أقل بأني سأغادر. لكنني أردتُ أن أكون جاهزاً عندما أنوي ذلك».

في هذه الأثناء، أعدت هسويه بي-ما الشاي وجهرت بعضاً من وجبات الطعام الخفيفة. وكان باؤ-يؤ قد سبق له وذكر أقدام الإوز المُمْلحة وحويصلات البط التي قدّمها يؤ-شيه بالأمس. ولذلك، قامت هسويه بإحضار البعض من هذين النوعين اللذين كانت قد أعدتهما بنفسها، وقدّمتهما إلى باؤ-يؤ لكي يتذوق شيء من عملها. وحينما قال بأنّ التذوق سيكون أفضل مع القليل من النيذ، أمرت هسويه بي-ما بإحضاره له على الفور. إلا أنّ مربيته العجوز لي ما تدخلت قائلة:

- «بي تاي-تاي من الأفضل عدم إحضار النيذ».

قال باؤ-يؤ متوسلاً:

- «قدحاً واحداً فقط».

ردت عليه لي ما بحزم:

- «أبداً! لن يكون لك ذلك. عندما تكون مع لاؤ تاي-تاي أو مع تاي-تاي،

فلا أهتمّ لو تجرعت جرة بكاملها. لكنني لن أنسى التويخ الذي تلقّيته

من لاؤ تاي-تاي ذلك اليوم، عندما قام أحد المتهوّرين مُحاولاً إسعادك،

بتقديم بعض أنواع الخمرة وأنا غير منتبهة لذلك».

ثمّ التفتت إلى هسويه بي-ما وتابعت تقول:

- «سيّدتي بي تاي-تاي، ليست لديك أدنى فكرة عمّا يؤول إليه الحال مع

باؤ-يؤ عندما يتجرّع القليل من الخمر. لا أحد يعلم شيئاً عن لاؤ تاي-

تاي. لقد تركته في أحد الأيام يشرب بقدر ما يشاء، وكان ما فاجأها منه؛ لكنّها في الأيام التالية، لم تدعه يشرب ولو نقطة واحدة. فلن أتحمّل الآن مسؤولية ما يُمكن أن يحصل».

- «لا تقلقي أيتها العجوز»، ردّت هسويه بي-ما، وتابعت تُخاطبها: «إذهبي واحصلي على شيء تشربينه أنت أيضاً. لا تخافي، فلن أدعه يشرب حتّى الثمالة. وفي حال سألت لاو تاي-تاي عن الأمر، فسوف أتحمّل أنا المسؤولية بنفسِي».

بعدما سمعته العجوز من هسويه، لم يكن لديها ما تفعله إلا الانضمام إلى باقي الخادِمات ومُشاركتهن الشراب. أمّا باؤ-يُو من جهته فقال:

- «لا تأتي بالنيبذ ساخناً، فأنا أحبّه بارداً جداً».

- «لن تشربه بارداً»، قالت هسويه، لأنّ النيبذ البارد يتسبّب بارتجاع اليد عند الكتابة».

- «إنّ الوالدة على حقّ»، قالت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «أنت لا تُدرك أنّ طبيعة النيبذ تكون دافئة، ولا بد أن تتناوله دافئاً، من أجل أن يتبخّر بسرعة من الجسم. أمّا إذا شربته بارداً، فسوف يبقى في الجسم ويتسبّب بامتصاص حرارة الأعضاء، وهذا شيء مؤذ».

بعد اقتناعه بهذه المُناقشة، ترك باؤ-يُو النيبذ البارد من يده وراح ينتظر الخادِمة لتسخينه. في هذا الوقت، كانت بلاك دجايد تُراقب باؤ-يُو وهي تبتسم. ثمّ دخلت الخادِمة سنُو داك وهي تحمل لها دفاة اليد. فسألته بلاك دجايد على الفور:

- «من طلب منك إحضارها؟»

عندما أجابته الخادِمة بأنّ بيربل كوكو هي التي طلبت ذلك، قالت لها سيّدتها:

- «إذن، هناك أحد ما تُصغين إليه! كيف يُمكن لك أن تسمعي الأشياء بالإذن الأولى ثمّ تُخرجينها من الأذن الأخرى، طالما أنّك تسمعين وتُطيعين كل ما تقوله وكأنّ كلامها أمر إمبراطوري؟»

كان باؤ-يُو يعلم أثناء توبيخ سنُو داك أنّ بلاك دجايد كانت لا تزال تُفكّر فيه،

إلا أنه لم يتفوه بأيّ كلمة. ولا حتّى بلاك دجايد نطقت أيضاً، لأنها كانت مُعتادة على هذا النوع من التهكّمات اليومية. غير أنّ هسويه بي-ما التي لم تُدرِك المغزى، علّقت بالقول:

- «عليك أن تسعدي عند وجود خادمة تُفكّر، بدلاً من توبيخها».

ردّت عليها بلاك دجايد:

- «بي-ما، أنت لا تفهمين المقصود. فأنا هنا في منزلك. فلو حدث ذلك في أيّ مكان، وحضرت خادمة وهي تحمل دفاعة لليدين، فما الذي سيعتقده مُضيفي حينها؟ فسوف يعتبرون ذلك نوعاً من التلميح الفظ؛ فقد تجاهلوا راحتي».

ضحكت هسويه بي-ما ممّا سمعته، وقالت:

- «إنّك بالفعل حسّاسة جداً. فأنا لم أفكّر بذلك أبداً».

حتّى تلك اللحظة، كان باو-يو قد تناول ثلاثة أقداح من النبيذ، بينما بدأت لي ما احتجاجها على ذلك من جديد:

- «من الأفضل أن تكون حذراً. إنّ لاؤ-يه موجود في البيت اليوم، وقد يكون راغباً برؤيتك، والاستفسار منك عن دراستك».

أحس باو-يو بهبوط روحه المعنوية على الفور لمُجرد الإشارة إلى والده؛ فوضع القدح من يده، وجلس مُندهشاً وفي صمتٍ مُطبق، وقد بدت على ملامحه علامات الوجل.

حاولت بلاك دجايد طمأنته بالقول:

- «لا تهتم لما تقوله. إذا ما أرسل العمّ بطلبك، فبإمكان بي-ما القول بأنّها تُريدك لبعض الوقت».

كانت لي-ما مُلمّة بطرق بلاك دجايد الملتوية - فقالت وهي تبتسم:

- «أعتقد بأنّ لين كو-نيانغ لن تُشجّعه على تعاطي الكحول... بل أنّها ستعمل على ثنيه عن ذلك، فهي الشخص الوحيد التي يُمكن أن يُصغي إليها».

تسّمت بلاك دجايد ببرودة وقالت:

- «ولماذا عليّ أن أشجّعه على فعل شيء أو لا أشجّعه على فعله؟ إنّ كلامك هذا فيه نوع من الابتذال والصلف. إنّ باؤ-يؤ عادة ما يشرب وهو برفقة لاو تاي-تاي. ولن يضيّره شيء تناول قدحاً أو اثنين - فهل تعتبرين هذا المنزل لشخصٍ غريب، ولا يُفترض من باؤ-يؤ أن يتصرّف فيه أو يشرب بحرّية؟»

أحست لي ما بالحزن لسماع ذلك من بلاك دجايد، وصدفت وجهها من الدهشة وهي تقول:

- «كم يُمكن أن تكون لين كؤ-نيانغ قاسية وفجّة أحياناً. فهي قد تنطق بأشياء تقطع بأشدّ من حدّ السكّين. فكيف يُمكن لي أن أفكر بشيء من هذا النوع؟»

اكتفت بريشوس فيرتشو بالضحك، ثمّ قالت وهي تقرص وجنتي بلاك دجايد: - «لدى هذه الفتاة لسان سليط فعلاً، يقطع بطرقٍ مختلفة لدرجة أنّ الشخص لا يدرى لأيّ غرض يستخدمه».

عند هذا الحدّ، قالت هسويه بي-ما تُخاطب باؤ-يؤ:

- «لا تخف يا عزيزي. إذهب واشرب بالقدر الذي تُريده، بالإضافة إلى أنّه يمكنك البقاء لتناول طعام العشاء أيضاً - حتّى أنّك يُمكن أن تنام هنا في حال جعلك الشراب سكيراً».

بهذه الطريقة، كانت لي ما مُجبرة على ترك باؤ-يؤ يتصرّف على هواه؛ فغادرت إلى البيت، لكنّها أوصت إحدى الخادِمات بضرورة التنبّه إلى منع باؤ-يو من تناول الكثير من الخمر.

بقي كل من باؤ-يؤ وبلاك دجايد معاً طوال فترة المساء، ثمّ عادا إلى غرفتهما من بعد العشاء. لم تقم حاكمة المنزل بتوبيخ باؤ-يو، لكنّها طلبت منه الاستراحة وعدم الخروج من المنزل. وعندما لاحظت أنّ لي ما لم تكن برفقة باؤ-يؤ، سألت عنها. ولما كانت الخادِمات الأخرى خائفات من القول بأنّها قد غادرت إلى

البيت، فقد أجبنا بأن لي ما كانت طوال الوقت برفقة باؤ-يؤ، ولعلها قد خرجت الآن لقضاء حاجة ما.

بعد عودته إلى غرفته، تذكر باؤ-يؤ شيئاً بشكل مفاجئ وهو يتحدث مع خادماته. فقال يسأل برايت ديزاين:

- «بالمناسبة، أين طبق الفول الرائب الذي أرسلته هذا الصباح؟ لقد كنتُ أتناول طعام الفطور عندما تذكرتُ بأنك تُحبيته. ولذلك، أخبرتُ دجين ساو-ساو بأنني أرغب في القليل منه للعشاء. فأعطتني القليل منه وأرسلته إلى هنا - لقد كان ذلك من أجلك».

- «لا تسألني»، قالت برايت ديزاين، وتابعت: «لقد عرفتُ بأن ذلك من أجلي من اللحظة التي رأيته فيها. ولكن، بما أنني قد سبق لي وتناولت الغداء، فكُرتُ أن أتركه إلى وقتٍ لاحق. ولما رأته لي ما-ما، قالت، 'لا أعتقد بأن باؤ-يؤ يرغب في أكل هذا الفول، ولذلك سأأخذه معي إلى حفيدي'، وهكذا فعلت».

قطب باؤ-يؤ حاجبيه، لكنّه لم يقل شيئاً. ثم حضرت إحدى الخاديات وهي تحمل الشاي. وبعد أن تناول نصف الكوب، تذكر الشاي الذي كان قد تناوله هذا الصباح؛ فسأل الخادمة:

- «لماذا أتيتني بهذا الشاي؟ لقد تناولت هذا الصباح شاي ندى القيقب. لقد أخبرتك بأن تحفظه كما هو بجودته بعد مرتين أو ثلاث من تصفيته».

- «لقد فعلتُ كما طلبت مني»، قالت الخادمة، وتابعت: «لكن لي ما-ما جاءت وشربته».

كان هذا كثيراً على باؤ-يؤ؛ فامتعض ورمى فنجانها أرضاً، وقال بعصبية:

- «ومن تكون تلك التي تُقدّم إليها كل ما يصل إلى أيديكن من طعام؟ لأنني فقط حصلت على القليل من حليبها عندما كنتُ طفلاً، صارت تعتقد نفسها أكثر أهمية من لاؤ تاي-تاي نفسها! لقد اكتفيت من كل ما يحصل وعلي أن أذهب إلى لاؤ تاي-تاي وأخبرها بكل شيء، فلعلها تطردها بعيداً».

نهض باؤ-يؤ من مكانه مُحاولاً التوجّه إلى الأمّ الحاكمة، إلا أنّ بيرفايدينغ فريغرانس - التي لم تكن نائمة بل تُصغي إلى كلّ ما يُقال من حولها - هبّت من مكانها على الفور، مُحاولة تهدأة خاطره.

والواقع أنّ الأمّ الحاكمة كانت قد سمعت صوت تحطّم فنجان الشاي الذي رماه باؤ-يؤ أرضاً قبل قليل، وأرسلت خادمة من أجل الاستفسار عمّا يحدث. فما كان من بيرفايدينغ فريغرانس إلا أن أجابتها بأنّها قد كسرت أحد الفناجين من دون انتباه، ثمّ طلبت من باؤ-يؤ أن يأوي إلى الفراش، بعد أن أزال الطوق من حول عنقه ودسّته تحت وسادته لكي لا يشعر ببرودته عندما يُعيده إلى رقبته من جديد في الصباح. في هذه الأثناء، عادت لي ما على وجه السرعة وهي قلقة... لكنّها عندما علمت بأنّ باؤ-يؤ قد أوى إلى فراشه، شعرت بالراحة وتنهّدت، ثمّ غادرت عائداً إلى البيت.

الفصل الثامن

وفيه يتلقى تشين تشانغ الاحترام عبر صداقة باؤ-يو
ويُعاني كين زونغ من الإذلال بسبب افتقاره إلى النفوذ والتأثير

حينما استيقظ باكراً في الصباح التالي، أُبلغَ باؤ-يو بأن تشيا دجانغ قد جاء برفقة تشين تشانغ للزيارة. فأسرع يستقبل صديقه ورافقه إلى جناح الأم الحاكمة من أجل تقديمه لها. وبسبب لباقة وسماحة خلقه وكياسته، لاقى تشينغ تشانغ استحسان الأم وتقبلت صداقته لحفيدها المفضل على الفور. ولذلك، طلبت منه البقاء على الغداء وعرفته إلى مدام وانغ وغيرها، وراحت تحثه على التصرف في البيت وكأنه في يونغ كوفو، وهي تقول:

- «إنك تعيش في مكان بعيد، فإذا ما كان الطقس رديئاً، فلا تتردد في البقاء معنا طوال الليل. وحاول أن ترافق وتبقى بصحبة عمك باؤ بقدر ما تستطيع، بدلاً من أن تدخل في أي نوع من المُشاكسات أو الأذى مع بقية الأولاد».

كان تشين يه، وهو والد تشين تشانغ، موظفاً صغيراً في إحدى السفارات. وكان عمره يُقارب السبعين عاماً. وبما أنه لم يُنجب أطفالاً وهو لا يزال في أواسط العمر، قام بتبني ولداً وفتاةً من أحد دور رعاية اللقطاء. وبعد فترة من الزمن، توفي الولد، وبقيت الفتاة وتُدعى تشاين-ماي⁽¹⁾. ترعرعت ونمت لتصير شابة جميلة وفاتنة،

(1) إشارة إلى تشين-شيه.

وأصبحت فيما بعد زوجة تَشِيَا دجانغ، وهكذا ارتبطت العائلتان بنوع من النسب. وُلد تشين تشانغ وقد تخطى عمر تشين به الخمسين. ولأن مُعَلِّم تشين تشانغ قد عاد إلى الجنوب، ولم يكن الولد يعمل إلا على مراجعة دروسه في المنزل، كان الأب خلال ذلك يحرص على التقزّب من آل تَشِيَا بنفسه بهدف التحاق ولده بمدربهم. ومن هنا، كان شديد السعادة بالفرصة التي أُتيحت له الآن.

كانت هذه المدرسة قد تأسست منذ زمنٍ على يد أسلاف أسرة تَشِيَا وتلقّى الدّعم المادي من أعضاء هذه الأسرة الأغنياء. وقد أصبحت اليوم تحت إشراف ورياسة تَشِيَا تاي-دجو، وهو علامة من سلالة جدّ باو-يُو الأكبر.

وسرعان ما أصبح كل من باو-يُو و تشن تشانغ من أعز الأصدقاء الأشدّ ارتباطاً - وقد كان باو-يُو يُصرّ على مُعاملة تشين تشانغ كأحد أبناء جيله أكثر من كونه «عمّاً»، ولو دلّ ذلك على نوع من التهور أو إهمال وتجاهل لأي نوع من الاتفاقات. وبالرغم من اعتراض تشين تشانغ على ذلك في البداية، إلا أنه عاد وسلّم بالأمر.

وهكذا يتحقّق المثل القائل بأن: «التنين يحتضن تسعة مواليد - لا يُشبه أيّاً منهم الآخر». وهكذا كانت حال الأولاد في المدرسة - كانوا من كل الأنواع والفئات، مع أنهم جميعاً ينتمون بالعضوية أو القرابة إلى أسرة تَشِيَا؛ من ذلك مثلاً أن هسويه بان قد أصبح تلميذاً في المدرسة بمُجرد وصوله إلى العاصمة. وهو قد أصبح هناك، ليس لأنه مُتَعَطِّشٌ إلى العلم، بل لتوقّع وجود بعض أمراء عائلة لانغ-يانغ بين التلاميذ. والواقع أن ظنّه لم يخيب؛ فسرعان ما نجح في إفساد عدداً لا يُستهان به من التلاميذ بماله وهداياه المُغرية. وكان من المُفضّلين لديه، من بين الجميع، تلميذين على وجه الخصوص، ويُلقبان بـ لوفلي دجايد و آدورايل بيرفيوم. وقد أصبح هذين اليافعين محطّ أنظار العديد من رفقاء المدرسة، ولذلك كانا يخشيان من أن يتركهما هسويه بان في وقت من الأوقات ويُصبِحان وحيدين.

في ظلّ هذا النوع من الأجواء، لم يعد من المفاجئ أن تُصبح المودّة القائمة ما بين باو-يُو وتشين تشانغ هدفاً لضغينة الآخرين ومحط شكوكهم وشبهاتهم. لكنهما، وبعد أن أصبحا لاحقاً تحت تأثير سحر كل من لوفلي دجايد و آدورايل

بيرفيوم، اللذين لم يكونا يهتمان بمراقبة سلفيهما الشديدة لهما، فقد بدأت غيرة وحسد مُعجبيهما الآخرين تنحدر شيئاً فشيئاً وبطرقٍ خفيةٍ أدت إلى توليد نوعاً من الإرباك للأصدقاء الأربعة.

وفي أحد الأيام، انشغل تشيا تاي-دجو وترك رعاية شؤون المدرسة بعُهدة حفيده تشيا دجوي. وحدث في الوقت نفسه، أن غادر كل من تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم الصف معاً بحُجّة ما، وراحا يتمشيان ويتحدثان في الفناء الخلفي للمدرسة. وفجأة سعل أحد الأشخاص بصوتٍ مُرتفعٍ من خلفهم. فالتفتا، فوجدا كين زانغ - وهو أحد التلامذة - يُحدّق بهما وهو يضحك بنوعٍ من السخرية. وعلى الفور سأله آدورابيل بيرفيوم مُستفسراً، وقد احمرّ وجهه غيظاً:

- «لماذا تسعل بهذه الطريقة؟ ألا يُمكننا التحدّث إذا ما أردنا ذلك؟»
ضحك كين زانغ وأجاب:

- «إذا كنتمما ترغبان بالحديث عندما تُريدان، فلماذا لا يُمكنني أن أسعل عندما أرغب أنا أيضاً في ذلك؟ ولماذا أنتما الإثنين لا تتكلّمان علناً كشخصين صادقين بأي حال؟ لماذا لا تتكلّمان إلا استراقاً وخفية عن الآخرين؟ فأنا أعرف ما الذي تنويانه، وقد ضبطكما بالجرم المشهود أخيراً. فلا مناص من النكران. دعوني أحصل على حصتي، وأعدكما بأنني لن أتفوّه بأي كلمة حول الموضوع، وإلا فإنني سأصرخ وأفضح أمركما.»
وعلى الفور سأله:

- «وما هو الشيء الذي ضبطنا نفعله؟ وما هو الذي تنوي فضحه؟ وما الذي تعنيه من كلّ ما تفوّهت به؟»

سُرّ كين زانغ بحرجهما، فراح يُصفّق ويرقص وهو يدور من حولهما، ويهتف بأنهما يعرفان الذي يعنيه، وأنهما قد ضبطا في نهاية المطاف.

عاد كل من تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم إلى الصف وشكيا ما حصل معهما إلى تشيا دجوي. وهنا، أصبح تشيا دجوي أشبه بشخصٍ عديم الضمير، وبدأ يستغل منصبه لانتزاع بعض المعلومات من التلاميذ؛ فهو لم يُحاول كبح تأثير هسويه بان

الفاقد فحسب، بل عمل على دعمه ومساعدته في ذلك - والسبب أن هذا الأخير يُمكنه أن يكون كريماً جداً حينما يُريد استثمار أيّ أمر من الأمور. إلاّ أنّه كان في الوقت نفسه يتمتّع بمزاج كثير التقلّب. وها هو الآن قد حصل على فائدة جديدة، وتخلّى عن تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم بلمح البصر - فلم يقل شيئاً لـ كين زانغ الذي كانا يحلان محلّه في وقت سابق. وبما أنّ تشيا دجوي لم يكن ذا منفعة بالنسبة إلى هسويه بان، فقد توقّف عن إعطائه المال وتقديم الهدايا له. لم يدر تشيا دجوي بهذا، لكنّه كان يعتقد بأنّ دجايد و بيرفيوم لم يكونا يُحاولان بذل التأثير الحقيقي على هسويه بان. ولذلك، لم يكن يميل إلى الشعور بالتعاطف عندما شكّا كلّ من تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم أمامه عن كين زانغ. ومن أجل باؤ-يُو فقط، لم يقدم على توبيخ تشين تشانغ، فتحول بيرفيوم إلى كبش الفداء ووجّه له توبيخاً عنيفاً.

إبتهج كين زانغ بنصره، وراح يُكرّر اتهاماته للإثنين أمام كل من يلتقيه أو يُصغي إليه، شارحاً قصّته في كل مرّة بمزيدٍ من التفاصيل والإضافات. ولعلّ الأشياء قد تتوقّف عند ذلك الحدّ إذا ما كانت القصة برّمتها لا تستفزّ أو تُزعج شخصاً آخر لم يكن في الحُساب: ومن تظنّه يكون؟ حسناً، إنّ تشيا تشيانغ، وهو حفيد أمّ العائلة الأكبر، كما هي حال تشيا دجانغ. كان عمره حوالي ستة عشر عاماً، وأكثر وسامة من تشيا دجانغ، والذي كان على أفضل العلاقات الودّية معه. والآن، «مزيدٌ من الأشخاص يعني المزيد من القيل والقال»، خاصة في الوقت الذي أصبح فيه الخدم المستاوون معنيين بالموضوع. وهكذا، شاع على مسمع ابن أخيه هذا، نوع من الكلام الخبيث في ما يتعلق بمصلحة تشيا دجين من الموضوع. وعندما وصلت هذه الإشاعات في النهاية إلى مسامع تشيا دجين، قرّر وضع حدّ لها عن طريق توفير منزلٍ لـ تشيا تشيانغ من منزله الخاصة.

أما وقد مرّ الأمر دون القول بأنّ تشيا تشيانغ، كونه على علاقة حميمة بـ تشيا دجانغ، لم يعد يرغب برؤية تشين تشانغ، وهو نسيب الأخير، الذي أصبح في موقف مُذلّ. كان انطباعه الأول مُبارزة كين زانغ علانية، لكنّه عاد لاحقاً وفكّر ملياً في الأمر - من حيث أنّه كان على علاقة تفاهم مع هسويه بان ولا يُريد أن ينحو

منحى عداًتياً تجاه أصدقائه. ومن هنا، ظهر له مُخطّط آخر: فبعد أن حصل على إذن لمُغادرة الصف، خرج واستدعى مينغ-ين، وهو تابع باؤ-يُو المُخلص، وأبلغه بأنّ أخلص أصدقاء سيّده قد استجمعهم كين زانغ على القيل والقال، وحتى أن اسم باؤ-يُو قد تلطّخ بالوحل. وهكذا، تحول مينغ-ين إلى ما يُشبه الكلب المُخلص لـ باؤ-يُو دون تردّد. وفور سماعه للقصة، هبّ إلى داخل الصفّ يبحث عن كين زانغ، بينما عمل تشيا تشيانغ الذي يتأمل حدوث المُشكلة دون أن يكون طرفاً فيها، بالتملّص والتسلل بعيداً. وصل مينغ-ين إلى كين زانغ وزعق في وجهه:

- «أنت، يا ابن آك كين! إلى ما ترمي من كلّ ما تقوم به هنا؟ عليك أن تحمد الله على أننا لم نمسّ والدك لا بكلمات ولا بالأفعال. هيا اخرج وواجه سيّدك مينغ إذا ما كنت على قدرٍ كافٍ من الشجاعة!»

صُعقَ كل من في المدرسة بهذه الكلمات التي لم تُسمع من قبل حتى من الخدم.

ردّ تشيا دجوي هانفاً:

- «كيف تجرؤ على هذا يا مينغ-ين!»

وقف كين زانغ وصرخ حانقاً:

- «هذه خيانة، لن أتدنى إلى مستواك ومناقشتك، ولكنني سأبلغ سيّدك بالأمر».

قال كين زانغ ذلك وتقدّم باتجاه باؤ-يُو. وفي هذه اللحظة، قذف أحدهم حجراً صغيراً نحو تشين تشانغ لكنه تفاداه في الوقت المناسب، وسقط بقوة على الطاولة التي يجلس عليها كل من تشيا لانغ وتشيا تشان - وكلاهما حفيدي الأمّ الحاكمة الكبيرين. نهض تشيا لانغ للاستفسار عمّا يحصل، وهو يعلم بأنّ الحجر لم يكن يستهدفهما. أمّا تشيا تشان، فقد بدا أكثر ميلاً للمُشاكسة؛ فقد رفع مقلّمته ورمى بها باتجاه المُهاجم، لكنّها لم تُصبه. ثمّ ما لبث تشيا تشان أن هبّ من مكانه وألقى بنفسه فوق الفتى الذي قذف الحجر.

في هذه الأثناء، تسلّح كين زانغ بقضيب من الخيزران وأخذ يلوّح به. وكان

رأس مينغ-ين قد تلقى الضربة الأولى - فوقف مذهولاً لفترة، ثم راح يهتف لأتباعه:

- «هيا، هتوا إلى النجدة جميعكم! فماذا تنتظرون؟»

هتوا جميعهم دفعة واحدة عند إشارته، كما لو أنهم لا يبغون شيئاً سوى القتال؛ فتسلحوا بمزيج الأبواب والسياط وانضم الجميع للمعركة.

وهكذا تحولت غرفة الصف إلى ما يُشبه مشفى مجانيين تسوده الفوضى العارمة عدا عن الصراخ والزعيق. في هذا الوقت، كان تشيا دجوي تارة يتصرع لهم للتوقف، وطورا يهدد ويتوعّد - ولكن لم يهتم له أحد. في هذه الأثناء، استغل بعضهم هذه الفوضى العارمة، ليضربوا يمناً ويسرى دونما هدف، إما بسبب شغفهم بالقتال - فقط من أجل القتال - وإما بسبب وجود بعض الحسابات التي أرادوا تصفيتها في هذه اللحظات المُناسبة؛ وكان البعض من التلاميذ الذين لا يعينهم الأمر، قد وقفوا فوق الكراسي والطاولات وهم يهَلَلون للمقاتلين الأكثر قوّة وعزم؛ أما البقية المُتبقية، من الذين كانوا أكثر هدوءً وميلاً إلى السلام، فقد اختبأوا تحت الطاولات وفي الزوايا الآمنة.

في خُصم تلك الفوضى، تلقى تشيا تشانغ ضربة على رأسه من قِبَل كين زانغ، وكان باؤ-يُو يتحسس الأورام التي أصيب بها، عندما دخل لي كيواي برفقة عدد من الخدم وتمكنوا من وقف القتال. وعلى الفور، طلب باؤ-يُو من لي كيواي أن يجمع كتبه وأن يأتي له بجواده، قائلاً:

- «سوف أخبر تاي-يه بالذي حصل. لقد هوجمنا وأوذينا، ولا يزال دجوي تا-يه يقول بأن الذنب ذنبنا والمسؤولية مسؤوليتنا».

عند سماعه كلام باؤ-يُو، بدأ لي كيواي يتوسلّه كي لا يتسرّع، وقال:

- «علينا ألا نزعج تاي-يه أو ننسب له بأي مشاكل. أنّه لمن التهور أن نذهب إليه وهو مُنشغلاً إلى أقصى حدّ اليوم - علينا أن نسوّي الموضوع هنا في ما بيننا الآن».

ثمّ التفت إلى تشيا دجوي وقال:

- «إذا ما سامحتني على جسارتي يا سيّد دجوي تا-يه، فسوف أتجرأ للقول

بأنك أنت الملام الأول عمّا حصل. ألسـت المسؤـول عن المدرسـة في غياب تاي-يه؟ ألا يُفترض بك أن تكون هنا، وأن تضع حدّاً لأيّ تصرّف سيء قد يصدر عن أي واحد من هؤلاء التلاميذ فوراً وبصورة عادلة؟ كان عليك ألا تترك الأمور تصل إلى هذا الحدّ.

أجابه تشيا دجوي بنوعٍ من اليأس:

- «لقد بذلت ما بوسعي لكي أوقف ما حصل، لكنهم لم يصغوا لي ولم يُعبروا توسلي لهم أيّ اهتمام».

- «لو سمحت لي»، قال لي كيواي، وأضاف: «لا بدّ لي من القول بأنك المُخطئ ها هنا؛ فلو أنك تتسم بالعدل والإنصاف، لكنت قادراً على فرض هيبتك واحترامك؛ إنّي أحذرك من أن الأمر سيرتدّ عليك بقساوة لو وصلت تفاصيل ما حدث إلى تاي-يه. وأقولها بصراحة، من الأفضل لك الآن أن تُفكّر في الحلول المناسبة لتسوية المُشكلة».

وهنا تدخل باو-يُو وقال:

- «وأين هي المُشكلة التي يجب عليه تسويتها؟ لقد كان واضحاً جدّاً من هم المُبادرون بافتعال ما حصل، وعليّ أن أنقل كامل التفاصيل إلى تاي-يه».

أما تشين تشانغ فقد تكلم وهو يبكي:

- «لن أبقى هنا، إذا ما سُمح لـ كين زانغ بالبقاء في المدرسة».

- «لن يحصل شيئاً من هذا القبيل»، قال باو-يُو، وتابع موجّهاً السؤال إلى لي كيواي:

- «أخبرني، من هو كين زانغ هذا؟»

صمت لي كيواي قليلاً وهو متحيّر في الإجابة، ثم قال:

- «من الأفضل لك ألا تسأل. فقد يتسبّب ذلك بشعورٍ من الألم للأقرباء».

وفجأة، تدخل مينغ-ين يتكلّم من البهو:

- «إنّه ابن شقيق هوانغ تا ناي-ناي من السلالة الشرقية. كان من المُستحيل

عليه الوصول إلى هنا لو أن عمته لم—»

عند سماعه ذلك، هب لي كيتواي صارخاً في وجهه:

- «أصمت أيها الكلب!»

- «أتساءل أي نوع من الأقرباء هو»، قال باؤ-يؤ وقد ارتسمت على وجهه

ابتسامة صفراء، وأضاف: «سأذهب إليها وأكلّمها بنفسي. هينا يا مينغ-ين،

اجمع لي كُتبي واستعدّ».

شعر مينغ-ين بالبهجة عندما بدأ يجمع كتب باؤ-يؤ، فقال:

- «عليك أن تتجنّب تلك المُشكلة. إن إقدامك هذا سيكون بمثابة هفوة

من جانبك، إلا إذا ذهبت أنا إليها أولاً وأخبرتها بأن لاو تاي-تاي يُريد

مُكالمتك - وعندها فقط يُمكنك مُحادثتها وإخبارها بما فعله ابن شقيقها».

تقدّم منه لي كيتواي وهزّه بعنف، قائلاً له:

- «أتريد الموت؟ إذا لم تصمت على الفور، فلسوف أعتفك، ومن ثم سأخبر

لاؤ-يه بأنك كنت السبب الأول في ما حصل، والمُحرّك الأول للمُشكلة

هنا».

وبسبب خوف تشيا دجوي من وصول أخبار القتال إلى جدّه، راح يتوسّل كين

زانغ بضرورة تقديم الاعتذار إلى تشين تشانغ وباؤ-يؤ. فعل كين زانغ ذلك على

مضض، إلا أن باؤ-يؤ لم يكتفِ بذلك، وبقي مُصرّاً على مزيدٍ من التضرّع من قِبَل

كين زانغ. رفض كين زانغ ذلك في البداية، إلا أنه عاد وتنازل لشروط باؤ-يؤ،

وتمتّ تسوية القضية من دون المثل أمام المرئية العجوز.

غضبت كين-شيه زوجة تشيا هوانغ عندما سمعت بأخبار ما حدث. فقالت

تُخاطب والدة كين زانغ بغضب:

- «إن قرابة زانغ-يؤ لأسرة تشيا لا تفرق عن قرابة ذلك النذل تشين تشانغ.

ليس من حقهم مُعاملته بهذه الطريقة المُدّلة، لا سيما وأن الآخر قد ضبط

وهو في خُصم هذه الواقعة الدنيئة. سأقصد القصر الشرقي وأرى ما رأي

شقيقة تشين تشانغ بالموضوع!»

وبحلول الوقت، وصلت كين-شيه إلى نينغ كوفو وقابلت يو-شيه، لكنها لم تكن غاضبة ولا متأكدة من نيتها طرح الموضوع مع شقيقة تشين تشانغ - فحيت يو-شيه بنوع من المواساة المؤثرة، وبعد فترة من الحديث سألت بأسلوب عرَضِي:

- «كيف يحصل ولا يوجد دجانغ تا ناي-ناي هنا اليوم؟»

- «لم تكن على ما يُرام مؤخراً»، أجابت يو-شيه، وأضافت: «فقد انقطعت

عنها فترة حيضها منذ شهرين متواصلين، وجميع الأطباء قالوا بأن ذلك

ليس دليلاً على حدثٍ مُبارك (أي على حمل). لقد شعرت بالوهن منذ

بعد الظهر، وأحسّت بنوبات دوار متواصلة. فقلت لها ألا تُجهد نفسها

بالحضور صباحاً ومساءً أمام الأقارب، وأخبرتها بأنني سأعتذر عنها للزوار.

كما أنني أمرتُ دجانغ-يُو بعدم إزعاجها بأيّ طريقة. وقلتُ له 'إنك لن

تجد زوجة مثلها على الإطلاق، ولذلك عليك الانتباه لها ورعايتها. دعها

ترتاح الفترة التي تُريدها، وسوف تتحسن بلا شك'. والآن وكما ترى، فأنا

مُشغلة بوضعها كثيراً... وقد كان شقيقها يُحاول إزعاجها بشكاواه التافهة!

فأخبرها بأنه قد تعرّض للتهجّم من قبل أحد الصبيان - ليس من عائلتنا

بل من الأقارب - وقد حصل شجار بسبب ذلك. كما أنه ذكر العديد من

القطارات التي كان يشتم بها التلاميذ بعضهم البعض. إنك تعلمين يا ساو-

ساو طبيعتها - قد لا تُظهر لك أيّ شيء، لكنها حساسة بشكل مُخيف

وتؤثّر فيها أدنى الأشياء لأيام. ولعلّ هذا ما يُخيف في حالتها أكثر من أي

شيء آخر. ومن هنا، كان بإمكانك تصوّر مدى انفعالها وارتباكها بسبب ما

قاله شقيقها. حتّى أنها لم تتذوق طعام الفطور؛ فيا ليتني أعرف ما الذي

يُمكنني القيام به من أجلها! فهل تعرفين أيّ طبيب جيّد من أجلها؟»

- «لا، لا أعرف أحداً!»

ردّت زوجة تشيا هوانغ بهذا من قبل أن تُكمل يو-شيه كلامها، كما أنّها

أصبحت على يقين من أنّ الوقت غير مؤات من أجل الحديث معها بسبب مجيئها،

ثمّ أضافت:

- «أستنتج من كلِّ ما أخبرتني به، بأن ذلك إن دلَّ على شيء فإنه يدل على بوادر الحمل. وفي هذه الحال، أرى أن اللجوء إلى الطبابة غير المُتخصصة سيزيد الأمور سوءاً».

رذت يو-شيه على الفور:

- «هذا ما كنتُ أفكر فيه أنا أيضاً».

في تلك الأثناء، وصل تشيا دجين، وحينما رأى كين-شيه، أذى التحية بأدب وتابع سيره إلى داخل الغرفة التالية. وبعد انصراف كين-شيه، عاد يسأل عما كانت تنوي قوله.

- «لم تقل شيئاً»، رذت يو-شيه، وأضافت: «لاحظتُ أنها كانت غاضبة جداً في بداية وصولها، لكنّها هدأت عندما علمت بحالة كنتنا. وبخصوص كنتنا، عليك أن تذهب وتأتي بطبيب جيد لها. إن جميع الذين حضروا لمُعابيتها لم يكونوا ذات فائدة تُذكر - إن كل ما قدروا عليه كان الاستماع إلى الأعراض التي نُخبرهم بها، ومن ثمّ تكرارها في تشخيصاتهم الطبيّة».

- «لقد كنتُ على وشك إخبارك»، قال تشيا دجين، وتابع: «لقد حضر صباح اليوم فينغ تزو-يينغ لرؤيتي، وعندما أحسّ بأنني قلق، سألتني عن سبب ذلك. فأخبرته عن حالة كنتنا وكيف عجز الأطباء عن تشخيص حالتها. فاقترح عليّ مراجعة تشانغ يو-شيه، وقال بأنّه رجل علم وعلى درجة عالية من الكفاءة والخبرة في تشخيص الأمراض بالرغم من أنّه لا يُمارس المهنة بشكل رسمي؛ ولذلك، كتبت له أستدعيه، وأعتقد بأنّه لن يتردّد في تلبية الدّعوة كردّ جميل بالنسبة لـ فينغ تزو-يينغ».

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تشانغ يو-شيه في اليوم التالي؛ فرافقه تشيا دجانغ إلى غرفة تشين-شيه. وعندما حاول هذا الأخير شرح الأعراض التي تُعاني منها زوجته، قال له الطبيب:

- «أريد أن أتفحص نبضها ودقات قلبها أولاً، وأكتشف سبب مرضها بنفسي. ومن بعدها يُمكننا مقارنة ما لديك بما اكتشفته، ومن ثمّ يُمكنني وصف

العلاج المناسب».

بدأ الطبيب بتفحص يد تشين-شيه اليمنى، ثم اليسرى، لفترة وصلت حدود الربع ساعة لكل يد. وبعدها، رافق تشيا دجانغ إلى الغرفة الخارجية. وبعد أن جلسا وقَدَم الشاي، سأله تشيا دجانغ:

- «كيف وجدت نبض المريضة؟»

- «إليك ما اكتشفته»، قال الطبيب، وتابع: «نبض يدها اليسرى عميق وقابل للإثارة عند الضغط عليها بإصبع السبابة؛ لكنّه عميق وخافت عند الضغط بالإصبع الثاني. أما النبض في اليد اليمنى، فهو غامض وتنقصه الحيوية عند الضغط بالإصبع الأول: فالتعيين الأول يُشير إلى حالة حمى تنشأ بسبب ضعف في نشاط القلب؛ أما الثاني، فيدلّ على كسل في عمل الكبد. ثمّ أنّ الغموض وفقدان الحيوية في النبض الذي أحسّه إصبع السبابة في اليد اليمنى يُظهر نوع من الارتباك في نشاط الرئة، بينما الغموض الذي أظهره نبض الإصبع الثاني، فينبّه عن وجود عنصر خشبيّ في الكبد، ما يجعلها قوية جداً بالنسبة إلى المادة الرملية القابضة في الطحال. ومن عوارض المشكلة الأولى ألم في الضلوع، وحيضٌ متأخّر، وشعور بحرقٍ من حول القلب. أما عوارض مزاجية عمل الرئة، فتُشير عموماً إلى دوّار وتعرق في ساعات الصباح الأولى وأثناء النوم. وأما انتشار المادة الخشبية في الكبد من فوق المادة الرملية في الطحال، فيؤدّي إلى فقدان الشهية، وانحطاط في قوّة الجسم وتقرّح في الأعضاء - وإذا ما كنتُ دقيقاً في قراءة النبض، فإنّ هذه العوارض لا بدّ وأن تكون موجودة فعلاً. وإذا كان البعض قد قال بأنّ هذا النوع من العوارض يُشير إلى الحمل، فأنا لا أوافق على هذا النوع من التشخيص بأيّ حالٍ من الأحوال».

عند ذلك، قالت إحدى الخادמות المناوبة مع تشين-شيه:

- «الطبيب على حق في كل كلمة قالها. فلم يتمكّن أيّ من الأطباء الذين أتوا من تشخيص حالة المريضة بطريقة دقيقة. فقال البعض بمباركة السيدة،

وبعضهم رأى خلاف ذلك. والعديد منهم رأى أن لا عوارض لهذا المرض، والبعض الآخر رأى بوجود خطر حقيقي مع اقتراب الانقلاب الشتوي».

- «لا أريد أن أقلل من خبرة ومعرفة الأطباء الآخرين»، قال تشانغ يو-شيه وهو يتفحص الوصفات القديمة، وأضاف: «لكن لا أخفي القول بأن المريضة قد عانت كثيراً من إهمالهم لها. إلا لا يزال هناك أمل؛ فبعد التزامها بالدواء الذي سأصفه لها، فسيكون هناك المزيد من الأمل في حال استطاعت المريضة النوم. وبدءاً من الحكم على أساس النبض، فإن المريضة تبدو متباهية ومُتَجَبِّرة على الألم، وحساسة إلى أبعد الحدود. وبسبب هذه الصفات، نراها متأذية ومنفعلة من أدنى الأشياء وأنفهاها. ولذلك أقول بتأثر طحالها، مما يتسبب بتضخم كبدها، إلى ما هنالك من العوارض الأخرى. فلو أنه تم تناول الدواء الخاص بتغذية القلب والحفاظ على توازن أمزجة الرئة، لما وصلت الأمور إلى هذه المرحلة - والتي تعني فعلياً حالة نقص في المياه والسوائل في الجسد، بالإضافة إلى الفائض في الاحترار».

وما إن أنهى كلامه، حتى كتب وصفته الطبية وناولها إلى تشيا دجانغ.

وعندما استفسر تشيا دجانغ الطبيب عن مدى إمكانية شفاء زوجته، أجابه:

- «أرى أنك شخص حساس جداً، ولكن لا بدّ من أن تعلم، أنه عند هذا المستوى من المرض، سيكون من المُستحيل تحديد فترة الشفاء المُمكنة. على الدواء أداء دوره، لكنّ الجزء الأكبر من الشفاء، يعتمد على مشيئة الله. وبرأيي، فإنه ليس هناك خوف من أيّ خطر في الشتاء الحالي. لكنّ الأزمة الحقيقية ستكون في الربيع، وإذا ما استطاعت عبور هذا الربيع، فإنها ستكون من بعده على ما يُرام».

بعد انصراف الطبيب، عرض تشيا دجانغ الوصفة الطبية على تشيا دجين وأخبره هو ويو-شيه بما قاله بالإضافة إلى كامل التنبيهات والتعليمات. بعدما سمعت تلك التفاصيل، قالت يو-شيه:

- «لم يسبق أن شخصّ حالتها بهذه الطريقة أي واحد من الأطباء الذين عاينوها».

- «إنه طبيب غير عادي»، قال تشيا دجين، وأضاف: «لنأمل أن يكون شفاء كُتِّنا على يديه».

ثُمَّ التفت إلى تشيا دجانغ، وقال:

- «أرى أن الجينسغ قد وُصف لها. يُمكنك أن تزن الكمية المطلوبة من المؤنة الجديدة التي أبتعناها بالأمس. إنها من أفضل ما يُمكن أن توفّره مخازن الأدوية في هذه الناحية».

بعد انتهائه من الكلام، ناول الوصفة إلى ولده، الذي ناولها بدوره إلى أحد الخدم من أجل تأمينها في الحال.

الفصل التاسع

وفيه تُبرهن فينيكس على أنها استراتيجية مُحنكة
ويُظهر تشيا دُجوي نفسه في قمة السّذاجة

يقع عيد ميلاد تشيا دجينغ في الأيام القليلة المُقبله. عندما ذهب تشيا دجين لرؤيته في ملاذه في المعبد الطاوي، وسأله ما إذا كان يُريد المجيء إلى البيت لبضعة أيام، والاحتفال مع العائلة، فرفض قائلًا لا يرغب في التورط من جديد في أفخاخ أرض التربة الحمراء - أو أرض البشر الزائلة. لكن الشيء الوحيد الذي أراده من تشيا دجين، أن يطبع ويُوزع له عشرة آلاف نسخة مشروحة من النشرة الطاوية 'مكافآت وعقابات'.

في اليوم المُقرّر للاحتفال، أُقيمت المآدب والمسرحيات في نينغ كوفو للأقارب والأصدقاء. وباستثناء الأم الحاكمة التي كانت قد أُصيبت بوعكة صحيّة، فقد كان جميع من في نينغ كوفو هناك، بالإضافة طبعاً إلى فينيكس وباؤ-يؤ. كان الجميع يسأل عن تشين-شيه، وذهبت فينيكس وباؤ-يؤ لرؤيتها - بينما اتّجه البقية إلى الحديقة لمشاهدة العمل المسرحي.

عندما دخلا الغرفة، حاولت تشين-شيه جهودها من أجل النهوض، لكن فينيكس أسرع باتّجاهها، وقالت لها:

- «لا تُحاولي النهوض، فقد يتسبّب لك ذلك بالإغماء».

ثمّ تناولت يدها، وأضافت:

- «كم أصبحت نحيلة في الأيام القليلة الماضية!»
جلست فينيكس على السرير بجوار تشين-شيه، بينما جلس باؤ-يؤ على الكرسي المقابل.

قالت تشين-شيه وقد ارتسمت على شفتها ابتسامة نادرة:
- «أعتقد بأنني لم أشعر بهذه السعادة كما أشعر بها هنا. إن عمّتي وعمّي يُعاملانني كما لو أنني ابنتهما الحقيقية، بالإضافة إلى أنني لم أسمع من ابن شقيقك أيّ كلمة تجرحني أو تزعجني. كل واحد هنا لطيف وطيب القلب في معاملتي، وأنتما أولهم. أحتاج إلى الكثير من الوقت لكي أعوض للجميع لطفهم وعاطفتهم تجاهي، لكنّ الوقت المُتبقّي لي لا يكفي لكلّ ذلك؛ فأنا أخشى من أنني لن أعيش لأشهد وصول العام الجديد».

في هذه الأثناء، كان باؤ-يؤ يتأمل اللوحة الزيتية للرسام تانغ بين، ويتذكّر الوقت الذي أخذ فيه قيلولته في هذه الغرفة والحلم المُدهش الذي رآه. أمّا الآن وقد سمع ما قالته تشين-شيه، فقد أحسّ بقلبه وكأنّه قد خرقتة آلاف السهام، وبدأت دموعه بالسقوط. أمّا فينيكس بدورها، فقد كانت على شفير الانفجار بالبكاء، ولكنها، وبعد تنبّها بأنها قد أتت للترريح عن تشين-شيه وليس لزيادة مأساتها، فقد لجمت دموعها وقالت تُخاطب باؤ-يؤ بكلّ ما تستطيعه من ظرافة وخفّة:

- «باؤ-يؤ، إنك تتصرّف كامرأة عجوز. إن مرضها لا يُساوي المرض الذي سيُصيبنا صدّقني. إنها لا تزال يافعة وستحسّن قريباً جداً».
ثمّ التفتت إلى تشين-شيه وقالت:

- «عليك أن تتخلّي عن هذه الأفكار الغبية، إن مُجرّد تفكيرك على هذا النحو، سيزيد الأمور تعقيداً ويؤخّر في شفائك».

وما إن انتهت من كلامها هذا، حتى راحت تُحاول إقناع باؤ-يؤ بالعودة إلى الحفلة، بينما بقيت هي إلى جوار تشين-شيه وتابعت تشجيعها على التفاؤل. لكنّها لم تُفارقها إلى أن تلقّت من يوّ-شيه دعوتها الثالثة لها بضرورة العودة إلى الحفلة. وفي طريق عودتها، راحت فينيكس تتريّث هنا وهناك من أجل التمتع بمناظر

الخريف. وفجأة، برز أمامها رجل من خلف التلة الاصطناعية مُلقياً التحية عليها.
تفاجأت فينيكس بذلك لكنّها تمالكت نفسها على الفور، وقالت:

- «ألسْتِ أنتِ دَجُوي تا-يه؟»

لا تقولي بأنك لا تعرفيني يا ساو-ساو؟»، قال تشيا دجوي مُستغرباً.

رذت فينيكس على الفور:

- «طبعاً أعرفك، لكنك ظهرت أمامي على نحوٍ مُفاجئ، وأنا لم أتوقع رؤيتك
هنا».

- «إنه القدر يا عزيزتي»، قال تشيا دجوي ذلك وهو يُحدّق بها بنظرات غريبة،
وتابع يقول: «لقد عملتُ على التسلسل من الوليمة من أجل النزهة، وها أنتِ
ها هنا أيضاً، فماذا يُمكن تسمية ذلك إن لم يكن القدر!»

فهمت فينيكس مقصد تشيا من كلامه المُبطن. ففكرت ثمّ قالت له وهي تبتسم:

- «إنك لطيف جداً. ليس غريباً إذن أن يتناولك شقيقك بتلك الأشياء الجميلة.
من السهل اكتشاف كم أنت حاذق وذكي. على كل، لا يُمكنني مُحادثتك
الآن، لأنني سأعود إلى الوليمة، ولكنني أتمنى رؤيتك في وقت آخر».

- «لقد رغبت دائماً في المجيء لرؤية ساو-ساو»، قال تشيا دجوي، وتابع:
«لكن ساو-ساو لا تزال فتية جداً، وقد يكون من غير الجائز لي زيارتها».

- «ما هذا الكلام التافه»، قالت فينيكس، وأضافت: «ألسنا جميعاً من اللحم
والدم نفسه؟»

شعر تشيا دجوي بالسعادة عند سماع هذا النوع من التشجيع. وقال في نفسه
وهو يرمي فينيكس بنظراتٍ مشبوهة 'يا لهذا الحظ السعيد!'

وعند هذا الحد، قالت له فينيكس كما لو أنّها تهتم به:

- «لا تدعهم يكتشفون غيابك عن الوليمة، فمن الأفضل لك العودة بسرعة
إلى هناك».

وافق تشيا دجوي على طلبها، لكنّه كان يلتفت إليها مع كل خطوة يخطوها -

وكانت هي بدورها تبطيء من خُطأها كما لو أنّها مُنزعة لرفاقه. قالت في نفسها وهي عائدة: 'لا يُمكن لأحد أن يتوقّع من هؤلاء الرجال ما ينوونه في الخطوة التالية. يجب أن ألقته الدرس المُناسب من أجل أن لا يعثب معي، هذا الحقير!'

استمرت فينيكس تُكرّر زياراتها إلى نينغ كُوفُو لشهرٍ أو شهرين. أمّا المريضة، فلم تشف، لكنّها في الوقت نفسه لم تزداد سوءاً. وفي اليوم الثاني من فترة القمر الإثنا عشرية، حينما جاءت فينيكس لرؤيتها بناء على دعوة الأمّ الحاكمة، فقد كانت تشين-شيه أكثر نحافة وبدت وجلة وقانطة. ثمّ قالت بنوع من الاستسلام:

- «إنّها مسألة وقت فقط، وستظهر النتيجة مع مرور الربيع».

عندما أصبحت فينيكس لوحدها مع يو-شيه، سألتها الأخيرة:

- «سأسألك وأجيبني بصراحة، كم هي نسبة حظوظ المريضة بالشفاء؟»

أطرقت فينيكس رأسها لفترة وقالت بعد صمت:

- «يبدو أنّ هناك أملاً ضئيلاً. فلو كنت مكانك لأعددت لها مُستلزمات الحياة الأخرى، فقد يؤدي ذلك إلى تحنّن الأرواح الشريرة عليها».

- «لقد فكّرت في ذلك أيضاً، وبدأت التحضير لذلك بالخفاء».

لم تُخبر فينيكس الأمّ الحاكمة بحقيقة حالة تشين-شيه، لأنها لم تكن ترغب بتوتيرها. إلا أنّ الأمّ الحاكمة استطاعت اكتشاف الأمر من تصرّفات فينيكس وارتباكها.

عند عودتها إلى غرفتها، سألت فينيكس الخادمة باشينس بما حصل أثناء غيابها، فأجابتها:

- «لم يحصل شيء الكثير - جاءت لاي وانغ ساو-ساو بالفائدة التي رست معها أخيراً على ثلاثمئة أونصة. بعدها أرسل دجوي تاي-يه شخصاً ليرى ما إذا كان ناي-ناي في البيت، وإذا كان بمقدوره الزيارة. لا أدري بالضبط ما الذي يُريده، لكنّه لا يزال يتردّد إلى هنا يومياً منذ الشهر الفائت».

وعندما أخبرتها فينيكس عن مواجهتها له، قالت باشينس:

- «إنَّ حالته هذه أشبه بحالة عُلجوم الضفدع المُتلَهف لتذوق قطعة من لحم البجع. أرى بأنَّه سيُعاني الكثير من أجل ذلك».
- «لا تقلقي من هذه الناحية»، قالت فينيكس بشيء من الحزن، وتابعت: «فأنا سأهتم بالأمر».
- في هذه الأثناء، وصل تشييا دجوي، فدخل وحيًا فينيكس بابتسامة عريضة، وقد حاولت فينيكس جهودها لإخفاء استيائها منه.
- سألها تشييا دجوي:
- «لما لا أرى يز-كو في البيت حتَّى الآن؟»
- ردَّت عليه فينيكس باشمزاز:
- «لستُ أدري».
- قال مُبتسماً:
- «لعلَّه غارق مع أحد من الذين لا يستطيع التخلُّص منهم؟»
- «هذا يجوز»، قالت فينيكس، وأضافت: «فالرجال كلُّهم هكذا، تراهم مأخوذين ومسحورين بأول وجه جميل يُقابلونه».
- «ساو-ساو على خطأ»، قال تشييا دجوي وهو يبتسم، وتابع: «ليس كل الرجال، فأنا مثلاً لست من هذا النوع».
- وهنا، صمتت فينيكس لبرهة ثمَّ قالت:
- «ولكن للأسف، ليس هُنَاك الكثير منك. فلن يجد الواحد مثلك من بين الآلاف».
- عند سماعه ذلك، وقف تشييا دجوي صامتاً يحك أذنيه، ثمَّ خدَّيه بنوع من الدهول. وبعد فترة ليست بقصيرة، عاد إلى جرأته وقال:
- «هل تشعر ساو-ساو بالوحدة والضجر أحياناً؟»
- «نعم، وكنت منذ لحظات أتمنَّى مجيء أحد يُسلِّيني ويملأ عليّ فراغي».
- «ليس لديّ ما أفعله يا ساو-ساو. فهل ترغبين بمجيئي لتسليتك؟»

- «إنك تُحاول التملق فقط، فانا أعلم بأنك لا تُريد المجيء فعلاً لتمضية بعض الوقت معي».
- «لتحرقني الصاعقة إن كنت أتملق أو أعمل على تخيب ظنّ ياو-ساو بي. فانا لم أت سابقاً لأنني سمعتُ بأن ساو-ساو باردة ومُتحفظة كثيراً. ولكنني لو كنتُ أعلم بأنك على هذه الدرجة من الخفة واللطافة، لأتيت منذ زمن بعيد، حتى ولو تسبب ذلك بموتي».
- «إنك حقاً لذكى وسريع البديهة»، قالت فينيكس تزيد من تشجيعه، واستمرت تقول: «لست مثل دجانغ-يز وتشيانغ-يز. فهما حقاً من أشدّ الأغبياء، مع أنّهما يبدوان على درجة من الأناقة والفهم».
- في هذا الأثناء، اقترب تشيا دجوي أكثر من فينيكس، وأبدى اهتماماً بالغاً بخواتمها. فقالت له تُحذره:
- «انتبه يا تشيا دجوي، لا تدع الخادمة ترانا».
- وعلى الفور، انسحب من مكانه على عجل. فقالت له فينيكس بصوتٍ مُنخفض وكأنّها تعمّدت ذلك للضرورة:
- «حان وقت مُغادرتك الآن».
- «كم أنت قاسية يا ساو-ساو»، قال تشيا دجوي عاتباً، وأضاف: «دعيني أبقى قليلاً بعد».
- «لكن هذا ليس بالوقت ولا بالمكان المُناسبين لنا نحن الإثنين. إذهب الآن، وعد الليلة في بداية جولات الحارس الليلي، وانتظرنى عند الممرّ الغربي».
- كم كانت بهجة تشيا دجوي عظيمة وهو يسمع منها ذلك، لكنّه سُرعان ما عبرت رأسه إحدى الأفكار، فقال:
- «لعلّ ساو-ساو تختبرني بهذا الكلام. إذ ليس الممرّ الغربي بالمكان المُناسب للقاء،؛ فالناس دائمي العبور عليه ذهاباً وإياباً».
- «ولكنني سأعمل على صرف زوّار الليل»، ردّت عله فينيكس تؤكّد على

اللقاء، وراحت تُطمأنه قائلة: «سيكون مكاناً مأموناً ولطيفاً - حيث تكون كل الأبواب مُغلقة على الجانبين».

عند هبوط الليل، شقّ تشيا دجوي طريقه إلى المكان المُتفق عليه، وكان المدخل الذي يؤدي إلى بهو الأمّ الحاكمة لا يزال مُقفلاً. ولم يكن هناك من أحد في الممرّ. فكان كُلمًا طال انتظاره، ازداد قلقه؛ وفجأة ظهرت إحدى الخادومات في البهو، فأغلقت المدخل الشرقي، دون أن تترك له أي مخرج يُمكن أن يتّخذ عند حصول أيّ طارئ. وكانت الجدران عالية جداً في حال فكّر في تسلّقه.

كانت الليلة، هي الليلة القمرية الثانية عشرة، وقد هبت ريح قارسة عبر الممرّ. بدأ تشيا دجوي يشعر بالبرد والرجفة في جسمه في هذه الليلة الشتوية الطويلة، حتى درجة التجمّد. وأخيراً أقبل الفجر، وفتحت الخدمة البوابة الشرقية. لكنّه سرعان ما انسَلَّ بعيداً بينما كانت هي تطرق على الباب الآخر.

مات والدا تشيا دجوي وهو لا يزال طفلاً. وقد تكفله جدّه، تشيا تاي-دجُو، من حيث الرعاية والتربية. كان جدّه صارمٌ معه لدرجة أنّه كان يحسب حساب كل ساعة من خشيتّه - بحيث أنّه لم يكن يتجرأ على التسكّع في بيوت اللهو وغيرها من الأماكن القذرة. أصيب الجدّ تلك الليلة بالهلع بسبب غياب تشيا دجوي عن البيت، كما أنّه لم يصدّق روايته بأنّه كان طوال الليل مع عمّته. فقال له موبخاً:

- «لقد حدّرتك مرات عديدة بأنّه من غير المسموح لك التغيّب عن البيت دون إذن مُباشر مني. ولا بدّ من أن تنال العقاب الذي تستحقّه بسبب عدم طاعتك للأوامر، ومن أجل عدم تكرار كذبك عليّ كما فعلت للتوّ».

وهكذا، تعرّض تشيا دجوي للتعنيف من قبل جدّه، الذي عاقبه أيضاً بالركوع في زاوية البهو كلّ النهار، وبمراجعة دروسه بأكملها. بالإضافة إلى حرمانه من الطعام طول اليوم.

قد يعتقد أحداً بأنّ هذا النوع من العقاب ربّما يكفي كوسيلة للردع، إلا أنّ الشخص الواقع في الحبّ يكون عادة أعمى البصيرة، وهذا ما حصل مع تشيا دجوي الذي خرج لرؤية فينيكس في أوّل فرصة وفرتها له الظروف. كما أنّه تقبل اللوم حينما

أخبرته فينيكس بأنه قد أساء فهم ما كانت تقصده عن مكان اللقاء. فقالت له:

- «تعال من جديد الليلة، وانتظرنني في الغرفة الشاغرة الواقعة إلى الشمال الغربي للممر؛ فقد يكون هذا المكان أنسب من الممر نفسه، ولكن تنبه إلى عدم وقوعك في الخطأ من جديد».

ردّ عليها تشيا دجوي بلهفة قائلاً:

- «لن يحصل الخطأ، ولكن تأكدي من مجيئك إلى هناك أنت أيضاً».

قالت له فينيكس بنوعٍ من اللامبالاة، وكأنّ كلامه هذا قد جرحها:

- «لا تأتِ إذا كنت تشكّ في قلبي».

- «لا، ساتي»، قال تشيا دجوي على الفور، وأضاف: «ساتي ولو كان ذلك سيتسبب بموتي».

انصرف تشيا دجوي وراح ينتظر هبوط الليل بفارغ الصبر. بينما راحت فينيكس تعمل على إعداد شرك جديد له. في هذه الأثناء، كان تشيا دجوي متوتراً - وهو يقيس أرض غرفته طولاً وعرضاً كالنملة التي تسير على موقدة ساخنة بانتظار الموعد. وراح يتساءل بينه وبين نفسه: "هل هي تنوي أن تجعل مني مُغفلاً مرّة ثانية يا تُرى؟" ثمّ هيمن عليه الصمت، فجلس ساكناً وكأنّه يرتاح من بعد نشاط أرهقه. وفجأة، ظهر أحد الأشخاص في باب غرفته. كان الظلام حالكاً لتمييزه، إلاّ أنّه هبّ باتجاه الباب وراح يُعانق هذا الشخص كالأسد الجائع الذي هبّ لافتراس الطريدة. ثمّ قال بلهفة:

- «عزيزتي ساو-ساو. كان وقت انتظاري وصول الموعد أشبه بمرور السنوات. لقد كنت مُشتاقاً حتى الموت للقيامك».

ثمّ ما لبث أن حمل هذا الشخص الذي لم يتأكد من هويته بعد، إلى الكانغ على جانب من جوانب الغرفة، وانهال عليه بالقبلات الحارة. وفجأة برق فانوس في الباب وأضاء الغرفة، وهتف رجل الفانوس يسأل:

- «مَنْ هُنَاكَ؟»

أما الشخص الذي كان يحتضنه تشيا دجوي، فقد نطق للمرة الأولى:

- «إنّ تشييا دجوي يُحاول أن يُمارس الحبّ معي».

وفي الضوء، استطاع تشييا دجوي التعرّف إلى تشييا دجانغ. وعلى الفور هرع إلى الباب، لكنّه كان مسدوداً بالشخص الذي يحمل الفانوس - إنّه تشييا تشيانغ، الذي أمسك به وقال:

- «لا يُمكنك الذهاب. لقد أخبرت لين يز-شين⁽¹⁾ تاي-تاي-تاي عمّا أنت فاعله.

وبما أنّ تاي-تاي غاضبة جداً، فقد أمرتني بالقبض عليك وجرّك إليها».

- «أرجوك غطّي عليّ وسامحني هذه المرّة، يا نسيبي العزيز»، قال تشييا دجوي متوسلاً، وتابع: «أخبر تاي-تاي بأنك لم تجدني هنا، وسأدفع لك مبلغاً معتبراً في الغد».

- «أعتقد بأنني سأفعل ذلك»، قال تشييا تشيانغ متراجعاً، وأضاف متابعاً: «ولكن كم ستدفع؟ لا بدّ من أن أحصل على وعدك بذلك خطياً».

وهكذا تمّ الاتفاق على المبلغ النهائي - المُقدّر بخمسين أونصة من الفضة، وعلى الفور سحب تشييا دجوي من جيبه ورقتين نقديتين على شكل ديون القمار وسلّمهما إلى مُهدّديه.

- «والآن يُمكنك الذهاب»، قال تشييا تشيانغ له، وتابع: «ولكن توقّف دعني أرى أيّ الطرق هي الأكثر أماناً لك. فغلا يُمكنك البقاء هنا، لأنني علمتُ بقدوم شخصٍ إلى هنا قريباً. تعال معي».

أطفاً تشييا تشيانغ الفانوس، وسار برفقة تشييا دجوي إلى أسفل الدّرج، وتركه واقفاً في ظلّه، وراح يستطلع الطريق. أذعن تشييا دجوي للأمر، ووقف ينتظر وقد لسعه الهواء البارد وبدأ يرتجف وهو حائرٌ وقلقٌ ممّا يُمكن أن يحصل في الدقائق القادمة. وفجأة سمع هرولة، ثمّ رشّة قوية من الماء من فوقه. وقبل أن يتأكد من الأمر، شعر بنفسه مُبللاً بخليط من رائحة القذارة الكريهة. وما لبث أن رأى تشييا تشيانغ يجري باتجاهه وهو يقول لاهثاً:

(1) «شين» تعني «زوجة العم الأصغر من والد الفرد».

- «هيا معي. إن الباب الخلفي لا يزال مفتوحاً».

وعلى الفور سار تشيا دجوي من خلفه واختفيا في الظلام.

عندما كان تشيا دجوي يُفكر في خيانة فينيكس له، كان يُصمّم على ألا يُكلّمها أو يهتم بها من جديد، ولكنه بعد أن يرى خيالها الذي يترأى له في كل مكان، أجمل من ذي قبل، فيشتاق إليها بالرغم من إدراكه بأنّها لم تكن مهتمة به يوماً من الأيام. وراح يُقنع نفسه بأنّه سيموت مسروراً لو استطاع ضمّها بين ذراعيه مرّة واحدة ولو للحظة. لكنّه كان يتمنى ذلك، مع أنّه لم يكن مُتيقناً من إمكانية إظهار نفسه في يُونغ كُوْفُو من جديد.

لم يكن كل ما حصل معه إلاّ دليل على بداية مشاكله الحقيقية؛ فقد تعرّض للضغط من قِبَل تشيا دجانغ وتشيا تشيانغ للحصول على المال. كما أنّ جدّه قد فرض عليه المزيد من المهمّات القاسية كعقاب له على اعماله الطائشة. وقد أصبحت رغباته كلّها مُعلّقة بصورة فينيكس التي لا تُفارق مُخيّلتّه، فسلمّ أمره للنوم، ولكن بقلق لا يوصف.

بدأت تأثيرات المشاكل التي تعرّض لها تشيا دجانغ الليلتين الماضيتين تفعّل فعلها فيه - وبالرغم من مُختلف أنواع العلاجات مثل: القرقة، حبوب البيش، صدف السلاحف، وغيرها، والتي تناول منها عشرات الأونصات، فلم يطرأ أي نوع من التحسّن على حالته. ثمّ وصف له الأطباء لاحقاً تناول أفضل أنواع الجينسنغ فقط، وهو شيء لم يكن بمقدور تاي-دجو تحمّل شرائه. وقد تمّ في هذا الإطار مُناشدة مدام وانغ للمُساعدة في ذلك، ولكن لما كانت فينيكس تعمل لصالح مدام وانغ، فقد تمّ تأمين الكمية المطلوبة من الجينسنغ- ولكن من النوعية الهزيلة والخفيفة من حيث الجودة. وفي أحد الأيام وصل كاهن طاوي أعرج يطلب الصدقات، وادّعى بأنّه مُتخصّص في شفاء الأمراض الروحانية. ولما سمع تشيا دجانغ به، راح يتوسل عائلته من أجل استدعاء هذا الطاوي لرؤيته.

عندما وصل الكاهن الطاوي ونظر إليه، قال:

- «إنّ ما تُعاني منه لا يُمكن معالجته أو الشفاء منه بالعقاقير. ولكن لديّ ها

هنا مرآة قد تُشفيك لو أتبتت تعليماتي».

ثمَّ سحب من كمّه مرآة مطلية من الجانبين، وقال يُخاطب تَشِيياً دَجْوِي:

- «إنّها مرآة النسيم وضوء القمر النفيسة. هذه المرآة التي صنّعت على يد إلهة التحرّر من الوهم، قد صمّمت للشفاء من الأمراض الناتجة عن الأفكار الملوّثة والعادات التي تُدمر الذات. وهي بالتالي مُخصّصة للشباب اليافعين والمراهقين مثلك. ولكن عليك ألاّ تنظر في الجهة الصحيحة منها - أنظر في الجانب المعاكس فقط. سأتركها معك الآن وسأعود من أجلها في غضون ثلاثة أيام لأهنتك على شفائك».

ثمَّ انطلق مُغادراً المكان رافضاً الحصول على أيّ مبلغ من المال.

تناول تَشِيياً دَجْوِي المرآة وراح ينظر في الجانب المُعاكس وفقاً لتوجيهات الطاوي. وما لبث أن رمى بها مُرتعباً: فقد رأى هيكلًا عظيمًا مُخيفًا يُحدّق فيه من خلال عينيه المجوّفتين. وبدأ يشتم ويلعن الطاوي الذي يلعب عليه هذا النوع من الدّعابات الفظّة. ثمَّ فكّر في رؤية ما الذي يُمكن أن تُظهره الجهة الصحيحة. حينما فعل ذلك، رأى فينيكس جالسةً هنك وهي تومئ له. وسرعان ما شعر بنفسه غارقاً في عالم المرآة، حيث أصبح بمقدوره إشباع غرائزه ورغباته. وما لبث أن صحى من نشوته فوجد المرآة مُلقاة على الجانب المُعاكس، وهي تُبرز الهيكل المُرعّب من جديد. شعر بنفسه مُرهق ممّا أظهره الجانب المُشوّه من المرآة، لكنّه أحسّ بالسعادة واللذة حينما شعر بعدم إمكانية مُقاومته إغراءات النظر من جديد إلى الجانب السليم منها. ثمَّ نظر من جديد، فوجد فينيكس تومئ له كما فعلت في المرّة الأولى، وسرعان ما خضع لهذا الإغواء. كزّر النظر في الجهة الصحيحة ثلاث أو أربع مرّات مُتتالية. وبينما كان يهيم بترك المرآة والانصراف عنها في آخر مرّة، وجد نفسه مُحاطاً برجلين ومُكبلاً بسلاسل معدنية.

- «إمنحني لحظة أيّها الضابط»، قال تَشِيياً دَجْوِي وأضاف متوسلاً: «دعني أخذ

مرآتي معي».

وهذه كانت كلماته الأخيرة.

الفصل العاشر

وفيه تعود بلاك دجايد إلى يونغ كوفو
لمتابعة مرض والدها
وتذهب فينيكس إلى نينغ كوفو لتُشرف على جنازة
تشين-شيه

في الأيام الأخيرة من العام، وصلت رسالة من لين دجو-هاي في يانغ شاو، يقول فيها بأنه مريض جداً ويرغب برؤية ابنته على عجل. وعلى الفور، بدأت الأم الحاكمة بإعداد كل ما يمكن أن تحتاجه بلاك دجايد في رحلتها. كان باو-يؤ يُمانع سفرها بداية، ولكن لم يكن بمقدوره فعل شيء - من حيث أن واجبها يُحتم عليها البقاء بالقرب من والدها المريض. وهكذا، وبعد مرور العام الجديد بأيام، انطلقت بلاك دجايد إلى يانغ شاو يصطحبها تشيا لين، لإصرار الأم الحاكمة على ذلك.

وفي إحدى الليالي، كانت فينيكس مُستلقية على سريرها وصاحبة لفترة طويلة بعدما غرقت باشينس في نوم عميق. كانت جالسة تُفكر في تشيا لين وتعدّ الأيام التي ستعيده إليها بفارغ الصبر. ولم يدب فيها النعاس إلا في وقت متأخر تجاوز مُنتصف الليل. وفجأة، ومن خلال عينيها الغافيتين، رأت تشين-شيه تقف أمامها-كالخيال.

قالت لها وهي تبسم:

- «يا له من وقتٍ للنوم! أنا راحلة عن هذه الدنيا وأنت لم تهضي حتى لتودعيني. لكنني لا يمكنني الرحيل دون أن أقول لك وداعاً. بالإضافة إلى أنه لدي شيء ما، لا أستطيع البوح به إلا لك».

سألته فينيكس بلهفة:

- «وما هو هذا الشيء الذي توذّن إخباري به؟»

قالت تشين-شيه بهدوء واضح:

- «إنك امرأة غير عادية يا شين-شين. وبأيّ حال من الأحوال، تتمتعين بالذكاء والبصيرة أكثر من العديد من الرجال الذين يضعون القُبُعات والعباءات. ولذلك، من المؤكّد أنّ تعرفين معنى الحكمة القائلة: «إذا ازداد القمر نَقْض، وإذا امتلأ الكأس طَفَح»، أو الحكمة: «كلّما ارتفع الشيء كان سقوطه أصعب». لقد ازدهرت عائلتنا وعاشت في بحبوحة لأكثر من مئة عام. فهل يُعقل، إذا ما دارت علينا الأيام وتراجعت أوضاعنا في وقتٍ من الأوقات، أن لا يكون مُضحكاً عدم استعدادنا لهذا النوع من الظروف أو أن يُصبح مثلاً في ذلك كمثّل القروء التي تسقط شجرتهم من تحتهم على نحوٍ مُفاجئ؟»

ارتجفت فينيكس عند سماع تلك الكلمات الشاؤمية، وسألت بخوف:

- «وما الذي يُمكن فعله لتجنب هذا التراجع؟»

- «كم أنت ساذجة يا شين-شين»، أجابت تشين-شيه بنبرة أقلّ حزناً، وتابعت: «إنّ التراجع يلي الازدهار، والعار يأتي بعد الشرف. ولا يُمكن لأحد أن يمنع ذلك؛ فلا يُمكن لأحدنا مثلاً أن يقضي على المجاعة إلا في أوقات الوفرة والنّعيم. وأقول، أنّ هناك شيئين لا بدّ من القيام بهما».

وبعدما أصرت فينيكس على معرفة هذين الشيئين، قال تشين-شيه:

- «علينا أولاً إصدار صكوك وسندات استثمار وتأجير لضمان استمرارية إرث الأجداد، وكذلك بالنسبة لمدرسة العائلة. ولا بد من شراء مساحات كبيرة من الأراضي الواقعة من حول المقبرة. وستؤمّن الإيجارات بالتالي، العناية والاهتمام بميراث الأجداد، وضمان صيانة المدرسة. وهكذا سيتمّ ضمان المُستقبل؛ فبذلك، ستكون هذه الأرض معفية، حتى في حالة الاستياء الامبراطوري أو في حالات المصادرة. أمّا الآن، فإنّ ثروة العائلة هي في

حالة تصاعد-وستقع حادثة تؤدي إلى إضافة مراتب شرف جديدة للعائلة-
لكن النكسات تأتي دائماً عندما تقلّ فرص توقعها».

سألته فينيكس باستغراب:

- «وما هذا الحدث؟»

صمتت تشين-شيه قليلاً، ثم أجابت:

- «لا أجرؤ على خيانة أسرار السماء».

كانت فينيكس مُستعدة لطرح المزيد من الأسئلة عليها، عندما أيقظتها باشينس تقول لها بأنّ رسالاً قد أتى من نينغ كوفو وهو يحمل خبر وفاة تشين-شيه. ارتدت فينيكس ثوبها في الحال وهرعت إلى جناح مدام وانغ. في هذه الأثناء، كان هذا الخبر قد وصل إلى كل دار وجناح، وقد صدم خبر وفاة تشين-شيه كل من سمع به، كما أنّ الجميع لم يكونوا مُقتنعين بالسبب الحقيقي لهذه الوفاة.⁽¹⁾ إلا أنّهم جميعاً قد انتحبوا وبكوا على هذه الخسارة، بسبب حبّهم الكبير لـ تشين-شيه.

كان باؤ-يؤ قد أوى إلى فراشه معتكراً المزاج كعادته منذ مُغادرة بلاك دجايد. فقد استيقظ مذهولاً لما سمعه من ضجيج وحراك غير طبيعي في المنزل - فأخبار موت تشين-شيه كان بالنسبة له كالخنجر المغمود في أعماق قلبه. فصرخ باكياً من الحزن وبصق كمية لا بأس بها من الدماء. ولذلك، صمّم على المُغادرة إلى نينغ كوفو على الفور، بالرغم من مُعارضة سيّدة المنزل لخطوته هذه.

بدأ المدخل الرئيسي للقصر الشرقي مفتوحاً على مصراعيه، ومُضاءً بالكامل. فاجتمع المُعزّون وامتلأت أرجاء القصر بالعويل والبكاء. وهرع باؤ-يؤ إلى الغرفة حيث تسجى الميتة وبكى بحزنٍ شديد. ووجد في البهو الخارجي تشيا دجين مُحاطاً

(1) طالما أنّ المؤلف قد عمد إلى وضع القارئ في أجواء وفاة تشين-شيه عن طريق الإضاءة على تفاصيل مرضها، فلا داعي لحدوث صدمة أو أي نوع من الغموض بشأنها. لكن من المؤكد أنّ الكاتب هنا تعمّد التلميح إلى أنّ وفاة تشين-شيه لم تكن بسبب المرض وإنّما انتحاراً بسبب انكشاف علاقاتها المشبوهة مع دجيا دجين.

بالعديد من أقارب عشيرة تشيا. كان تشيا دجين غارقاً بالدموع، وما بين فترة من العويل ووقفه مع النحيب، كان يشرح لمن حوله كم كانت تشين-شيه رائعة وكم هي ضخامة الخسارة التي مُتت بها نينغ كوفو برحيلها.

وكان أحد أعضاء المؤسسة الفلكية الإمبراطورية قد اختار هذا اليوم من أجل التعزية. كانت العادة إبقاء الجسد مُسجى في البيت لتسعة وأربعين يوماً، حيث يُفترض أن يقوم حوالى مئة وثمانية من الرهبان البوذيين، خلال هذه الفترة، بأداء الصلاة والأدعية للميت في البهو الرئيسي، بينما يقوم تسعة وتسعين كاهن طاوي بأداء خدماتهم الدينية في قسم آخر من القصر.

كان تشيا دجينغ، والد تشيا دجين، الشخص الوحيد الذي بدا غير مهتمّ أو قلق بما يحصل. فقد رفض مُغادرة الدّير إلى أرض التربة الحمراء، وبالتالي ضياع كل تلك السنوات التي قضاها في العزلة والتأمل. ولذلك، كانت لـ تشيا دجين كامل الحرية للتصرّف في إجراء الحفل الجنائزي بالطريقة التي يرغبها.

وفجأة، وصلت أخبار من الأجنحة الداخلية للقصر تقول بأنّ دجوي-تشو، وهي إحدى خادمت تشين-شيه، قد قتلت نفسها لكي تستطيع خدمة سيّدها في الموت.⁽²⁾ أدّى هذا النوع من التفاني إلى تحريك مشاعر المُعزّين، وأمر تشين دجين بدفن الخادمة وكأنّها أخته الكبرى. كما تطوّعت خادمة أخرى، وهي باو-تشو، بأن تكون إبنة التبني بعد الوفاة لسيّدها تشين-شيه، لا سيّما وأنّ هذه الأخيرة لم تنجب أولاداً. رأى تشيا دجن فيها فكرة مُمتازة، فسّرّ بها، وأعطى أوامره إلى جميع الخدم بمُخاطبة باو-تشو منذ الآن وصاعداً باسم كو-نيانغ.

مرّت مراسم الحداد بشكلها الطبيعي، إلا أنّ تشيا دجين لم يكن على ما يُرام: فقد كان تشيا دجانغ خريج المُقاطعة وبدون أيّ رتبة رسمية. لكنّ المُشكلة كانت

(2) يُمكن القول هنا بأنّ دجوي-تشو، الخادمة، التي فاجأت عن طريق الصدفة كلاً من تشين-شيه وتشيا دجين أثناء لقائهما السريّ الأخير، قد انتحرت خوفاً من انتقام تشيا دجين.

قد وجدت حلاً لها بوصول أحد النافذين، الذي أسر له تشيا دجين رغبته بشراء لقب لولده.

قال النافذ:

- «إنها لصدفة مليئة بالحظ. علمتُ أن هناك وظيفتين شاغرتين في الحرس الإمبراطوري- فقد شُغِلت إحداهما الآن، لكن الثانية لا تزال تنتظر من يشغلها، بسبب انشغالي لإحضار طلب من نائب يُونغ-هسينغ. فإذا كان ولدك يُريد هذه الوظيفة، فما عليه إلا إحضار طلبه لي».

تم ملأ الطلب بما ينبغي من التفاصيل: اسم تشيا دجانغ، ومكان ولادته وإقامته، وكل الأسماء والألقاب التي يشتهر بها جدّه الأكبر، وجدّه الحالي ووالده. إستلم الرجل النافذ الطلب وسلّمه إلى أحد مرافقيه قائلاً:

- «أعطِ هذا الطلب إلى العجوز تشاو في وزارة الخدمة المدنية وقل له أن يُصدر مرسوماً يتناسب مع مضمونه، وسأراجع به هذا الخصوص غداً».

قال تشيا دجين وهو يصطحب هذا الرجل النافذ إلى الباب:

- «وإلى أين سأرسل المال المطلوب؟»

أجابه الرجل:

- «من الأفضل إرساله لي، لأنّ موظفي الوزارة قد لا يفهمون أسباب ذلك إذا ما أرسلته لهم».

لا ندري كم هي أونصات الفضة التي أرسلها تشيا دجين إلى هذا الموظف الكبير، ولكن كل ما نعرفه أنّه قد حصل على مُراهه.

في هذه الأثناء، برزت من بين الشعارات المرفوعة في أعلى برج الجنازة، واحدة تقول: «إنها جنازة السيّدة تشين-شيه سيّدة أسرة تشيا، فارس حرس التنين الإمبراطوري- حُماة القصر الداخلي، وزوجة ابن لورد نينغ كو». وفي الأيام التالية، كان المُعزّون يأتون ويذهبون بصورة دائمة ومُستمرة طوال اليوم، وشمل هؤلاء جميع الطبقات والمراتب التي تعجّ بهم العاصمة- بمن فيهم العديد من النبلاء من مُختلف الألقاب، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الموظفين من كافة المراتب.

لم تكن إدارة هذا النوع من المناسبات في نينغ كوفو سهلةً في ظل الظروف الحالية. فلم يكن يو-شيه نداءً لذلك أبداً، كما أن نينغ كوفو كان يوصف بالإدارة الأقل براعة من بين قصري آل تشيا الآخرين. ومن هنا، يُمكن لأيّ كان تصور قلق تشيا دجين وتوتره عندما أصاب الوهن والمرض يو-شيه على نحوٍ مفاجئ إثر وفاة كتنه. كان يخشى من سوء سير الأمور الذي قد يؤثر على تنظيم الجنازة التي يُشرف عليها وفق الخطة المنطقية التي رسمها لها. لاحظ باو-يُو توتره هذا، وبعد أن علم بحقيقة الأمر، قال:

- «سأرسل لك إحدى الأنسات، فإذا وافقت على مُساعدتها لك، فكلّ شيء سجري على خير ما يُرام».

والواقع، أن تلك الأنسة التي اقترحها باو-يُو، كانت بالطبع فينيكس. وعندما علم تشيا دجين بمن ستكون، وافق من كل قلبه على ذلك، وذهب على الفور إلى كلّ من مدام وانغ ومام هسينغ لنيل موافقتهم على ذلك. توقّف قرار الموافقة على مدام وانغ، ذلك أن فينيكس كانت ابنة مدام هسينغ بالنسب، التي كانت بدورها كبيرة مُساعدات مدام وانغ، سيّدة يونغ كوفو الفعلية. كانت مُتردّدة، لأنّ المهمة كانت صعبة من جهة، ولأنّ فينيكس، رغم مهاراتها وقدراتها المتنوعة، ليست لديها الخبرة الكافية في إدارة الاحتفالات الجنائزية - بالرغم من توق فينيكس للحصول على هذه الفرصة. عندما استدارت مدام وانغ نحوها لتقرأ ردأت الفعل في تقاسيم وجهها، قالت فينيكس على الفور:

- «لا بدّ من نيل موافقة تاي-تاي أيضاً من حيث حاجة تا-كو الماسّة إلى المُساعدة».

عندما سمع لاي شينغ، وهو المُضيف الرئيسي في نينغ كوفو، بالطلب إلى فينيكس تحمّل مسؤولية الأمور الداخلية في الجنازة، جمع العديد من زملائه وقال لهم:

- «لقد طلب السيّد من لين يز ناي-ناي الاهتمام بالوضع الداخلي، ولذلك، علينا تلقّي الأوامر والتعليمات الآن منها. وعلينا الانتباه جيّداً إذا ما أردنا

الحفاظ على ماء وجوهنا. فأنتم جميعاً تعرفون طبيعتها وطريقة العمل معها».

وافق جميع الخدم على كلام رئيسهم، مع ملاحظة أحدهم بالقول:

- «بصراحة، آن الأوان لكي يأتي أحد ما ويُنظّم هذه الفوضى، فالأمور أضحت مُستحيلة ولم تعد تُطاق».

وفي ساعة الاجتماع المُحدّدة من اليوم التالي، تجمّعت كل الخادِمات في البهو أمام فينيكس التي بدأت بالإعلان عن قيادتها:

- «بما أن سيّدك قد طلب منّي إدارة المكان هنا»، قالت فينيكس لزوجة لايي شينغ وعلى مسمع من الجميع، وتابعت: «أخشى من أنكن جميعاً ستستأن منّي ومن طريقة إدارتي للأمور لفترة من الزمن. فأنا لستُ كسيّدتك، الطيبة واللطيفة والتي تترككن تنفذن الأمور على طريقتكن الخاصة. فلا أريد أن أسمع من أي منكن بأنّ هذه الأمور وتلك هي من عادات وتقاليد هذا القصر؛ نفذن وأطعن فقط ما أطلبه منكن. ومن تتجرأ منكن على تجاهل أو إهمال واجباتها، فسوف تتلقّى منّي العقاب المُناسب، بغضّ النظر عن وضعها أو علاقتها بسيد وسيدة هذا البيت - فأنا لا أهتمّ بمن هي المُفضّلة ها هنا أو لا».

وعلى الفور قامت إحدى الخادِمات بتنظيم الخدم في صفوف، وراحت فينيكس تتفحصهم الواحد تلو الآخر، وهنّ يسرن من أمامها في خطّ واحد.

عند انتهاء العرض، قالت:

- «تُقسّم العشرين الأولى، إلى مجموعتين - أي إلى عشرين - يتسلّم أفراد كل واحدة مسؤولية تقديم الشاي للضيوف. وهذه العشرين، أيضاً ستُنقسم إلى مجموعتين، تتسلّم كل مجموعة مهمة تقديم الشاي والغداء للأقارب. وهذه الأربعين، عليهن الانتظار أو التجوّل في أرجاء القاعة الروحانية، للمحافظة على بقاء البخور والشموع في حالة اشتعال، بالإضافة إلى تقديم الأرز والشاي الساخن، والمُساعدة في الجِداد أيضاً. أمّا هذه الأربعة،

فعليةن مسؤولية إعداد أباريق الشاي والأكواب، والأربعة الأخريةن، عليهن مسؤولية إعداد أدوات السفرة وأوعية النبيذ. وأفراد مجموعة الثمانية هذه، عليهن تلقي وتسجيل الهدايا الجنازية، وأفراد مجموعة الثمانية تلك، يتحملن مسؤولية توزيع الشموع، والزيت والورق إلى كل الأماكن المختلفة بناء على لائحة سيؤودن بها في الحال. أما مجموعة العشرين هذه، فعلى أفرادها المراقبة والحراسة في الليل والتأكد من نظافة وترتيب الممرات والحدائق، ولا يهددها أي نوع من المخاطر، لا سيما أخطار الحرائق. وما تبقى من الخدم، فعليهن مسؤولية مراقبة مختلف أجنحة القصر والقاعات، وسيتحملن مسؤولية التعويض عن فقدان أو سرقة أي شيء يقع في المنطقة التي تقع تحت مسؤوليتهن. أما زوجة لاي شينغ، فسوف تتحمل مسؤولية المراقبة العامة. على الجميع أن يعلم بأن كل هذه الأعمال وتنظيمها قد أعد وفقاً لبرنامج، وعلى الجميع إعلامي بأي خرق أو إهمال أو مراوغة في العمل، وحتى المقامرة، والشرب، إلى كل ما هنالك من أنواع المخالفات— إن فشل أي منكن في تنفيذ هذه المهام، سواء أكان لناحية تفضيل نفسها على الأخريةن أو لأي سبب آخر، فسوف تكون عرضة للعقاب الفوري كمجرمة، وكمسبب للفضيحة وسيتهم أيضاً بالحاق العار باسم العائلة».

بعد تسليم كل خادمة وخادمة المهام وفقاً للمعايير التي وضعتها، أعادت فينيكس النظام إلى نينغ كوفو. وكانت إدارة المكان طوال فترة الاحتفال الجنازي، في أعلى مثاليها ودقتها، وبدت في أفضل حالاتها الآن من الوقت الذي كانت فيه يو-شيه تُدير الأمور بنفسها—لم يكن هناك من لصوص؛ لم يكن هناك من تدمر أو مُشاجرات ما بين الخدم، لأن بعضهم كان يعتقد بأنه يعمل أفضل من الآخر... وهكذا مرّت الأيام لحين اليوم الخامس من أيام الحداد السبعة والخمسين.

وصلت فينيكس إلى نينغ كوفو في ساعة الاجتماع ولكنها، بدلاً من أن تتوجه إلى مقر قيادتها، ذهبت إلى قاعة مدفن تشين-شيه في الحديقة. كان هناك العديد

من الحضور صامتين وهم يحملون أوراق القدّاس الروحاني. بينما وقف آخرون في البهو يحملون القرايين. وفي هذه اللحظة، بدأت دموع فينيكس تتساقط عند رؤية نعش الفقيدة. وما هي إلا لحظات، حتّى ضُربت الصنوج، وبدأت موسيقى التشيع تتصاعد من الفرقة الواقفة في الظل في أحد جوانب المكان. بكت فينيكس دون توقّف، وانضمّ إليها مُرافقها وغيرهم من الحاضرين. وفي الحال، أرسل كل من تشيا دجن ويو-شيه أحداً يطلبان من فينيكس التوقّف عن البكاء والنحيب، التي ما لبثت أن أوقفت ذلك تدريجياً.

وقفت جميع الخادמות حاضرات في طابور التفقّد اليومي الذي كانت تدعو إليه فينيكس في البهو، باستثناء واحدة من المجموعة المسؤولة عن استقبال وتوديع المُعزّين - والأقارب والزوّار. وبعد استدعاء هذه الخادمة غير المُبالية، خاطبتها فينيكس بصرامة قائلة:

- «إذن، أنتِ تعتبرين نفسك فوق الجميع وأفضل منهن، واعتبرتِ نفسك غير معنيّة بالحضور إلى طابور التفقّد اليومي؟»
- «إنني أحضر على الوقت كل يوم يا سيّدتِي»، أجابت الخادمة البائسة، وهي ترتجف رعباً، ثمّ قالت: «أتوسّل إليك سيّدتِي ناي-ناي أن تغفري لي وتتجاوزي عن خطأي الأول».

في هذه اللحظة، وصلت إحدى الخادמות من يونغ كُوْفُو تحمل إذنًا لتسحب كمية خيوط من المخزن لصناعة شراريب للعربات، وسلّمت لائحة إلى مُساعدة فينيكس، التي قرأتها بصوت عالٍ أمام سيّدتها. كان هناك عربتان كبيرتان للسيدات، وثلاث صغيرة، وأربع عربات للرجال. وهذا يعني، الحاجة إلى العديد من الشراريب المطلوبة لها، بالإضافة إلى العديد من الخرز وأرطال الخيطان. بعد التأكد من الوارد في اللائحة، أعطت فينيكس موافقتها على تسليم الخادمة ما هو مطلوب. بعد ذلك وصلت أربع خادومات إضافيات من يونغ كُوْفُو، وكان لكلّ واحدة منهن طلبها المُختلف عن الأخرى. ومن بين هؤلاء، قُبِلت طلبات اثنين ورفض اثنين - بسبب ورود بعض الأخطاء. ثمّ ظهر عدد آخر: بعضهن من يونغ كُوْفُو، والبعض الآخر من

ينبغي كؤؤؤ وبعء تسوية الأمور وتلبية الطلباء، قالء فينيكس من ءون أن تلتفت إلى الخاءمة المءذبة، الءي كانء لا تزال ءنءظر:

- «اليوم ءأءرت، وءءاً ءء ءرءبين ءماءة آءرى... ومن يءري؟ ءءء لا يكون هناء من يُنفء الأعمال ءريباً، أو أفشل أنا شخصياً في إءارة الأءاء هنا. أوء لو أسامءء، ولكءني آءشى من عءم ءءرءي على إءارة ءنءيذ الواءباء لو ءعلء ءلك».

ءم أصدرء أمراً صارماً:

- «آءوها إلى الآراء واءلءوها عشرين ءلءة».

لم يءرؤ آءء من الآءم أو الآءاءاء على ءءءءل، بسبب ملامء فينيكس الءءية الءي منء آءء من الإءءام على هذا الءعل. وعلى الءور، ءرّ مساعءوها الآءمة المءذبة إلى الآراء، وضرءوها العءء المطلوب من الءلءاء. وكنوع من العءاب الإءافى، ءرءت هذه الآءمة أيضاً من آءر شهر كامل.

الفصل الحادي عشر

وفيه تُشبع فينيكس جشعها في معبد العتبة الحديدية
ويُشبع تشين تشانغ جوعه في دير قمر الماء

قبل أيام من موعد الجنازة، ذهب تشيا دجين إلى معبد العتبة الحديدية للإشراف شخصياً على التحضيرات المتواصلة من أجل استقبال الزوار المُعزّين، والتحضير من أجل القداديس والصلوات التي ستجري هناك. وفي يوم الجنازة، وصل إلى المكان أربعة وستين من حملة النعش، وتمّ نقل جثة تشين-شيه من حديقة نينغ كوفو. وتمّ في الوقت نفسه، نقل عدد لا يُستهان به من الأوسمة والشارات من قبل مجموعة من الرجال في أزياء خاصّة، بالإضافة إلى اللافئات، والشعارات، والمظلات من مختلف الألوان، ولوحات الإعلان الخشبية—وقد طُليت جميعها بالفرنيس اللامع والألوان الزيتية، ونُقِشت كلماتها بالذهب. وكانت باو-تشو-ابنة التبنّي بعد الموت، تتصرّف كالمفجوعة الأساسية بالمُصاب.

لا يُمكن تقديم قائمة كاملة بجميع الأشراف والوجهاء الذين كانوا متواجدين في الجنازة. كان عدد العربات التي تنقل النساء المعزّيات لوحدهن لا يقلّ عن المئة، ومع وسائل نقل آك تشيا، تشكّل خطّ يزيد طوله على الـ «لي»⁽¹⁾ الواحد. وعلى مساحات متتالية على امتداد الطريق إلى المعبد كانت تنتشر خيام الزوار المُزخرفة، والتي كانت تحتوي أيضاً على الكثير من العطايا والقرايين عن روح الفقيده. في

(1) الـ «لي» وحدة قياس صينية، تُساوي حوالي 0.3 ميل أو 0.5 كلم.

المُقدّمة كانت تظهر خيم أربعة أمراء؛ وكان ترتيب خيمهم يتسلسل بترتيب مُنسّق من الأعلى إلى الأدنى مرتبة.

كان الأمير بيس يقف في باب خيمته مُنتظراً اقتراب الموكب. وما إن اقترب الموكب من خيمة الأمير، حتّى توقّف، وأسرع تشيا دجين يتقدم باتجاه خيمة الأمير، برفقة تشيا تشينغ وتشيا شيه. بدأ تشيا دجين بالتعبير عن شكره وامتنانه أمام الأمير، وعن الشرف الكبير الذي أنعم به عليه.

كان الأمير قد سمع من قبل عن باو-يُو؛ فطلب من تشيا تشينغ إحضاره إليه، وبدا للجميع إعجابه به. طلب الأمير رؤية حجر اليشم أو الجوهرة الموجودة في رقبة باو-يُو، وأهداه طوقاً من الخرز النفيس كهدية له من الإمبراطور. وبعد تقديم شكره للأمير من جديد، حثّ تشيا شيه وآخرون الأمير على العودة إلى المنزل، لكنّه أصرّ على انتظار عبور الموكب قائلاً لهم:

- «رغم أنني أمير، إلا أن تشين-شيه قد انضمت الآن إلى منزلة الخالدين، ولها الأولوية والصدارة الآن».

أمر تشيا دجين بوقف عزف الموسيقى، وعبر الموكب الجنائزي من أمام خيمة الأمير بصمت تام.

لم يصل الموكب إلى المعبد إلّا مع نهاية الفترة الصباحية، حيث كان الرهبان والكهنة البوذيين والطاويون مستعدّين هناك. ثمّ أُجريت العديد من الطقوس المُختلفة، وأعدت المآدب للزوّار المُعزّين، ولم يتبقّ من الجميع لأداء طقوس الأيام الثلاثة، سوى الأقارب والأصدقاء الحميمين. عادت كل من مدام وانغ ومامد هسينغ إلى العاصمة، بينما بقيت فينيكس من أجل مُتابعة مهماتها الإشرافية على تنظيم الجنازة. باو-يُو وتشين تشانغ بقيا أيضاً، لأنهما كانا سعيدين بمناظر وطبيعة الريف. وكلا منهم وجد حاجاته ومُتطلّباته في دير قمر الماء، حيث استقرت إقامتهما في المعبد.

بعد يوم من انتهاء الاحتفالات الجنائزية، ذهبت فينيكس إلى الدير يُرافقها كل من باو-يُو وتشين تشانغ. وبينما كانت فينيكس تتسلّى وتحدّث مع الراهبة العجوز

المسؤولة، سار الفتيين يتجولان في غرف الدير، وفي البهو الأمامي، ركضا باتجاه تشيه-نينغ، وهي راهبة جميلة في أواخر ربيعها الثاني-وقد كانت تقوم بزيارات متكررة إلى يونغ كوفو، وقد حصل وأن رأت كلا من باو-يؤ وتشين تشانغ من قبل. ولكز باو-يؤ تشين تشانغ بكوعه وقال:

- «ها نحن من جديد ها هنا نينغ-يؤ!»
قال تشين تشانغ مُتظاهراً بالبراءة:

- «وماذا تقصد؟»

- «ماذا أقصد!»، أجاب باو-يؤ مُستغرباً السؤال، وأضاف: «أخبرني ما الذي كنت تفعله معها ذلك اليوم عندما كنتما أنتما الاثنتين وحيدتين في غرفة لاو تاي-تاي. لقد رأيتها بأم عيني بين ذراعيك، فلا تقل لي عكس ذلك».
رد تشين تشانغ مُحتجاً وقد انفعل:

- «لا تتفوه بالسخافات، وتُطلق التخيلات».

- «لن أدخل في نقاش معك في هذا الشأن»، قال باو-يؤ، واستمرّ يقول مُتهكماً: «ولكن قل لها أن تُحضر لنا القليل من الشاي».

- «ألا يُمكنك أن تطلب منها ذلك بنفسك؟ فهي سوف تُقدّمه لك كما ستُقدّمه لي، طالما أنّ هذا واجبها».

ردّ باو-يؤ مُمازحاً:

- «لكن ذلك لن يكون من أجل الحب إذا ما فعلته لي، أمّا من أجلك فسيكون كذلك».

وبعد أن عجز عن كبح إصرار باو-يؤ على الأمر، التفت تشين تشانغ إلى الراهبة وقال:

- «أرجوكِ أحضري لنا بعض الشاي يا نينغ-يؤ».

وعندما أتت الراهبة بالشاي، قال لها تشين تشانغ:

- «أعطني إياه، أنا سأأخذه».

وبالمثل، قال باؤ-يؤ:

- «لا، أعطني إياه أنا...»

ضحكت الراهبة قليلاً ثم قالت:

- «وهل هناك من عسل على يديّ لكي تتقاتلا حتى من أجل كوبٍ من الشاي؟»

لكنّ ظهور راهبة أخرى قطع عليهما الحديث، وعادت تشيه-نينغ إلى عملها على الفور. انضم الفتيان إلى فينيكس، وبقيت الراهبة العجوز لوحدها في الخارج بعد مغادرة الراهبات الباقيات.

قالت الراهبة العجوز تُخاطب فينيكس:

- «لديّ شيء أتحدّث بشأنه مع تاي-تاي، لكنني أُرغب في الحصول على نصيحة وإذن تاي-تاي أولاً».

سألته فينيكس عن ذلك، فتابعت الراهبة تقول:

- «حسناً. عندما كنت في دير إلهة الرحمة في تشانغ-آن، كان هناك راعٍ غني من عشيرة تشانغ. وفي أحد الأيام حضر آل تشانغ مع ابنتهم من أجل تقديم القرابين والأضاحي للإلهة. وحدث أن نسيب الوالي كان في زيارة المعبد أيضاً. ورأى كين-كيو، ووقع بحبّها، وسرعان ما أرسل أحد من قبيلته إلى والديها يطلب يدها للزواج. ومن سوء حظّه، أنّ الفتاة كانت مخطوبة لولد أمر الحامية. وصلت أخبار موضوع طلب الزواج إلى مسامع هذا القائد العسكري الذي اتّهم، ومن دون أن يتأكّد من حقيقة الأمر، عاتلة تشانغ بمحاولة فسخ الخطوبة من أجل عرض أفضل. كما أنّه رفض إعادة هدايا الخطوبة، ورفع دعوى ضدهم. أغضب هذا الأمر عائلة تشانغ، مُنكفة والد الخطيب. إنهم الآن في العاصمة من أجل تأمين مُساعدة قريبهم النافذ هناك. أعلم أنّ نائب تشانغ-آن صديق عائلتكم الكريمة. فلو استطعتم أن تقنعوا هذا النائب بقول شيء لآمر الحامية، فلربما يعمل هذا الأخير على إسقاط الدّعوى والموافقة على إعادة هدايا الخطوبة. فلو أمكن لهذا أن

يحدث، فإن آل تشانغ برمتهم سيعملون ما في وسعهم-حتى التضحية بما يملكون من أجل الاعراب عن شكرهم وامتنانهم لذلك».

قالت فينيكس:

- «إنه شيء تافه ولا يستحيل الإعداد له، لكنّ تاي-تاي لا تُحب الغوص في هذا النوع من الأمور».

بعد سماعها ذلك، قال الراهبة بنوع من التفاؤل:

- «إذن، قد تقدر على القيام بهذا تاي-تاي».

ردّت فينيكس:

- «ولماذا أنا؟ فعائلة تشانغ لا تعني شيئاً لي».

تهتدت الراهبة العجوز، وصمتت لفترة. ثمّ قالت توجّه كلامها إلى فينيكس بنوع من العتاب:

- «أعتقد بأننا لا نستطيع فعل شيء طالما أنّ تاي-تاي لا تُريد إزعاج نفسها.

لكنّ آل تشانغ يعلمون بأنني سأكلّمك، وعندما أبلغهم بأنك لا تُريدين إزعاج نفسك، فسيظنّون بأنك لا تقدرين على فعل أيّ شيء من أجلهم».

أثرت كلمات الراهبة على فينيكس-فهي كانت تعرف حب فينيكس للسلطة، وعدم احتمالها الكلام عن عجزها أو عدم قدرتها على أيّ شيء من الأشياء. فالتفتت إلى الراهبة وقالت:

- «أنت تعلمين بأنه لا يهمني ما تقوله التوقّعات عن الحساب الأخير. فأنا

أفعل ما أشتهي، وما أشتهيه أفعله بشكل دائم. إذا كان آل تشانغ ينوون عرض ثلاثة آلاف تاييل⁽²⁾، فسوف أساعدهم في الدّفاع عن أنفسهم».

أكّدت الراهبة العجوز أنّ آل تشانغ سيكونون سعداء كثيراً لدفع هذا المبلغ. أمّا فينيكس، فقد خلّصت عن طريق إخبار الراهبة، إلى أنّ هذا المبلغ هو شيء لا يُذكر

(2) الـ «تاييل» وحدة وزن تُستعمل في الصين وتُستعمل في شرق آسيا ولكن بأوزان مختلفة، لكنّها ثابتة في الصين على 50 غراماً.

بالنسبة لها، لكنّه سيكون للمرسل الذي ستوفده. وقالت تشرح:

- «لا تظني بأنني أفعل ذلك من أجل هذا المبلغ التافه من المال. مقارنةً بمواردي، فإنّ مبلغ ثلاثين ألفاً ليست شيئاً يُذكر.

لقد أعطت الراهبة موافقتها على شرط فينيكس، مع أنّها تعرف ما يعنيه مبلغ ثلاثة آلاف تايل بالنسبة لها. كما أنّها قالت الكثير من أجل تسليّة فينيكس، وقد سهرتا تتحدّثان طوال الليل.

في هذه الأثناء تسلّ تشين تشانغ إلى غرفة تشيه نينغ، حيث كانت تقوم بإنجاز بعض الأعمال. راح يتراقص من حولها قليلاً، ثمّ وضع يديه من حول وسطها، فضربت الراهبة بقدميها وهذّدت بطلب النجدة. لكنّ تشين تشانغ توسّلها، وراح يهمس بكلمات عاطفية في أذنها.

قالت الراهبة باستسلام:

- «وما الذي تريده منّي؟ عليك أن تُفكّر كيف تنقذني من حياة الموت هذه، ومن ثمّ نجتمع ونعيش معاً».

- «نعم، نعم بكلّ تأكيد»، قال تشين تشانغ، وأضاف: «لقد فكّرت بذلك مراراً، وأعتقد بأنّه أصبح من المُمكن ترتيب الموضوع. لكنّ المياه البعيدة لا يُمكنها إخماد النيران القريبة». يجب أن تُشفي عليّ هذه الليلة، لأنني أتوق موتاً لك».

ثمّ أطفأ المصباح وحمل الراهبة إلى الكانغ. حاولت المسكينة جاهدة لإنقاذ نفسها، ولكن دون جدوى؛ لقد كان بإمكانها الصراخ طلباً للنجدة، لكنّها لم تفعل خوفاً من الفضيحة. عدا عن ذلك، فهي كانت مولعة كثيراً بـ تشين تشانغ. وسرعان ما توقّف صدها له واستسلمت.

وفجأة، وضع أحدهم يديه على تشين تشانغ والراهبة من دون التفوّه بأي كلمة. خاف هذين العاشقين إلى درجة الموت، لكنّ ضحكات هذا الدخيل المُفاجئ، كان من الصعب لجمها - لم يكن هذا الشخص سوى باؤ-يؤ، وعلى الفور انسلّت الراهبة هاربة.

قال له تشين تشانغ بنبرة جافة:

- «لديك حسنٌ مُنحرف للفكاهة، فما الذي تعنيه بعملك هذا؟»
- «الآن وقد ضبطتك بالجرم المشهود»، قال باؤ-يؤ ضاحكاً، وتابع: «فهل لا زلت مُصرّاً على نكران أهميتها بالنسبة لك؟»
- أجابه تشين تشانغ بلهجة يغلب عليها طابع التوسل:
- «حسناً، أعدك بما تُريد إذا وعدتني بكتمان ما رأيته.»
- «حسناً، لا أريد التحدث حول الموضوع الآن»، قال باؤ-يؤ كما لو أنه لا يعنيه الأمر في شيء، وأضاف: «سأسوي المسألة معك لاحقاً، عندما نأوي إلى النوم.»

شغل كل من باؤ-يؤ وتشين تشانغ وفينيكس جناحاً من غرفتين في الدير. قامت فينيكس، التي شغلت الغرفة الداخلية، بأخذ قلادة باؤ-يؤ ووضعها تحت طرف وسادتها بهدف حمايتها من السرقة. لم تُعرف طبيعة المسألة التي أراد باؤ-يؤ تسويتها مع صديقه تلك الليلة، ولا كيف تم ذلك، كما أننا بدورنا، لن نجازف في طرح أيّ تخمينات.

وبما أن سيّدة المنزل دائمة القلق على حفيدها المُفضّل باؤ-يؤ، فقد أرسلت بطلبه في اليوم التالي، لكنّه كان مُنهمكاً في نزهته بشكل أنساه الطاعة. بالإضافة إلى أن تشين تشانغ، لم يكن يحتمل المُشاركة مع الراهبة، فتوسّل باؤ-يؤ البقاء معه. أمّا فينيكس فقد أرادت أيضاً تمضية يوماً آخر من أجل إتمام وعدها للراهبة العجوز. وهكذا أمضى الثلاثة معاً ليلة إضافية في الدير. وقبل مغادرتهم النهائية، أصرت تشيه-نينغ على تشين تشانغ مراسلتها بأسرع ما يُمكن، فوعدها بأن يفعل ما يستطيعه من أجل ذلك.

في هذه الأثناء، أرسلت فينيكس برسالة إلى نائب تشانغ-آن باسم تشيا لين، مع أحد مُساعديها الموثوقين-لاي وانغ. أدى تلميح هذا النائب لأمر الحامية إلى تنازل هذا الأخير عن الدّعوى، وبالتالي إلى إعادة هدايا الخطوبة. كان من المُفترض أن تنتهي القضية عند هذا الحدّ، لو لا أن شخصية كين-كيو لم تكن مُختلفة بالكليّة

عن والديها المُجَرَّدِين من الضمير. فما إن عَلِمَت بفسخ الخطوبة، حتَّى أقدمت على الانتحار بدلاً من الإيمان بعدم صلاحية خطوبتها الأولى. أمّا ولد أمر الحامية، الذي كان موقفه مُشابهاً لموقف خطيبته، فقد اغرق نفسه عندما سمع بأمر انتحارها. وهكذا، خسر آل تشانغ كل شيء بسبب جحودهم، أمّا فينيكس فقد تمتعت بثلاثة آلاف من أونصات الفضة الجيدة. لم تكتشف مدام وانغ ولا تشيا لين ما حصل أبداً. وبعد أن شجّعها نجاحها هذا، قامت فينيكس بتنفيذ العديد من هذه المهمّات الشيطانية—والتي لن ندخل في ذكرها على نحوٍ مُفضّل.

الفصل الثاني عشر

وفيه يتعزّز مركز كاردينال سبرينغ في القصر الإمبراطوري
ويرحل تشين تشانغ إلى العالم الآخر

كان اليوم عيد ميلاد تشيا تشينغ، وكانت قصور نينغ كو ويونغ كو تحتفل به وفقاً للاحتفالات المعروفة، عندما أعلن عن وصول رئيس الموظفين الرسميين. وعلى الفور تم تعليق الاحتفالات، وفتح مدخل قصر يونغ كو فو على مصراعيه، وأعدّ البهو الرئيسي على عجل لاستقبال مُمثل الإمبراطور في الولاية. سار المُمثل على امتداد البهو بأبهة سير الموظفين الكبار، فاستدار والتفت لناحية الجنوب، بينما كان كل من تشيا شيه وتشيا تشينغ يركعان أمامه استعداداً للإستماع إلى الأمر الإمبراطوري. لم يكن رسول الإمبراطور يحمل مرسوماً خطياً، لكنه اكتفى بالقول: - «وفقاً لمرسوم خاص، يؤمر تشيا تشينغ بالتواجد فوراً في قاعة لين-تشينغ لجلسة استماع».

وما إن انتهى من كلامه، حتى غادر بالسرعة التي دخل فيها، حتى من دون التوقف لأخذ رشفة شاي.

وعلى الفور، ارتدى تشيا تشينغ زيّه الرسمي، وانطلق إلى القصر. لم يعرف أحداً الغاية من أمر الاستدعاء المفاجئ هذا، وبما أن ملامح هذا الرسول لم تنبئ عن أي حدث استثنائي، فقد خيم شبح القلق فوق الجميع. وللتأكد من هدف الاستدعاء الأساسي، تم إرسال رئيس المُضيفين- لاي تا إلى القصر لهذه الغاية ومن ثم تزويد الجميع بذلك بأسرع ما يُمكن. وبعد مرور ثلاث أو أربع ساعات،

عاد لايي تا ليقول بأن استدعاء تشييا تشينغ كان لتبليغه بترقية ابنته إلى رتبة محظية إمبراطورية من الدرجة الثانية. وفي الحال انقلب قلق الجميع إلى سعادة، وظهرت الغبطة على كل وجه من سيّدة القصر إلى أدنى الخادومات.

بدا باؤ-يؤ لوحده مُربكاً وغير متأثر بهذا الشرف الجديد الذي أضيف للتوّ إلى سجلّ العائلة. وكان سبب هذا الارتباك زيارة سرية قامت بها الراهبة تشيه-نينغ منذ بضعة أيام إلى منزل تشين تشانغ. وبعد أن اكتشف والده ذلك، طرد الراهبة، ووجه إلى تشين تشانغ كلاماً عنيفاً. أدّت هذه الإهانة إلى تطوّر سلبي في المرض المُزمن الذي كان يُعاني منه العجوز، وبعد أربعة أو خمسة أيام، توفيّ متأثراً بمرضه. ولم يشعر تشين تشانغ من وقتها بأي نوع من النشاط. أدّت به هذه الفاجعة المُترافقة مع حزنه على وفاة والده من جهة، وقلقه على الراهبة من جهة ثانية، إلى الوهن وبوادر المرض الجديّ. هذا كان سبب مظهر باؤ-يؤ القلق، وعدم اهتمامه بالاحتفالات التي جلبت شرفاً إضافياً أسبغه الإمبراطور على العائلة. لكن سبب قلقه هذا لم يدر به أحد؛ فقد اعتبره الجميع مثلاً آخر على مزاجيته وأهوائه الغريبة.

وفي أحد الأيام، ولحسن الحظّ، وصل رسول من قبيل تشييا لين ليبلغ عن وصول بلاك دجايد في اليوم التالي. والآن قد مات والد بلاك دجايد، وبعد جنازته انطلقت إلى العاصمة من جديد مع تشييا لين، لتعيش هذه المرة، وبشكل دائم، مع الجدّة.

فرح باؤ-يؤ بعودة بلاك دجايد، فها هي قد أصبحت أكثر جمالاً من ذي قبل، لأن كل الفتيات اللواتي في سنّها، لديهن طريقتهن الخاصة في التفتّح والبهاء. جاءت بلاك دجايد وقد أحضرت معها الهدايا لجميع أبناء عمومتهما-الكتب، وفراشي الكتابة والرسم، حجارة التحبير، والأوراق المُزخرقة. من جهته، قدّم لها باؤ-يؤ طوق الخرز النفيس الذي سبق وقدمه له الأمير بيس، لكنّها رفضته قائلة بأنّها لن تأخذ شيئاً قد أتى من رجال لا تعرفهم.

بعد تقديم نفسه لوالده تشييا تشينغ وآخرين، عاد تشييا لين إلى عربته حيث كان يتلقّى التحية من فينيكس باحترام مُبالغ فيه. فهنّأته وهي تُخاطبه بكلام فيه مزيج من

الهزل والجدّ مثل: «جلالة قريب الإمبراطور». عندما أثنى عليها تشيا لين لطريقة تنظيمها وإشرافها على الحفل الجنائزي بطريقتها المُدهشة، اعترفت له بفشلها، وحماتها، وافتقارها للخبرة، وأصرّت على أنّها قبلت المهمة فقط لأنّ الرّفص قد يغضب مدام وانغ ويُزعجها. لم يندخ أو يُصدّق أحد اعترافاتها الصريحة هذه، ولم يبدُ أنّهم يميلون إلى الانخداع أو التصديق.

حينما تابعت كلامها لتُخبر تشيا لين عن الأحداث التي وقعت أثناء غيابه، سمعت باشينس تتكلّم مع أحد في الغرفة الخارجية. سألت فينيكس عمّن يوجد في الغرفة، فدخلت عليها باشينس تقول لها بأنّ هسويه بي-ما قد أرسل لوتوس في مأمورية، وأنّها قد اهتمّت بالموضوع على أكمل وجه.

وفور سماعه ذلك، قال تشيا لين:

- «تبدو لي لوتوس لطيفة جدّاً. عندما كنت برفقة بي-ما في طريق العودة، حدث لي أن واجهتها، وتساءلت من تكون. فسألت بي-ما، ومن ثمّ تأكد لي بأنها كانت تلك الفتاة التي تورّطت في قضية القتل. وما يؤسف له أن يُصبح هذا المظهر الجميل لقمة سائغة في فم أبله مثل هسويه-فهو لا يستحقّها أبداً».

ردّت فينيكس بنبرة تنمّ عن عدم الرضا:

- «أف! إنك تدفعني إلى التفكير بأنك أصبحت نوعاً ما أقلّ تأثراً منذ عودتك للتوّ من سُوْشو، حيث الجميع هناك يعتبرون أن كل النساء جميلات. ولكن من الواضح أنّك لا زلت جشعاً كما عهدتك من قبل. إذا ما كانت تُعجبك، فما قولك باستبدال باشينس بها؟ أنا أكيدة من أن الأمر سيكون على ما يُرام بالنسبة لـ هسويه لاو-تا، لأنّه مثلك، تكون عيناه دائماً على قدر الطبخ، في حين أنّه يأكل من الصحن. بقي عام بطوله يُضايق بي-ما لأنه لا يستطيع الحصول على لوتوس، ولكن وفي أقلّ من شهر، وبعد حصوله عليها، فقدّ اهتمامه الكامل بها...»

بعد ذلك، أرسل تشيا تشينغ يطلب تشيا لين على الفور. كان هذا الأخير مسروراً

لاستغلال الفرصة وطرح موضوع لوتوس. بعد مُغادرته الغرفة، سألت فينيكس باشينس عما تريده لوتوس. فقالت باشينس:

- «لم تكن هنا أبداً، إنّه لاي وانغ ساو-ساو الذي اختار بغبائه المعهود هذا الوقت بغرضه الذي عفا عليه الزمن. لقد قابلتها لحسن الحظ. من ناحية ثانية، لقد حدث أن جاءت وبادرت إلى طرح حاجتها أمام يـ.يه. والآن أنت تعلمين كيفية إهماله للمال. لكنّه إذا علم أنّ ناي-ناي قد أتى من أجلها فقط، فسوف يصرف دون حساب. لقد وبختها قليلاً بسبب نقلها القضية إلى هنا بوجود يـ.يه.»

قالت فينيكس ضاحكة:

- «هكذا إذن، كنت أتساءل عما تريده يـ.يه-ما بهذه العجلة من وراء إرسال لوتوس.»

الآن، وقد عاد تشيا لين، سألته فينيكس عما أراده تشيا تشينغ. فقال لها بأن الموضوع يتعلق بالزيارة الإمبراطورية التي تشغل العاصمة منذ عدة أيام. كان الإمبراطور الحاكم سيداً خيراً. فبعد الكرم الذي أسبغه على كاردينال سبرينغ، قام صاحب الجلالة الإمبراطور، ومُساهمة منه في زراعة والوفاء وجوهر الفضيلة من طاعة الوالدين، بالسماح لعائلات المحظيات الامبراطورية بزيارة بناتها في القصر. ولذلك، وبعد استشارة جلالة الإمبراطور والإمبراطورة السابقين، أصدر جلالته مرسوماً يقضي بأن يُسمح لإنات العائلات المقربة من القصر بزيارة بناتهن في الأيام التي تحمل تراتيباً الرقمين «إثنين» و«ستة»⁽¹⁾ شعر جميع أفراد حاشية الجلالة العالية بالسعادة من تفكير الإمبراطور العطوف فتناقشوا في ما بينهم بهدف إصدار مرسوم يكون بمثابة تنمة للمرسوم الذي سبقه فقالوا في اقتراحهم: طالما أنّ الأسر التي تحظى بعطف البلاط ورعايته قد تمنع الآباء والأمهات والبنات من

(1) أي وفقاً للترتيب: الثاني، السادس، الثاني عشر... إلخ من الأيام حتى نهاية الشهر-من حيث أنّ التقسيم الذي يحمل الرقم سبعة لم يكن مُتبعاً في التقليد الصيني.

استخلاص أقصى استفادة ممكنة من هذه الزيارات، فينبغي إصدار مرسوم يقضي على الأسر التي تكون في وضع يتطلب استقبال المحظية الإمبراطورية،⁽²⁾ الحصول على إذن للقيام بذلك. وافق الإمبراطور، وبدأت العائلات «تشو» و «وو»، وحتى عائلة يونغ كو نفسها، وجميعها تحظى بالرعاية الإمبراطورية، ببناء قصور تستحق رعاية وكفالة جلالة الإمبراطور نفسه.

قامت كاردينال سبرينغ في وقت لاحق بإطلاق اسم تاكوان يوان⁽³⁾ على القصر الذي بُني في موقع حديقة نينغ كوفو، وعلى القسم الشرقي من يونغ كوفو. كان قطره يبلغ حوالي ثلاثة «لي» ونصف، وكان يعبر من خلاله جدول يفصل ما بين قصرَي تشيا. وقد تم إزالة الجدار الذي يفصل القصرين عن بعضهما البعض، وبُني واحد جديد من حول تاكوان يوان. كانت ضخامة العمل وكلفته كبيرة، ولكن ليس بحجم العمل المطلوب لو أنهم قد انطلقوا من لا شيء، كالبحث عن كل صخرة ومن ثم نقلها نزولاً من التلال، أو زراعة الأشجار الخاصة بذلك. ثم أن المخطط الأساسي لحديقة نينغ كوفو قد اختفى في جمال المخطط الجديد، بالإضافة إلى أن المخططين والمهندسين الأذكاء في فريق عمل تشيا تشينغ، قد برعوا في وضع مخطط ناجح في استغلال ما هو موجود أصلاً من سرادق وأبراج وجبال اصطناعية وقاعات وأجنحة وشرفات... إلخ.

كانت مهمة الإشراف والمراقبة من مسؤولية كل من تشيا دجين وتشيا لين، بإرشادات وتوجيهات فريق كبير من المساعدين المهرة؛ من حيث أن تشيا تشينغ لم يكن لديه الوقت ولا المزاجية من أجل هذا النوع من التفاصيل. ومع إنجاز العمل البنائي، فقد اجتمع عمل حرفيي الذهب والفضة، والزخرفات النحاسية والقصدير،

(2) هي المرأة الخليفة المقرّبة إلى الإمبراطور، لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد الزوجة. لقد اشتهرت المحظيات في عصور الإمبراطوريات الصينية على نطاق واسع.

(3) مع أن «تاكوان» تعني حرفياً «مشهداً، أو منظرًا عظيمًا»، لكنها تعني هنا «الكمال». ولذلك يُمكن ترجمة كلمة «تاكوان كيوان» بمعنى: «الحديقة الكاملة».

وغير ذلك من العناصر الضرورية لتجميل القصر الجديد، من أجل المباشرة في تشطيب الضرورات التجميلية النهائية للبناء الجديد الهائل.

كانت مهمة تجديد وتجهيز فريق من الفنانات الشابات، وكذلك شراء كميات كبيرة من الحرير ، من مسؤولية تشيا تشيانغ المفضلة لدى تشيا دجين. وقد اختص تشيا دجانغ بالمسؤولية عن صائغي الذهب والفضة.

وبسبب هذه الأنشطة الضخمة والمعقدة في يونغ كوْفُو، تُرك باو-يُو لنفسه، وعفاه والده من أيّ أعمال بسبب انشغاله في دروسه التي تحتاج إلى قدر لا بأس به من التحضير. من البديهي أن يكون باو-يُو سعيداً بهذه الحرية، لو لم يتوف صديقه تشين تشانغ خلال هذه الفترة.

الفصل الثالث عشر

وفيه يتعرّض باؤ-يُو للمُعاناة بسبب فساد بلاك دجايد
ويُسمح لـ كاردينال سبرينغ بزيارة عائلتها بفضل
شهامة ابن السماء

وأخيراً، تمّ الفراغ من بناء تاكوان يُوَان. وفي أحد الأيام، ذهب تشيا تشينغ برفقة عدد من مُرافقيه ومُساعديه، لإلقاء نظرة عليه واختيار الاسم المُناسب الذي يجب حفره على الصفيحة الموجودة من فوق المداخل المؤدية إلى المباني والتجمعات السكنية، ولتأليف المقطعين الشعريين اللذين يجب وضعهما على الجانبين. لم تكن الكلمات التي سيتم تخطيطها على الورق سوى نماذج مؤقتة على شكل الصفيحة والتي عُلقَت من أمامها؛ وكان الاختيار النهائي للأسماء من اختصاص الحاشية الإمبراطورية.

حدث أنّ باؤ-يو كان في الحديقة ذلك اليوم. وكان لا يزال حزيناً على فقدان صديقه تشين تشانغ، ومن إخراجِه من حزنه، عملت سيّدة المنزل على حثّه للذهاب إلى الحديقة. سار حذراً من الاقتراب من والده، وأسرع من أجل تفادي أي مُباغته، لكنّ تشيا تشينغ رآه وطلب منه الانضمام إلى فريقه. شعر باؤ-يُو بعدم الراحة- لجهله بما الذي سيحدث. إلا أنّ المُناسبة تحوّلت إلى فرصة سعيدة: فقد استمع الوالد إلى ثناء ومديح مُعلّم باؤ-يُو لمهارته في تأليف مقطعين طباقيين من الشعر، وبدا أنّه وقت مُلائم للتجربة؛ تمكّن باؤ-يُو من إثبات نفسه بشكل جيد: فقد تمّت الموافقة على مُعظم مؤلّفاته، وحتى أنّه قد حصل على استحسان نوعي من والده

مباشرة هذه المرّة. ولذلك، كان تشبها تشينغ يشعر بسعادة داخلية غير ظاهرة على إنجاز ولده، لكنّه وبالرغم من ذلك، أخبره وبشيء من الحدة بأنّ عليه عدم تضييع وقته على هذه الأعمال الفارغة، والانصراف إلى الاهتمام بنوع المقالات المطلوبة من أجل الامتحانات.

بعد انصراف باؤ-يؤ، اجتمع خدمه من حوله، وراحوا يهتئون على الأداء الذي أبداه. وقالوا:

- «إنّه لرائع الفوز ببناء ومديح لاؤ-يه. لقد علمت لاؤ تاي-تاي بأنك كنت مع لاؤ-يه، وسألت عن سير الأمور معك هناك. فأخبرناه بأنك في أفضل أحوالك. فلو أنّ الأمور كانت تسير بشكل عكسي معك، فقد لكنت أرسلت في طلبك وإنقاذك من أي نوع من الإحراج. لقد سمعناهم يقولون بأنّ آياتك الشعرية كانت أفضل من تلك التي كتبها الشعراء الكبار، ولذلك عليك أن تُعطينا شيئاً لتمييز هذه المناسبة».

قال ياؤ-يؤ مُبتسماً، وقد ملأت قلبه الغبطة:

- «حسناً، سأعطي كل واحد منكم سلسلة من النقد».

- «ومن يهتم لهذا»، قال أحد الخدم، وأضاف: «نريد شيئاً كذكرى أكثر خصوصية وشخصية منك».

قال الخادم ذلك، وهمّ يُشير إلى كتل الزينة المُعلّقة على وشاح باؤ-يؤ، وما لبث أن حذا جميع الخدم حذوه في ذلك-فما كان من باؤ-يؤ إلا نزع كل الزينة الموجودة على الوشاح وتوزيعها عليهم. وبعد ذلك فقط، قاموا بمرافقته إلى الأم الحاكمة التي كانت، بلا شك، سعيدة كل السعادة لأنّ تشبها تشينغ لم يجد أي هفوة على ولده للمرة الأولى.

والواقع، أنها لم تكن المرّة الأولى التي يعود فيها باؤ-يؤ إلى البيت من دون زيتته. لكنّه عندما عاد هذه المرّة، تنبّهت بيرفايدينغ فريغرانس إلى عدم وجود الزينة لمُجرد دخوله الغرفة، فقالت ملاحظة:

- «إذن، سمحت لأولئك التعساء الوقحين بسلبك كل شيء من جديد».

عند سماعها لهذا، قالت بلاك دجايد له:

- «أعتقد أنك أعطيتهم الزخرفات التي صنعتها أنا لك أيضاً. فلا تنتظر مني أن أصنع لك المزيد منها أبداً، أبداً».

قالت ذلك، وقبل أن يحصل باؤ-يؤ على فرصة للتوضيح، انصرفت إلى غرفتها، وبدأت بقبض الزخرفات التي كانت تعمل عليها. إنزعج باؤ-يؤ أيضاً؛ فحلّ أزرار ثوبه، وأظهر الكتل الزخرفية لتراها بلاك دجايد، وقال:

- «هذه هي الزخارف التي صنعتها لي! وعليك أن تعلمي بأنني لن أسمح لأحد بأخذها مني».

خجلت بلاك دجايد من سلوكها الفظ، لكنها كانت فخورة أيضاً لفعل ذلك أو لقول أي شيء من أجل استرضاء باؤ-يؤ. في هذه اللحظة، أخذ الزخرفات ورمها لها، قائلاً:

- «لعلك نادمة على إعطائي هذه، فإذا كان هذا فعلاً ما تشعرين به، فما عليك إلا استعادتها».

عند هذا، بدأت بلاك دجايد بالبكاء، وكانت على وشك إتلافها، لو لم يعمل باؤ-يؤ على سحبها من يديها في الوقت المناسب. لكنّ باؤ-يؤ الجاهز دائماً للمسامحة وتقبّل اللوم بكل أشكاله في ما خصّ بلاك دجايد، بدأ يعمل بأفضل ما لديه من أجل تهدئتها واسترضائها.

وأخيراً، ألقت بلاك دجايد المقصّ أرضاً وقالت وقد اغرورقت عيناها بالدموع:

- «لم تكن بحاجة لمضايقتي بهذه الطريقة، فيمكننا ترك بعضنا البعض منذ الآن».

ثم ارتمت على السرير وأدارت وجهها باتجاه الجدار. لم يكن من السهل صدّ باؤ-يؤ واستمرّ يتوسل إليها ويقتنعها، حتى تراجعت في النهاية عن قرارها. ثم ما لبثت أن نهضت وقالت:

- «علي أن أترك هذه الغرفة، طالما أنك لم تترك لي لحظة من الهدوء والسلام».

قال باؤ-يُو وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مُفعمة بالاعتذار:

- «سأتبعك أينما تذهبين».

لم تستطع بلاك دجايد كبت مرحها من توبته ومظهره القلق. فانفجرت ضاحكة، وعاد الوثام يسود ما بين الحبيبين، اللذين بدأ جاهزين لهذا النوع من الشجارات والشكاوى.

عاد تشيا تشيانغ من سُوْشُوْ ومعه كميات من الحرير وفريق من اثني عشرة فنانة مع كامل التجهيزات والأدوات المطلوبة، بالإضافة إلى رئيستهن المسؤولة عن الإشراف والتنفيذ، بعد أن خضعن لتنفيذ بروفات تدريبية في بير فريغرانس كورت، الذي كان قد أُخلي من هسويه بي-ما. وبالمقابل، فقد تمّ تجنيد اثنا عشرة راهبة بوذية واثنا عشرة راهبة طاوية لشغل معبد قصر تاكوان يُوان بحيث تعملن على تنفيذ الصلوات والشعائر الدينية للحاشية الإمبراطورية. كما تم استدعاء الراهبة الخيرة مياؤ يُو من أجل تولّي المسؤولية.

مع وصول السنة الجديدة، كانت كل التحضيرات والاستعدادات قد أُنجزت. وعند استلام طلب التماس الحضور من تشين تشينغ، اختار الإمبراطور الخامس عشر من بداية الفترة القمرية، أي في عيد الفوانيس، لزيارة المحظية الإمبراطورية. وفي اليوم الثامن، وصل كبار موظفي البلاط من أجل إلقاء نظرة تفقدية على قصر تاكوان يُوان، ومن أجل الإشراف على آخر التحضيرات. لم ينم أحد عشية هذه الزيارة في كل أنحاء يونغ كُوْفُوْ لأهمية الحدث. وفي الصباح التالي وقُبيل الفجر، ارتدى جميع أعضاء يونغ كُوْفُوْ زيّ البلاط ووقفوا ينتظرون وصول المحظية الامبراطورية—في أول الشارع وقف كل من تشيا شيه وتشيا تشينغ، ووقفت سيّدة القصر وآخرين على الجانب الخارجي من بؤابة يونغ كُوْ. انقضى الصباح، وبدأ الجميع يشعر بالتعب والإرهاق، عندما وصل أحد موظفي البلاط ليقول بأنّه من غير المُتوقّع مُغادرة محظية الإمبراطور القصر قبل الساعة السابعة مساءً. عند سماع هذا، عادت الأم الحاكمة وآخرون إلى داخل يونغ كُوْفُوْ وأخذوا قسطاً من الراحة إلى حين سماع صوت المُنادي الرسمي في الشارع. وعلى الفور أسرع الجميع إلى

الخارج وأخذوا أماكنهم التي كانوا فيها سابقاً.

وبينما كان الجميع ينتظرون بصمت، وصل موظفين من القصر يسيران على جواديهما في الشارع ببطء. ثم نزلا عن جواديهما ووقفا ينظران إلى جهة الغرب-الجهة التي سيطل منها موكب المحظية. ولم يلبث أن أُطلَّ اثنان آخران، ثم اثنان إلى أن أصبح المجموع يقارب العشرة أزواج أو أكثر. وسمع صوت فرقة آتية من بعيد، وسرعان ما أُطلَّ موكب خاص بكبار موظفي البلاط الإمبراطوري، وهم يرفعون أعلام التنين، ومظلات طائر الفينيق، ومراوح احتفالية مصنوعة من ريش التدرج. ومن زوج من المباخر الذهبية المعلقة بالسلاسل، عبقّت الرائحة مع تصاعد كرة لولبية من الدخان إلى الفضاء. وما لبثت أن ظهرت مظلة صفراء ضخمة مزينة بسبعة رسوم لطائر الفينيق، ومن تحتها يجلس عدد من موظفي البلاط وهم يحملون أزياء المحظية الإمبراطورية الخاصة، وتبعهم مجموعة أخرى يحملون مجموعة متنوع من المواد والأشياء التي قد تستعملها المحظية أثناء زيارتها. وفي النهاية، ظهرت عربة فيها كُرسيّ مصنوعة على شكل سبعة طيور من الفينيق مُحاطة بتاج من الذهب يحملها سبعة من موظفي البلاط. ركعت سيّدة القصر مع الآخرين، لكنّ المحظية الإمبراطورية أمرت مجموعة من الموظفين لرفعها عن الأرض. عند المدخل الثاني لقصر تاكوان يُوّان، نزلت كاردينال سبرينغ من عربتها ودخلت القاعة، وبعد استراحة قصيرة، طلبت مركباً صغيراً للتحرك في البحيرة في جولة للتمتّع بمناظر الحديقة المُدهشة. وبالرغم من أنّ الشتاء كان في منتصفه وكانت أشجار الخوخ والمشمش عارية، فقد تمّ تشذيب الفروع وتزيينها بالأزهار والأوراق الاصطناعية، كما أنّها أضيئت بعدد لا يُحصى من المصابيح، فبدت وكأنّها في إزهار كامل. شعرت كاردينال سبرينغ بالغبطة؛ لكنّها أسفت لشيء واحد فقط، وهو طريقة الإسراف التي حصلت فيها الزيارة.

تقدّم الموظف المسؤول عن الاحتفالات، وطلب منها الجلوس في مقعدها في قاعة الاستقبال الرئيسية. وبدأت على التوالي باستقبال: أولاً، تشيا شيه، تشيا تشينغ، وأعضاء قصور تشيا الذكور، ومن بعدهم سيّدة القصر وإناث العائلة.

بعد تقديم الشاي لثلاث مرات مُتتالية، غادرت محظية الإمبراطور قصر تاكوان يوان، وانتقلت إلى يونغ كوفو حيث يوجد جناح سيّدة القصر. ولرغبتها في إلقاء التحية على السيدة، وعلى مدام وانغ وعلى الآخرين بناء على الأولوية العائلية- لكن سيّدة القصر لم تدعها تفعل ذلك.

كان هناك الكثير الذي يجب ذكره من كل جانب هنا، ولكن يحتر المرء من أين يبدأ. وعلاوة على ذلك، فقد كان هناك العديد من العوائق الكبيرة التي لا يمكن تجاوزها، مهما تعددت المُحاولات. فللحظات، لم يكن يُسمع شيء في الغرفة سوى صوت البكاء. وفي النهاية، تبسّمت المحظية رغماً عنها، وقالت:

- «إنها زيارتي الأولى للمنزل منذ أن أرسلتموني إلى ذلك القصر حيث لا أرى أيّاً منكم. علينا أن نفرح بدلاً من أن نبكي! ولا أعلم الآن، وربما إلى الأبد، متى أزورك من جديد».

بعد ذلك، وبإذن من المحظية الإمبراطورية، سُمح لكل من هسويه بي-ما، وبلاك دجايد، وبريشوس فيرتشو بالمثل أمامها، وأخيراً باو-يُو، لأنّه كان وبالزغم من كونه ذكراً، من المفضلين لدى شقيقته.

في هذه اللحظة، تمّ الإعلان عن بدء الاحتفالات في قصر تاكوان يوان. عادت المحظية الإمبراطورية تُرافقها سيّدة القصر وآخرين إلى القاعة الرئيسة في الحديقة، حيث كان بإمكانها، ولو لفترة قصيرة، التمتع بالحياة العائلية. احتفظت خلال تلك الفترة القصيرة بكل الأسماء التي اقترحها باو-يُو لمُختلف أنواع الأجنحة والقاعات. طلبت من أبناء عمومته ومن باو-يُو تأليف بعض المقاطع الشعرية للاحتفال بالمناسبة ومنحت مرتبة الشرف الأولى لكل من بريشوس فيرتشو وبلاك دجايد.

بعد الاحتفال واللوحة المسرحية، ذهبت المحظية الإمبراطورية إلى المعبد من أجل تقديم البخور والصلوات. وهناك، بكت كاردينال سبرينغ من جديد- إذ من الصعب عليها احتمال انسلاخها عن المكان، لكنّها كانت تخشى التلكؤ، وخاصة أنّ قوانين البلاط كانت صارمة.

الفصل الرابع عشر

وفيه تُشعل زبدية الكاسترد غيرة متوقّدة
وتكشف حفنة من البنسات شيء من الخسّة والدناءة

بعد انتهائها من الأنشطة المضنية التي تلازمت مع زيارة المحظية الإمبراطورية، استقرّت منازل تشيا تستعدّ للتمتع باحتفالات سعيدة لموسم رأس السنة الجديدة. كان هناك العديد من المسرحيات، واستعراضات الفوانيس، وألعاب حلّ الألغاز، والمآدب، وزيارات الأصدقاء، وأذونات لأكثر الخادماة أفضلية. من بينهن، كانت بيرفايدينغ فريغرانس، التي حصلت على الإذن لتمضية يوم مع عائلتها.

خلال غيابها، بدأت خادماة باؤ-يؤ يتصرفن ويلعبن على هواهن من دون رقيب أو حسيب. وحصل أن أقبلت راهبة باؤ-يؤ القديمة لزيارته، واستاءت كثيراً من رؤية غرفته غير نظيفة، والأرض مليئة بقشور وبذور الشّمَام، والخادماة مأخوذات باللعب واللهو. وهتفت تشكو ما ترى:

- «أنتن أيتها الفتيات لقد تدللتن كثيراً منذ أن تركتُ الخدمة هنا. إن باؤ-يؤ المصباح الطويل الذي يُضيء كل شيء إلا نفسه. نراه ينتقد الآخرين على عدم ترتيبهم، ولكن لا يبدو أنه يُلاحظ هذه الفوضى الموجودة في غرفته».

لم تعرها الخادماة اهتماماً، لأنّها قد تقاعدت من الخدمة ولا تملك عليهن أي سلطة. بالإضافة إلى أنهنّ كنّ قد اعتدن على تبرمها وغضبها. استمرت العجوز تسأل عن أحوال باؤ-يؤ، وعن شهيته في الطعام، ومتى يذهب إلى النوم وما إلى

ذلك من أموره التي كانت تهتم بها. أجابت عليها الخادما بأسلوب مُتقطع-كما
قالت اللواتي نفذ صبرهن منها:

- «يا للفضيحة التي تُحاول هذه المرأة العجوز التسبب بها!»

في هذا الوقت، وجدت لي-ما زبديّة كاسترد كان باؤ-يُو يحفظ بها ل-بيرفايدينغ
فريغرانس. قالت، وهي تشهيهها:

- «يا له من كاسترد لذيذا! لماذا لا تعطوني اياه أيتها الفتيات؟»

وما إن تناولت الزبديّة، حتّى حذرتها برايت ديزاين قائلة:

«أتركي هذه الزبديّة من يدك، لقد طلب باؤ-يُو الاحتفاظ بها لأجل هسي-
جين،⁽¹⁾ فلا تلمسيها، وإلا كوني مُستعدة من أجل تلقي اللوم».

أحسّت لي-ما بالضيق والخرج من هذا الكلام، وقالت:

- «لا أعتقد بأن يكون باؤ-يُو خالٍ من الكرم لدرجة أن يلومني لهذا، ولا حتى
على مُجرد زبديّة من الكاسترد. . فلا أعتقد بأنّه سيقول شيئا ولو فعلت
ذلك مائة مرة. لأنني موقنة من أنّه لن ينسى سريعا بأنّه قد رضع من صدري
وهو صغير ولن يُفضّل هسي-جين عليّ، وسترين ذلك».

أنهت كلامها، واستمرّت تمدّ بيدها إلى زبديّة الكاسترد.

حاولت ماسك مؤون، استرضاءها بلباقة أكثر، فقالت:

- «ما-ما بالتأكيد على حق. فلن يهتم باؤ-يُو للأمر، فإذا ما تأكّد من أنك
تُحبين الكاسترد، فإنه لن يتأخر في إرساله لك».

- «لا تُحاولي مُمازحتي»، قالت المُربية، ألا تعتقدين بأنني لا أعرف بأنّه قد
تضايق من إخبار لاؤ تاي-تاي عن الشاي. لكنني لم أهتم. أخبريه فقط
بأنني أكلت الكاسترد، وسأكون مسؤولة عن النتائج».

بعد ذلك، أنهت زبديّة الكاسترد وانصرفت.

(1) أي بيرفايدينغ فريغرانس.

في هذا الوقت، رجع باؤ-يؤ وعلى الفور، أرسل بطلب بيرفايدينغ فريغرانس. وبعد أن لاحظ برايت ديزاين مُستقلية على السرير، سأل:

- «هل هي مريضة، أم أنها أضاعت مبلغاً من المال؟»

قالت أوتومن سكايا:

- «كانت في المُقدّمة إلى أن وصلت الأرملة الكبرى لي، فصرفت الجميع بسبب تدمرها. ومنذ ذلك الوقت فقدت صوابها وهي الآن غير سعيدة بما حصل.»

قال باؤ-يؤ ضاحكاً:

- «عليك ألا تأبهي بها.»

عند عودة بيرفايدينغ فريغرانس، سأل باؤ-يؤ عن زبديّة الكاسترد. فأخبرته الخادِمات عمّا حصل. وحاول أن يقول شيئاً، لولا أن قالت بيرفايدينغ فريغرانس على عجل:

- «إذن، هذا ما كنت تحتفظ لي به. إنّه لمن الجميل أن تفعل ذلك، لكنني قد تناولت الكثير من الحلوى، وقد أصابني عسر هضم بسبب ذلك. إنني سعيدة لأنها أكلته، وإلا كان ليفسد ويُرْمى دون أن يستفيد منه أحد.»

في اليوم التالي، استيقظت بيرفايدينغ فريغرانس وقد أصابها صداع مترافق مع حُمى قوية. أرادت في البداية أن تنصرف لمزاولة مهامها كالمعتاد، لكنّها عادت وارتأت أنّه من الضروري الاستلقاء لشعورها بالتعب. أخبر باؤ-يؤ الأم الحاكمة بالأمر، فأرسلت تستدعي الطبيب، الذي قال بعد فحصها، إنّ مرضها لا يعدو كونه رشحاً وسوف تتحسن بعد تناول القليل من العقاقير التي وصفها لها-ووقف باؤ-يؤ يُراقب عملية تحضير الدواء، وشاهد الخادِمَة تأخذه. وبعد أن اطمأنّ إلى حصولها على الأغطية الكافية من أجل تسهيل عملية إفراز العرق، ذهب لرؤية بلاك دجايد. وبعد التحدّث إليها قليلاً، دخلت عليهما بريشوس فيرتشو. لكنّها بالكاد تجلس، حتى سمعوا جميعاً ما يُشبه التمتمة في غرفة باؤ-يؤ.

قالت بلاك دجايد:

- «يبدو وكأنّ مُربيتك لي ما توبّخ هسي-جين. إنّ هذه الخادمة لطيفة معها، لكنّ لي ما دائمة الضغط عليها-أحياناً تكون العجائز صعبة المراس».
- وعندما همّ باؤ-يُو بالذهاب إلى غرفته ليرى ما الذي يحصل، حذّرتة بريشوس فير تشو قائلة:
- «لا تدخل في أيّ نقاش معها، يجب أن تكون مرحاً معها طالما أنّها تكبرنا بسنوات».
- قال باؤ-يُو، وهو يعلم بأنّه لا يستطيع أن يقف إلى جانب الخادمة ضدّ مُربيته:
- «أنا أفهم ذلك».
- عندما وصل باؤ-يُو إلى غرفته، كانت لي ما لا تزال توبّخ بيرفايدينغ فريغرانس. سمعها تقول:
- «إنّك عاهرة صغيرة ناكرة للجميل. لقد أصبحت تتجاهليني كلياً الآن، حتّى أنّك لا تقفين لتحيّتي عندما أدخل. أعرف بأنك كنتِ تقولين أشياء ضدّي لـ باؤ-يُو وحرّضتبه عليّ. فهو لا يُصغي الآن إلّا لك-فمن تظنّين نفسك؟ فأنتِ لستِ سوى عبدة تمّ شراؤها بوضع قطع من الفضة. فإذا لم تُحسني التصرف، فسوف أطرّدك وأزوّجك بعيداً عن هنا، ولنرى كيف ستغوين وتفتنين باؤ-يُو عندها».
- في البداية، ظنّت بيرفايدينغ فريغرانس بأنّ لي ما غاضبة لأنّها لم تنهض لتحيّتها، فقال موضحة:
- «أنا لست على ما يُرام، وكنت أحاول التعرّق. فلم أنتبه لدخولك ورأسي مُغطّى بالكامل».
- ولكنّها فيما بعد، لا سيّما عندما اتّهمتها لي ما بغواية باؤ-يُو وتحريضه عليها، شعرت بالذل وانفجرت بالبكاء.
- بالرغم من تصميم باؤ-يُو بعدم اتّخاذ جانب بيرفايدينغ فريغرانس، لكنّه أحسّ بأنّه غير قادر على توجيه أيّ كلمة لها. فأخبر مُربيته، بأنّها هي فعلاً مريضة وليست على ما يُرام وتتناول الأدوية من أجل ذلك. وقال لها مؤكّداً:

- «وإذا كُنْتُ لا تُصدِّقين ما أقول، فبإمكانك التأكّد من بقية الخادِمات».

لم تفتنح المُربّية بما سمعت، بل ازدادت حنقاً. وقالت بعصبية:

- «إنّك دائماً تُقف إلى جانب هذه الثعالِب. لقد نسيت كل ما فعلته من أجلك. وحتّى لو حاولت أن أسأل الخادِمات الأخرى عمّا يحدث هنا، فسوف يقلن أيّ شيء لإنقاذك أنت وهسي-جين. إنني أعرف تماماً حيلك وخدعك، وكم أتمنّى أن تذهب معي لمواجهة لاو-تاي-تاي وإخبارها بالذي كان يجري هنا. لقد ربيتك على صدري، والآن لا تحتاج إليّ أبداً- لقد نبذتني جانباً من أجل هذه الثعالِب».

وما أنهت كلامها حتّى انفجرت في البكاء هي أيضاً.

في هذه اللحظات، دخلت بلاك دجايد مع بريشوس فيرتشو إلى الغرفة. وشرعنا بمُحاولة تهدئتها قائلتين لها بأنّها الأكبر سنّاً والأكثر حكمة من الجميع، ولا بد من أن تتجاهل هذه الأشياء التافهة. ونتيجة لذلك، بدأت لي ما بتعداد أسباب أحزانها؛ فأخبرت الجميع عن قصة الشاي، وعن الكاسترد وغير ذلك من الأشياء المؤسفة التي وقعت لها.

حدث في هذه الأثناء أن كانت فينيكس في غرفة السيّدَة تُجري الحسابات، وتعمل على تسجيل الخسائر والأرباح. وحينما تناهى إلى سماعها ما يحصل في غرفة باو-يُو، أدركت بأنّ لي ما قد عاودتها أزمتهما بسبب الخسارة التي مُنيت بها في لعبة الورق وأنها لا تزال متعكّرة المزاج. وعلى الفور تحركت فينيكس إليها، فأمسكت بيدها وقالت:

- «لا تتأسي أو تتركي الغضب يُسيطر عليك، ما-ما. إنّه وقت رأس السنة الجديدة، وأنت تعلمين ذلك، ولاؤ-تاي-تاي في أحلى ظرافتها اليوم. فبدلاً من تفقدي مزاجيتك بهذه الطريقة، عليك أن تكوني مُصلحة عندما يتشاجر الجميع. أعرف أنّك لا ترغبين في إفساد يوم لاؤ-تاي-تاي، أليس كذلك؟ فإذا ما حاولت أيّ واحدة إغضابك، فما عليك إلّا إخباري، وسترين كيف سيكون عقابي لها. والآن، لدي ما تشتهيهِ من لحم الدراج المطهي، فتعالِي

معي واحصلي على البعض منها».

أطلق الجميع تنهيدة من الأعماق وتنفسوا الصعداء حينما أنهضت فينيكس المربية العجوز وأخذتها معها. قال باؤ-يؤ بعد مغادرتها:

- «كان من المناسب، لا بل من الجيد، مجيء فينيكس إلى هنا، وإلا من كان سيعرف إلى متى ستستمر هذه العجوز في ثورتها. لا بد من أن أحداً قد تسبب لها بمُشكلة ما حتى صبت جام غضبها على هسي-جين».

لكن برايت ديزاين، وبسبب نفحة الغيرة التي شعرت بها على التعاطف التي أبدته الخادمة الأخرى، قالت وهي تُحدّق بها:

- «لا أستطيع التفكير بأحدٍ آخر يُمكن أن يكون قد تسبّب لها بالغضب، فلو كنتُ أنا السبب، لما توانيت عن تحمل المسؤولية بدلاً من تركها تصب غضبها على الآخرين».

لم تشأ بيرفايدينغ فريغرانس الردّ بالمثل، ولم ترد أن تُضايق باؤ-يؤ أكثر. ولكن، حان في هذا الوقت موعد الدواء، فقام باؤ-يؤ شخصياً بإعطائه إلى بيرفايدينغ فريغرانس.

بعد أن فرغت من تناول الدواء، قالت تُخاطبه:

- «من الأفضل أن تكون الآن في غرفة لاؤ تاي-تاي، من أجل الغداء سواء أكنت جائعاً أم لا. وسوف أحاول أن آخذ قيلولة أثناء غيابك».

فعل باؤ-يؤ ذلك، لكنّه عاد فور انتهائه من تناول الغداء، بسبب انشغاله بما قد تكون عليه بيرفايدينغ فريغرانس في غيابه؛ فشعر بالإرتياح عندما رآها تنام ملء عينها.

في هذا الوقت، غادرت برايت ديزاين مع الخادومات الأخريات من أجل لعب الورق والتسلية بأمور أخرى. وكانت ماسك موون لا تزال لوحدها في الغرفة الخارجية تلعب السوليتير. فسألها باؤ-يؤ:

- «لماذا لم تذهبي معهن؟»

قالت مُتَحسرة:

- «لأنني لا أملك المال».

- «وماذا عن كومة المال الموجودة تحت سريرك»، سألتها باؤ-يؤ بنوعٍ من الغرابة، مُضيفاً: «ألا يكفيك ذلك؟»

أجابته مُستهجناً:

- «لا بد من بقاء أحدٍ هنا للمراقبة».

قال باؤ-يؤ في سرّه: "إنها أشبه ما تكون نسخة طبق الأصل عن هسي-جين".
ثمّ قال يُخاطبها:

- «إذن، يُمكنك الذهاب ومُشاركتهن اللعب».

- «حسناً، طالما أنت هنا، فسأبقى معك أنا أيضاً من أجل تسليتك».

قال باؤ-يؤ مُستغرباً جوابها:

- «وما الذي سنفعله؟ افترضني بأنني أريد أن أمشط لكِ شعركِ، ألم تقولي بأنك قد شعرتِ بحكةٍ في رأسك هذا الصباح؟»

- «حسناً»، قالت ماسك موون ذلك، ثم ما لبثت أن أحضرت علبة أدوات زينتها، وأفلتت شعرها.

وما كاد باؤ-يؤ أن يشرع بتمشيط شعرها، حتّى دخلت برايت ديزاين لتأخذ المزيد من المال. وحينما شاهدت ما يفعله باؤ-يؤ، قالت بنوع من السخرية:

- «ماذا! تُمشط لها شعرها في حين أنّك لا تأبه حتّى لتبديل أكواب زفاف».

قال لها باؤ-يؤ ضاحكاً:

- «تعالِي أنت أيضاً وسأمشط لكِ شعركِ مثلها».

- «أنا لستُ أهلة لهذا الشرف»، قالت برايت ديزاين هذا، وأخذت القليل من المال وخرجت من جديد.

نظر كل من باؤ-يؤ وماسك موون إلى بعضهما البعض في المرأة وضحكا. ثمّ قال باؤ-يؤ:

- «من المؤكّد أن لديها لسان سليط».

في هذا الوقت، تنبّه باؤ-يُو إلى إيماءة ماسك موون له بعدم الكلام، ولكن بعد فوات الأوان- فلم تلبث برايت ديزاين أن اندفعت عائدة إلى داخل الغرفة وهي تقول:

- «ما الذي تعنيه بقولك أنني ذات لسان سليط؟ ما الذي دفعك إلى قول هذا، أريد أن أعرف؟»

- «عودي إلى لعبتك»، قالت لها ماسك موون، مُحاولَة صرفها عن التسبب بأيّ سوء تفاهم، وأضافت: «لا تأبهي له، هيا عودي».

رَدّت عليها برايت ديزاين حانقة:

- «تُحاولين حمايته، إيه؟ فلن تستطيعي خداعي بحيلكِ النافهة. فلسوف أعود إليكُما أنتما الاثنين بعد أن أربح ما خسرتَه من المال».

شعرت بيرفايدينغ فريغرانس في اليوم التالي بتحسّن كبير، بعد أن تصببت منها كمية لا بأس بها من العرق خلال الليل. أحس باؤ-يُو بالراحة لذلك، وفي فترة ما بعد العشاء، ذهب لزيارة هسويه بي-ما.

في تلك الأثناء، كانت بريشوس فيرتشو وأوريول ولوتوس يلعبن الداما مع تشيا هوان وشقيق باؤ يُو ومع خليطة تشيا تشينغ-تشاو بي-نيانغ. كانت بريشوس فيرتشو دائماً تُعامل تشيا هوان باهتمام بالغ، وهكذا، عندما وصل وأراد المُشاركة في اللعبة، قامت على الفور بإفساح المجال له. وقبل بدء اللعبة، أنفق الجميع على الزّهان: عشر قطع من الفضة عن كل لعبة. ربح تشيا هوان اللعبة الأولى وكان سعيداً جداً بذلك- لكنّه سرعان ما خسر في عدة لعب متتابعة وبدء يشعر بالخيبة وعدم الرضا. عند هذه النقطة بالذات، فكّر بأنّه سيربح لو رمى «سبعة» أو «سته»، لكنّه سيخسر لو رمى «ثلاثة». ومن أجل ذلك، حمل النردين ورمى بهما بكلّ قوّته. استقرّ حجر النرد الأول وأظهر «إثنين»، بينما كان لا يزال النرد الثاني يدور. صرخت أوريول للرقم «واحد»، بينما كان تشيا هوان يهتف برقمين: «أربعة» أو «خمسة». إلا أنّ النرد توقف مُظهراً الرقم «واحد».

شعر تشيا هوان بالخيبة، فأمسك بحجر النرد ورماه بغضب، مُصراً على أنه كان «أربعة». قالت أوريول بحدّة:

- «لا أبداً، كان الرقم «واحد» واضحاً».

لكنّ بريشوس فيرتشو، التي لاحظت علامات اليأس على وجه تشيا هوان، رمت أوريول بنظرة تحذير، وقالت:

- «إنك تنسين نفسك. فهل يُعقل أن يعمل سيد جليل على غشك من أجل بضع قطع من الفضة؟»

تركت أوريول المال، لكنّها راحت تُتمتم بينها وبين نفسها بأنّها لم تظنّ أبداً بوجود أحد من الأسياد يهدف إلى خسارة مفتعلة لخدمة من أجل حفنة من المال. ثمّ قالت:

- «لو كان باؤ-يؤ لما فعل هذا أبداً-فهو لا يآبه أبداً لأيّ خسارة، بل أنّه كان ليعطي الخادما كل ما يتبقّى معه من مال فور انتهاء اللعبة».

قال تشيا هوان بنفور:

- «كيف تُمكن مقارنتي بـ باؤ-يؤ؟ إنكّن جميعاً تقفّن إلى جانبه وتقصدني، لا لشيء إلا لأتني لستُ ولدأ من أولاد تاي-تاي».

دخل باؤ-يؤ الغرفة عند هذه النقطة بالذات، وسأل عن المُشكلة. مسح تشيا هوان عينيه ولم يقل شيئاً-ذلك أن القاعدة الضارمة في عائلة تشيا، كانت تقول بأنّه على الأخ الأصغر في العائلة أن يخضع للأخ الأكبر ويؤدي له الاحترام دون تردد. وبالمقابل، فإن باؤ-يؤ لم يكن في وارد مُمارسة سلطته أو طلب الخضوع له من أيّ نوع كان. مع العلم، بأن باؤ-يؤ كان يُعامل تشيا هوان باهتمام بالغ، لأنّه لم يكن يرغب في إشعار أخيه غير الشقيق بأنّه في موقع أقل اعتباراً منه. لكنّه شعر اليوم بالغَيْظ من سلوك تشيا هوان غير اللائق - وفي الوقت نفسه، كان مُدركاً مدى دبلوماسيّة بريشوس فيرتشو في هذه الأمور. فلم يكن بإمكانها تبرير سلوك تشيا هوان، ولا إعطائه سبباً لإرضائه؛ وانطلاقاً من ذلك، قام باؤ-يؤ بتوبيخ تشيا هوان وصرفه.

حينما عاد تشيا هوان إلى غرفة والدته، لاحظت على الفور مسحة الحزن على مُحياّه، وسألته:

- «من داس عليك هذه المرة؟»

راح تشبها هُوان يشرح لها موجز الحادثة، وعندها، لمحتة بنظرة استغراب واشمئزاز، وتابعت تقول:

- «ومن قال لك بأن تقفز هذه القفزة العالية؟ إنه حقاً لشيء مُشين يدعو إلى الخجل. فهل أنت مُجبر على الذهاب إلى الأماكن التي لا تُرْحَب بك، وتلتقى وصمة عار على أنفك؟»

حدث في هذه اللحظة أن كانت فينيكس تمرّ بالقرب من النافذة، وسمعت ما كانت تقوله تشاؤي-نيانغ. فتوقفت على الفور وأطلت من النافذة وقالت:

- «هذه ليست الطريقة المُناسبة للحديث بها في الشهر الأول من السنة. فهو ليس إلاً طفلاً، وما عليك إلاً مُعاتبته بالرفق إذا ما أرتكب أيّ خطأ، بدلاً من مُخاطبته بهذه اللهجة الفجة. عليك أن تفهمي قبل كل شيء بأنه لاو-يه وابن تاي-تاي، ومن أجل ذلك فقط عليك بتأديبه وتعليمه. وما يهَمُّك من كلّ ما يفعله؟ تعال معي يا أخي هُوان.»

أطاعها تشبها هُوان على الفور، كما يفعل عادة برهبة حضور فينيكس، وحتى أكثر من مدام وانغ؛ ولم تقل تشاؤي-نيانغ أي كلمة بعد ذلك.

قالت فينيكس توبخ تشبها هُوان وهما يقتربان من غرفتها:

- «لقد قلت لك مراراً وتكراراً بأن تُحسن من سلوكك. فكيف تتوقع من الآخرين احترامك إذا لم تفعل شيئاً سوى الحطّ من قدرك؟ قل لي، كم خسرت من القطع النقدية؟»

أجابها تشبها هُوان بلهجة حذرة:

- «حوالي المئتين.»

ردت عليه بنبرة مُفعمة بالاشمئزاز والغرابة:

- «كل هذه الجلبة من أجل مئتي قطعة؟ وأنت سيد! لا بل فينغ-يز!»

ثمّ نادى إحدى خادمتها، وقالت لها بلهجة الأمر:

- «إذهبي وأتني بألف قطعة نقدية في الحال.»

أعطت تشييا هُوَ ان هذا المبلغ من القطع النقدية وصرفته، وهي تُحذِّره من أنَّها ستضربه على قفاه إذا لم يُحسن من سلوكه وتصرفاته.

في هذه الأثناء، تلقى كل من باؤ-يُ وبريشوس فيرتشو، خبراً بأن ريفر ميست، ابنة أخت سيِّدة المنزل الكبرى، قد وصلت في زيارة للعائلة⁽²⁾. وسارا معاً إلى غرفة الأم الحاكمة من أجل الترحيب بالزائرة الجديدة. وهناك شاهدا ريفر ميست تضحك وتتحدث كعادتها. كانت فتاة مُسترجلة، تسر كل من تكلمهم بطريقة كلامها المنفتحة الصريحة ومزاحها الذي لا يتوقف. كانت الآن الأكبر سناً، لكنها ما زالت تتصف بروح أكثر حيوية من كل الشابات الأخريات في يونغ كوفو.

عندما رأت بلاك دجايد، التي كانت موجودة، باؤ-يُ، سألته:

- «أين كنت طوال هذه المدة؟»

- «كنتُ في غرفة باؤ تشي-تشي.»

- «إذن هذا هو الأمر»، قالت بلاك دجايد بمرارة، وتابعت: «وإلا لكنت هنا

منذ وقت طويل.»

قال باؤ-يُ:

«لا تُريدين مني تجاهل أحد، أليس كذلك؟ ليس هناك من حاجة لأن تكوني تهكِّمية لهذه الدرجة، فقط لأنني جالستها فترة قليلة.»

- «لستُ أدري عما تتحدَّث»، قالت بلاك دجايد، وتابعت مُضيفة: «فما همَّني

أين تذهب؟ فأنا لا أتوقَّع منك شيئاً. ولا أهتمُّ أيضاً، إذا ما أتيت لزيارتي

أم لا.»

وما لبثت أن أنهت كلامها، حتى انصرفت عائدة إلى غرفتها. إلا أنَّ باؤ-يُ لحق

بها وراح يُكلمها بنوع من التملُّق:

- «لماذا جُننتِ بشكل مُفاجئ؟ حتى ولو قلتُ لك ما يُغضبك، ما كان يجب

(2) هذه هي الطريقة التي تمَّ فيها تقديم ريفر ميست (أو هسيانغ-يُون)-إحدى «خادمات تشيلينغ الإثنا عشرة».

أن تُغادري بهذه الطريقة الفظة وفي الغرفة زائرة جديدة».

قالت بلاك دجايد بنبرة تحدّ:

- «هذا ليس من شأنك».
 - «طبعاً ليس من شأنِي»، ردّ عليها باؤ-يؤُ مُحاولاً استرضائها، وتابع: لكنني لا أريدك أن تؤذي نفسك ويعود إليك المرض من جديد.»
 - «وما همّك لو مرضتُ من جديد؟ فهذا لا يعينك حتى ولو مت.»
 - «وهل عليك أن تتكلّمي بهذه الطريقة، قال باؤ-يؤُ مُحاولاً تهدئتها، وتابع: «إنها فترة الشهر الأول من السنة، وبالرغم من هذا، تتحدّثين عن الموت».
- قالت وقد ازدادت حدّة:

- «سأقول ما أريد. مَوْت، مَوْت، مَوْت!»
- وصلت عند هذه اللحظة بريشوس فيرتشو وأخبرت باؤ-يؤُ بأن ريفر ميست كانت تسأل عن مُشكلتك. ثمّ جرّت باؤ-يؤُ من يده وقالت:
- «هيا تعال معي الآن».
- عند ذاك، ازداد غضب بلاك دجايد وبدأت بالبكاء. وفي وقت لاحق، عاد باؤ-يؤُ إليها فوجدها لا زالت تبكي، فحاول جاهداً استرضائها والتخفيف عنها.

قالت له:

- «وما الذي دعاك إلى العودة؟ وما همّك أنت أموت أو أعيش! فلديك الكثير من الأشخاص لتتسلّى وتلعب معهم، أشخاص أكثر ذكاء وأهمية منّي، أشخاص يقلقون عليك أكثر—ومن يدري متى أنقذك من أحد مواقفك البغيضة إيّاها».

وفي النهاية، قال لها باؤ-يؤُ بشيء من الجدّ:

- «أرجوك الآن، أمن المُمكن أنّك لا تدرين بالمقولة التي تقول بأنّ القريب البعيد لا يمكنه الوقوف ما بين الأقرباء المُقرّبين، وأنّ الأصدقاء الجدد لا يستطيعون الوقوف ما بين الأصدقاء القدامى؟ فقبل كل شيء، أنتِ إبنة عمّي لجهة والدي، بينما باؤ تَشِي-تَشِي هي فقط إبنة عمي لجهة والدة.»

وبذلك، تأتين أنت في المرتبة الأولى. لقد تربينا فعلياً معاً—أكلنا على الطاولة نفسها، ونمنا في الغرفة نفسها. فكيف تحسّين بأنني أقرب منها إليك؟»

- «وهل تعتقد حقاً بأنني غضبت لأنك تهتم بها أكثر مني؟ لستُ بهذه البساطة أو السذاجة كما تظن، إن المُشكلة هنا في قلبي.»
- «الشيء نفسه يحدث معي»، قال باؤ-يُو، وتابع: «عليك أن تفهمي ما الذي يجري لقلبي أنا أيضاً.»

صممت بلاك دجايد لوهلة، ثمّ عادت تقول:

- «لكنك دائماً ما تقوم بأشياء تستفزني. فاليوم مثلاً، بارد جداً وأنت لا تُريد أن ترتدي معطفك.»
- «لقد كنت أرتديه»، قال باؤ-يُو، وتابع مُبتسماً:
- «لكنني انفعلت عندما رأيتك غاضبة وخلعته.»
- «وهكذا سُنصاب بالرشح، وتتسبب بالقلق للجميع.»

بعد ذلك، دخلت ريفر ميست التي تبقى دائماً مع بلاك دجايد، أثناء زياراتها، وعندما رأت باؤ-يُو مع بلاك دجايد، مازحتها قائلة بأنها كانت تستحق الاهتمام قليلاً في يومها الأول من الزيارة. أما بلاك دجايد، فقد سخرت من عادة ريفر ميست في اللثغ أثناء الكلام. ثمّ دخلت بريشوس فيرثشو، وتحذّث الجميع وتسامروا ضاحكين إلى حين اجتمعوا للغداء على سفرة الأم الكبيرة.

الفصل الخامس عشر

وفيه يكشف باؤ-يؤ عن إحدى عاداته الغريبة
ويكشف تشيا لين الأنواع الشائعة من نوع فشله

استيقظ باؤ-يؤ باكراً في صباح اليوم التالي، وانطلق مُسرِعاً إلى جناح بلاك دجايد، حيث وجدها هي وريفر ميست لا تزالان في السرير تغطّان في نومٍ عميق. كان الغطاء مشدوداً بشكل مريح من فوق كتفي بلاك دجايد، لكن كتفي ريفر ميست كانا مكشوفين. فقال في نفسه: 'حتى أنها لا تستطيع النوم بشكل صحيح، لو أنّ هناك تيار هوائي فلسوف تشكو من آلام كتفيها من جديد'. وما إن حاول رفع الغطاء من فوقها، حتى صحت بلاك دجايد وسألته عما يفعله في الغرفة من الصباح الباكر.
ردّ باؤ-يؤ:

- «باكراً! إنهضي بنفسك وانظري إلى الوقت كم هو الآن».

قالت له على الفور:

- «أخرج من الغرفة إذن، ودعنا نرتدي ثيابنا».

خرج باؤ-يؤ إلى غرفة الجلوس، بينما أيقظت بلاك دجايد وريفر ميست. وما إن ارتدتا ثيابهما، حتى انضمّ إليهما باؤ-يؤ من جديد، وجلس بالقرب من منضدة الزينة يُشاهدتهما وهما تغسلان وجهيهما وتُرتبان هندامهما. عندما انتهت ريفر ميست من غسل وجهها، وحملت الخادمة الماء لترميه خارجاً، استوقفها باؤ-يؤ قائلاً:

- «عليّ أيضاً أن أغسل وجهي بالماء نفسه. فليس من داعي للإسراف بالماء،

وسئصبرني ذلك حتى أعود إلى غرفتي».

لم تنخدع الخادمة بعذر باو-يو الشكلي، لكنّها اكتفت بهزّ رأسها قائلة:

- «لا يزال باو يو كما هو. متى تنوي فتح صفحة جديدة؟»

بعد انتهاء ريفر ميست من تسوية شعرها، طلب منها باو-يو ترتيب شعره، وبعد فترة من التملّق، فعلت له ذلك دون تردّد. وبينما كانت ريفر ميست مشغولة بهندامها، لعب باو-يو بكل الأشياء التي كانت على طاولة الزينة. ثمّ وصلت يده إلى علبة أحمر الشفاه، فرفعها وهو يتساءل ما إذا كان بقدوره تذوّق القليل من دون معرفة ريفر ميست. ولكنّها عندما رأت في المرآة ما ينوي فعله، نزعت العلبة من يده وهي تقول:

- «ما هذا السلوك المثير للإشمئزاز! ألن تُغيّر من تصرّفاتك أبداً؟»

دخلت إلى الغرفة في تلك اللحظات بيرفايدينغ فريغرانس، ولمّا أحست بأنّ باو-يو لا يحتاج إليها في الوقت الحاضر، انصرفت إلى غرفتها لتهتم هي الأخرى بهندامها. وسرعان ما مرت بها بريشوس فيرتشو، وعندما سألت الخادمة عن مكان وجود باو-يو، أجابتها بيرفايدينغ فريغرانس وقد ارتسمت على مٌحيائها ابتسامة خبيثة:

- «من النادر أن تجديه في غرفته هذه الأيام.»

فهمت بريشوس فيرتشو ما قصدته بيرفايدينغ فريغرانس بجوابها، لكنّها صممت ولم تقل أي شيء. لكنّ الخادمة استمرّت في الكلام:

- «ليس هناك من خطأ في صداقة أبناء العمومة، إلّا أنّ هناك حدوداً لكل شيء. فهذا النوع من الألفة في الليل النهار لن يسلم دائماً. ولكن لا فائدة من الحديث مع باو-يو حول الموضوع. إنّ هذا النوع من النصائح قد أصبح بالنسبة له أشبه بنسمة هواء تمرّ بالقرب من أذنه.»

أعجبت بريشوس فيرتشو بملاحظات بيرفايدينغ فريغرانس، وجلست تُحادثها لفترة من الوقت، تسألها عن عائلتها، وتشرح لها وجهة نظرها في العديد من المواضيع. وهكذا ازدادت إعجاباً ببراعتها وبطريقة تفكيرها، لا سيّما عندما عرفت المزيد عنها. لم تُغادر بريشوس فيرتشو الغرفة إلّا بعد عودة باو-يو إلى البيت في

وقت لاحق، حيث نهضت وانصرفت من دون أن تتبادل معه حتى التحيات. عندما شعر باو-يو بما بدر منها، سأل بيرفايدينغ فريغرانس:

- «لماذا خرجت باو تشي-تشي بهذه الطريقة المفاجئة؟ لقد كنت تجرين حديثاً رائعاً معها».

لم تزدَ بيرفايدينغ فريغرانس عليه حتى أعاد تكرار السؤال على مسامعها من جديد. ثم ما لبثت أن ردّت ببرودة واضحة:

- «ولماذا تسألني أنا؟ فكيف لي أن أعرف ما الذي يدور بينكما أنتما الإثنين؟»
بعد أن لاحظ باو-يو التغيير المفاجئ في نبرة صوتها، قال باو-يو بلهجة توفيقية:
- «ما الذي جعلك تغضبين من جديد؟»

أجابت بيرفايدينغ فريغرانس بشيء من الهدوء:

- «ولماذا لا يُفترض بي أن أغضب؟ لا تأتي إلى هنا مرة ثانية أبداً. فلديك أناس آخرون ينتظرونك، ولست بحاجة إليّ بعد الآن».

قالت ذلك، ثم استلقت على الكانغ، ولم تعد تُعير باو-يو أدنى اهتمام. وفي النهاية، ملّ من تكرار مُراضاتها والتملّق لها، فغادر إلى سريره واستلقى عليه. وبعد أن فكّرت بيرفايدينغ فريغرانس بأنه قد نام، نهضت لتلقي عليه الغطاء، لكنّه طرحه بعيداً مُتجاهلاً وجودها. أثارها هذا التصرف فقالت:

- «من المفترض ألا تغضب. من الآن وصاعداً سألعب دور الصمّاء ولن أتفوه بأي كلمة، إذا ما كان ذلك يُعجبك».

قال باو-يو مُتسائلاً:

- «ولكن ما الذي فعلته؟ لا تهمني ملاحظتك، ولكن لا أحب أن أبقى في حيرة من أمري- فلم تخبريني أبداً عن السبب».

قالت الوصيفة:

- «إنّك تعرف تماماً ما السبب».

ومن جديد، قطعت سيّدة البيت الحديث بدعوتها الجميع إلى مأدبة الغداء.

عندما عاد باو-يو إلى غرفته الخاصة، كانت بيرفايدينغ فريغرانس تستلقي على السرير، وكانت ماسك موون تلعب السوليتير. لم يهتم بأي منهما، لا سيما وأنه كان يعلم مدى تفاهمهما. نهضت ماسك موون من مكانها ولحقت به لتستطلع حاجاته، لكنه دفع بها خارجاً وهو يقول:

- «لا تزعجيني، لا أريد أن أتسبب بالمشكلات».

قزرباو-يو أن يُحافظ على رباطة جأشه، بحيث لا يترك أي نوع من الاستفزات أو النصائح السخيفة التي ستوجهها إليه خادمتها الرئيسة تؤثر في مزاجيته. فإذا لم يكن قادراً على إثبات نفسه كسيد ويطلب إليها السكوت، فعليه، على الأقل تجاهلها ولو لدقائق لكي تتأكد هي والأخريات بأنه مُستاء وغير سعيد. وهكذا، بدأ في كل أمسية يقرأ مُتجاهلاً بيرفايدينغ فريغرانس أو حتى ماسك موون.

لم يكن باو-يو من النوع الذي يحمل الضغينة لوقت طويل. عندما استيقظ باكراً في اليوم التالي، كان قد نسي كل ما كان من سوء فهم بينه وبين بيرفايدينغ فريغرانس في الأمسية السابقة. لكن الوصيفة لم تكن مُستقرّة، وكانت قد نامت بثيابها مُستلقية على السرير فوق الغطاء. وما كان من باو-يو إلا أن يوقظها لتُغيّر ملابسها وتنام من جديد تحت الغطاء. عند ذلك، قالت الوصيفة:

- «لا تُشغل نفسك بي، ولكن أسرع للإغتسال قبل فوات الأوان».

بعد ذلك، راحت توضح له أسباب غضب بيرفايدينغ فريغرانس وتناقشها الحاد معه. وقد استدرك، بالطبع، أن الخادمة تُحاججه بولاء، وقد بدا له بأنها رائعة ومُحبّبة حتى في نكدها أكثر من ذي قبل. ثم تناول دبوس شعر من اليشم وكسره إلى قطعتين وقال:

- «ليفعل بي الله مثل هذا الدبوس إذا ما تسببت لك بأي شيء يُغضبك أو بأي شيء قد يدفعك إلى التذمر».

قالت الخادمة وهي ترفع قطعتي الدبوس عن الأرض:

- «وهل يُفترض بك أن ترمي هذا اليمين؟ وفي أول الصباح أيضاً؟»

قال باو-يو بنبرة ندم:

- «ليست لديك أدنى فكرة كم أكون مُتضايقاً حينما أراكِ غاضبة».
- «أنت مُتضايقةٌ إذن!»، قالت بيرفايدينغ فريغرانس تعترض وهي تتأملهُ بالكامل، وتابعت تقول: «وماذا عني؟ لقد ارتديت جيداً الآن، واعتنيت بهندامك. أعتقد بأنه قد حان وقت ذهابك إلى لاؤ تاي-تاي».

عرف باو-يو وهو في جناح سيّدة المنزل، بأنّ تشيا تشي، ابنة فينيكس، قد أصيبت بمرض الجدري. وكانت فينيكس مُشغلة بالتدابير والمحاذير الواجب اتخاذها في مثل هذه الحالات. وفي هذا الإطار، تمّ وضع لوحة تذكارية لإلهة الجدري، ووضعت القرابين والهدايا أمامها؛ وأمرت الخادّات المُرتبطات بجناح فينيكس بمُراقبة لائحة المُحرّمات. وفي الوقت نفسه، أُعدت غرفة جانبية للطبيبين المعانين، بينما نُقل تشيا لين إلى غرفة دراسته في المُجمّع الخارجي.

لم يعتد تشيا لين النوم لوحده؛ فقد كان يبحث عن فرصة للتسلل من المكان عندما لم يكن تحت رقابة زوجته-ففي الليلتين الأولى، استعان بواحد أو باثنين من خلاته الوسيمين، لكنّه عاد وعثر على طريقة أفضل حدث في يونغ كُو فُو أن كان هُنَاك طبّاخ لديه زوجة جميلة. كانت هذه الزوجة تُدعى تو، وكان هو يُلقّب باسم هُوَن-تشانغ أو «مسلوب العقل»، لأنّه كان يغفل عن كلّ شيء طالما لديه أي كمية من النيذ. ومِمّا حصل عن ذلك، أن زوجة هذا الطباخ، وتُعرف باسم تو كُو-نيانغ، كانت تتمتع بحرية التصرف أكثر ممّا ينبغي. كان تشيا لين يضع عينيه عليها لفترة من الوقت، لكنّه لم يكن قادراً على مُحاباتها بسبب يقظة زوجته الدائمة. وكانت تو كُو-نيانغ بالمُقابل، لديها هذه التطلّعات المُشابهة، وتفكر على نفس المنوال، مُدركة أنّه سيكون سخياً معها أكثر ممّا يفعله الخدم. لذلك، أوجدت مُختلف أنواع الذرائع من أجل أن تذهب إلى مكتب تشيا لين وعرض مفاتها أمامه.

قرّر تشيا لين بأن هذه ستكون فرصته. ولم تكن لديه أيّ موانع من إجراء ترتيبات قدومها إلى المكتب، مُتفوقاً بذلك على أحد خدامه الذي كان على علاقة حميمة معها. كان تو هُوَن-تشانغ في تلك الأثناء غارقاً في الشرب، وسرعان ما غاب عمّا حوله، وعن أفعال زوجته. وبالنتيجة، ذهبت تو كُو-نيانغ إلى مكتب تشيا

لين-ولم يُضَيِّعَ الإثنين وقتها سدى. كانت المرأة لعب وغاوية كأفضل الخبيرات في هذا المضممار، وسرعان ما جعلت تشيا لين يتصرّف كالعبد بين يديها. قالت له: - «من الأفضل ألا تقترب مِنِّي؛ فلديكم مرض الجدري في العائلة، وعليك ألا تُدنّس نفسك لكي لا تُغضب إلهة الجدري».

ما كان جواب تشيا لين على كلامها إلا بضع كلمات قالها بانقطاع النفس:

- «أنتِ إلهتي، وما همّني منها إن غضبت أم لا».

وهكذا، بنى تشيا لين علاقته مع تو كو-نيانغ أخيراً، وأجرى مُغامراته العاطفية معها أغلب الأيام الإثنا عشرة التي قضاها في مكتبه، وما لبث فيما بعد أن استمر بلقائهما حيثما تسنح له الفرصة.

حينما عاد تشيا لين إلى منزله، «تحول الفراق الطويل إلى شهر عسل جديد»، وأصبح أكثر تقديراً لاهتمامات فينيكس من ذي قبل. وفي الصباح التالي، وبعد أن ذهبت فينيكس إلى منزل مدام وانغ من أجل المُشاركة في اهتمامات الأمور اليومية. كانت باشينس تعمل على ترتيب الفراش الذي كان قد استخدمه تشيا لين أثناء وجوده في المكتب. في ظلّ هذه الأجواء، وجدت خصلة من الشعر الأثوي على الوسادة، فحملتها وذهبت بها إلى غرفة تشيا لين ورفعتها أمامه وقالت بابتسامة تنم عن معرفة: - «ما هذه؟»

هب تشيا لين من مكانه مُحاولاً نزعها من يدها، ودفع بها يحصرها إلى السرير مُهدداً بليّ يدها إذا لم تسلّمه خصلة الشعر هذه.

قالت له وهي تسخر:

- «كم أنت جاحد. لقد كنت أنوي إخفاؤها عن زوجتك، لكنك أنت الآن تُحاول نزعها مِنِّي بالقوة. فما الذي سيحدث لك إن أنا أخبرتها بالأمر؟»

في هذه الأثناء، أفلتها تشيا لين وقال:

- «حسناً يا غاليتي، لن أستعمل القوّة، ولكن أرجوكِ كوني هادئة وسلّميا لي».

بعد ذلك، عادت فينيكس إلى الغرفة، وطلبت من باشينس إيجاد بعض الأشياء التي تحتاجها مدام وانغ. وفجأة نظرت ناحية فراش تشيا لين وراحت تستفسر ما إذا كان قد تم جلبه إلى هنا. أجابتها باشينس عن ذلك:

- «نعم، لقد حصل ذلك».

سألته فينيكس:

- «هل من شيء ناقص؟»

- «لا كل شيء على ما يُرام».

- «وهل من شيء غير موجود ويُفترض بأن يكون موجوداً؟»، سألتها فينيكس بنوع من الشك.

تنهت باشينس إلى ما ترمي إليه فينيكس، وأجابت تتظاهر بالبراءة:

- «ما الذي تقصدينه بالسؤال؟ أعتقد بأننا جئنا لنهتّم بإعادة الأشياء إلى مواضعها وترتيب المكان».

- «أنت لا تعلمين بأمور الرجال»، قالت فينيكس بنبرة هادئة، وأضافت: «فلربما تركت إحداهن عن سهو خاتماً أو مندبلاً، أو حتى خصلة شعر».

عنها سمع تشيا لين هذا الكلام، ظهرت معالم الشحوب على وجهه، وأوماً بإشارة توّسل إلى باشينس، التي تظاهرت بأنها لم تره، وعملت على تغطيته بالقول:

- «في الحقيقة، لقد فكّرتُ بما تقولين، فتفحصت كل شيء بعناية لكنني لم أعر على أي شيء يدعو للشك. وبإمكانك، ناي-ناي، أن تتأكّدي من ذلك بنفسك».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «لا تكوني سخيفة إلى هذا الحدّ يا عزيزتي. فهل تعتقدين بأنه سيرك أيّ دليل لنا لاكتشافه؟»

قالت فينيكس ذلك وغادرت الغرفة وهي تحمل الأشياء التي طلبتها مدام وانغ. وما إن أصبحت وحيدتين من جديد حتى قالت له باشينس:

- «كيف ستشكرني على ما فعلته لك اليوم؟»
- تقدّم تشيا لين إليها ووضع يديه على وسطها، وراح يصفها بمختلف الأسماء اللطيفة. فقالت له وهي ترفع خصلة الشعر أمام عينيه:
- «سيبقى هذا معي سلاحاً ضدك طوال حياتي. وستكون كل الأمور بخير طالما أنّ كل شيء بيننا يسير على ما يُرام. وإلا سأخرج هذه الخصلة من المخبأ وأسلمها لها».
- «أرجوكِ خبأي هذه الخصلة في مكان آمن ولا تدعيها تراها».
- قال تشيا لين لها ذلك بنبرته اللطيفة. لكنّه وما إن أنهى ما يقوله، حتّى اختطف الخصلة من يدها على حين قائلًا:
- «إنّها بأمان أكثر الآن خارج يديك - وستكون بأمان أكثر وأكثر حين يتمّ إتلافها».
- «متوحّش ناكر للجميل»، ردّت باشينس على ما قام به وقد أظهرت عبستها الجميلة، وتابعت: «لا تتوقّع مني أن أكذب من أجلك مرّة ثانية».
- خلال مشاحته مع باشينس، بدأ تشيا لين يشعر بنيران العاطفة تشتعل في داخله-فهذه باشينس الآن قد أصبح أكثر رقةً وجمالاً من خلال شفيتها الرقيقتين وتوييخها الاستفزازي. وحاول من جديد أن يحتضنها وممارسة الحبّ معها، إلا أنّها صارعته وأفلتت نفسها منه وخرجت من الغرفة على عجل. قال لها بحقن واضح:
- «أيتها العاهرة التافهة، تُثيرين المرء بالكامل ثمّ تتركينه لناره وتهربي».
- وقفت باشينس عند النافذة وقالت ردّاً على ما سمعته:
- «من الذي يعمل على إثارتك؟ إنك لا تُفكّر إلاّ بملذّاتك. فما الذي تظنّه سيحدث لي إذا ما علمت زوجتك بالأمر؟»
- أجابها تشيا لين مُطمئنًا:
- «لا تخشيها. ففي أحد هذه الأيام سأكون في أحلى لحظات جنوني، وسأعانق جرّة الخمر المغرية تلك، ومن ثمّ سأعلمها حينها من هو السيد ها هنا. إنّها تتجسس عليّ وكأنني لصّ هارب. هي تسمح لنفسها بالحديث

مع رجال العائلة وممازحتهم والتسامر معهم ساعة تشاء، لكنّها تشتعل
غيرة وشكوكاً حين تراني أنظر إلى امرأة».

- «لعلّها ترى ذلك حسن بالنسبة لها، لأنها تفعل ما يجب عليها أن تفعله»،
قالت باشينس تُدافع عن سيّدتها، واستمرّت تقول: «إذا لم تُحاول أن
تكون لطيفة مع الجميع، فكيف لها أن تُدير شؤون المنزل؟ ولكن أنت-
أنت الذي تُفكر دائماً في أشياء لا ينبغي لك أن تُفكر فيها، حتى أنا لم أعد
أثق بك».

وبينما هما يتحادثان بهذه الطريقة من وراء النافذة، دخلت فينيكس البهو،
وعندما لمحت باشينس على هذه الحال، سألتها:

- «لماذا تقفين في الخارج وتتكلّمين من وراء النافذة؟ ألا يُمكنك الدخول
والتكلّم بشكل جيّد؟»

- «هذا ما كنت أقوله لها»، ردّ تشييا لين من داخل الغرفة، وقال: «إنّها تتصرف
وكأنني أسد يُريد افتراسها».

قالت باشينس تُبّرر وجودها في الخارج:

- «لا أريد أن أكون معه في الغرفة عندما لا يكون أحد في الجوار».

قالت فينيكس وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة خبيثة:

- «كان عليّ أن أعرف بأنّ الوقت كان مُناسباً والفرصة مؤاتية».

قالت باشينس بصوتٍ مُرتجف:

- «وهل كانت هذه المُلاحظة مُوجّهة لي؟»

أجابتها فينيكس على الفور:

- «ومن أقصد غيرك؟»

- «لا تدفعيني إلى قول أشياء لن تسرّك أبداً».

نظقت باشينس بهذه الكلمات وانصرفت غاضبة، حتى من دون أن ترفع ستارة

الباب لسيّدتها. رفعت فينيكس الستارة بنفسها ودخلت إلى الغرفة، ثمّ قالت:

- «لقد انصرفت الفتاة كالمجنونة! وستكون لي الكلمات الأخيرة معها لاحقاً،
أما أنت، فقد آن الأوان لكي تحمي جلدك».

شعر تشيا لين بالارتياح للذي جرى بين فينيكس وخادمتها. فقال وهو يُصَفِّق
ويضحك:

- «لم أكن أدري بأنّ باشينس شُجاعة إلى هذه الدرجة. أعتقد بأنّها قد أدّت
واجبها معك».

ردّت عليه فينيكس حانقة:

- «أنت السبب في دلالها إلى حدّ الفساد. وسوف أحاسبك على هذا،
وسترى».

قال تشيا لين وهو يسير باتجاه الباب:

- «لن أنتظرها هنا وأتركك تلقين كل أنواع اللوم عليّ».

لكنّها استوقفته على الفور وقالت:

- «إنّظر دقيقة. أريد أن تُخبرني ما الذي تنوي فعله بخصوص عيد ميلاد
هسويه ماي-ماي. إنّه في الحادي والعشرين من الشهر الحالي كما تعلم».

- «ولماذا تسأليني عن ذلك، وقد أدّرت العديد من احتفالات الميلاد الكبيرة
من قبل».

- «هذا ما أعنيه»، قالت فينيكس، وأضافت شارحة: «ففي أعياد الميلاد
الكبيرة، هناك إجراءات وترتيبات مُحدّدة يُمكن اتّباعها، أمّا هذا العيد
بالتحديد، فهو مُختلف».

فكّر تشيا لين بصمتٍ نحو دقيقة، ثمّ قال:

- «لما لا تفعلين الشيء نفسه الذي فعلته في عيد ميلاد لين ماي-ماي
الأخير؟»

- «هذا ما كنت أفكر به في البداية. لكنّ لاو تاي-تاي كانت تسأل عن أعياد
ميلاد الفتيات على وجه الخصوص. وعندما علمت أنّ هسويه ماي-
ماي ستتمّ الخامسة عشرة، قالت: 'طالما أنّها لم تكمل دورة كاملة من

السنوات، فهذا يعني بداية سنوات الخطوبة، ولذلك، أرادت تخصيصها بحفلة مُميّزة».

قال تشيا لين:

- «كوني سخية بمبلغ إضافي إذن».
- «هذا ما كنتُ أفكر به»، قالت فينيكس، وتابعت: «ولكنني أردتُ التأكد من أنكِ راضٍ عن ذلك، لكي لا تجد العذر لافتعال إشكال من جانبك في المُستقبل».
- «ردّ تشيا لين عليها، وهو يتّجه نحو الباب:
- «لماذا أصبحتِ هكذا كثيرة التفكير بشكلٍ مُفاجئ؟ سأكون راضياً ومُقتنعاً إذا لم تجدي أنتِ الذريعة ضدّي».

الفصل السادس عشر

وفيه يتضايق باؤ-يُو من اثنتين من حالات سوء الفهم
ويُصاب تشيياً تشينغ بالحزن بسبب أربعة من الأحجية الغريبة

في الحادي والعشرين، تم نصب مسرح صغير في قاعة سيّدة المنزل، وجُنّد جيش من المُمثلات اللواتي تم استجارهنّ للمُناسبة. كانت المُناسبة عائلية بامتياز، ولم يُدعى إليها أحد من الضيوف باستثناء هسويه بي-ما، وبريشوس فيرتشو، وريفر ميست. عندما وُجّه السؤال إلى بريشوس فيرتشو لتحديد ما الذي تُحبّ أن تراه أولاً، رفضت شرف التحديد أولاً، لكنّها عادت، وتحت إصرار سيّدة المنزل، إلى تحديد مشهد من مسرحية «قرد الشمس»، لأنّها كانت تعلم مدى حبّ سيّدة القصر للمسرحيات التي تحوي المشاهد المُفعمّة بالحركة والألعاب البهلوانية. بعد انتهاء هذا المشهد، كانت السيّدة سعيدة بالأداء، وطلبت من هسويه بي-ما هذه المرة تسمية ما تُحبّ، لكنّ هذه الأخيرة رفضت لأنّ ابنتها قد كان لها شرف الاختيار منذ قليل. وأخيراً، قامت فينيكس باختيار شيء تعرف بأنّه قد يُسعد السيّدة. بعد ذلك، جاء دور بلاك دجايد، وتبعها باؤ-يُو، ثمّ ريفر ميست وولكوم سبرينغ وغيرهم.

بدأت السيّدة في أوج روحها المعنوية العالية طوال فترة المساء. كانت مأخوذة على وجه الخصوص، بالطفلة التي كانت تؤدي دور البطلات، وتلك التي أخذت دور المُهزّجات. عند انتهاء العرض المسائي، استدعت المُمثلتين إليها وراحت تتحدّث إليهما. فوجدت أن عمر البطلة لم يتجاوز الحادية عشرة، بينما كانت الأخرى في التاسعة. أثر فيها عمرهما الطري بشكل عميق؛ فمنحتها المال وبعض

الأطعمة الشهية عن طاولتها.

وبعد أن نظرت إلى المُمثلات الأكبر سنّاً، قالت فينيكس بشكل مُفاجئ:

- «تُذكرني تلك الطفلة بأحد ما، احزري من؟»

كان على بريشوس فيرثشو الإجابة، لكنّها لم تقل شيئاً. وكان باو-يو يعلم، لكنّه لم يُجب بشيء هو الآخر. أمّا ريفر ميست فلم تتأخّر عن الإجابة:

- «نعم، يترأى لي بأنّها تُشبه لين ماي-ماي».

حاول باو-يو وقفها عن الكلام بإشارات من عينيه، ولكن بعد فوات الأوان. والآن، وبعد أن حدّدت ريفر ميست وجه التشابه، وافقها الجميع ضاحكين، مؤكّدين بأنّ هذه المُمثلة الطفلة تبدو وكأنّها نسخة طبق الأصل عن بلاك دجايد.

بعد أن عادت ريفر ميست إلى غرفتها، طلبت من خادمتها الاستعداد للرحيل.

قالت الخادمة لها باستغراب:

- «ما هذا؟ ولما العجلة؟ لن نذهب قبل بضعة أيام أليس كذلك؟»

قال باو-يو الذي كان قد تبعها إلى الغرفة:

- «لقد أخطأت في الحكم عليّ يا ماي-ماي، إنّ لين ماي-ماي شديدة

الحساسية. فكل واحد يعرف من تُشبه المُمثلة، لكن أحداً منهم لم يشأ

القول كي لا يُغضبوا لين ماي-ماي. لقد حاولت إيقافك عن الكلام لأنّني

أردت أن أجنبك أنت شخصياً التنافر معها. ولو أنّ غيرك فعل ذلك، لما

كنتِ اهتمت أبداً لو أنّ غيرك فعل ذلك».

قالت ريفر ميست غاضبة:

- «لا تُحاول أن تسترضيني. لقد كنتُ أعرف جيّداً ما الذي كان يدور في

خلدك، كنت تعتقد بأنّني غير مؤهلة لقول أيّ شيء عن محظيتك لين

ماي-ماي. وأرى أنّك على حق، لأنك تعتبرهن سيدات قديرات أما أنا فلا

شيء».

- «ما هذا الظلم!»، قال باو-يو بيأس، وتابع: «كنتُ أفكر بك فقط. فإن كانت

لديّ تلك الأفكار التي ترميني بها، فلتحولني السماء إلى رماد، ولأداس بألف قدم».

- «لا تجترّ بتلك اليمين التي تنطق بها أمامي، واحفظها لأمر أكثر حساسية». قالت ذلك وخرجت من الغرفة، تاركة باو-يو مُستاءً وفي حيرة من أمره. غادر باو-يو بعد ذلك لتفقد بلاك دجايد، لكنّها دفعته إلى خارج الغرفة وأغلقت الباب. وقف مُحترّاً ممّا حصل، وراح يتوسّلها، ولكنّها تجاهلته ولم تأبه لتوسّلاته. وبعد قليل، فتحت بلاك دجايد الباب، مُعتقدة أنّه قد غادر. فرأته يجوب البهو ذهاباً وإياباً، وهو يتوسّلها من جديد من أجل أن تُوضح له أسباب غضبها منه. قالت له بغضب شديد:

- «وتملك الوقاحة لتسأل أيضاً! لقد اعتقدتُ نفسي بأنني قد أصبحت مُجرّد أضحوكة من نكاتك السخيفة لتُقارنني بمُثّلة!»

- «أنتِ تعلمين بأنني غير قادر على المُقارنة»، قال باو-يو، وتابع: «فلماذا يجب أن تغضبي مني؟»

- «صحيح أنك لم تقل شيئاً، ولكنك كنت تنظر إلى يُون ماي-ماي، وتسخران مني بشكل سريّ. وهذا أسوأ من الضحك علانية. ثمّ ما الذي يُضريك أأغضبني ذلك أم لا؟ أو أنك تظن بأنّها ستحطّ من قدرها لو أنّها مازحتني؟ من السيّ أنّها لم تُقدّر تفكيرك، على عكسي أنا لأنني قد تعرّضت للسخريّة من وراء ظهري. وما يُفيدك إذا كنت حساسة ولا أتحمّل المُزاح».

تأكّد باو-يو من أنّ بلاك دجايد قد سمعت ما دار بينه وبين ريفر ميست من حديث. وهو كان يُفكّر فقط في مشاعرهما، وهذا ما ناله من شكر على ذلك. ثمّ غرق في تفكيره: فلماذا عليه أن يكون مُصلحاً إذا كان هذا هو جزاءه. وحينما اتّبه من تفكيره، نظر من حوله فلم ير أحداً. جاء كل ما حصل على عكس ما اعتاده باو-يو-فكانت بلاك دجايد مُتضايقة جداً، وأغلقت الباب من ورائه، فكان واضحاً من أنّه لن يعود أبداً أو أن يتكلّم معها من جديد.

عاد باو-يو وحيداً إلى غرفته، فاستلقى على سريره يحتضن أحزانه. حاولت

بيرفايدينغ فريغرانس تسليته والترفيه عنه، فقالت:

- «ستكون الحفلات الليلة متلاحقة؛ فستعمل هسويه كو-نيانغ على إعادة جو المُجاملات ودعوتنا إلى منزلها».

قال باو-يو حزينا:

- «وما همّني إن فعلت ذلك أم لا؟»

- «وما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟»، قالت له بيرفايدينغ فريغرانس مُحتجّة، وأضاف: «إنّه الشهر الأول من السنة، ومن المفترض أن يشعر أيّ شخصٍ بالسعادة».

- «ولكنّني لست أيّ شخص»، قال باو-يو ببرودة، واستمر بالكلام: «فقد يكون لكل واحد أسبابه بالسعادة، ولكن أنا شخصياً لست لديّ أيّ أسباب-فأنا وحيد في هذا العالم».

أشعرها كلامه هذا بالحزن، وفجأة انفجر في نوبة من العويل والنواح. ثمّ نهض وسار إلى مكتبه وشرع بتأليف قصيدة يُبين فيها رفضه صدق كل المشاعر والعلاقات الإنسانية، ساخراً من إسهاب الشعراء البوذيين الغامض. ثم شعر بالسكينة بعد ذلك، وعاد إلى سريره وغفى سريعاً على غير عادته.

كانت بيرفايدينغ فريغرانس مشغولة البال على باو-يو. وفي صباح اليوم التالي، قامت بعرض ما ألفه باو-يو على بريشوس فيرتشو التي كانت سعيدة به، كما قامت بدورها بعرضه على بلاك دجايد وريفر ميست. بعد ذلك قمن بمواجهة باو-يو بها. وبعد سلسلة من المُجاملات اللطيفة، ما لبث أن اختفى كل سوء التفاهم الذي عمّ الأمس بطوله وتلاشى بالكُلّيّة.

في هذه الأثناء، وصل خبر من سيدة المنزل، بأن المحظية الإمبراطورية قد أرسلت مجموعة من الأغاز لحلّها. ذهب الجميع إلى غرفة السيّدة، فوجدوا هناك أحد خدم البلاط ويده فانوس مُربع من الحرير الأبيض، مُصمّم من أجل عرض الأغاز في المواسم، وكانت الأغاز التي ألّفها المحظية الإمبراطورية مُلصقة على الفانوس. حذّر الخادم الجميع من إعلان حلولهم شفهيّاً، بل بكتابتها على ورقة

ومن ثمّ إرسالها معاً مع أحجياتهم الشخصية. بريشوس فيرتشو تمعنت في القصيدة الرُباعية المقاطع، ووجدت بأنها ليست صعبة ولا أصلية، لكنها أعجبت ببراعة حيكها بطريقة مُهذّبة وتظاهرت بأنها تواجه صعوبة في معرفة الحلّ الصحيح. في هذه الأثناء، تمّ الانتهاء من الحلول ووضع الألغاز الشخصية، وألصقت الأحجية على الفانوس الذي أتى به الموظف.

في المساء، أعلن موظف البلاط أنّ كل الحلول كانت صحيحة، باستثناء الحلول التي قدّمت من كل من: ولكوم سبرينغ، وتشيا هوان. وكانت حلول صاحبة الجلالة للأحجية التي وصلتها كلها صحيحة. وتمّ توزيع الجوائز لجميع الرابحين. لم تهتم ولكوم سبرينغ لخسارتها، إلا أنّ تشيا هوان لم يستسغ ما حصل. والواقع أنّ الموظف قال بأنّ صاحبة الجلالة لم تنظر في الحلول التي قدّمتها تشيا هوان لأنها بدت لها بلا معنى. وطلبت من تشيا هوان تفسيرها لها. وجاءت الأحجيات على النحو التالي:

للأخ الأول ثماني زوايا،

ولللأخ الثاني بوقين.

يجلس الأخ الأول على السرير طوال اليوم،

بينما يُحبّب الأخ الثاني أن يرقد على السطح.

ضحك الجميع من هذه الأحجية، بينما عمل تشيا هوان على حلّها بخجل، فقال:

- «الأخ الأول هو الوسادة المُربّعة التي تبقى دائماً على السرير، والأخ الثاني هو رأس الحيوان المُزخرف على الوسادة في أعلى الجانِب الظاهر».

دفع اهتمام المحظية الإمبراطورية بالهوايات الموسمية التقليدية بسيدة المنزل، إلى اتّخاذ قرارها بالمشاركة في مُسابقة هذا الموسم بعملها الشخصي. فأمرت بإحضار فانوس جيّد ووضعت في مرسما وألصقت عليه الأحجيات التي ألفتها

بناتها الكبيرات، ثم أعدت مجموعة من الجوائز للرابحين. وبعد ملاحظة معنويات والدته العالية، قرر تشييا تشينغ الحضور، والقيام بكل ما يُريح والدته. بالإضافة إلى أنه كان لوجوده الأثر البالغ في سعادة الآخرين وتشجيعهم على المُحادثة—وبخاصة باو-يو، الذي عادة ما يبعث الحيوية في الحضور أثناء الاجتماع من حول طاولة الغداء في منزل الأم الحاكمة. وبعد ثلاث جولات من تناول النبيذ، اقترحت الأم أن يأخذ تشييا تشينغ قسطاً من الراحة باكراً الليلة. لكنّه اعترض على ذلك قائلاً وهو يتسّم:

- «لقد حضرت من أجل الاشتراك في مُسابقة الأحجية. أنا أعلم بأنني لا أستطيع مُنافسة السيدات الكبيرات من أجل مُسايرة عواطف لاو تاي-تاي، ولكن، هل من المؤكد أن لاو تاي-تاي يُمكنها أن تحتفظ بالقليل من الحب لابنها؟»

قالت الأم:

- «لا أحد ينوي مُحادثتك أو الضحك معك هنا، وإنما أريد الكلام والحديث مع من هم حولي الآن. وإذا كنت تنوي حلّ الأحجية، فسوف أُعطيك واحدة. ولكن لا تنس الغرامات المُرتبة على الخسارة.»

- «بالطبع»، قال تشييا تشينغ بفرح، وأكمل: «وأقبل الجوائز أيضاً في الربح.»

- «إذن، فليكن ذلك.»

قالت الأم ذلك، وبدأت بقراءة الأحجية:

«شيء يقف القرود على أطرافه بارتفاع شاهق، بالرغم من دقته ورقته.»

- وهو شيء في الشجر.

عرف تشييا تشينغ على الفور أن المقصود هو «الفرع»، لكنّه استمرّ في تقديم الأجوبة الخاطئة ودفع الغرامات لـ الأم، قبل أن يُعطي الحل الصحيح وطلب جائزته. ثمّ قدّم ما لديه:

شيء جسمه مُستقيم وشكله ومُربع،

تركيبته ثابتة وقاسية،

ومع أنه لا يقوى على النطق،
لكنه يُعين الآخرين على الكلام.
- وهو مادة نافعة للجميع.

بعد أن أنهى تلاوة أحجيته، همس بالجواب إلى باو-يو، الذي همس به بدوره إلى الأم، التي فكرت قليلاً ثم قررت بأن باو-يو على حق. ثم قالت الجواب الصحيح:

- «إنه حجر الحبر».

فقال تشييا تشينغ ضاحكاً:

- «إن لاو تاي-تاي قادرٌ على معرفة الإجابة من المحاولة الأولى».

ثم استدار إلى الخادومات الواقفات خارجاً، وقال:

- «هيا، إثنين بالجوائز».

وعلى الفور أحضرت الجوائز في موكبٍ خادمات يحملن الصواني وعليها العلب التي تحتوي على تشكيلة من كل أنواع الروايات والمواد المُبتكرة. عملت سيّدة المنزل على تفحصها الواحدة تلو الأخرى وقد سرّها ذلك. ثم قالت:

- «إملاً كأس من النبيذ لـ لاو-يه، بينما وقف كل من باو-يُو ولكوم سبرينغ،

الأول صبّ النبيذ، والأخيرة قدّمته لـ تشييا تشينغ. وبعدها قالت الأم:

- «لنُجرب بعض أحجيات الأولاد. ثم اقترب تشييا تشينغ من الفانوس وقرأ

بصوت عالٍ الأحجية الأولى، التي كتبها كاردينال سبرينغ:

شيء صُنِع ليتطاير بأشكال وألوان،

شكله رقيق وصوته كدويّ الرعد،

قبل أن يتوقف طنينه في الأذن،

يكون قد تحوّل إلى رماد.

وعلى الفور قال تشيا تشينغ:

- «لا بد أنه المُفرقات النارية».

فردَ باو-يُو بأنَّ الإجابة صحيحة. ثمَّ انتقل الجميع إلى الأحجية التالية من ولكوم سبرينغ:

القدر والجهد البشري يؤدّيان دورهما على حد سواء،

ولكن من دون القدر تذهب كل الجهود سدى.

هو شيء يحسب كل الأيام دون أن يرتاح،

لكنه لن يصل إلى الأرقام التي قزرها القدر.

قال تشيا تشينغ أنه «الأباكوس»⁽¹⁾ فردّت ولكوم سبرينغ بأنَّ هذا صحيح. وكانت

الأحجية التالية من كويست سبرينغ:

شيء يُدير وجوه الأطفال نحو السماء،

ويكون شكله كزخرفات الزينة.

عندما تنقطع خيوطه الرقيقة، ويغرب بعيداً،

لا نتدمر من مصيره المجهول.

كانت إجابة تشيا تشينغ بأنه الطائرة الورقية، وكانت إجابته صحيحة. في هذه

الأنثناء، كان تشيا تشينغ يشعر بالإحباط بسبب عدم التوفيق في الدلالات الحقيقية

لهذه الأحجيات. فهو يعتبر أنَّ المُفرقات، التي تنفجر ثمَّ تتبدّد إلى لا شيء

في لحظة إنجاز عملها، تفترض قصر الحياة؛ ثمَّ أنَّ الأباكوس كان رمزاً للحركة

(1) هو إطار مستطيل الشكل مع صفوف من الأسلاك أو الأحاديد الطولية ينزلق عليها الخرز، ويستخدم لإجراء الحسابات (كان شائعاً في الصين القديمة).

المستمرة التي تقود إلى لا شيء في النهاية؛ أما الطائرة الورقية بخيوطها القابلة للإقطاع، تفترض النقص في الأمان والمصير المجهول. وقد ازداد كآبة عندما وصل إلى أحجية كومباشن سبرينغ حول الفانوس النذري المحكوم بالتألق في الظلام الشبهي للمعبد البوذي.

بعد أن لاحظت مزاج ولدها، قالت سيّدة المنزل:

- «لا بد أنك مُرهق. على الجميع العودة إلى الغرف، ولنرتح الآن من الأحجيات، هيا. فلم نعد نقوى على الاستيقاظ أكثر من هذا».

انصرف تشيا تشينغ على الفور، لكنّ حزنه كان قد زاد بسبب أدائه، ولم يكن قادراً على النوم لوقت طويل.

بعد انصراف تشيا تشينغ، قالت الأم للبقية:

- «يمكنكم الآن أن ترتاحوا وتتمتعوا بأوقاتكم».

لم يكن باو-يُو بحاجة إلى تشجيع من أجل البقاء والاستمرار—فما إن انصرف والده حتى هبّ إلى الفانوس وبدأ ينتقد هذا ويُقلد ذلك، كالقرود الذي أفلت من قفصه.

قالت له فينيكس ضاحكة:

- «أنت بحاجة إلى وجود لاو-يه من أجل أن تُحسّن في سلوكك. كان علينا أن نقترح قيامك بتأليف بعض الأحجيات أو الأحاجي وهو لا يزال هنا، فلكنت تصيبت عرقاً بدلاً من انتقاد الآخرين وتصرّفاتهم».

الفصل السابع عشر

وفيه ينتقل باو-يو، مع الخادمت، إلى تاكوان يوان
وتغضب بلاك دجايد من باو-يو بسبب حساسيتها المفرطة

بعد فترة قصيرة من عودتها إلى القصر الإمبراطوري، علمت محظية الإمبراطور بأن تشيا تشينغ، واحتراماً لها، ينوي إغلاق تاكوان يوان. ولذلك، سمحت له بإشغاله، وباستخدام الحديقة بأي طريقة يشاء، واقترحت انتقال أخواتها للعيش هناك. وبعد أن تذكّرت كيف أولع باو-يو بالحديقة، عبرت عن رغبتها بالسماح له للانتقال إلى هناك هو أيضاً.

سُرّ باو-يو بهذا العرض الخاص-وقد كان هذه الأثناء، يُناقش مع السيّدة تقسيم وتوزيع مُختلف الأجنحة والأقسام، عندما أرسل تشيا تشينغ بطلبه. فالتصق على الفور بوالدته السيّدة أملاً في الحصول منها على وعدٍ بالأمان. قالت له الأم:

- «هيا اذهب يا غالي، ولا تخف. فلن أدعه يتصرّف معك بقسوة. أعتقد بأنه سيقول لك بعض الأشياء مثل الانتباه إلى دروسك لا أكثر. فليس هناك من داعٍ للخوف».

وما إن انتهت من كلامها، حتى خصّصت له خادميتين، وقالت لهما:

- «اذهبا مع باو-يو ولا تدعا والده يُرعبه».

ذهب باو-يو على مضض، بخطوات بليدة ومؤلمة. حينما وصل إلى مُجمّع والده، وجد الخادمت يقفن بصمت تحت المرزاب. كنّ ينظرن إليه ويتسمن له

ابتسامة عريضة، لأنه كان خائفاً وقلقاً. رفعت إحداهن، وهي غولدن برايسليت، وجهها باتجاهه، وقالت:

- «أنظر، لقد وضعت نوعاً جديداً من الصباغ المُعطر على شفاهي، أتريد أن تتذوقه؟»

ولكن تقدّمت خادمة أخرى ودفعت غولدن برايسليت جانباً، وقالت لها:

- «لا تهكّمي عليه بهذه الطريقة عندما يكون متوتراً»، ثمّ التفتت إلى باو-يو وقالت: «إذهب الآن طالما أنه لا يزال في أحلى طباعه».

دخل باو-يو الجناح، وكان تشيا تشينغ ومدام وانغ في الغرفة الداخلية. كان والداه يجلسان فوق الكانغ، ومن أمامهما، في الجهة المُقابلة يجلس كل من: ولكوم سبرينغ، كويست سبرينغ، كومباشن سبرينغ وتشيا هوان-لم يتحرك أحداً منهم، باستثناء ولكوم سبرينغ التي وقفت عندما رآته يدخل.

استقرت عينا تشيا تشينغ عليه للحظات، ثمّ تحولتا باتجاه تشيا هوان؛ فأظهرت المُقارنة أفضلية باو-يو. بعد ذلك بدأت ذاكرة الأب تستعيد صور ذكرى ولده الأكبر المُتوفي. وغرق في تفكيره: فلم يعد لديه الآن أولاد ذكور سوى باو-يو من زوجته الأولى. وها هي ذقنه قد تحول لونها من الرمادي إلى البياض: «فإذا ما حدث أيّ شيء لباو-يو فسوف...» انفطر قلبه مع توالي هذه الأفكار، وعندما صحا من صمته العميق، بدأ يُخاطب باو-يو بلهجة رقيقة ومُفعمة بالعاطفة التي لم تعهدها عائلته فيه من قبل:

- «تقول صاحبة الجلالة بأنها قد سمحت لك بالعيش في مجمع الحديدية، بحيث يُمكنك التفرغ لدراستك من دون أيّ إزعاج خارجي. ولذلك، يُمكنك الانتقال أنت وأخواتك، ولكن عليك أن تعلم بأنك منذ الآن وصاعداً ستفرغ فقط إلى دروسك ولا شيء آخر».

لم يتفوّه باو-يو سوى بكلمة واحد كزرها، دون أن يتجرأ على رفع رأسه:

- «شيه، شيه»⁽¹⁾.

في هذه الأثناء، تقدّم باو-يو باتجاه مدام وانغ التي دعتة للجلوس بقربها، ثم جلس كل من شقيقتيه الصغيرتين وتشيا هوان من بعده. ربّنت مدام وانغ على باو-يو بلطف تسألّه ما إذا كان قد أنهى القطع النقدية التي كان قد حصل عليها من قبل. فأجابته بأنّه لم يعد لديه سوى واحدة فقط. فقالت له:

- «خذ عشر قطع أخرى. وأخبر هسي-جين بأن تتذكر إعطاءك قطعة كل ليلة قبل ذهابك للنوم».

وعلى الفور سألتها تشيا تشينغ:

- «ومن هو هسي-جين هذا؟»

قالت:

- «إنّه اسم إحدى الخادמות».

- «خادمة؟»، قال تشيا تشينغ عابساً، وأكمل: «وكيف يحدث أن تحصل فتاة على اسم غريب كهذا؟»

- «لقد أطلقته عليها لاو تاي-تاي»، أجابته مدام وانغ وتابعت: «وذلك في محاولة منها لحماية باو-يو».

- «وكيف أمكنها أن تُفكر في هذا النوع من الأسماء»، ردّ تشيا تشينغ، واستمر: «لا بد وأنّه باو-يو».

وبعد تأكده من أنّه لن يستطيع خداع والده، نهض باو-يو وراح يشرح له لماذا أطلق على الخادمة هذا الاسم. وعلى الفور، قالت مدام وانغ، آخذة بعين الاعتبار عدم رضا تشيا تشينغ:

- «يُمكّنك أن تختار لها أيّ اسم آخر. لا تدع والدك يغضب من قضية تافهة كهذه».

(1) بالرّغم من أنّ هذه الكلمة قد تكون مُرادفة لكلمة «نعم» بالعربية، إلّا أنّها لا تُستخدم إلّا إذا كان المُتحدّث يرغب بإظهار الخوف، أو التبجيل، أو حتّى الخنوع.

عند ذلك، قال تشيبا تشينغ:

- «إنه أمر ليس ذو أهمية فعلاً، ولا يحتاج الإسم إلى تعديل. ولكن يبدو أن باو-يو لا يتفزع لدروسه المهمة بل يُضَيِّع أوقاته في أشياء تنحرف به بعيداً عن الامتحانات»، ثم أضاف بهدف صرف ولده: «ما الذي تنتظره الآن أيها الفاسق؟»

فور هذا، قالت له والدته أيضاً:

- «إذهب الآن، فلا بد أن لاو تاي-تاي بانتظارك».

خرج باو-يو من الغرفة وهو يجزّ رجله جزأً. وعندما رأى غولدن برايسليت في البهو، نظر إليها وكأنه يريد أن يقول لها بأنه بالكاد خرج من هناك. وفي الممر رأى بيرفايدينغ فريغرانس تنتظر. سألته على نحو مُقلق:

- «ما الذي كان يُريده لاو-يه منك؟»

- «لا شيء مُطلقاً»، أجابها باو-يو، وأضاف: «أرادني فقط أن أهتم بدروسي، ولا شيء غير هذا».

حينما عاد إلى غرفة الأم الحاكمة، سرد عليها ما حصل. ولما كانت كل من بلاك دجايد وبريشوس فيرتشو ما تزالان هناك، فقد عاد الجميع إلى مُناقشة توزيع أقسام مُجمّع الحديقة من جديد. قالت بلاك دجايد:

- «أنا أفكر في مُعتزل الخيزران. (بامبو ريتريت) فهو أهدأ مكان في الحديقة من حيث بُستان الخيزران من حوله، بالإضافة إلى شرفته الدائرية».

فقال باو-يو:

- «لقد كنتُ أفكر في الشيء نفسه. سأقيم في مبنى الفاوانيا (بايوني كورت)، وسنكون بهذا قرب بعضنا البعض».

وتم اختيار يوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني، موعداً للانتقال، نظراً لملائمته الخيرة لهذا النوع من الانتقال. وهكذا تم الاتفاق على التقسيم: أخذت بلاك دجايد مُعتزل الخيزران؛ وحصلت ولكوم سبرينغ علي الغرفة المُزركشة (بروكايد تشامبر)؛ وكويست سبرينغ على جهة المكتب الخريفي (أوتومن ستاري)؛

ولي هوان، قرية الأرز (رايس فيليج)؛ ونال باو-يو مبنى الفاوانيا (بايوني كورت)؛ و بريشوس فيرتشو، تعريشة الويستاريا (ويستاريا آربور). وخُصص لكل منهم مُشرفتين كبيرتين، وأربع خادِمات-وصيفات، دونما احتساب الخادِمات اللواتي يقمن بأعمال الكناسة والتنظيف بشكل دائم.

وجد باو-يو الحياة الجديد في تاكوان يُوان مُلبية لرغبته؛ فكان يدرس قليلاً ويُنفذ تمارين الخطّ، لكنّه كان في الجزء الأكبر من وقته، يُمضي أياًمه مع أخواته وأبناء عمه، وبُضحة خادِماته المُفضّلات لديه-ويلعب الشطرنج أو بعض الآلات الموسيقية، بالإضافة إلى الرسم أو كتابة الشعر؛ حتى أنّه كان في كثير من الأحيان يُساعد في أعمال التطريز، ويمد يد العون للسيدات الكبيرات في أعمال زينتتهن.

في هذا الوقت، كانت بعض قصائده قد لاقت رواجاً في يُونغ كُوفُو. صحيح أنّها لم تكن قصائد استثنائية، لكنّها كانت مُفعمة بالأحاسيس العفوية والبراعة. وكان أولئك الذين يعتزون بأعمال الأفراد الشخصية، مُعجبين بشعر باو-يو (أو لنقل أنّهم كانوا) لأنّها كانت قد كُتبت سابقاً من قبل لورد يُونغ كُوفُو الشاب في سنين مُراهقته. وكانت القصائد قد تمّ نسخها ووزّعت وتلقت المديح في مختلف الدوائر. وكان بعض مُعجبي باو-يو قد أبدوا مُجاملة الطلب منه لكتابة لفافات منها لهم أو نسخها لأصدقائهم. كان ذلك مبعث سرور له، ففضى فترة لا بأس بها من الوقت في تنفيذ طلباتهم.

مع مرور الوقت، شعر باو-يو بعدم الراحة والاستياء. فلم يكن يعرف ما الذي يُريده بالضبط؛ شيء ما كان يضحّج في داخله-شيء مجهول، لكنّه يزداد إصراراً. من هنا، عملت مينغ-ين جاهدة على تخفيف ملله؛ فأمنت له بعض الروايات المُقتبسة من حياة الإمبراطورة ووّ تسي-تيان، ومن حياة يانغ كُواي-فاي النادرة في عهد سلالة تانغ الحاكمة، وكذلك، مسرحيات مثل سجل الغرفة الغربية. من جانبه، اعتبر باو-يو أنّ هذه الأعمال كانت بمثابة الاكتشافات الكبرى-فطلبت منه مينغ-ين عدم نقل هذه الكتب إلى تاكوان يُوان، حيث سيتم اكتشافها وستسبّب له بالمشاكل.

ولكن، ما نفع كل الكتب إذا لم يقرأ باو-يو، الذي يعيش في تاكوان يُوان، بنقلها معه إلى هناك؟ ولذلك، قام بتخصيص زاوية آمنة من زوايا غرفته لحفظها، وليتعمق فيها عندما لا يكون أحد في الجوار.

وفي أحد الأيام من الشهر القمري الثالث، كان باو-يو جالساً يقرأ في سجل الغرفة الغربية في أحد بساتين الخوخ الذي يتصل طريقه بمبنى تاكوان يُوان. وعندما وصل إلى المقطع الذي يتضمّن السطر: «وتحوّل البتلات إلى أشكال حمراء»، بدا أنّ عاصفة من الرياح تستجيب لهذه الكلمات، فنزعت أزاهير الخوخ وبعثرتها في كل المكان، مُغطّية حضنه وكتابه. بالطبع، تردد في نفضها عن نفسه إلى الأرض لئلاّ يدوس عليها. لكنّه عمد إلى جمعها في طيّة ثوبه ونفض بها إلى الجدول. فبدأت تدور في دوامة أمامه للحظات، ثمّ انسأقت مع التيار وجرت في المياه من خلال فتحة الجدار. بعد ذلك، عاد إلى المكان الذي كان يجلس فيه، وراح يتساءل ما الذي يُمكن أن يفعله بالأزاهير المتبقية، وما الذي يُمكن أن يقوله إذا ما سأله أحد عمّا الذي كان يفعله في المكان.

وصلت في تلك الأثناء بلاك دجايد-تضع على كتفها مجرفة أزهار، يتدلّى منها كيس من النسيج القطني، وتحمل بيدها الأخرى مكنسة كبيرة.

فور رؤيتها قادمة باتجاهه، قال باو-يو:

- «لقد وصلت في اللحظة المناسبة. هيا، لنكنس تلك الأزاهير ونقذف بها إلى المياه، لقد تخلّصت من بعضها منذ قليل».

أجابته بلاك دجايد عاتبة:

- «لا ليس في المياه. فقد تبدو لك نظيفة، لكنك لا تدري بما يوجد في الناحية الأخرى من الجدار- لتتسبّب بتلوّث الأزهر. هناك فوق تلك التلّة، توجد مقبرة الأزهار الخاصة بي. ولهذا، سأعمل على كنس هذه الأزاهير، وأضعها في الكيس، ومن ثم سأحملها إلى تلك التلّة لأدفنها فيها».

قال باو-يو وقد تأثر برقة مشاعر بلاك دجايد:

- «دعيني أساعدك، ولكن عليّ أولاً أن أبعد كتابي عن المكان».

لفت نظرها الكتاب، فسألته:

- «وماذا لديك هنا؟»

لم يكن لدى باو-يو الوقت الكافي لإخفاء الكتاب، لأن وصول بلاك دجايد إلى المكان جاء مفاجئاً له. حاول ألا يبدو مُربكاً أمامها، فقال:

- «أوه، لا شيء يستحق القراءة. إنه فقط كتاب: عقيدة الاعتدال والتعلم الكبير».

- «لا تُحاول الكذب»، قالت بلاك دجايد باسمه، وتابعت: «عليك أن تدعني أرى ما هو».

- «حسناً»، قال باو-يو بلهجة اعتذار، وناولها الكتاب، مُضيفاً: «لن أمنعك من رؤيته أنت بالذات، ولكن لا تخبري أحد بأمره. إنه حقاً لعملٍ نادر، فبمُجرد شروعه بقراءته، لن تكوني قادرة على أن تُتركه من يدك حتى تُنهيته».

وضعت بلاك دجايد من يدها كل شيء وتناولت الكتاب الذي جذب اهتمامها منذ البداية، كما أصبحت أكثر غرقاً في مضمونه كلما تعمقت في قراءة مقاطعه. كانت مذهولة على وجه الخصوص بجمال أشعاره، التي «ترك أثراً كبيراً من العطر في الفم».

قال باو-يو يسألها مُبتسماً:

- «ما رأيك فيه، أليس مُدهشاً؟»

لم تتوقف بلاك دجايد لثجيبه؛ وإنما اكتفت بهز رأسها مُبتسمة.

عاد باو-يو يسأل مُغيراً لهجته وصيغة السؤال:

- «ما رأيك بهذا الكتاب، ماي-ماي؟ ألا ترين بأنه عمل رائع ومُتقن؟»

- «نعم لا شك في هذا!»

ومن دون أن يعي سياق معنى ما يقتبسه، قال باو-يو:

- «أنا "شخص مُثقل بالأحزان والأسقام"، وأنتِ "حسنة تهدم المدن وتهز الأمم"».

إحمرّ وجه بلاك دجايد بشدة-ذلك أنها لم تتعرض أبداً لهذا النوع من الغمز اللطيف، سواء كان مقصوداً أم لا. وإثر ذلك، رفعت إصبعها في وجه باو-يو وقالت:

- «كيف تجرؤ على قراءة هذا النوع من الكتب غير المُحتشمة، ثم تهينني باقتباسات تافهة منها. فسوف أخبر العم والعمة بخصوصه».

وما لبثت أن استعدت للمُغادرة بعد توجيه تهديدها هذا. ولمّا تأكّد باو-يو من الجدّية في لهجة بلاك دجايد، قفز أمامها على الفور مُحاولاً سدّ الطريق عليها وهو يقول:

- «أرجوك، سامحيني هذه المرّة، ماي-ماي . فأنا لم أدر معنى ما كنت أقوله؛ فلو أنني كانت لديّ النيّة في إهانتك، فلتُغرقني الإلهة في البركة، ولتلتهمني السلحفاة المتوحّشة، ولتحوّلني إلى سلحفاة بشعة أنا نفسي، ولتحمّلني ثقل رخامات ضريحك-عندما تُصبحين سيّدة من المرتبة الأولى، وعندما تعودين إلى الفردوس».

إثر هذا النوع من اليمين المُفضّل، انفجرت بلاك دجايد في عاصفة من الضحك العفوي. وبعد أن مسحت دموع الضحك، قالت:

- «يا لك من جبان! فأنا لم أشأ إلا المُمازحة. ولذلك، أرى أنك لا شيء سوى رأس حربة من شمع يبدو وكأنّه رأس من فضة!».

عند سماع ما قالته، قال باو-يو على الفور:

- «ها أنت تقتبسين من ذلك الكتاب غير المُحتشم؛ لقد حان دوري الآن للتعليق عليك».

- «لست الوحيد الذي يستطيع استعادة ما يحفظه»، قالت بلاك دجايد تضحك من جديد، وأكملت: «والآن دعنا نعود إلى الأزهار».

وحين أوشكا على الانتهاء من دفن الأزهار، وصلت بيرفايدينغ فريغرانس على هذا المشهد. فقالت تُخاطب باو-يو وكأنها تبحث عنه من وقت طويل:

- «ها أنت هنا! لقد بحثت عنك في كل مكان؛ فقد أُصيبت تا لاو-يه بوعكة

صحية، وشرعت كل أنسات القصر بالبحث عنك. لقد طلبت مني لاو
تاي-تاي بأن أذكرك بضرورة الذهاب إلى هناك، ولذلك، عليك القدوم
معي بعد أن تُبدل ثيابك».

الفصل الثامن عشر

وفيه يصل كل من باو-يو، وبلاك دجايد إلى حافة الموت بسبب الرقيات
السحرية الشريرة التي ألقيت عليهما
ولكن، بسبب فعالية تأثير حجر اليشم الكريم، عادا
إلى الحياة من جديد

في أحد الأيام، وبعد عودة تشيا هوان من المدرسة، طلبت منه مدام وانغ إعداد
كوب من سوترا الماس لها. أشعره طلبها هذا بشيء من الأهمية: فأمر رينبو بإحضار
الشاي، ومن دجايد برايسليت لتقليم الفتيلة، ثم تدمر من غولدن برايسليت التي
كانت تمنع عنه الضوء. وبما أنه كان غير محبوب من قبل جميع الخادמות، فلم
يهتم أحد لطلباته سوى رينبو، التي كانت على تفاهم تام معه. أحضرت له الشاي،
وهمست في أذنه قائلة:

- «لا تقلق بهذا الشكل، فأنت لا تتسبب إلا بمضايقة نفسك».
رماها تشيا هوان بنظرة ازدراء وقال:

- «لا تُظهري نفسك أمامي مهمومة بهذا الشكل، فأنا على علم من أنك
تلتصقين بـ باو-يو، ولم أعد أعني لك شيئاً».

على وقع هذا الإتهام الذي لا أساس له، صرّت رينبو بأسنانها، وقالت بامتعاض:

- «إذن، هذا ما بدر منك وأنا أحاول أن أكون جيدة معك؟ إنّ مثلك في هذا
كمثل الكلب الذي ينوي عضّ لؤ تانغ-بين!»

في هذه الأثناء، وصلت مدام وانغ برفقة فينيكس، ومن خلفهما يسير باو-يو على مسافة. وبعد أن خلع عنه ثيابه الخارجية، جلس باو-يو في حضن والدته. فمسحت رأسه بحنان، وسألته عما كان يفعله طوال النهار:

- «أرى أنك كنت تشرب من جديد، فمن الأفضل لك الآن أن تتمدد وتأخذ قسطاً من الراحة».

فعل باو-يو ما قالتها والدة. بعد ذلك، بدأ يشكو من وجع في ساقه، فطلب من رينبو أن تدلكهما له. وافقت الخادمة، لكنها بدت فاترة وتنظر باستمرار لناحية تشيا هوان. عندما لاحظ باو-يو ما يدر منها، همس لها قائلاً:

- «عزيزتي هاو تشيه-تشيه، لما لا تعطيني بعض من اهتمامك أنا أيضاً؟»
حاول باو-يو الإمساك بيدها، فاندفعت مُبتعدة عنه، مُهدّدة إياه بأنها ستصرخ إذا لم يدعها وشأنها.

سمع تشيا هوان ما دار بينهما، فلم يقوَ على كظم غيظه وغيرته. فظاهر بعدم الانتباه، فحرك بيده عبر الطاولة دافعاً بالشمعة إلى وجه باو-يو. أطلق باو-يو على الفور صرخة عالية بسبب الألم الذي سببه الشمع السائل لوجهه. أسرع فينيكس إليه. وبينما كانت تمسح الشمع عن وجهه، قالت تويخ تشيا هوان:

- «ألن تتعلم أبداً أن تكون يقظاً؟ لقد قلت لك مراراً وتكراراً بأنك لا يُمكن أن تكون موضع ثقة ولو للحظة. لا بد من أن تعمل تشاو-يي-نيانغ على تحريك حسّ المسؤولية فيك هذه المرة».

كان لإشارة فينيكس إلى والدة تشيا هوان الطبيعية نيتها المتوقعة؛ فاستدعت مدام وانغ ووبّختها قائلة:

- «لما لا تتعلمين ذلك الشرير من ذريتك كيف يكون أكثر انتباهاً؟ لقد رأيت الكثير من تصرفاته هذه تتكرر وتتكزز وأنا صامتة، لكن صمتي هذا قد جعله أكثر تهوراً وأقل يقظة».

كبت تشاو-يي-نيانغ استياءها حول مُشكلة باو-يو ولم تقل شيئاً. بينما راحت تهتم به وتفعل ما يُمكنها من أجله. ولحسن الحظ، أن باو-يو لم يُعاني من شيء

خطر سوى بثرة أو اثنتين؛ ولم يؤثر الشمع الساخن على عينيه بشيء.

لم يُنه ما آل إليه وضع باو-يو من اهتمام مدام وانغ؛ فبالرغم من أن الإصابة كانت بسيطة ولا تستدعي القلق، إلا أنها كانت قلقة بشأن وصول الخبر إلى سيدة البيت التي ستستفسر عاجلاً أم آجلاً عما حصل. قال باو-يو لوالدته يؤكد لها:

- «لا تقلقي، فهذا ليس بشيء يُذكر، ولو سألت لاو تاي-تاي عن الموضوع، فسأقول لها بأنني أنا من قلبت الشمعة على نفسي».

ردت فينيكس:

- «حتى لو قلت هذا، فهي لن تمتنع عن تأنيبنا لأننا لم نكن نضعك تحت أعيننا طوال الوقت».

بعد دهن القليل من المرهم على موضع الإصابة، عاد باو-يو إلى غرفته، حيث تسببت الحادثة بالمزيد من مشاهد الإثارة. فما إن وصل إلى البيت، حتى أتت بلاك دجايد لتفقده—لكنه غطى وجهه ولم يدعها تراه، لأنه كان يعلم مدى تأثيرها، فلم يشأ أن يشغلها بالأمر.

بعد يومين، حدث أن جاءت ما تاو-بُو، وهي امرأة عجوز مُتخصّصة في التجميل والعلاجات، في زيارة إلى يونغ كُوْفو. عندما أبلغت بحادثة باو-يُو، ذهبت على الفور لتفقده، وراحت تمسح وجهه بيدها وتتمتم ببعض الكلمات المُبهمة، وقالت بأنه سيكون على ما يُرام في غضون بضعة أيام. وأخبرت سيّدة المنزل بأن أولاد الأغنياء عادة ما يكونون عرضة للأرواح الشريرة والحاسدة، فيدفعون بضحاياهم أو ينكرونها ويتسببون لهم بقلب الأشياء على أنفسهم أو التعثر والسقوط. ولما سُئلت عن كيفية منع هذه الأرواح الشريرة من التسبب بالأذى، فقالت بأن هذه الأرواح تكون عادة تحت سيطرة راهب بوذي مُعيّن، ولذلك تُقام له الصلوات والأدعية وتُقدّم له القرابين. وقد وافقت على هبة خمسة أرتال من الزيت كل شهر من أجل إبقاء الضوء الداخلي مُشتعلاً أمام بوذا، ووعدت بتلاوة الصلوات من أجل باو-يُو.

بعد مُغادرتها لغرفة سيّدة المنزل، ذهبت هذه المرأة إلى المُجمّع السكني الثاني أملة في تلقّي المزيد من التبرّعات. ووصلت في نهاية المطاف إلى غرفة تشاو يي-

نيانغ حيث وجدت مُبتغاهـا-كومة من قطع بعض المواد الصغيرة موجودة على الكانغ إلى جهتها. حينما سألت ما إذا كان بإمكانها الحصول على القليل من هذه القطع، قالت تشاو بي-نيانغ وقد أطلقت تنهيدة عميقة:

- «لن تجدي شيئاً ذو قيمة في كومة الأشياء هذه، لأنني لا أحصل فقط إلا على الأشياء التي لا يُريدها الآخرون. وبالتالي، فأنت مُرحّب بك للحصول على أي شيء يُعجبك».

وانطلاقاً من هذه النقطة، انطلقت تشاو بي-نيانغ وافضت بكلّ مآسيها لهذه المرأة الساحرة-من الاهتمام الزائد من قبل العائلة تجاه باو-يو، إلى الظلم الذي يتلقاه ولدها، وبخاصة استياءها من فينيكس.

وكتيجة لما سمعته العجوز، قالت تسألها:

- «ولماذا لا تفعلين شيئاً بخصوص ذلك؟»

أجابتها تشاو بي-نيانغ:

- «ما الذي يُمكنني فعله؟ جُلّ ما أتمناه أن لا يستمرّوا في مضايقتي أكثر من ذلك».

قالت العجوز وقد ارتسمت على وجهها علامات الغلّ:

- «هناك العديد من الطرق والوسائل. والسؤال إذا ما كنتِ ستقبلين الاستعانة بها».

لم يمرّ تلميح العجوز هذا مرور الكرام على تشاو بي-نيانغ. وبعد فترة من النقاش والأخذ والردّ، وصلت المرأتان إلى نوع من الاتفاق-تُعطي تشاو بي-نيانغ ما تاو-بو كل ما في يدها الآن من مال نقدي، وورقة مالية مؤجلة الدفع بقيمة خمسين تايل تُدفع لها عند بدء ظهور النتائج. بعد ذلك، قطعت المرأة العجوز شكلين من الورق وكتبت عليهما يوم، وشهر وسنة، وساعة ولادة باو-يو وفينيكس. ثمّ، قصت من قطعة ورق سوداء خمسة أشكال لأرواح شريرة، ثمّ بثبتهما بالدبابيس إلى الدّمى التي تُمثّل الضحيتين. بعدها، طلبت من تشاو بي-نيانغ إخفاء هاتين الدميتين وقالت لها:

- «عليّ الآن القيام بإعداد السحر، وفي غضون بضعة أيام، ستبدأ النتائج بالظهور».

إثر هذا، وصلت خادمة من جناح مدام وانغ تقول:

- «تُريد تاي-تاي رؤية بي-نيانغ».

وعلى الفور همّت المتأمرتين بتوديع بعضهما البعض، وذهبت كل واحدة منهما في اتجاه.

كان باو-يو لا يزال قابلاً في غرفته بسبب الحادثة التي تعرّض لها. وخلال هذه الفترة، كانت أخواته الشابات يزرنه في مكان إقامته في الحديقة من وقت لآخر. وفي أحد الأيام، وبينما كانت بلاك دجايد تقوم بزيارته، وجدت عنده كل من فينيكس، ولي هوان بالإضافة إلى بريشوس فيرتشو.

قالتا بصوت واحد عندما دخلت بلاك دجايد:

- «ها قد أتت واحدة أخرى».

ردّت بلاك دجايد وهي تستطلع بنظرها المجموعة:

- «يبدو لي وكأنّ دعوة قد وجّهت إلى الجميع للحضور إلى هنا!»

سألته فينيكس:

- «كيف وجدت الشاي الذي أرسلته لك بالأمس؟»

- «جيد جداً»، أجابته بلاك دجايد بابتسامة، وتابعت: «لقد كنت على وشك أن أشكرك عليه».

قال باو-يو مُبدياً رأيه:

- «أنا من جهتي لم أهتم كثيراً، لكنني أتساءل كيف كان بالنسبة للآخرين».

وهنا، تدخلت بريشوس فيرتشو تقول:

- «كان مع الشاي باقة أزهار جميلة، لكن الألوان لم تكن متناسقة».

- «إنها من القصر»، ردّت فينيكس بنوع من عدم الرضا، واستمرت: «وصلت

بمثابة تحية من سيّام. هكذا قالوا لي، لكنني، وبصراحة لم أجدها بمستوى الأنواع التي نستخدمها عادة».

قالت بلاك دجايد:

- «لقد أعجبتني كثيراً، وأستغرب لماذا لم تعجب البقية».

وفور هذا قال باو-يؤ:

- «في هذه الحال، يُمكنك الحصول على باقتي».

- «لا داعي لأن تفعل ذلك»، ردّت فينيكس بلطف، وأكملت: «فلا يزال لدي الكثير منها».

في هذه الأثناء، وصل لزيارة باو-يؤ كل من تشاو-ي-نيانغ وتشو-ي-نيانغ، محظية تشيا شين. نهض الجميع لاستقبالهما، باستثناء فينيكس، التي استمرت بالكلام كما لو أنها لم تنتبه لوجودهما. بعد قليل غادر الجميع ما عدا بلاك دجايد التي طلب منها باو-يؤ البقاء قليلاً. عندما أصبحا لوحدهما، أخذ باو-يؤ يدها مُبتسماً دون أن يقول شيئاً. وكانت بلاك دجايد على وشك سحب يدها والمغادرة، عندما شكى باو-يؤ بأنه يُعاني من صداع شديد في رأسه.

قالت له بلاك دجايد مُمازحة:

- «إنها لحجّة مُفيدة لك الآن!»

وفجأة، قفز باو-يؤ ثلاثة أو أربعة أقدام في الهواء وهو يصرخ بشدة، ويُردّد كلمات غريبة غير مفهومة. أحسّت بلاك دجايد والخادمت بالرعب، وبعثت بطلب مدام وانغ وسيّدة القصر للحضور على وجه السرعة. وفي لحظة وصولهما إلى غرفة الفاوانيا، كان وضع باو-يؤ قد ازداد سوءاً. فقد كان يقفز من جهة إلى أخرى بجنون، وهو يُطلق أصوات غريبة، وكان واضحاً أنه يميل إلى أذية نفسه.

بدأت سيّدة المنزل ومام وانغ بالعويل والهلع على باو-يؤ بعطف ممزوج بالذهول. وسرعان ما انتشرت الأخبار في كلا المُجمّعين. وحضر على الفور كل من تشيا تشيه، وتشيا تشينغ، وتشيا دجين وغيرهم من أفراد الأسرة الذكور، بالإضافة إلى العديد من السيّدات مثل مدام هسينغ وأخريات. وفي وسط هذا الارتباك،

دخلت فينيكس فجأة تُلَوِّح بسكينٍ مُهدَّدة الجميع. وكانت، لحسن الحظ، زوجة تشو دجوي قد أحضرت معها العديد من الخادِمات القويّات، اللواتي عملن على نزع السكين من يدها قبل التسبب بأذى أحد، ونقلوها على وجه السرعة إلى غرفتها وهي تصرخ باضطراب.

كان هُنَاكَ العديد من الاقتراحات والطروحات حول ما الذي يُمكن فعله في مثل حالتي هذين المُصابين، ولكن لم يصل أيٌّ منها إلى نتيجة. تطوّرت حالتنا كلّ من باو-يُوّ وفينيكس واستفحلنا، لدرجة فقدان الخادِمات السيطرة وحيرتهن في كيفية التصرّف. وهكذا، تمّ نقلهما إلى غرفة خاصة في جناح مدام وانغ-بينما تتابع على مراقبتهما كل من: سيّدة المنزل، مدام وانغ، مدام هسينغ، وهسويه بي-ما. بعد ثلاثة أيام، أصيب المريض بالضعف والوهن نتيجة الهديان؛ فكانا مُمدّدين في السرير صامتين، وبالكاد تظهر عليهما علامات الحياة. وبعد فقدان الأمل بالشفاء، بدأت العائلة بالتحضيرات اللازمة لهما لما بعد الوفاة.

في صباح اليوم الرابع من الحادثة، فتح باو-يُوّ عينيه بشكل مُفاجئ، وقال يُخاطب سيّدة المنزل بشقّ النفس:

- «لن أبقى مزيداً من الوقت معكم، لقد آن الأوان لكي ترسلوني بعيداً في رحلتي الأخيرة المُقدّرة لي».

كان وقع هذا الكلام قاسياً على سيّدة البيت، وشعرت وكأنّ خنجرأ ينهش في أحشائها. وعلى الأثر، حاولت تشاو بي-نيانغ التخفيف عنها، فقالت:

- «من الواضح أن لا أمل من نجاته، فمن الأفضل له تبديل ملابسه وتركه يرحل بهدوء. إنّ عملية حجزه، لن تزيده إلاّ ألماً ومُعاناة».

وعلى الفور، تمّت سيّدة المنزل في وجهها، وقالت بغضب شديد:

- «فليتعبّن لسانك أيتها المرأة الشريرة. ما الذي جعلك تعتقدين بأن لا أمل له بالنجاة؟ من الواضح أنّك ستستفيدين من وفاته، لكنك على خطأ. ولسوف أعتبرك مسؤولة عن أيّ شيء سيء قد يُصيبه في الفترة المُقبلة. أعتقد بأنّ كل ما يحصل هو بسببك-لقد قلبت والده ضدّه، ودفعته إلى اضطهاده حتى

أصبح يرتعب من مزاحه. إنَّ الذنب ذنبك، ولسوف تُعانين الكثير إذا ما مات، أعدك بذلك».

شعر تشييا تشينغ بالدعر من اتهامات سيّدة المنزل، فطلب من تشاو يي-نيانغ المُغادرة، وشرع يسترضي والدته ويُهدئ من روعها. وما هي إلاّ لحظات، حتى وصل أحد الخدم من الخارج يقول بأنّ الكفنين قد أصبحا جاهزين. انفجرت السيّدة لسماع هذا الخبر من جديد:

- «من أمر بإعداد الكفنين؟ إذهبوا واعرفوا من هو واضربوه حتّى الموت!»
وفجأة، سُمع من الشارع صوت عربة خشبية، ونداء أحد يقول بأنّه يشفي من استحوذات الأرواح الشريرة، وأنّه يطردها من المُصابين بها. وعلى الفور، أرسلت السيّدة أحد الخدم لتحزّي الأمر. وبعد قليل، عاد الخادم ليقول بأنّ هناك راهباً بوذيّاً برأس أجرب وبرفقته كاهناً طاويّاً يعرج من ساق واحدة. سأل تشييا تشينغ من أين هما، لكنّهما لم يُجيبا على هذا السؤال، واكتفيا بالقول:

- «ليس هناك من داعٍ لأن تعرف هذا، يكفي أننا قد أتينا إلى هنا من أجل تقديم المُساعدة إلى المريضين في قصرِك».
وعندما سألهما تشييا تشينغ عن نوع العلاجات التي بحوزتهما، قال الراهب:
- «لديك علاج مُدهش موجود أصلاً بين يديك، ولكنك، ويا للأسف، لم تعرف كيف تستخدمه».

وقف تشييا تشينغ يتأمل في مقصد الكاهن من هذا الكلام، ثم قال:
- «نعم، نعم! لقد ولد باو-يُو وفي فمه قطعة حجر كريم، وعليها بعض الكلمات التي تعمل على طرد الأرواح الشريرة. ولكنّها، كما ترى، لم تؤتِ ثمارها كما هو الأمل بها».

- «ذلك بسبب وجود شيء ما فشلت في فهمه»، ردّ الكاهن، وتابع: «لقد وُهب هذا الحجر قوى خارقة، ولكن أشياء هذا العالم المادي والفاني، عندما أصبحت أشياء على تماس مع هذه الحجر، فقد جزدته من هذه القوى الخارقة. ناولني أيّاه، وسأعمل على استعادتها».

أخذ تشيا تشينغ الحجر من رقبة باو-يُو، وناوله للكهان. أمسكه هذا الأخير، وراح يُراقبه بتمعن، وقال بعد أن أطلق تنهيدة عميقة:

- «ها أنا أراك بعد ثلاث عشرة سنة من بعد ما رأيتك آخر مرّة تحت قمّة المروج الخضراء. كم عملت أشياء الأرض الفانية على تشويه وحجب فهمك الروحاني، وكم هو عار بقائك هنا لفترة أطول!»

كان الكاهن يقول هذا الكلام للحجر الكريم، ثم بدأ يقول بعض الكلمات الأخرى الغامضة، بينما كان يُمسده ويُلاطفه ويمسح عليه برفق. وبعد قليل، أعاده إلى تشيا تشينغ قائلاً له:

- «والآن، وقد عادت إليه قواه الإعجازية، عليك بتعليقه فوق باب المريض، وسوف يبدأ تأثير قواه السحرية على الفور-وفي غضون ثلاثة وثلاثين يوماً، سوف يُشفى المريض تماماً».

وإثر ذلك، غادر كل من الكاهن والراهب المكان، رافضين البقاء من أجل الشاي. غلّق حجر اليشم الكريم فوق الباب بحسب التعليمات؛ وعلى الفور بدأت بوادر استعادة كل من باو-يو وفينيكس لوعيهما، ولأول مرّة منذ عدة أيام، طلبا الطعام. ثم بدأت بوادر تحسّنها تظهر بسرعة، ومع نهاية فترة الثلاثة والثلاثين يوماً، شُفيا تماماً كما كان توقّع الكاهن الطّاوي.

الفصل التاسع عشر

وفيه تشعر غولدن برايسليت بالعار بسبب اهتمام

باو-يُو الزائد بها

وتتأثر بلاك دجايد بشكل عميق، بسبب بوح باو-يُو بحبه لها

في أحد الأيام، وبعد زيارة قامت بها بلاك دجايد له، كان باو-يُو يجوب في الفناء الخارجي. كانت نهارات الصيف طويلة وحارة، وكان الصمت يُخيم على كل شيء، والجميع يأخذون قيلولة الظهر. في نهاية جولته هذه، دخل إلى غرفة والدته. فرآها جالسة على مقعد من الخيزران، وإلى جانبها غولدن برايسليت، تُدلك لها ساقها. كانت الخادمة تشعر بالنعاس أيضاً، وعيناها شبه مُغلقتين. وبصمت، تقدّم منها باو-يُو ومسكها من أذنها، وقال:

- «كم أنتِ نعسانة اليوم!»

فتحت الخادمة عينيها بصعوبة، ثم أغلقتها مرة ثانية بعد أن دفعته لكي يتركها لشأنها. ثم انحنى من فوق كتفي مدام وانغ، وتأكّد من أنها نائمة أيضاً. في تلك اللحظة، قرّر الحديث مع الخادمة التي كانت لا تخلو من الجاذبية؛ فأخرج من جيبه قرص مُعطر ووضع في فمها، فتقبلته من دون أن تفتح عينيها. أمسك باو-يُو يديها وهمس لها قائلاً:

- «سأطلب من تاي-تاي أن تسمح لي بك، لنكون معاً.»

عندما لم تُجب الخادمة بشيء، استمرّ باو-يُو بالكلام:

- «سأذهب الآن، ولكن سأسأل تاي-تاي عندما تصحو عن ذلك».

عندما شعرت غولدن برايسليت بأنه ذاهب فعلاً، قالت مُستهجئة:

- «ولما العجلة؟ دعني أخبرك سرّاً: إذا ذهبت إلى الجهة الشرقية من الفناء، فسوف تُمسك هوان-كو ورينبو بالجُرم المشهود».

- «لا أهتم بما يفعلون»، قال باو-يو غير مُكترث، وأضاف: «أريد فقط البقاء معك هنا».

وفجأة، نهضت مدام وانغ وصفعت الخادمة على وجهها، وقالت تُعنفها:

- «أيتها العاهرة الصغيرة المنحطة! لا زلت على عادتك من إفساد أخلاق الأولاد».

ثمّ استدعت مدام وانغ الخادمة دجايد برايسليت شقيقة غولدن برايسليت، وقالت لها:

- «إذهبي واحضري والدتك لتأخذ أختك بعيداً من هنا».

عندما سمعت غولدن برايسليت كلام مدام وانغ، جثت أمامها على ركبتيها تتوسل إليها بخوف قائلة:

- «تاي-تاي، أرجوك لن أفعل أي شيء مثل هذا مرة ثانية. يُمكن ل-تاي-تاي أن تُعاقبني بالطريقة التي تشاء، ولكن لا تُبعدينني عن هنا... أصبح لي بخدمة تاي-تاي عشر سنوات حتى الآن، وكنت لطيفة جداً معي-وكيف لي أن أواجه العار إذا ما طردتني تاي-تاي بعيداً؟»

اعتادت مدام وانغ بصورة دائمة على مُعاملة خادمتها باللين والرحمة، ولم تُفكر مرّة في مُعاقبة أي واحدة منهن. لكنها كانت صارمة جداً في هذا النوع من الجنج كالتى ارتكبتها غولدن برايسليت. ولهذا، وبالرغم من مُناشدة الخادمة لها، أرسلت بطلب والدتها، وطردها بطريقة مُخزية.

في هذه الأثناء، تسلّل باو-يو بعيداً، دون أن يدري بما حصل لتلك الخادمة البائسة. ومع أنّه كان نادماً وحزيناً من إيقاع غولدن برايسليت في هذه الورطة، إلّا أنّه لم يكن مُهتماً كثيراً بالأمر، مُعتقداً أنّ مدام وانغ لن تُقدم على شيء بخصوص

الخدمة أكثر من توبيخها، وبالتالي، نسيان هذا الفصل. وهذا ما حدث، عندما وصلت ريفر ميست من بعدها لزيارته، وتحت تأثير رؤيتها من جديد، نسي باو-يو كل شيء عن الحادثة.

وفي أحد الأيام، وأثناء قيام كل من ريفر ميست وبريشوس فيرتشو بزيارة إلى باو-يو في غرفته، أرسل والده أحد الخدم يطلبه، وقال له بأن تشيا-يو-تسون موجود في قاعة الضيافة، ويطلب رؤيته. تضايق باو-يو من ذلك، وقال مُتذمراً وهو يُبدّل ثيابه:

- «لا أدري لماذا يستدعيني هذا الرجل في كل مرة يأتي فيها إلى هنا».

قالت ريفر ميست مُمازجة:

- «قد يكون بسبب اعتقاد لاو-يه بأنك مُضيف جيد، وإلا ما كان أرسل في طلبك».

أجابها باو-يو بعبوس:

- «لكنه ليس لا-يه، إنه نفسه هو الذي يُريدني».

- «يُقال بأنه عندما يكون المُضيف أهلاً للثقة، تزداد أعداد الزوّار. فلا بد أن يو-تسون يعتبرك مُضيفاً مؤهلاً، وعليك أن تشعر بالسعادة لذلك».

- «يكفي هذا»، قال باو-يو بنفاد الصبر، وأكمل: «أنا لا أدعي بأنني مؤهل، ولا أريد التعامل مع هذا النوع من الأشخاص المؤهلين مثله».

- «لا يزال الأمر هو نفسه يا باو-يُو»، قالت ريفر ميست مُعلقة، وتابعت تقول: أفترض بأنك مُهتّم بامتحاناتك الآن، فأنت لا تزال صغيراً وتطمح في الحصول على الشهادة. وفشلك في تحقيق ذلك، يعني اضطرارك إلى التنسيق أو التعامل مع الموظفين الرسميين من أجل تعلّم شيئاً من عالمهم، والتعرف إلى بعض الأصدقاء للاستعانة بهم في المُستقبل. ولسوف تبقى في مكانك، إذا ما أمضيت عمرك بيننا».

- «وسيسعد كو-نيانغ بالذهاب إلى أيّ مكان آخر»، قال باو-يو وقد علت وجهه دلائل وهم الفخر، وتابعت: «أخشى بأنني غير مؤهل لواحدة حكيمة مثلك».

قالت بيرفايدينغ فريغرانس تُخاطب ريفر ميست:

- «كؤ-نيانغ لا تتكلمي معه بهذه الطريقة. عندما طرحت باو كؤ-نيانغ الموضوع، نهض وغادر الغرفة من دون أن يقول شيئاً. شعرتُ بالدهشة من هذا السلوك، إلا أن باو كؤ-نيانغ لم تشعر بأي إهانة. ولو حدث هذا مع لين كؤ-نيانغ، لكان المشهد مُغيّراً تماماً. لكن الحق يُقال: أن باو كؤ-نيانغ نادرة-إنها لطيفة ومُتسامحة، وسخية أيضاً، بالرغم من أن هذه الصفة الأخيرة قد يطول الحديث عنها. أما عندما تشعر لين كؤ-نيانغ بالمهانة، سواء أكان ذنبها أم لا، فإنها تذهب إليها وتبدأ بالتذلل والاستعطاف».

قال باو-يو وقد شعر بالملل:

- «لكن لين كؤ-نيانغ لم تقم بهذه الأشياء المُبتذلة مُطلقاً. وإذا ما كانت قد فعلت ذلك، فلسوف أشعر بالشيء نفسه تجاهها».

قالت كل من بيرفايدينغ فريغرانس وريفر ميست بسخرية:

- «نعم، بالطبع! إنه شيء مُبتذل أن تكون الأحاديث عن هذا النوع من المواضيع».

في هذا الوقت، وصلت بلاك دجايد إلى صومعة الفاونانيا، وسمعت ملاحظة باو-يو. كانت سعيدة بها، لكنها كانت أيضاً مُتفاجئة بما سمعته: كانت سعيدة لأنها لم تُخطئ في الحُكم عليه؛ ومُتفاجئة، لأنه سيكون سلوكه هذا طائشاً من حيث التصريح العلني بمشاعره تجاهها أمام الآخرين. ولم تلبث أن شعرت بالحزن حينما تذكرت الحديث بشأن المصير المُرتبط بالذهب وحجر اليشم الكريم. ولماذا الإشارة إلى هذا المصير طالما أنها وباو-يو يُحَبَّان بعضهم البعض-طالما أنهما مقسومين لبعضهما البعض؟ ولماذا لا تملك هي هذا الرمز الذهبي بدلاً من بريشوس فيرتشو؟ بعد ذلك، راحت تُفكر ملياً في حقيقة أن والديها مُتوفيين، وأنها محرومة من الوالدة التي يُمكن أن تتركن إليها أو تبوح لها بأسرارها أو بما تشعر به، ولكن عليها أن تصبر على ما قضاه القدر. وعلاوة على ذلك، فهي لم تكن أبداً على ما يُرام، وقد حدث مؤخراً، أن حذرها الأطباء من ضعف دمها وانخفاض حيويتها، وأن هذا النوع

من الهزال التدريجي سيبدأ بالظهور الفعلي ما لم تعمل على استعادة عافيتها وقوتها على وجه السرعة. ثم بدأت تفكر وتذكر: «رغم أنني أقدر حبك، لكنني لست قادرة على انتظارك إلى ما لا نهاية». وبعد أن وخزتها هذه الكلمات في ضميرها، بدأت دموعها تنهمر من جديد، فما لبثت أن عادت أدراجها دون أن يشعر بوجودها أحد. لكن باو-يو الذي انطلق يتمشى في قاعة الضيوف فجأة، وعن غير قصد، قد لاحظ وجودها قبل أن تنصرف، ولم يشك في تمييزه آثار الدموع على وجنتيها. فسألها على الفور:

- «إلى أين أنت ذاهبة، ماي-ماي؟ ولماذا كنت تبكين؟»
- «لم أكن أبكي»، قالت بلاك دجايد، وهي تُحاول أن تُخفي عينيها، وتابعت: «وعلام أبكي؟»
- «لا تزال هناك دموع في عينيك، فكيف تنكرين ذلك؟»
- حاول باو-يو مسح الدموع من عينيها، لكنها تراجعت إلى الوراء وقالت: «لقد نسيت نفسك من جديد!»
- فقال باو-يو مُلاطفاً:
- «إن دموعك تدفعني إلى نسيان كل شيء، حتى الموت نفسه.»
- «الموت لا يعني شيئاً»، ردّت عليه بلاك دجايد وأضافت: «وما الذي ستفعله بالقلادة الذهبية إذا ما مت؟»
- قال باو-يو، وقد شعر بالانزعاج:
- «ما الذي تقصدينه فعلاً لكي تُشيرني باستمرار إلى تلك الأشياء؟»
- بعد أن تذكرت شجاراتهما الأخيرة، وما قالتها لها الخادمة حولها، تراجعت بلاك دجايد عن كلامها السابق، فقالت بنبرة أشبه بالاعتذار:
- «سامحني. لقد أخطأت، ولكن لا يجب أن تكون عصبي إلى هذه الدرجة. إن عروقتك تكاد تنفجر في جبهتك.»
- وحتى أنها نسيت نفسها هي أيضاً، وراحت تمسح العرق عن جبهة باو-يو.

فصمت باو-يو وكأنه في حالة تأمل، ثم قال:

- «يُمكنك أن تطمأني».

ذهلت بلاك دجايد من هذا الكلام المُطمئن، والذي بدا لها وكأنه ليس في مكانه ولا يُناسب الحديث. فقالت تسأله:

- «وما الذي علي أن أشعر بالاطمئنان لأجله؟ لا أعرف عما تتكلم أصلاً».

- «ألم تفهمي فعلاً»، قال باو-يو وأكمل: «إذن، لا بُدَّ أنني كنتُ مخطئاً في تفكيرِي بخصوصك، وأتساءل ما إذا كنتُ فعلاً قد سببتُ لك أي نوع من الغضب أو الإزعاج».

- «أنا فعلاً لا أفهم ما تعنيه بالاطمئنان وعن انشغال البال، أو بعدمه... لست أفهم...».

وهنا، قاطعها باو-يو قائلاً بجديّة واضحة:

- «لا تتظاهري بأنك لا تفهمي، ماي-ماي، فهل كنتُ إذن على خطأ طوال الوقت، وأنّ كل تفكيرِي بك كان بلا معنى؟ فإذا كان ذلك صحيحاً، فسأكون قد ظلمتكَ أيضاً. لقد عانيت الكثير من المرض، لا لشيء إلا لأنك شديدة القلق. فلولا أنك لا تُتهكين نفسك بالقلق الذي أقصده، لما كان مرضك علي حافة الخطر كل لحظة».

كان لهذه الكلمات وقع الصاعقة علي بلاك دجايد لأنها كانت تُشبه إلى حدّ بعيد أفكارها الدفينة كما لو أنها قد انتزعت من صميم قلبها. كان لديها آلاف الأشياء التي تُريد قولها، لكن ردّة فعلها لم تزد عن تحديقها ب باو-يو بصمت. أما باو-يو فقد أحسّ بالمثل، فراح يُحدّق بها جامداً صامتاً علي غير عادته، بينما اغرورقت عينا بلاك دجايد بالدموع من جديد، وهي تعمل علي إخفاء عواطفها الجياشة تجاهه مُحاولاً الانصراف. وفي الحال، أوقفها باو-يو قائلاً لها:

- «ماي-ماي، لا تُغادري قبل أن أتحدّث معك بشيء طراً علي رأسي الآن».

- «لا داعي لذلك»، قالت بلاك دجايد وهي تُتابع انصرافها، وأضافت: «لأنني أعلم ما هو».

في هذه الأثناء، وصلت بيرفايدينغ فريغرانس بعد انصراف بلاك دجايد، وهي تحمل مروحة باو-يو التي كان قد نسيها سابقاً. قالت له:

- «لقد نسيت مروحتك، ولحسن الحظ أنني وجدتها، وأتيت لك بها».

كان باو-يو لا يزال مشغول الفكر حول بلاك دجايد، ولم يدر بعد بأنها قد غادرت المكان، كما أنه لم يشعر بوصول الخادمة بيرفايدينغ فريغرانس. ودون أن يشعر، أخذ بيديها وقال بنبرة عاطفية:

- «ماي-ماي، لم أجرؤ أبداً على البوح بأسرار قلبي إليك من قبل. فسأكون شجاعاً اليوم، ولا يهمني لو أدى ذلك إلى موتي. لكنني أيضاً مريض لأنني دائم التفكير بك-لا أجرؤ على البوح بهذا لأي كان، ولن أشعر بالتحسن والراحة، إلا إذا شعرت أنت كذلك؛ فأنا لا أستطيع نسيانك حتى في أحلامي».

عند سماعها هذا الكلام، أصيبت بيرفايدينغ فريغرانس بالدّهشة، فأوقفته وقالت:
- «هل جُننت» نسيت أن أقول لك بضرورة ذهابك على الفور إلى لاو-يه-فقد يفقد صبره ويغضب إذا لم تذهب في الحال».

حين أدرك ما فعله، طفح وجه باو-يو بالخجل وهرع يُغادر المكان على عجل، تاركاً بيرفايدينغ فريغرانس مُنتظرة تحت الشمس الحارقة، وهي تتساءل بينها وبين نفسها عمّا كان يدور بين باو-يو وبلاك دجايد. في تلك اللحظة، أطلت بريشوس فيرتشو وسألته عن الذي كانت تُفكر فيه بهذا الاهتمام، فردّت:
- «لا شيء أبداً، لقد كنتُ فقط أراقب الطيور من حولي».

فسألته بريشوس فيرتشو من جديد:

- «لماذا كان باو-يو مُغادراً على عجلة من أمره؟ كان يسير بسرعة لدرجة أنه لم يتوقف حتى لمُكالمتي».

قالت بيرفايدينغ فريغرانس:

- «لقد أرسل لاو-يه بطلبه».

- «لا غرابة في هذا»، قالت بريشوس فيرتشو، واستكملت حديثها قائلة بقلق: «أتمنى أنه لم يتذكّر شيء مفاجئ يُريد توبيخ باو-يو عليه».
- ردّت بيرفايدينغ فريغرانس بهدوء:
- «لا أبداً، لا شيء من ذلك لحسن الحظّ. لقد فهمت أن هناك زائر يرغب برؤيته».
- «أعتقد أنّ أي شخص عاقل سيبقى في منزله في مثل هذا اليوم الحار بدلاً من الزيارات واستدعاء الأشخاص وإزعاجهم-إنه حقاً لتصرّف أحمق!»
- وافقتها بيرفايدينغ فريغرانس على ذلك بالقول:
- «إنك على حق».
- سألتها بريشوس فيرتشو:
- «ولكن أخبريني، ما الذي تفعله شيه كو-نيانغ الآن؟»
- «لقد كنّا نتحدّث للتو. كنت أعمل على حياكة نعلين لها، وقد أعجباها كثيراً. كنت أنوي أن أطلب منها حياكة زوجين لي أيضاً».
- عندما سمعت بريشوس فيرتشو هذا، نظرت من حولها لتتأكد من عدم وجود أحد في الجوار، ثمّ قالت تُخاطب بيرفايدينغ فريغرانس بصوتٍ مُنخفض:
- «ألم تلاحظي بأنك عميقة التفكير كعادتك؟ ألا تدرين بأنها مُنغمسة في أعمال المنزل؟ لم تقل لي أيّ شيء بالتحديد، لكنني أعتقد بأن أهل بيتها ليس لديهم ما يكفي من الخدم لخياطة ما يحتاجون إليه بأنفسهم، ولذلك كان عليهم القيام ببعض أعمال الخياطة العائدة لهم بأنفسهم. فكيف تتوقعين منها إيجاد الوقت لحياكة أيّ شيء لكِ وتنفيذ طلباتك كما تعتقدين؟»
- «أعتقد أنّ كو-نيانغ على حق»، قالت بيرفايدينغ فريغرانس، وتابعت: «طلبْتُ منها الشهر الماضي صناعة بعض العقد على شكل فراشات، لكنّها لم تُرسلها لوقت طويل. ثمّ أنّها اعتذرت فيما بعد لأنّها لم تعني بحياكتها جيّداً، قائلة بأنها ستبذل جهدها في صناعة أشياء أجمل حينما تأتي لزيارتنا

لاحقاً. كل ذلك لأنها لا تملك الوقت الكافي في بيتها. يا لي من إنسانه رعناء. ولكنك تعلمين كيف هو باو-يو؛ إنه دقيق جداً، ليس فقط بخصوص العمل، ولكن بخصوص الشخص الذي يقوم بتنفيذه أيضاً.

بعد ذلك، وصلت إحدى الخادמות العجائز، فسألتهما:

- «ألم تسمعا؟ لقد قفزت غولدن برايسليت إلى البئر، وأغرقت نفسها!»

وعلى الفور- سألتها بيرفايدينغ فريغرانس بذهول:

- «أي غولدن برايسليت منهن؟»

- «هناك خادمة واحدة بهذا الاسم»، قالت العجوز، وأضافت: «تلك التي في

غرفة تاي-تاي. لسبب ما كانت تاي-تاي غاضبة منها وأعادتها إلى عائلتها.

لقد قضت وقتها تبكي من بعد إرسالها إلى البيت، ولكن لم يأبه لها أحد.

وبعد أن اختفت بالأمس لفترة طويلة، اكتشف أحدهم جثة في البئر، وبعد

أن تم سحبها تبين أنها عائلة لها».

على وقع هذه القصة المأساوية، هرعت بريشوس فيرتشو إلى جناح مدام وانغ،

ووجدتها في غرفتها تبكي لوحدها، وبما أنها لم تكن ترغب في فتح الموضوع،

جلست صامتة دون أن تُبالي بوجود أحد.

ثم، التفتت بشكل مفاجئ باتجاه بريشوس فيرتشو، وسألتها وفي صوتها غصّة:

- «أين كنتِ الآن؟»

- «كنتُ في الحديقة».

- «هل رأيتِ باو-يو؟»

- «نعم، رأيته. فقد كان يرتدي ثيابه وفي طريقه إلى مكان ما، وبدأ لي أنه على

عجلة من أمره».

- «هل علمتِ بأن غولدن برايسليت قد أُلقت بنفسها في البئر؟»

- «أحقاً ما تقولين؟ ولما عليها أن تفعل ذلك؟»

تنهّدت مدام وانغ، وقالت:

- «منذ بضعة أيام، كسرت شيئاً ما. وبدون مقدمات، وبسبب فقداني لأعصابي، صفعتها وطرقتها إلى بيتها. ومن كان يظنّ بأنها ستأخذ الأمر على هذا النحو وتُغرق نفسها في البئر! آه لن أن أسامح نفسي وإلى الأبد على تسبّبي لها بالموت بهذه الطريقة؟»

قالت لها بريشوس فيرتشو وهي تُهدئ من روعها:

- «بالطبع ستشعر تاي-تاي بالذنب وتلوم نفسها، لأنها شديدة الحساسية ورقيقة القلب، ولكنني لا أعتقد بأنّ غولدن برايسليت قد تأثرت إلى هذه الدرجة لتُلقني بنفسها إلى البئر-لا بُدّ من أنّه حادث. فإذا لم يكن كذلك، فهذا يعني بأنها لم تكن تُقدّر طيبة تاي-تاي حق قدرها، وأنها لا تستحق حتى حزن تاي-تاي عليها».

- «أتمنى أن تكوني على حق، يا صغيرتي»، قالت مدام وانغ، وتابعت تقول بحزن: «ولكنني لا زلتُ أتمنى لو أنّي لم أكن بتلك القساوة معها».

قالت لها بريشوس فيرتشو في محاولة منها لكبح أحزانها:

- «عليك ألا تُلقني الملامة على نفسك إلى هذه الدرجة. فليس باستطاعتك أن تفعلي شيئاً الآن، سوى مُعاملة عائلتها بسخاء».

- «لقد أعطيتُ والدتها خمسين تايل»، قالت مدام وانغ، وأكملت تقول راضية: «وكنْتُ أفكر أن أعطيها ثوباً جديداً من أجل الذفن، ولكن حدث أنّه لا يوجد أي شيء جديد سوى ثوبين أعدّا خصيصاً من أجل لين ماي-ماي لمناسبة عيد ميلادها القادم. ولا أستطيع أن أطلب من لين ماي-ماي ذلك. إنّها فتاة حساسة وليست على ما يُرام، كما تعلمين، ومن المُحتمل أن تتشام من هذا الشيء. لكنني سأطلب من الخياطة أن تعمل بأسرع ما يُمكنها على خياطة ثوب لها-فلو أنّ الأمر يتعلّق بخادمة أُخرى، لما انشغلت واهتممت إلى هذا الحدّ، لكنّ غولدن برايسليت كانت بمثابة ابنة لي».

وما إن أنهت كلامها، حتى انفجرت باكياً من جديد.

اقتربت بريشوس فيرتشو منها تُخفّف عنها قائلة:

- «لست بحاجة إلى خياطة ثوب جديد، فلديّ بعض الأثواب التي خيَّطتها منذ بضعة أيام—ولحسن الحظ أنني ووالدتها نلبس المقاس نفسه أيضاً». سألتها مدام وانغ على الفور:

- «ألا تتشائمين من هذه الأشياء؟»

قالت بريشوس فيرتشو وهي ذاهبة لإحضار الثوب:
- «لا، لا أبداً».

عندما عادت بريشوس فيرتشو بعد لحظات، وجدت باو-يو يجلس إلى جانب والدته وهو يبكي. ومن الواضح أنه قد علم بموت غولدن برايسليت، وبأنه قد تلقى توبيخاً قاسياً من مدام وانغ.

الفصل العشرون

وفيه يكتشف تشيا تشينغ مُغامرات ولده الخاطئ
ويعاني باو-يُو من عقوبة والده الصّارم

حينما علم باو-يو بانتحار غولدن برايسليت، كان قلبه قد انفطر حُزناً عليها، وعندما وبّخته مدام وانغ، كان على قناعة كبيرة من أنّه قد عمل على تبرير نفسه بما يكفي لرفع المسؤولية. وكم كان سعيداً حينما دخلت بريشوس فيرتشو وأنقذته من المأزق الذي كان فيه. خرج من بعد ذلك، وراح يهيم على وجهه في الساحات يائساً وبدون هدف، إلى أن وجد نفسه واقفاً في البهو الأمامي. وعندما استدار من حول السور، اصطدم بشخص دون أن يُميّز من هو- ثم سَمِع هذا الشخص يصرخ به:

- «قف مكانك!»

نظر إلى أعلى ليتعرف إلى صاحب الصوت، فتفاجأ بوالده واقفاً أمامه وهو يُحدّق في وجهه. وقف جانباً احتراماً وهو يلهث بلا إرادة. سأله والده:

- «لماذا تلهث وتتنهّد بهذه الطريقة؟ لقد استغرقك المجيئ وقتاً طويلاً منذ

أن استدعاك يو-تسون إليه. وعندما حضرت لم تقل شيئاً. تبدو لي مُشتتاً وضيق الصدر وغير هادئ، هات أخبرني ما الذي يُحزنك ويُشغلك الآن؟ وما هو السبب المُمكن الذي يجعلك ساخطاً إلى هذا الحد؟»

من المُعتاد أن يكون باو-يو سريع البديهة، لكنّه الآن، وهو مشغول البال بموت غولدن برايسليت، كان يرغب في اللحاق بها إلى العالم الآخر. لم يكن يسمع ما الذي كان يقوله له والده، بل كان يقف كمن فقد قدرته على النطق. وبالمثل،

فإن تشييا تشينغ بدا مُنزِعاً من صمته وارتبائه الواضح؛ فهو لم يكن غاضباً في البداية، لكنه قد يشعر بذلك الآن-كان على وشك أن يُوجّه مزيداً من كلمات التوبيخ والتحذير لولده، حينما أُعلن عن وصول ضابط من قصر أمير الولاء والطاعة. أربك ذلك تشييا تشينغ لا سيما وأنه لا تربطه مع الأمير أيّ علاقة معرفة. وعلى الفور، وضع على نفسه الثوب البلاطي، وأسرع لمُقابلة المبعوث.

قال الضابط:

- «طُلب مني التدخل بسبب قضية حساسة تهم الأمير وأحد أفراد عائلتك، ويتمنى الأمير عليك التوسط... أتمنى من فخامتكم أن تعذروني على التدخل، وأن تُعبروا القضية الأهمية التي تستحقّها».

ازدادت حيرة تشييا تشينغ على وقع ما سمعه أكثر من ذي قبل. فنهض من مكانه وقال:

- «وهل سعادتك مُخرجون من أن تكونوا صريحين بحيث يكون تلميذكم المتواضع على مستوى الاستجابة والطاعة؟»

- «إنها لقضية سهلة وبسيطة، إذا ما قلّتم سعادتك الكلمة الفصل»، قال الضابط هذا وتابع: «هناك مُمثل في قصر الأمير يُدعى تشي-كوان، والذي اختفى عن الأنظار منذ عدة أيام. وبعد البحث وتقصي العديد من أماكن الترفيه في العاصمة، تبين لنا أن ثمانية أشخاص من أصل عشرة يعرفون أنه على علاقة وطيدة بحضرة وريثكم النبيل. وعندما عرفنا بذلك، لم نوانى عن المجيء إلى هنا من أجل البحث عن هذا المُمثل كما لو أننا نبحث عنه لدى عائلة عادية. ولهذا أبلغنا الأمير بالأمر، فقال لنا بأنه لم يكن يرغب في إزعاج فخامتكم لو أن الأمر متعلّق بمئة مُمثل موجودين لديه في القصر، إلا أن الموضوع مع تشي-كوان يختلف كلياً؛ فهو مهمّ وأساسيّ بالنسبة لسعادة الأمير وموته في هرمه. ومن هنا، نناشدكم أن تسألوا وريثكم الكريم التنازل عن تشي-كوان، من أجل التخفيف من قلق الأمير، وأن تسمح لضابطه المتواضع في إتمام بحثه الضروري لإيجاده».

وفور انتهاء مبعوث القصر من كلامه، انحنى احتراماً كما بدأ.

صعق تشيا تشينغ لما سمعه، فاستدعى باو-يو على الفور وقال له:

- «أيها المُخادع المُستحقّ للموت! ألا يكفيك أنك تُهمل دروسك، لترتكب أيضاً جرائم الخيانة؟ إن تشي-كوان هو خادم الأمير الخاص، فكيف تجرؤ على إخفائه وتجلب عليّ المصائب؟»

والواقع، أن باو-يو كان قد تعرّف إلى تشي-كوان، واسمه الحقيقي هو تشيانغ يو-هان، في حفلة عيد ميلاد هسويه بان. فتعلّقا ببعضهما البعض؛ فتبادل الإثنان الهدايا، وازداد تواصل كل منهما بالآخر. تفاجأ باو-يو بتطور الأحداث، إلا أنه نفى الاتهامات المُوجّهة له، وكذلك أي علم له حتى بمعنى كلمتي «تشي-كوان». لكنّ ذلك لم يكن ليُتّنع مبعوث القصر بسهولة. فقال عند سماع ذلك وعلى وجهه ابتسامة ساخرة:

- «أرجوك لا تُحاول إخفاؤه. لذلك، إذا كان مُختبئاً في القصر، أو إن كنت تدري بأماكن وجوده، فأرجو من جانبك تنويري، لأنّ ذلك سيوفّر علينا المزيد من عناء البحث.»

أصرّ باو-يو على عدم علمه بمكان المُمثّل، وقال:

- «صدّقني لا أعلم أيّ شيء عن القضية، ومن المؤكّد أن المعلومات التي وصلتكَ عنّي خاطئة.»

- «لدينا الدليل على ذلك»، قال مُساعد القصر، ثمّ تابع مُبتسماً: «لكننا لا ننوي كشف هذا الدليل أمام والدك المُوقرّ خشية أن يكون ذلك مصدر إزعاج لك. وطالما أنك تدفعنا لذلك، فقل لي، إن كنت لا تعرف من هو تشي-كوان، فهل لي أن أسألك كيف حدث أن يتدلّى منديله الأحمر من حزامك الداخلي؟»

تأكّد باو-يو أن لا جدوى من التماذي في النفي، فقال:

- «إذا كانوا يعرفون كلّ شيء، فكيف أمكنهم تجاهل أكثر التفاصيل أهمية؟ ويبدو لي أنني سمعتُ من أحدهم يقول بأنّه قد اشترى منزلاً يبعد حوالي

العشرين لي عن العاصمة-في قرية اسمها شيئاً يُشبه «البرج الأرجواني»، وأعتقد بأنك لربّما تجده هناك».

ابتسم مبعوث القصر وقال:

- «لا بُدّ أنّه هناك إن كنت تقول هذا. سننطلق إلى هناك ونستطلع الأمر. وأخشى إن لم نجده، من العودة إلى هنا مرة ثانية من أجل المزيد من الاستنارة بما تعرفونه».

وما إن أتمّ كلماته حتى انطلق. كان تشيا تشينغ صامتاً ومُندهشاً بما يرى ويسمع. فراق المبعوث إلى الباب، طالباً من باو-يو عدم التحرك من مكانه حتّى عودته. عندما عاد، شاهد تشيا هوان يركض بالإتجاه المُعاكس، فصرخ عليه:

- «توقّف مكانك!»

جمد تشيا هوانغ في مكانه، وراح يتنظر مصيره. وصل إليه تشيا تشينغ، وسأله:

- «ما الذي تركض من أجله كالحصان البرّي؟ أليس من المُفترض بك أن تكون في المدرسة الآن؟»

في تلك اللحظة، وجد تشيا هوانغ فرصته، فهمس لوالده قائلاً:

- «لم أقصد الركض، لكنني كنتُ خائفاً من جُنة الخادمة-فقد بدت مُتفتحة الوجه والجسد، الشيء الذي أزعجني، ودفعتني إلى الهروب بعيداً عن البئر بكلّ ما أوتيت من قوّة».

- «ومن قفز إلى البئر؟»، سأله تشيا تشينغ باستهجان، وأضاف: «إنه شيء لم يحدث في هذا البيت من قبل أبداً. لقد كُنّا نُعامل خادماننا وخدامنا باللين والرأفة منذ عهد أجدادنا؛ وبسبب غفليتي عن الأمور في هذه السنوات الأخيرة، يجد بعض المسؤولين عن الأعمال في هذا القصر فرصة التلذذ في اضطهاد الخدم البائسين. يا للعار الذي يلحق بذكرى الأسلاف والأجداد!»

دنا تشيا هوان من والده يهمس في أذنيه قائلاً:

- «لا أحد يعرف عن هذا الموضوع باستثناء الموجودين في غرفة تاي-تاي. لقد سمعتُ والدتي تقول . . .»

في هذه اللحظة، توقّف تشيا هوان عن الكلام، وراح يتلفّت يُمَنة ويُسرى. وعلى الفور طلب تشيا تشينغ إلى مرافقيه الانصراف. وهُنا، تابع تشيا هوان قائلاً:

- «سمعت والدتي تقول بأنّ باو-يو كان يُحاول اغتصاب غولدن برايسليت، وهي خادمة في غرفة مدام وانغ. وقالت بأنّ الخادمة قد امتنعت عن ذلك، لكنّها طُرِدَت من قِبَل سيّدتها بحزم—بعد ذلك، سمعنا بأنّها قد انتحرت برمي نفسها في البئر».

وعلى الفور، زمجر تشيا تشينغ، وقد اصفرّ وجهه واشتدّ غيظه:

- «أمسكوا باو-يو وهاتوه إلى هنا!»

ثمّ ذهب إلى مكتبه ونادى مُساعديه وخدمه:

- «لو حاول أحد منكم إيقافني اليوم، فلسوف أتنازل له عن شارة سُلطتي الرسمية، وبيتي وأملاكي، واتركه لخدمة باو-يو، ولسوف أقصّ ما تبقى من شعري وأجد لي قفراً لأعيش فيه، من أجل أن التوقّف عن الحطّ من قدر أجدادي، وتحملّ مسؤولية جرائم الخيانة والمصائب التي تأتيني من باو-يو الجاحد».

عمل مُساعدو تشيا تشينغ على حماية باو-يو من غضب والده في الكثير من المواقف، ولكنهم كانوا مُتيقنين الآن من أنّ تشيا تشينغ لن يسمح بأيّ تدخل—وهكذا انسحبوا جميعهم بصمتٍ وهدوء. وشرعان ما صرخ تشيا تشينغ بخدمه:

- «هاتوه إلى هنا، وقيدوه. ائتوني بقضيب قوي من الخيزران، واغلقوا كل المداخل. وسأقتل كل من يُحاول نشر ما يحدث هنا في الأجنحة المتبقية».

خضع الخدم لأوامر سيّدهم على الفور دون أيّ تردّد. وخرج بعضهم لإحضار باو-يو الذي كان قادماً يهيم في قاعة الضيوف على غير هُدى. كانت قضية تشي-كوان خطيرة بما يكفي، ولم تكن تحتاج من تشيا هوان كي يُضيف المزيد من الوقود إلى غيظ والده. كان باو-يو في البهو حائرًا—يبحث عمّن يوصل منه رسالة إلى سيدة المنزل، لكنّه لم يجد أحداً في الجوار. وأخيراً، ظهرت خادمة عجوز، وهرع باو-يو إليها وكأنّها ملجأه الذي أرسلته السماء، وقال لها:

- «إنّ لاو-يه سيضربني هذه المزة حتى الموت. إذهبى بسرعة إلى الداخل واخبري الجميع. أسرعى، إنّ الأمر عاجل، لا بل شديد الإلحاح إياؤ-تشرين!».»

كانت المرأة العجوز قليلة السمع، أما باو-يو، وفي حالة الرعب والعجلة التي يستجدي فيها، لم ينطق كلماته بوضوح تام. ولذلك، ظنّت بأنّه قد قال لها: «تي ياو تشينغ، [إذهبى وارمي نفسك في البئر]». فراحت تتحدّث إلى نفسها وتقول: «فليرمي هو نفسه في البئر، وما الذي همّني أنا إن فعل.»

وقبل أن يحصل على الوقت الكافي لتوضيح مقصده، كان الخدم قد وصلوا إليه وأخذوه إلى المكتب. كان تشيا تشينغ في قمة جنونه وأوج غضبه لرؤية ولده المُذنب. ومن دون أن يُزعج نفسه في تعداد جرائم ولده، اكتفى بالطلب إلى المُساعدين:

- «كمّموا فمه واضربوه حتّى الموت!»

لم يتردّد مُساعدوه في التنفيذ، فربطوا باو-يو إلى أحد المقاعد، واستجابة لأمر تشيا تشينغ، بدأوا بضربه بقضيب سميك من الخيزران. لكن هذا لم يُشَفّ غليل تشيا تشينغ، فدفع بالرجل الذي يحمل القضيب، وأخذه منه، وضرب باو-يو أكثر من عشر ضربات بكلّ ما أوتي من قوة.

في البداية، صرخ باو-يو وبكى من الألم، لكنّه ومع توالي الضربات، بدأ صوته يخفت تحت تأثير قوّة كلّ ضربة. وقد حاول المُساعدين التدخل عندما لاحظوا أنّ غضب تشيا تشينغ بات يتحول إلى ما يُشبه الإجرام. لكنّه زجرهم بقوله:

- «إسألوا أنفسكم إن كان سلوكه هذا يُمكن التجاوز عنه أو غفرانه. إنّ كل ما ارتكبه من أعمال فاسدة هو بسببكم. وأعتقد بأنكم ستستمرّون في طلب الشفاعة له، حتى ولو قتل والده أو ملكه.»

أصبح المُساعدون على يقين من أنّه لا جدوى من النقاش مع تشيا تشينغ. وكانت مدام يونغ أول من لبّى نداء النجدة. وما إن أُطلت، حتى أسرع جميع المُساعدين بالمُغادرة. ثارت نائرة تشيا تشينغ بسبب هذا التدخل، وانهاه بعصا

الخيزران على باو-يو ولكن بزخم أقوى وأكثر إيلاًماً من قبل.

حينما أرخى المُساعدان المتبقيان من إحكام قبضتهما على باو-يو، كان هذا الأخير مُمدداً على المقعد بلا حراك، وبدا وكأنه قد فقد الوعي. وحينما رفع تشيا تشينغ عصاه من جديد، تلقتها مدام وانغ بيديها بكل ما أوتيت من قوّة، وصرخت:

- «لنفترض أنّ باو-يو يستحق كل هذه العقوبة، ولكن على لاو-يه الالتفات إلى صحّته وتجنّب إجهاد نفسه وتحميلها المزيد من العناء-عدا عن أنّ لاو تاي-تاي ليس على ما يُرام في هذه الأيام الحازّة. قد يهون علينا موت باو-يو تحت وطأة هذا العقاب، ولكن ماذا سيحصل لو أصاب لاو تاي-تاي أيّ مكروه وعرضه لمُعاناة أليمة وطويلة؟»

على وقع هذه الكلمات، تبسّم تشيا تشينغ بازدياء، وقال:

- «أنا مُذنبٌ لأنني قد ولدت هذا الوحش العاق. وفي كلّ وقتٍ كنتُ أحاول فيه تربيته، كان كل واحد هنا يتدخل لصالحه. ومن الأفضل لي الآن أن أخنقه حتى الموت، قبل أن يُورَظنا في جرائم أكبر وأخطر».

قال هذا، ثم أخذ قطعة جبل وحاول لفّها حول عنق باو-يو وخنقه. وعلى الفور، أسرعَت إليه مدام وانغ ومنعته، وهي تصرخ قائلة:

- «صحيح أنّه من واجب لاو-يه تربية ولده ومُعاقبته، ولكن عليه أيضاً أن يأخذ بعين الاعتبار وجود زوجته. لقد أصبحت الآن فوق الخمسين من العمر، وليس لديّ إلّا هذا الشيء الشّرير. وإنّ تصميمك على قتله يعني حرفياً أنّك لا تريد لي العيش. ولذلك، أقول لك: اخنقني أولاً ثمّ افعل به ما تشاء من بعد ذلك! فمن الأفضل أن نموت نحن الإثنين معاً، وبهذا سنكون معاً أيضاً عندما نصل إلى العالم الآخر».

ثمّ ألقت بنفسها فوق باو-يو وانفجرت تبكي بأسى.

في هذه الأثناء، كان تشيا تشينغ يقف صامتاً، ثمّ تنهّد ورمى بنفسه على كرسيه وقد اغرورقت عيناه بالدموع هو أيضاً. أمّا باو-يو، فقد أبيض وجهه وانخفض تنفسه، والتصقت ثيابه المُبلّلة بالدماء بجسده المُثقل بالجراح-كان جسمه من رأسه

حتى أحمص قدميه مُغطى بالكدمات، بعضها أزرق وبعضها الآخر باللون الأحمر الأرجواني، ولم تسلم أي بقعة في جسده من الجروح المؤلمة. كانت مدام وانغ تأن وكأنها تشعر بألمه، وهي تنوح وتُردّد: «باو-يو، باو-يو!» بأسى ولوعة حارقة. ثم تذكرت ولدها الأول المتوفى، تشيا تشو، وبدأت تبكي وتُناجيه: «تشو-يز، لو أنك ما زلت على قيد الحياة، لما تألمت لموت مئة باو-يو بهذه العصا!»

في هذا الوقت، كان جميع من في الأجنحة الداخلية قد سمعوا بالخبر. وهرع على الفور كل من لي هوان، وفينيكس، وكل الخادמות والوصيفات-على عجل لرؤية باو-يو. وعندما صرخت مدام وانغ من جديد باسم ولدها الأول «تشيا تشو»، استيقظت أحزان ومآسى لين هوان القديمة، وانفجرت باكية هي الأخرى.

وفجأة، هتفت إحدى الخادמות:

- «لاو تاي-تاي قادمة!»

وقبل أن يتوقف رنين صدى هذا النداء في أذان الذين سمعوه، كان صوت الأم الحاكمة يصدح في المكان:

- «أقتلني أولاً ومن ثم يُمكنك أن تقتله!»

وعلى الفور، خرج تشيا تشينغ على عجلٍ لملاقاة والدته. ثم حاول أن يتسم وهو يقول:

- «كان على الوالدة أن لا تخرج في هذا اليوم الحاز. فإذا ما رغبت في شيء، فما عليها إلا أن تبعث لولدها، وتأمره بالتنفيذ.»

قالت الوالدة تردّ عليه بسخرية:

- «هل أنت توجّه كلامك لي؟ نعم، لديّ الكثير من الأشياء التي عليّ قولها، لكنني، وللأسف قد حملتُ ووضعْتُ ولدًا غير مُطيع لكي أمره.»

أحسن تشيا تشينغ بجرح نتيجة كلام والدته. وما لبث أن جثى على رُكبتيه وقال:

- «إنّ ولدك يعمل على تربية ولده لأنه يُحافظ على شرف العائلة بكلّ قلبه وجوارحه. وكيف لولدٍ أن يتحمّل هذا النوع من كلمات تصدر عن والدته؟»

ردت الأم ببرودة:

- «لا تستطيع تحمّل بضع كلمات منّي؟ فكيف إذن تتوقّع من باو-يو أن يتحمّل منك كلّ هذه القسوة؟ لقد قلت بأنك تعمل على استعادة شرف العائلة، فهل نسيت إذن كيف عمل والدك على تربيتك؟»

كانت عينا الوالدة مملأى بالدموع، وفي الوقت نفسه، حاول تشييا تشينغ الابتسام من جديد وهو يقول:

- «أرجوك لا تحزني يا أمي. إنه خطأ ولدك-لم يستطع تمالك نفسه، ويعدك بأنه لن يمسّ ولده مرة ثانية أبداً.»

قالت الوالدة بنبرة التأنيب:

- «عليك ألا تحاول إغضابي، كما أنه بإمكانك ضربه إذا أردت طالما أنه في النهاية ولدك. والآن وقد تعبت من وجودنا، سيكون من الأفضل تركك لوحده»، قالت هذا وطلبت من المُساعدين تجهيز عربتها، وأضافت: «أريد العودة في الحال إلى تشينلينغ برفقة تاي-تاي و باو-يو.»

بدأ المُساعدون بتنفيذ أوامرها، بينما التفتت إلى مدام وانغ وقالت لها:

- «لا تبكي أبداً. فطالما أنّ باو-يو لا يزال فتياً، فسوف تُحبيته وتُعانين من أجله. ولكنّه عندما يكبر، سينسى بأنك والدته أصلاً. وأرى أنه من الأفضل ألاّ تتمادين في حبه الآن، لكي لا تندمي أو تأسفي على ذلك في المستقبل.»

في هذه اللحظات، انحنى تشييا تشينغ أمام والدته من جديد وقال:

- «تقول والدتي أشياء يتمنى معها الولد لو أنه يموت أو أنه لم يولد أساساً.»
- «من الواضح أنك الوحيد الذي يُريد أن يُعدني عن طريقه. سأتركك، وهكذا لن يُحاول أحد من الموجودين هنا التدخل في شؤونك، لا سيّما في ما يتعلّق بموضوع باو-يو.»

ثمّ كرّرت أمرها للمُساعدين بتجهيز العربة، وسارت باتجاه المكتب لتفقد باو-يو-فلم تره أبداً يُعاني كما كان يُعاني هذا النوع من العقاب. وما لبثت أن انفجرت باكية من جديد، وكرّرت ذلك لأكثر من مرّة قبل أن تتوقّف كالمذهولة أمام المنظر

القاسي. وبعدها تمّ نقل باو-يو إلى غرفته، لم يتردّد تشيا تشينغ في التراجع إلى جناحه، لكنّه لحق بالجميع، مع اعتقاده بينه وبين نفسه من أنّه قد ذهب بعيداً جداً في ما خصّ مُعاقبة باو-يو. بعد ذلك، قالت تُخاطب باو-يو وهي لا تزال تبكي بأسى:

- «كان يجب أن تموت بدلاً عن تشو-يُ قبل وقت طويل. فلو أنّك مت وقتها، لما كانت حياتي عبثاً، ولكان أخوك قد عرف كيف يسعد والدك. أما إذا مت الآن، فعلى من سأتكلم في ما تبقى من عمري؟»
وفي النهاية، طلبت الوالدة الكبيرة من تشيا تشينغ الانصراف قائلة:

- «من الطبيعي تربية الولد إذا ما أخطأ، ولكن عليك أن تعرف متى تتوقف. بإمكانك الانصراف الآن. هل فعلت ما يكفي، أم أنّك تُريد الاستمرار؟ فلعلّك تُريد مُتابعة ما بدأتَه إلى أن يموت؟»
ثمّ غادر تشيا تشينغ الغرفة دون أن يتفوّه بكلمة.

وقفت مدام وانغ والآخرين يُراقبون باو-يو، بينما وقفت الأمّ الكبيرة تراقب الجميع. أمّا بيرفأيدينغ فريفرانس، التي كانت عادة تُلبي نداء باو-يو عند كل حاجة، فلم يكن لديها الوقت الكافي للانتظار قُربه-فتسلّلت خارج الغرفة وبعثت بطلب مينغ-ين. عندما وصل، سألتَه عن أسباب قيام تشيا تشينغ بضرب باو-يو بهذه الطريقة، ولماذا لم يبعث للوالدة الكبيرة يُخبرها بالأمر. قال مينغ-ين عندما وصل:

- «حصل كل هذا في غيابي، ولم أعلم بالأمر إلاّ عندما بدأ لاو-يه الحديث عن الموضوع. وبعد تحرياتِي تبين لي أن كل ما حصل كان بسبب قضية المُمثل تشي-كُوان والمُشكلة التي أثارها مسألة غولدن برايسليت.»

- «وكيف اكتشف لاو-يه الأمر؟»
- «بالنسبة لقضية تشي-كُوان، فعلى الأغلب أنّ هُويه تا-يه هو المسؤول- فهو يغار من باو-يو بسبب تشي-كُوان، ولعلّه قد حرّض أحدهم للإبلاغ عنه. أمّا بالنسبة لقضية موت غولدن برايسليت، فقد قال الخدم من حول لاو-يه بأنّه قد سمع عن ذلك من سان-يه [تشيا هُوان].»

عندما عادت بيرفأيدينغ فريغرانس إلى غرفة باو-يو، كانت الأم الكبيرة والبقية لا يزالون هناك، ثم انصرف الجميع بعد قليل، وطلبوا من الخادمة الاهتمام به وعدم مُغادرة الغرفة لأي سبب كان.

الفصل الحادي والعشرون

وفيه تُعطي بيرفايدينغ فريغرانس تقييماً

نزياً لمدام وانغ

وبيعت باو-يو بإشارة خفية إلى بلاك دجايد

بعد مُغادرة سيّدة المنزل والآخريين الغرفة، بدأت بيرفايدينغ فريغرانس بتبديل ملابس باو-يو. والواقع أنّ هذه العملية لم تكن سهلة أبداً بسبب تألم باو-يو مع كل لمسة منها على جسده المجروح. وفي النهاية نجحت في خلع ملابسه كاشفة عن كدمات كبيرة ومؤلمة مُنتشرة من الخصر نزولاً حتى الساقين.

قالت بيرفايدينغ فريغرانس مُسائلة بتعجب:

- «يا للهول! كيف أمكنه أن يكون بهذه القسوة؟ ولكن ما كنت لتتعرض لذلك أبداً لو أنّك أصغيت للنصائح والتوجيهات. لحسن الحظّ، لم تُصب عظامك بأيّ كسور، وإلاّ لكنت قد أصبت بالشلل».

في هذه الأثناء، أعلن عن وصول بريشوس فيرتشو. وعلى الفور طرحت بيرفايدينغ فريغرانس الشرشف من فوق باو-يو إذ لم يتوفّر لها الوقت لإلباسه. كانت بريشوس فيرتشو تحمل بيدها قرص دواء قد أبلغت الخادمة بضرورة تذويبه في النيذ ودهن جروح المُصاب في الليل قبل النوم.

قالت تسأل باو-يو:

- «هل تشعر بتحسن الآن؟»

- «نعم، أنا أفضل بكثير، ولكن أرجوكِ اجلسي».
- «لو أنك أصغيت لكل النصائح التي تُسدى إليك، لما حصل ما حصل اليوم. فالحال الذي أنت عليه، لم يُحطَم قلب لاو تاي-تاي وحسب، ولكننا نحن أيضاً قد—»

توقفت عن الكلام فجأة وقد غمرتها الذهشة - فهي عادة ما تنسى أنها خادمة احتياط في حالات تأثرها. لكن باو-يو شعر باهتمامها الواضح، ولو لم يكن صريحاً. وكان أيضاً سعيداً بارتباكها، وكيف كانت تلعب بوشاحها وهي حانية الرأس ومُحمّرة الخدين. في تلك اللحظات، نسي ألمه، وغرق في أفكاره يقول لنفسه: «كم هُنَّ رحيماَت معي ويُعانين من أجلي فقط من أجل القليل من الضرب الذي تعرّضت له! كم هُنَّ غاليات على قلبي، وكم يستحقن عاطفتي! وكم سييكن ويُحنَّ من أجلي إذا ما مت! فالموت سيكون جميلاً إذا ما اهتم بك الآخرون وبكوا عليك كما تفعل هي».

قالت بريشوس فيرتشو بعد تفكير تسأل بيرفايدينغ فريغرانس:

- «وما السبب الذي حمل لاو-يه على فعل ما فعل؟»
- ومن دون أن تُدرك بأنّها قد تُشعر بريشوس فيرتشو بالتوتر، كزرت الخادمة القصة التي كانت قد سمعتها من مينغ-ين. وهنا، قال باو-يو مُحاولاً التخفيف عن بريشوس فيرتشو:

- «أنا أكيد من أن الأخ هسويه ما كان ليفعل هذا».

في هذا الوقت، وقفت بريشوس فيرتشو صامتا تُفكّر بينها وبين نفسها: «كم هو عميق التفكير، حتّى وهو يُعاني من الآلام الشديدة، يهتم فقط بمشاعر الآخرين وعواطفهم. فلو أنّه أعطى ثلث اهتمامه لرغبات والده ومشاعره، لما عانى ما عاناه اليوم. لكنني أعرف أخي حق المعرفة؛ فهو يتصرّف بطريقة سيئة تجاه تشين تشانغ، وإلا لكان مثله فيترك غروره وغيرته يفعلان ما هو أفضل من أجله اليوم».

بعد ذلك قالت بصوتٍ مُرتفع:

- «لا نفع من لوم هذا أو ذلك، فالشيء الأساسي الآن أنّه يتعيّن على الأخ

باو-يو عدم التعامل مع هذا النوع من الناس، ولو أنه فعل ذلك، لما أثار استياء لاو-يه. ربّما كان أخي مُمتازاً في عدم الإفصاح عن إسم باو، ولكنّه وللأسف، كما يقول باو، فقد فعل ذلك عن قصد. فالرجال بحكمة باو هم اليوم قلة».

غفا باو-يو بعد انصراف بريشوس فيرتشو. وحلم بأنّ تشيانغ يو-هان، المُمثل، جاء إليه ليخبره كيف ألقى الأمير القبض عليه؛ ورأى في الحلم أيضاً غولدن برايسليت وهي تقول له بأنّها قد ماتت من أجله وأنّها قد سامحته - وهو يسرح في عالم الأحلام، أحسن بأحد يهزه، ففتح عينيه ورأى بلاك دجايد تبكي من فوقه. شعر باو-يو بالفزع مُعتقداً أنّه ما زال يحلم. ولكي يتأكد من الأمر، رفع نفسه قليلاً من أجل أن يراها عن قُرب؛ فرأى عيناها مُتفتختان بحجم حبة الخوخ، وكان وجهها مُبقِعاً بالدموع التي كانت قد ذرفتُها-لكنّه تأكّد من أنّها بلاك دجايد حقيقة. قال لها: - «لم يكن عليك القدوم إلى هنا. فبالرغم من غياب الشمس، إلّا أنّ الحرارة المُخزنة في الأرض لا تزال تتصاعد وقد تؤثر عليك. لستُ أعاني الكثير من الضرب، لكنني أظاهر بذلك فقط، لكي يعتقد لاو-يه بأنني قد جُرحت أو تأذيت فعلاً. فرجاء لا تقلقي كثيراً من أجلي».

لم تكن بلاك دجايد تبكي بصوت مُرتفع، إلّا أنّ نحيبها الصامت كان أبلغ بكثير من أيّ حزن علني. عند سماعها تأكيد باو-يو من أنّه لا يشعر بالألم الكبير، لم تجد الكلمات التي تُعبّر عن مدى سرورها بذلك. لكنّها ارتأت أخيراً أن تكتفي بوضع كلمات

- «من الآن وصاعداً، عليك أن تُحسّن من أساليبك وتصرفاتك».

بعد ذلك، أعلن عن قدوم فينيكس.

وعلى الفور، نهضت بلاك دجايد، وقالت:

- «سأخرج من الباب الخلفي»، وأضافت وهي تتحرّك على عجل: «لكنني سأعود لاحقاً».

فردّ عليها باو-يو مُستهجناً:

- «ولماذا عليك الذهاب إذا كانت هي قادمة؟ وما الذي يُخيفك من البقاء؟»
- «ولكن أنظر إلى عيني»، قالت ذلك وهي تُشير إلى عينيها، ثم تابعت: «فسوف تسخر منّي إن رأيتني على هذه الحال».

بعد انصراف فينيكس، جاء هسوويه بي-ما، ومن بعده أحد من طرف الأم الكبيرة. وفي المساء، وبعد نوم باو-يو، وصل خبر إلى عُرفته يقول بأن مدام وانغ ترغب في التحدّث إلى أي شخص موجود في الغرفة. وبعد تفكير بسيط، قرّرت بيرفايدينغ فريغرانس الذهاب بنفسها.

عندما دخلت بيرفايدينغ فريغرانس الغرفة، كانت مدام وانغ تجلس في مقعدها الخيزران وتلوّح بمروحة في يدها. عندما رأتها قالت لها:

- «كان عليكِ ألا تأتي بنفسك، فمن بقي من أجل رعاية باو-يو الآن؟»
- «يؤ-يه يغطّ الآن في نوم عميق»، ردّت بيرفايدينغ فريغرانس، وأضافت: «وأُتيت لأنني اعتقدتُ بأنّ تاي-تاي لديها تعليمات من أجلنا، وكنْتُ أخشى من إرسال خادمة أخرى، فقد لا تستوعبها أو قد تُخطئ في نقلها بطريقة سليمة».

قالت مدام وانغ:

- «ليست لديّ تعليمات خاصة في رأسي الآن، ولكنني أردتُ أن أطمأن إلى حالة باو-يو، فهل خفّت آلامه؟»
- «لقد أتى باو-كؤ-نيانغ بطبيب، وقد عالج الألم بطريقة لافتة».
- «هل تناول شيئاً من الطعام؟»
- «لقد بعثت له لاو تاي-تاي ببعض الشوربا الساخنة، لكنّه لم يشرب منها إلّا القليل. سمعته يشكو العطش، ويرغب في شراب الخوخ البارد. لكنني لم أسمح له بالحصول عليه، فهو شراب شديد بطبيعته، وقد يؤدي إلى بعض المضاعفات التي نحن بغنى عنها. لقد اقنعته في النهاية بالحصول على القليل من شراب الورد مع الماء، لكنّه لم يُعجبه كثيراً».
- «كان عليكِ إخباري بذلك»، قالت مدام وانغ، ثم تابعت بعد ان تذكّرت:

«منذ بضعة أيام، حضر أحدهم حاملاً بعض العبوات من عصير الفاكهة المرّكز، والمُعَدّ خصيصاً للقصر. بإمكانك حمل اثنتين منها معك عندما تعودين؛ فلن تحتاجي منها الكثير، فقط أضيفي مقدار ملعقة الشاي الصغيرة إلى كوبٍ من الماء، واخلطيها جيداً».

حينما أصبحت بيرفايدينغ فريغرانس مُستعدة للمُغادرة، تذكّرت مدام وانغ شيئاً، فقالت:

- «انتظري لحظة»، ثمّ صرفت بقية الخدم، وتابعت تقول بصوتٍ مُنخفض: «لقد سمعت من أحدهم أنّ هُوَ-يُ كان مسؤولاً عمّا حصل مع باو-يو اليوم. فهل سمعت شيئاً من هذا القبيل؟»

أجابت بيرفايدينغ فريغرانس وهي مُستهجنة:

- «لا، لم أسمع شيئاً عن الموضوع، ولكن قيل لي بأنّ كل ما حصل كان بسبب أحد المُمثلين الذي كان يتواصل معه يُز-يه».

قالت مدام وانغ مُستكملة، وهي تهزّ برأسها:

- «ولكن علمتُ بأن هذا لم يكن السبب الوحيد».

وقفت بيرفايدينغ فريغرانس مُترددة للحظات، ثمّ قالت:

- «أعتقد أنّ—»

اكتفت بهذا، وسرعان ما صممت من جديد.

قالت لها مدام وانغ تحثّها على الكلام:

- «هيا تابعي».

- «أخشى أن يؤدّي ذلك إلى إغضاب ناي-تاي».

- «لا، لا تخافي لن أغضب»، قالت لها ذلك، وتابعت مؤكّدة: «هيا قولي ما لديك ولا تخافي».

- «أعتقد أنّ باو-يو قد استحقّ هذا الدرس»، تابعت بيرفايدينغ فريغرانس بتردد، وقالت: «فلو أنّ لاو-يه ترك الأمور تجري مجراها اليوم، فلن

يستطيع أحد توقع ما كان يُمكن أن يفعله يو-يه لاحقاً.

عند سماعها لهذا الكلام، هزّت مدام وانغ برأسها موافقة، وقالت مُتنبّهة:

- «عزيزتي، إنك على حق في ما تقولين. وهذا يُبرهن لي عن مدى استيعابك وفهمك للأمور، وبتّ مُتأكّدة من أن باو-يو يحتاج إلى التربية الصارمة. فأنتِ تعلمين كم كنت صارمة مع تشو تا-يه عندما كان لا يزال حياً، ولكنني الآن، وقد ربي عُمرى على الخمسين، لا أملك سوى هذا الولد الوحيد. ليس هذ وحسب، بل أنه من المُفضّلين لدى لاو تاي-تاي. ولهذا السبب لم أكن قاسية معه كما يجب. بالإضافة إلى ذلك كلّهُ، إن باو-يو وكما تعلمين ليس قوياً كفاية، فماذا لو وقع له شيئاً بسبب الضرب الذي يتلقّاه، فماذا عساني فاعلة عندئذٍ؟»

ثمّ توقّفت عن الكلام وبدأت بالبكاء، وهي تنظر إلى بيرفايدنغ فريغرانس التي كانت تُشاركها ذلك. ثمّ قالت:

- «ليس من الصعب على المرء اكتشاف ما يشعر به باو-يو في هذا الإطار. حتّى خادmatesه يشعرون بالطريقة نفسها. لم يمضِ يوم عليّ من دون أن أحثّ باو-يو ودفعه إلى تحسين سلوكه، ولكن أصبح ذلك بلا فائدة الآن. كما أنه من الصعب عليه الابتعاد عن أولئك الأشخاص أمثال ذلك المُمثل تشي-كوان، لا سيّما عندما يكونون مُستعدين لتسليته بتملق صريح وواضح؛ لقد فكّرتُ طويلاً في وضع باو-يو، وفكّرتُ أيضاً في إثارة موضوعه مع تاي-تاي؛ لكنني ترددتُ كثيراً بذلك لأنني خشيتُ أن أتسبب فقط في قلق تاي-تاي من الوصول إلى أيّ نتيجة إيجابية.»

كانت مدام وانغ مُتأثّرة جداً بهذا الحديث العميق. فراحت تتحدّث من جديد

قائلة:

- «حبيبتى، أخبريني كل شيء من دون أيّ تحفّظ. لقد سبق لي وسمعتُ عنك أشياء جيدة وجميلة، ولكنني كنتُ أعتقد أنها مُجرّد مُجاملات بسبب اهتمامكِ براحة باو-يو وأنك شديدة التروّي حتى في الأشياء الصغيرة.

ولكن ما سمعته منك من ولاء تجاه باو-يو، يتعدى حدود الأشياء الصغيرة. فأنت تفكرين فيه كما أ فعل أنا تماماً، ولهذا، لا تخشي شيئاً، هينا استمري في الكلام وأخبريني كل شيء».

قالت بيرفايدينغ فريغرانس:

- «ليس لدي شيء مُعين لأقوله، ولكن كنتُ أفكر في أنه سيكون من الحكمة بمكان انتقال باو-يو من الحديقة بذريعة ما».

دُهشت مدام وانغ لسماع ذلك، فأمسكت بيد بيرفايدينغ فريغرانس، وقالت تسألها بقلق:

- «وهل فعل باو-يو شيئاً دفعك إلى قول هذا؟»

- «لا أبداً»، أجابتها بيرفايدينغ فريغرانس مؤكّدة، وتابعت تقول: «ولكن يؤ-يه يكبر يوماً عن يوم، وكذلك بالنسبة للفتيات. وبالرغم من أنهم إخوة وأخوات، ولكن لا أحد يعلم ما الذي يدور على ألسنة الشر. فلو أنّ يؤ-يه يُصبح عُرضة للقليل والقال والشائعات الشريرة، فعلينا عندئذٍ، ونحن القيمين على تربيته ورعايته، أن نكون مُستعدين لتحمل المسؤولية. وهذه، كما ترين، ليست إلا مسألة بسيطة - ونحن جميعاً مُستعدّات للموت في سبيل سيدنا، ولكن ما هو أهمّ من هذا كلّهُ، هو سمعة باو-يو. أنا أعرف بأنه لشيء افتراضي أن يصدر عني مثل هذا الكلام، ولكن لاو تاي-تاي وتاي-تاي، يثقان بي كثيراً عن طريق تشريفي بخدمته؛ وكنتُ لأشعر بالذنب الكبير لو أنّي امتنعتُ عن إخبار تاي-تاي بالذي كان يخطر على بالي من كلام».

لم تستطع مدام وانغ كبح جماح تفكيرها في حادثة غولدن برايسليت أثناء حديث بيرفايدينغ فريغرانس الذي كانت تُقدّره وتُقدّر عمق تفكير هذه الوصيفة ومنطقها. فقالت من جديد:

- «عزيزتي، لقد فكّرت في كل شيء! وسوف أعتبر أن الموضوع قد انتهى، وسأتصرّف على هذا الأساس. أنا سعيدة لأنك قد أخبرتني بكل هذا، وأشعر بالارتياح الآن لوجود أحد يُشاركني قلقي ومخاوفي. يُمكنك أن

تذهبي الآن؛ إهتَمِّي جيداً برعاية باو-يو، وكوني على ثقة من أنني لن أنسى جميلك أبداً».

عادت بيرفايدينغ فريغرانس إلى صومعة الفاوانيا (بايوني كورت).

في الوقت الذي كان فيه باو-يو قد صحى من نومه. فتناول البعض من شراب الفواكه المُركَّزة مع الماء، ووجده مُختلفاً تماماً عن أي شيء تناوله من قبل. إلا أن كل تفكيره كان مع بلاك دجايد. كان يرغب في معرفة أحوالها، ولكن من دون أن تعلم بيرفايدينغ فريغرانس أي شيء عن ذلك وتعارضه. ومن أجل ذلك، أرسلها إلى تعريشة الويستاريا (ويستاريا أربور) لاقتراض بعض الكتب من بريشوس فيرتشو. ثم استدعى برايت ديزاين إليه وقال لها:

- «إذهبي واعرفي لي ما الذي تفعله لين كؤ-نيانغ الآن. فإذا سألتكِ عني، أخبريها فقط بأنني على خير ما يُرام».

قالت برايت ديزاين على الفور:

- «عليك التفكير بحجة أفضل من هذه. أليس لديك أي شيء تودّ إرساله أو تُريد استقراضه؟ فلا أريد الذهاب إلى هناك لأبدو كالمُغفلة من دون أي شيء لأقوله».

فكّر باو-يو قليلاً، ثم سحب منديلين من تحت وسادته، وناولهما للخادمة، وقال:

- «حسناً إذن، أخبريها بأنني قد أرسلتك مع هذين المنديلين».

- «يا لها من هدية غريبة لتبعث بها»، قالت الخادمة وهي تبتسم، وتابعت: «وما حاجتها إلى منديلين قديمين؟ فسوف تغضب من جديد وستقول بأنك تُحاول أن تسخر منها».

قال باو-يو مؤكداً:

- «لا تقلقي، سوف تفهم المقصود».

كانت بلاك دجايد ترتاح عندما وصلت برايت ديزاين إلى مُعْتَزَل الخيزران (بامبو ريتريت). فسألتها:

- «ما الذي جاء بك في مثل هذه الساعة؟»

- «لقد أرسلني يو-يه، وأرسل معي هذين المنديلين من أجلك كؤ-نيانغ».

كانت بلاك دجايد للحظات في حيرة من أمرها، تتساءل لماذا أرسل لها باو-يو هذه الهدية وفي هذه اللحظة بالذات. ثم قالت وهي تنظر إلى الخادمة:

- «أعتقد أن هذه الهدية شيء غير عادي قَدَمها له أحد في وقت من الأوقات.

قولي له أن يحتفظ بهما، أو أن يُقدّمهما لأحد يُقدّرهما - فلا حاجة لي بهما».

قالت برايت ديزاين:

- «ليس شيء غير عادي-ليسا إلا منديلين عاديين كانا بجواره فناولني إِيّاهما وأُتيت».

في هذه الأثناء، ازدادت حيرة بلاك دجايد، ثم اتّضح لها فجأة: أن باو-يو عرف بأنّها ستبكي من أجله، ولهذا أرسل لها منديلين قديمين من مناديله. ثم التفتت إلى برايت ديزاين وقالت:

- «يُمكنك أن تتركيهما هنا إذن».

ظهرت الدهشة على وجه برايت ديزاين عندما سمعت هذا منها، واستغربت من أن بلاك دجايد لم تعتبر ما بدا لها في البداية مزحة ثقيلة وسمجة، على أنّه إهانة أو نوع من الإساءات الفظة.

حين فكّرت بلاك دجايد بمغزى المنديلين، كانت سعيدة وحزينة في آن: سعيدة، لأنّ باو-يو يقرأ أفكارها الداخلية، وحزينة، لأنّها احتارت في إمكانية تحقيق ما هو أوّلي في تفكيرها. وفي خُصَم هذا النوع من التفكير في المُستقبل والماضي، كانت عاجزة عن النوم؛ وبالرغم من احتجاجات بيربل كوكو، عادت وأشعلت المصباح، وشرعت بتأليف مجموعة من الأبيات الشعرية-وراحت تكتبها مباشرة على المنديلين اللذين أرسلهما باو-يو. وبعد كتابة ثلاثة مقاطع، بدأت تشعر بأنّها مرهقة ومحمومة. فهرعت إلى المرأة تنظر في وجهها، فوجدت خديها يتوقدان احمراراً كما لو أنّهما يشتعلان ناراً. لم تأبه لذلك، لكنّها ومنذ تلك اللحظة، بدأ مرضها يتطور ودخل في مرحلة دقيقة وحرّجة.

الفصل الثاني والعشرون

وفيه تُفصح بريشوس فيرتشو عن شكّها

بـ هسُويه بان

ويُعلن باو-يو عن تفضيله لـ بلاك دجايد

انتقلت بيرفايدينغ فريغرانس في هذه الأثناء إلى تعريشة الويستاريا (ويستاريا آربور). وصدوف أنّ بريشوس فيرتشو لم تكن في الحديقة، ولكنها ذهبت إلى البيت لرؤية والدتها، وبما أنّ بيرفايدينغ فريغرانس لم تشأ العودة إلى باو-يو فارغة اليدين، قرّرت انتظار عودتها. ولكن لم يطل الوقت كثيراً من أجل هذه العودة.

لم تكن بريشوس فيرتشو في مزاج مُريح؛ فهي كانت قد دخلت في نقاش حاد مع أخيها بخصوص باو-يو. وهي تعلم ما تعلمه عن أخيها، لم تكن قادرة على تصديق الاتهامات التي كانت تُساق ضده. وبالمُقابل، وصورناً للحقيقة، فقد كان هسُويه بان بريئاً هذه المرّة ولا يعرف شيئاً عن الشبهات التي تحوم حوله. بالإضافة إلى أنّه لا بريشوس فيرتشو ولا هسُويه بي-ما تطرّقا إلى الموضوع حينما وصل إلى البيت في تلك الأمسية، لأنّه كان قد شرب الكثير ولم يُرد أحداً إثارتته. إلا أنّ هسُويه بان قد ذكر الموضوع بنفسه وهو يأوي في النهاية إلى غرفته. فقال:

- «بالمُناسبة، لقد سمعتُ بأنّ باو-يو قد تلقى ضرباً مُبرحاً هذا اليوم. وهل تعلمون ما السبب؟»

- «ولديك الوقاحة لأنّ تسأل، أيّها الأحمق الأرعن!»، قالت هسُويه بي-ما،

وتابعت كلامها وهي تُشير إليه بإصبعها: «أنت تعلم تماماً وبشكل واضح، أنك مسؤول عن ما حصل».

تفاجأ هُوييه بان بما سمع، وسأل مُستغرباً:

- «ولماذا عليّ تحمل المسؤولية؟»

قالت هُوييه بي-ما:

- «لا تتظاهر بالبراءة، فكلّ واحد قال بأنك أنت من أخبر عن باو-يو ووشى به».

ردّ هُوييه بان وقد اعتراه الغضب:

- «أعتقد بأنكم ستصدّقونهم لو اتهموني بارتكاب جريمة».

أضافت هُوييه بي-ما، وقد عادت تُشير إليه:

- «حتّى والدتك ماي-ماي تعلم بأنك أنت السبب».

حاولت في هذه اللحظات بريشوس فيرتشو التدخل لرأب الصدع بين والدتها وشقيقها، فقالت:

- «لتتوقّف عن الغوص في هذه القضية الآن. فسوف تظهر الحقيقة عاجلاً أم آجلاً»، قالت هذا، ثمّ التفتت إلى هُوييه-بان وأكملت: «فلن تفرق كثيراً سواء أأنت قلت ذلك أم لا. فما مضى قد مضى ولا يُمكن العودة إليه ونبشه. ولكن ليس لي الآن إلا أن أحثك على الانتباه أكثر في المُستقبل، وأن لا تتدخل في شؤون الآخرين. وإذا فعلت ذلك، لن يجرؤ أحداً على اتّهامك بأيّ شيء».

كان هُوييه بان شاباً بسيطاً، ولا شيء يُثيره أكثر من تلك التلميحات التي تُطرح أمامه بطرق ملتوية. ولهذا، استشاط غيظاً وراح يرمي التهديد والوعيد ضدّ مُتهميه المجهولين:

- «سوف أجد ذاك المُدان الصانع للكذب والمُدبّر للمكائد، وسوف أريه أسنانه أمامه على الأرض. لا بُدّ أنّه شخصٌ يُحاول تصنّع الجميل مع لاو

تاي-تاي. ولكن، لماذا يختارني أنا؟ ومن هو باو-يو بأيّ حال؟ بثّ أعتقد بأنكم أصبحتم تجعلون منه إلهاً في كل مرة يجزه فيها والده إلى الضرب والعقاب. ففي المرة الأخيرة، ألقوا بالملامة على دجين تا-كو، ويا له من زعيق وصياح تلقاه من لاو تاي-تاي. والآن دارة دائرة اللوم عليّ، لكنني لن أقبل بهذا - ولسوف أذهب وأضرب باو-يو حتى الموت، ومن بعدها سأجيب عن ذلك بحياتي».

وما إن انتهى من كلامه، حتى هرع إلى الباب الخلفي ينتزع منه المزلاج الخشبيّ الضخم مُحاولاً الخروج. فأسرعت باتجاهه هسويه بي-ما على عجل تمنعه من الخروج وهي تقول:

- «إنك تتسبب بالمشكلات لنا أيها الوحش! ولكن عليك أن تقتلني أنا أيضاً إذا ما كنت تنوي الخروج من أجل التسبب بالمشاكل».

وبالمثل، قالت له بريشوس فيرتشو:

- «عليك أن لا تتصرّف بهذه الطريقة. فقد كانت الوالدة مُضطربة بما فيه الكفاية من قبل أن تأتي أنت وتُحاول أن تزيد من قلقها واضطرابها».

- «أنت من أثارها وأقلقها بالدرجة الأولى بخبرياتك وقصصك. وباو-يو ليس بريئاً كما تعتقدين؛ ولكن دعيني أخبرك بالذي حصل ذاك اليوم مع المُمثل تشي-كوان. لقد رأيت منه ذلك لعشرات المرات ولكنه لم يُسمعني أي شيء لطيف. لكنّه عندما التقى باو-يو للمرة الأولى، أهداه منديلاً. وقد اعتاد باو-يو أن يتقبّل أي شيء على اعتبار أنّها من مفاتيح الصداقات الحميمة، لا سيّما مع هذا الممثل، من أول لقاء بينهما».

- «يبدو أنّك الآن تعترف بذلك بنفسك»، قالت هسويه بي-ما، وتابعت: «والسبب في تعرّض باو-يو للضرب إذن، هو تشي-كوان كما نستشّف من كلامك».

قال هسويه بان صارخاً:

- «إنك تدفعيني إلى الجنون، ومن ثمّ تُحاولين التعادل مع شقيقته. ألا تظنين

بأنني لا أعرف لماذا تقفين إلى جانب باو-يو ضدي. كل ذلك بسبب تلك
السخافة المُتعلّقة بقلادة حجر اليشم الذهبية».

عند هذا الحدّ، انفجرت بريشوس فيرتشو غضباً، ثمّ التفتت إلى والدتها وقالت:

- «أتسمعين يا أمي ما الذي يقوله هُسيوه؟»

في هذه اللحظة، أدرك هُسيوه بان بأنّه قد تمادى كثيراً في الكلام؛ فشرع بنوع
من الإحباط، والتفت من حوله عدّة مرات، ثمّ قفل عائداً إلى غرفته. ولأنّ بريشوس
فيرتسو لا تُريد زيادة كرب والدتها، كبتت دموعها وعادت على الفور إلى الحديقة.
لكنّها أحسّت بالألم من تلميحات شقيقها، وقضت ليلتها باكية. وفي صباح اليوم
التالي، أسرعَت تُسوي هنداها، وذهبت على عجل إلى جناح والدتها من جديد.
وفي طريق العودة، التقت على نحو مُفاجئ بـ بلاك دجايد، ولما لاحظت هذه
الأخيرة انتفاخ عينيها، قالت لها:

- «من الأفضل أن تعتنني بنفسك، وأن تبتعدي قدر المُستطاع عن الأحران.

فالدموع لن تعمل أبداً على شفاء الكدمات!»

لكن بريشوس فيرتشو كانت مشغولة البال كثيراً، فلم تتوقف أو تُجيب.

في هذه الأثناء، وقفت بلاك دجايد في ظل بعض الأشجار، وراحت تنظر
باتّجاه صومعة الفاونيا (بايوني كورت). ورأت من بعيد لي هوان، وولكوم سبرينغ،
وغيرهما يدخلون ويخرجون من زياراتهم. واحترت بأمر فينيكس-فهي لم تظهر
بين هذه الجموع. فقالت في نفسها تعليقاً على ذلك: «بالطبع، فهي ستكون كثيرة
المشاغل في هذه الأوقات. فعليها أن تُسجّل ظهورها من أجل مرضاة لاو تاي-
تاي». ثمّ نظرت إلى أعلى، فوجدت الإجابة. رأت مجموعة أخرى من الزائرين
يقتربون من صومعة الفاونيا؛ كانت فينيكس و الوالدة الكبيرة في هذه المجموعة.
وقالت في نفسها: «كم هو محظوظ باو-يو ليرى كل هؤلاء الأشخاص يهتمون
به»؛ ثمّ تأملت في وضعها، وبعدها في أمر والديها. . . ثمّ شعرت بالحزن والألم
الشديدين.

وما هي إلا لحظات حتّى وصلت بيربل كوكو إليها وقالت:

- «لقد حان الآن موعد دواء كؤ-نيانغ. فقد برد الماء».

ترثت بلاك دجايد قليلاً، ثم استدارت باتجاه مسكنها، واتكأت على الخادمة. شعرت الوالدة الكبرى بالسعادة للتحسن المُستمر في حالة باو-يو، ولكن لكي تتأكد من أن تشيئا تشينغ لن يتسبب في المزيد من المتاعب، أرسلت بطلب أحد مُساعديه وقالت:

- «إذا سألك سيدك لاو-يه عن باو-يو، فقل له بأن السيّدة الكبيرة تُريده أن يأخذ قسطاً طويلاً من الراحة. بالإضافة إلى أن العرافة قد قالت بأنه يمز الآن في فترة حرجة، ويجب أن لا يُقابل أي غريب قبل الشهر الثامن القادم».

وبهذا، كسب باو-يو مزيداً من فرص الحرية التي لم يحصل عليها من قبل. فأمضى مُعظم أوقاته يلعب لعبة «العبد بالإرادة» مع الأنسات ومع خادماته المُفضّلات. وكانت اعتراضات أو نصائح بريشوس فيرتشو أو بيرفايدينغ فريغرانس له عرضية ونادرة لا سيّما في ما يتعلّق بدراسته أو مهنته المُستقبلية. لكنّ هذا النوع من النصائح لم يكن بالنسبة له أكثر من إزعاج واضطراب، ما فاجأه كان وجود اللمحات الدنيوية إيّاها فيهم جميعاً - وأنه لم يربط نفسه إلا بتلك اللذة من ميول الجنس المُبتذلة. وكانت بلاك دجايد الوحيدة التي لم تعطه الفرصة لإبداء هذا النوع من المُلاحظات.

والآن، ومنذ وفاة غولدن برايسليت، بدأت فينيكس تتلقّى الهدايا من العديد من الخادومات. لم تكن تُفكّر بالنية من وراء هذه الهدايا في البداية أبداً، ولكنها في أحد الأيام، وبعد أن تلقت هدية أخرى منها، لم تتردد في التلميح عنها أمام باشينس. قالت باشينس بعد أن سمعت:

- «أنا مُندهشة كيف أنّ هذا لم يحصل مع ناي-ناي، فكل الهدايا تأتي من الخادومات اللواتي لهنّ أخوات في غرفة تاي-تاي. وكما تعلم ناي-ناي، فإنّ تاي-تاي لديها أربع خادومات خاصة مع بدل شهري يبلغ تايل واحد لكل واحدة منهن. أمّا البقية، فيتقاضين بضع مئات من القطع النقدية. ولا

حرج من القول، أن كل واحدة منهن، كانت ترغب في أن تقوم ناي-ناي باقتراح قيام ابنتها بملء الفراغ».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «بالطبع، كان لا بد لي من أعلم بذلك مسبقاً. فالناس لا يشبعون من شيء أبداً. فهم يحصلون على أكثر مما يَدَّخرون، لكنهم يرغبون بالمزيد. دعيهن يأتين بالهدايا، ولكن في النهاية، تبقى لي آرائي الخاصة حول الموضوع». في أحد الأيام ذهبت فينيكس إلى مدام وانغ لتطلب التعليمات اليومية. فوجدت عندها كل من هُويه بي-ما، وبريشوس فيرتشو، وبلاك دجايد يتناولون الشمام البارد. قالت فينيكس:

- «بما أن شقيقة دجايد برايسليت قد توفيت، فقد أصبح هناك مكان شاغر بين خادمتي ناي-ناي الشخصية. فهل ترغب ناي-ناي في واحدة أخرى تُضم إلى الأخريات بحيث يكون الأجر الشهري المُقبل محولاً لها تلقائياً؟» ففكرت مدام وانغ قليلاً، ثم قالت:

- «أعتقد بأن لا حاجة لملء الفراغ الآن. فلست مُضطرة للحصول على أربع خادمتي شخصية».

قالت فينيكس:

- «أرى أن ناي-ناي على حق، ولكنها القواعد- إذ ليس من المُستساغ أن تحصل ناي-ناي على خادمتي شخصية أقل من غيرها».

قالت مدام وانغ بعد فترة جديدة من التأمل:

- «لتحصل دجايد برايسليت على أجرة أختها بالإضافة إلى أجرتها، فأختها كانت خادمة جيدة ومثالية، وآسفة لموتها المأساوي».

وعلى الفور، استدارت فينيكس نحو الخادمة المحظوظة وهنأتها، فانحنت الخادمة بدورها أمام سيدتها تشكرها بسعادة بالغة. ثم طرحت مدام وانغ سؤالاً على فينيكس:

- «ما هي المبالغ المسموح بها لكل من تشو-بي-نيانغ وتشاو-بي-نيانغ؟»
- «الأجر الأساسي لكل منهما تايلين اثنين. لكن تشاو-بي-نيانغ تحصل فعلياً على أربع تايلات إضافية لاهتمامها بمخصصات هوان هسيونغ أيضاً. كما أنهما يحصلان على سلسلة من المال النقدي من أجل الخادمتين».

- «وهل يتم دفع الأجر بشكل نظامي؟»

- «نعم، بالتأكيد»، قالت فينيكس، ثم سألت: «ولماذا تاي-تاي تسأل عن هذا؟»
- «اعتقدت بأنني قد سمعت إحداهن تشكو من التأخير في أوقات الدفع».

- «أوه، إن...»، قالت فينيكس بارتياح، وتابعت: «إن الأجر الأساسي الذي خُصص من أجل خادمتين بي-نيانغ، كان عبارة عن سلسلة نقدية لكل واحدة، ولكن الشابات قد ارتأتين خفضها إلى النصف في العام الماضي؛ بما أن كل واحدة أصبح لديها خادمتين، فمن الطبيعي أن تحصل على سلسلة نقدية أقل من قبل. وليس لدي ما أفعله بالنسبة للمجموع؛ فما عليّ إلا أن أمزره وأخرجه من الحسابات وفق الجردات والجداول التي تصلني. لقد حاولت جهدي لإقناعهن بضرورة الحفاظ على المبلغ الأساسي، قبل خفض النسبة، ولكن لم ألق أي نوع من الاستجابة بهذا الخصوص».

صممت مدام وانغ لفترة من التفكير، ثم سألت:

- «كم واحدة من الخادمتين في غرفة لاو تاي-تاي تحصل على تايل واحد؟»
- «ثمانية خادمتين»، أجابت فينيكس، وأضافت: «ولكن سبع خادمتين فقط منهن يعملن فعلياً في جناح تاي-تاي، أما الثامنة، فهي هسي-دجين بيرفايدينغ فريغرانس».

قالت مدام وانغ:

- «نعم، بالتأكيد؛ فلم يُخصص لـ باو-هسيونغ⁽¹⁾ خادمة بأجر شهري. أما هسي-دجين، فلا تزال إسمياً بخدمة لاو تاي-تاي».

(1) «باو-هسيونغ» تعني الأخ الأصغر.

- «هذا صحيح»، قالت فينيكس، وأكملت: «فلو سُمح ل باو-هسيونغ بالحصول على خادمة بهذا الأجر، فلزم أن يحصل هوان هسيونغ-تاي على واحدة أيضاً من أجل التساوي العادل. والآن، هُنَاك سبع خادِمات في جناح هوان هسيونغ-تاي تحصل كل واحدة منهن على سلسلة كاملة من النقد، وثمانِي يحصلن على نصف القيمة، وهذه كَلْها بأوامر من لاو تاي-تاي نفسه».

عند هذه النقطة، قال هسويه بي-ما وهو يضحك:

- «اصغ إليها وهي تعدّ وتُحصي، وكأنها كسارة الجوز؛ فهي تتذكّر كل شيء، وتعرف كلّ الأجوبة».

قالت فينيكس وهي تضحك أيضاً:

- «هل قلت أي شيء خطأ، بي-ما؟»

- «لا أبداً»، أجابت هسويه بي-ما، وأضافت: «ولكنّ حوالي أن توفّرِي من طاقتك وتابعي ما تبقى ببطء».

بعد ذلك قالت مدام وانغ:

- «عليكِ غداً أن تختاري خادمة أخرى لتحل محل هسي-دجين في جناح لاو تاي-تاي، وتوقفي عن دفع أجرها الشهري من خارج الميزانية الرسمية، باستثناء سلسلة النقد المُخصّصة لها أصلاً. ولكنني أريدك أن تدفعي لها، بالإضافة إلى ذلك، تايلين اثنتين من العشرين المُخصّصة لي. وبهذا تكون قد حصلت على الحصة نفسها على غرار تشوي بي-نيانغ وتشاو بي-نيانغ».

قالت فينيكس:

- «هل سمعتِ هذا يا بي-ما؟ ألم أقل بأنّ هسي-دجين ستُتاب على صدقتها وأمانتها في يوم من الأيام؟»

- «ها هو الوقت قد حان من أجل أن تحصل على الثواب»، قالت هسويه بي-ما، وتابعت توضح: «فهي ليست جميلة وحسب، وإنّما جيّدة وتتصرف بشكل رصين وحاذق أيضاً».

قالت مدام وانغ مُتهكّمة:

- «لا تبدأي بالتعرف إلى قيمتها الحقيقية الآن؛ فالجميع يعلم بأن باو-يو محظوظ جداً لحصوله على خادمة تهتم به وبشؤونه دون تقاعس».

وما إن انتهت حفلة الشمام في جناح مدام وانغ، حتى انطلقت بريشوس فيرتشو إلى صومعة الفاوانيا لتفقد باو-يو، ولتبشّر بيرفايدينغ فريغرانس بالحظ السعيد الذي أتاها على حين غفلة. عندما وصلت، وجدت باو-يو يأخذ قيلولته، وبجانبه تجلس الخادمة وهي تعمل على بعض أشكال المُطرزات، وتعمل من وقتٍ لآخر على التلوّيح بمروحة التهوية من فوق سيدها. تحدّث إليها بريشوس فيرتشو لبعض الوقت، ولاحقاً، وبعد أن خرجت الخادمة لغرضٍ ما، حملت مطرزاتها، وجلست حيث كانت تجلس بيرفايدينغ فريغرانس، وبدأت تعمل بها.

في هذا الوقت، وصلت كل من بلاك دجايد وريفر ميست لتهنئة بيرفايدينغ فريغرانس أيضاً. وذهبت ريفر ميست للبحث عنها، تابعت بلاك دجايد سيرها باتجاه غرفة باو-يو، وخطفت نظرة سريعة من خلال النافذة. فكبتت ضحكتها، وأومات إلى ريفر ميست لتأتي وترى مشهد الوداعة الذي تُبديه بريشوس فيرتشو في جلستها الهادئة بالقرب من باو-يو النائم. كادت عندها ريفر ميست أن تنفجر ضاحكة بأعلى صوتها؛ لكنّها سرعان ما تذكرت طيبة بريشوس فيرتشو معها ومعاملتها اللينة لها، فقرّرت أن تحفظ لها مفاجئة ما جاءت من أجله. فقالت تُخاطب بلاك دجايد:

- «ليست بيرفايدينغ فريغرانس في غرفتها، وقد قالت لي بعض الخادومات بأنّها ذهبت إلى البركة من أجل الغسيل، فهينا بنا نذهب ونبحث عنها هناك».

تابعت بريشوس فيرتشو العمل على مطرزاتها، من دون أن تنتبه إلى أنّها تحت المراقبة. وفجأة، سمعت باو-يو يهتف في منامه:

- «كيف لك أن تُصدّق كلام الرهبان والكهنة؟ والمصير الذي ترسمه فلدات الذهب والأحجار الكريمة! فكل ما تسمعه عنها هراء بهراء. إنني مُصدّر على القول، بأنني أصدّق الكلام عن المصير الذي يرسمه الخشب والحجارة، بدلاً عن كل ذلك».

كانت بريشوس فيرتشو شديدة الدهشة بحدة النبوة التي عبّر باو-يو من خلالها
عمّا يختلج في داخله من مشاعر فياضة، حتّى وهو في عالم النوم الغامض.

الفصل الثالث والعشرون

وفيه تقيم الأمّ الكبيرة عيدين في تاكوان يان
ويزور ليو لاو-لاو عائلة يونغ كوفو مرة ثانية

بعد مرور بضعة أيام، أرسلت عائلة ريفر ميست بطلبها، وكان عليها المغادرة إلى البيت. كانت تكره مفارقة أولاد عمّها وأجنحة الحديقة، لكنّها عملت على كبت ذلك وعدم إظهاره، لخوفها من أنّ الخادّات اللواتي أرسلن لجلبها، قد يُخبرن عمّتها بالأمر، ممّا يحمل هذه الأخيرة على التذمر منها، واتّهامها بأنّها تُفضّل أقرابها على عائلتها. وقبيل المغادرة بقليل، تمكّنت من الهمس في أذن باو-يو قائلة:

- «إذا نسيّت لاو تاي-تاي أن تُرسل بطليبي، فاحرص على تذكيرها بذلك».

بعد ذلك، تمّ تعيين تشيا تشينغ «مُحقّقاً أكبر» في إحدى المُقاطعات، ولهذا الغرض، ترك العاصمة في العشرين من الشهر الثامن، فاسحاً في المجال أمام باو-يو للتمتّع بحرية أكبر في إشباع رغباته والانغماس في المزيد من أهوائه ونزواته الجامحة.

وفي أحد الأيام، تلقّى باو-يو دعوة رسمية من كويست سبرينغ تقترح فيها تشكيل نادياً للشعْر. عندما وصل إلى مكتب أوتومن، وجد بلاك دجايد وبريشوس فيرتشو وآخرين كانوا قد سبقوه إلى هناك. كان الجميع سعداء بفكرة النادي، وكان من المُقرّر أن تبدأ اللقاءات الشعرية في اليوم الثاني واليوم السادس عشر من الشهر. كان على كل واحد منهم القيام بدور المُضيف على التوالي، وتأمين المشروبات والمُرتّبات للمناسبة. أمّا بالنسبة إلى لي هوان، الذي لم يكن يكتب الشعْر، بل كان

يعرف الجميع، ناقداً عادلاً ومُميّزاً، فقد عُين رئيساً. وبناء على اقتراح بلاك دجايد، فقد تمّ عقد اللقاء الأول في ذلك اليوم بالذات، وتمّ اختيار هاي-تانغ أو زهرة البيغونيا موضوعاً لهذا اللقاء.

جاء في المرتبة الأولى من حيث الانتهاء من كتابة الشعر على التوالي: كويست سبرينغ أولاً، ثمّ تلاها كل من بريشوس فيرتشو وباو-يُو. أمّا بلاك دجايد، فقد بقيت لوحدها تعمل بقدر ما تستطيع على الفراغ من الكتابة - وفي النهاية، قام لي هوان بمنح الجائزة إلى بريشوس فيرتشو لعمق مشاعرهما، بالرغم من أنّها هي والآخرين قد اعترفوا ضمناً بأنّ قصائد بلاك دجايد قد بدت أكثر إبداعاً وأصاله.

وفي اللقاء التالي، أُضيفت ريفر ميست إلى قائمة الأعضاء، فبعد أن تذكّرها باو-يُو، أرسل بضرورة حضورها على الفور الشيء الذي أزعج الأم الكبيرة. كان موضوع اللقاء هذه المرّة زهرة الأفيحوان، وكانت ريفر ميست تلعب دور المُضيفة بمُساعدة بريشوس فيرتشو التي كانت تُرافقها طوال زيارتها. ولما كانت ظروف عائلة ريفر ميست لا تقارن بظروف عائلة تشيا، فقد اقترحت بريشوس فيرتشو ببقائها في البيت لتسليّة الأم الكبيرة وباقي أفراد الأسرة. وقد أمّنت بريشوس فيرتشو بواسطة أخيها بضع سلال من سرطان البحر، الذي كان قليل الكلفة، وفي الوقت نفسه، يتناسب مع مُختلف الأذواق التي كانت سائدة بين أعضاء يونغ كُوْفُو.

كانت الوليمة ناجحة جداً، ذلك أنّ الأم الكبيرة كانت في مزاج جيد، فاستجابت لكل مُحاولات فينيكس التي كانت تعمل على الترفيه عنها. وبعد انتهاء الوليمة، غادر كل من الأم الكبيرة ومدام وانغ وغيرهما، واستمرّ أعضاء نادي الشّعْر في منافساتهم، وكان المُفاجيء في هذه المُناسبة أن تربح بلاك دجايد الجوائز الثلاث.

ومع بدء مُناقشة مزايا التراكيب الشعرية، دخلت باشينس تقول بأنّ فينيكس ترغب في المزيد من سرطان البحر. وقالت موضحة:

- «كانت ناي-ناي مشغولة بخدمة لآو-تاي-تاي، فلم يتسنَّ لها تناول أيّ شيء منه».

قالت ريفر ميست وهي تتناول عشر حبّات كبيرة منها وتضعها على صينية:

- «لا يزال هناك ما يكفي منه».

بعد ذلك، استدعوا باشينس للانضمام إليهم. قالت الوصيفة بأنها لا تستطيع، غير أن لي هوان جرتها إلى أحد المقاعد وأجلستها فيه قائلة لها:

- «أخبري سيدتك بأنني أنا من أصرّ على ذلك».

وتم إرسال كمية سرطان البحر مع خادمة أخرى.

في هذه الأثناء، تناوب كل من باو-يو والفتيات على تقديم الشراب إلى باشينس. قالت لي هوان وهي تُرَبّت بموَدّة على الوصيفة:

- «يا لها من فتاة لطيفة! تُمَيِّز نفسها بالكرامة والفضيلة. فلا يُمكن أن تكون خادمة، ولكن لا مهرّب من المُقدّر».

قالت باشينس وهي تضحك:

- «إنك تُضحكينني، ناي-ناي!»

سألته لي هوان:

- «أوه، وما هذه الكومة التي تحملينها؟»

- «إنها حزمة مفاتيح».

- «وما هي الأشياء القيمة التي تدفع سيدتك ناي-ناي إلى حمايتها وراء

الأقفال؟»، سألتها لي هوان، وتابعت: «لقد لاحظت دائماً أنه من المُستحيل

تخيل الفارس تانغ من دون جواده الأبيض، تماماً مثل عدم إمكانية تخيل

فينغ-تشيابه من دون أميتها باشينس. فبماذا تنفعها المفاتيح، ولديها أنت،

مفتاحها الأول والأساس؟»

ضحكت باشينس من جديد، وقالت:

- «ناي-ناي، أنت تُمازحينني من جديد».

- «إنها تقول الحقيقة فقط»، قالت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «نحن دائماً

نتحدّث عنك في ما بيننا، ونعتبرك الوحيدة الأفضل من بين المئات. إننا

نُقدِرُ قُدْرَاتِ سَيِّدَتِكَ ناي-ناي، وَلَكِنَّهَا مِنْ دُونَكَ تُصْبِحُ كَعَصْفُورٍ بِلَا جَنَاحَيْنِ».

بعد انتهاء الحفلة، دعت بيرفايدينغ فريغرانس باشينس إلى غرفتها، وراحتا تتحدثان لفترة من الوقت. وعندما همت باشينس بالرحيل، سألتها بيرفايدينغ فريغرانس بما حلّ بمُخصّصات الشهر الحالي، وتابعت موضحة:

- «لا يبدو أنّ أحداً قد تسلّمها بعد. ولا حتّى لاو تاي-تاي، أو تاي-تاي نفسيهما».

نظرت باشينس من حولها في محاولة للتأكد من عدم سماع أحد لكلامها، ثمّ قالت:

- «لا تذهبي إلى ناي-ناي للاستفسار عنها، فسوف تصل في غضون أيام معدودة».

سألتها بيرفايدينغ فريغرانس باستغراب:

- «ما القضية؟ تبدين غامضة الآن».

اقتربت باشينس إليها وهمست:

- «الحقيقة أنّ المُخصّصات الشهرية قد وصلت منذ فترة، لكنّ ناي-ناي استخدمتها في بعض القروض القصيرة الأجل، وهي سوف تعيد جمعها عمّا قريب. كوني حريصة، فأنا لم أخبر أحداً بالأمر سواك، فاحتفظي بهذا لنفسك فقط».

- «ولماذا عليها أن تفعل ما فعلته؟»، ردّت بيرفايدينغ فريغرانس باستهجان، وأكملت تقول: «ومن المؤكّد أنّها لا تفتقر إلى المال، والجميع يعرف بأنّها يدها مלאى بما فيه الكفاية من دون الحاجة إلى هذا النوع من الإرباك الإضافي».

- «هذا ما أفكر فيه أنا أيضاً، ولكنّها هي هكذا؛ فخلال الأعوام القليلة الماضية، جمعت ما يُقارب الألف تايل من عائدات القروض كفوائد فقط،

هذا عدا عن الأموال التي تمرّ عبر يديها، والأموال التي تحتفظ بها من مُخصّصاتِها الشخصية».

- «إذن، هذا هو سبب انتظارنا دائماً من أجل الحصول على أجورنا الشهرية!»
ردّت باشينس:

- «وما همك لو انتظرت بضعة أيام إضافية؟ فأنت لا تحتاجين إليها بهذه الشدّة».

أجابت بيرفايدينغ فريغرانس موضحة:

- «أنا لا أحتاجها لنفسي. لكنك تعلمين كيف هو سلوك باو-يو المُبذّر مع المال. ولهذا السبب أهتم دائماً بلزوم توفّر المال بين يدي».

قالت باشينس وهي تستعدّ للخروج:

- «إذا كنتِ تحتاجين إلى المال الآن، فسأقرضك منه، وسأستعيده من مُخصّصك الشهري».

- «لا، ليس الآن، ولكنني سأذكّر عرضك عندما أصل إلى الوقت الذي أحتاج فيه لذلك».

عندما وصلت باشينس إلى جناح فينيكس، وجدت عندها ليو لاو-لاو وولدها الأكبر بان-يو، بالإضافة إلى إحدى قريبات مدام وانغ، التي سبق لها وأن زارت يونغ كوفو منذ ثلاث سنوات، تنتظر سيّدها أيضاً. وكانت معهم أيضاً، زوجة تشو دجوي في زيارتها الأولى. وعلى أرض الغرفة، كان هناك أكياس من العنّاب، والجزر واليقطين وغير ذلك من بعض المنتجات الزراعية.

وقف الجميع عند دخول باشينس، بمن فيهم ليو لاو-لاو، التي كانت تُقدّر أهمية الموقع الذي تشغله باشينس في قصر آل تشيا. قالت هذه الأخيرة، وهي تبتسم في وجه باشينس:

- «كيف حال كو-نيانغ؟ جميع من في عائلتي يُرسلون لك التحية والسلام. لقد خططنا لرؤيتكم منذ فترة طويلة، لكنك تعلمين كم هي المشاغل في المزرعة. ومن حسن الحظ جاءت مواسم الحصاد جيدة هذا العام، وكانت

الخضار والفواكه مُمتازة. وهذه هي أولى خياراتنا من الباب الأول. إنها لا شيء بالنسبة لكم، ولكنها من أفضل ما يُمكن تقديمه، وتختلف عن المأكولات الغنية التي تعيشين عليها».

سألته باشينس:

- «هل رأيتِ ناي-ناي حتى الآن؟»
- «نعم، لكنها طلبت منا انتظارها»، ثم نظرت إلى السماء وتابعت: «لقد تأخر الوقت. من المُستحسن الانطلاق الآن، وإلا لن نصل إلى مدخل المدينة قبل إقفاله».

قالت زوجة تشو دجوي:

- «فقط انتظري قليلاً لأرى ما الذي تفعله ناي-ناي الآن».
- وما لبثت أن عادت لتقول مُحاطبة ليو لاو-لاو:
- «ليكن الحظ معك اليوم. لقد كانت ناي-ناي مع لاو تاي-تاي. لقد أخبرتها بأنك تُريدين المُغادرة قبل حلول الظلام، فقالت لي بأنه لطف منك أن تأتي من هذه المسافة البعيدة وأنتِ تحملين لها الكثير من الأشياء. وقالت بأن أدعوك ل قضاء الليلة معنا. ليس هذا فحسب، بل أن لاو تاي-تاي سمعتنا، وسألت عمّن يوجد هنا، وعندما أخبرتها ناي-ناي، طلبت رؤيتك. فانظري كم أنتِ محظوظة الآن».

وعلى الفور، قالت ليو لاو-لاو، وهي تشير إلى ملابسها وهندامها القروي:

- «ولكن كيف يُمكنني أن أظهر بهذا الشكل أمام لاو تاي-تاي؟»
- «لا تكوني خجولة إلى هذه الدرجة»، قالت باشينس، وتابعت: «إن سيّدتنا لاو تاي-تاي طيبة جداً، ولا تميل إلى الانتقادات والتعليقات كما يفعل بعض الناس. فتعالِي معي، وسوف آخذك بنفسِي إلى هناك».

كان باو-يو وجميع أنسات تاكوان يوان في جناح الأم الكبيرة عندما دخلت باشينس وبرفتها ليو لاو-لاو. كانت الأخيرة مأخوذة بالجواهر اللامعة التي تضعها الأنسات، وبثيابهن الزاهية والرائعة، لكنها استطاعت تمييز سيّدة مُسنّة تتمدّد

على إحدى المقاعد، وبجانبتها إحدى الخادמות التي تعمل على تدليك ساقيها، واستنتجت من أنها هي السيدة الكبيرة بلا شك. فانحنت بقوة وقالت:

- «تحياتي إلى ربّة المنزل الطويلة العمر».

ردّت سيّدة المنزل التحية، وطلبت منها الجلوس.

سألتهما السيّدة تُخاطبها كما لو أنّها واحدة من الأقرباء:

- «كم هو عمركِ الآن؟»

نهضت ليؤ لاو-لاو واقفة لتُجيب:

- «خمس وسبعون سنة».

- «أرايتم كم هي قوية»، قالت الأم الكبيرة تُخاطب الموجودين، وتابعت:

«ومع ذلك، فهي تبدو أكبر منّي سنّاً.⁽¹⁾ لستُ أدري كم سأكون عديمة

الفائدة واطكالية حينما أصير في عمرها».

قالت ليو لاو-لاو تُجيب بنوع من التواضع:

- «ولكننا نحن وُلدنا للعمل، بينما وُلِدَت لاو تاي-تاي من أجل التمتع

ببركات السماء. فما الذي سيحصل بكل الأعمال الزراعية إذا ما كُنّا مثل

لاو تاي-تاي؟»

سألتهما الأم الكبيرة:

- «هل أنّ عينيك وكلّ أسنانك لا تزال في حالة جيّدة؟»

- «نعم، كلّها في حالة جيّدة. باستثناء ضرسي الأيسر الذي بدأ ينخره السوس».

عند سماعها ذلك، قالت الأم الكبيرة بنوع من الحسرة:

- «أما أنا فأكبر وأصبح عجوز بلا فائدة كما ترين؛ فبصري قد خُفّت، وسمعي

ضعف، وذاكرتي لا يُعوّل عليها. ولا أقابل العديد من الزوّار، لخشيتي من

(1) بعد سنتين، كما يظهر في الفصل الثاني والثلاثين، ستحتفل «الأم الكبيرة» بعيد ميلادها الثمانين.

فضح عيوبي. وجلّ ما أفعله الآن هو تناول ما يُمكن لأسناني مضغه، والنوم حين أستطيع، وتسلية نفسي بالأولاد، وبالكبار حينما أحتاج إلى التغيير».

قالت ليو لاو-لاو بحسرة:

- «تلك نعمة لاو تاي-تاي من السماء. كم أودّ أن أفعّل تلك الأشياء، ولكن لا أستطيع».

بدأت الأمّ الكبيرة سعيدة بزيارة المرأة الريفية وببساطتها، فطلبت منها البقاء لبضعة أيام. وعندما لاحظت فينيكس إعجاب السيدة الكبيرة بـ ليو لاو-لاو ورغبتها في بقائها، أصرت هي الأخرى على ذلك، فقالت لها:

- «صحيح أنّ يونغ كوفو ليست بحجم ومساحة مزرعتك، ولكن هناك العديد من الغرف الفارغة التي يُمكنك إشغالها كما تشائين».

وفي صبيحة اليوم التالي، قامت السيدة الكبيرة برفقة حفيداتها وأحفادها، بزيارة إلى تاكوان يوان، لتُشاهد ليو لاو-لاو المناظر واللوحات الطبيعية الساحرة هناك. كانت الزائرة متأثرة بكل ما تراه، فقالت:

- «اعتدنا رؤية اللوحات الجدارية للمناظر في بداية السنة الجديدة-كصور القصور والمُجمّعات السكنية الضخمة. كنّا نعتقد بأنّ هذا النوع من القصور لا وجود له إلّا في عالم الخيال، والآن وقد رأيت هذه الحديقة، فهي أجمل من كلّ تلك اللوحات والصور. وكم سيكون جميلاً أن تُكلّفي أحداً لرسم حديقتك وتدعي أهل الريف يُحسنون معرفتهم ويُغنون خيالهم!»

أعدت مائدة الغداء في مكتب أوتومن، في جناح كويست سبرينغ. وفي الأثناء، وبعد استشارة سرية مع فينيكس، قامت فايت بأخذ ليو لاو-لاو جانباً وعلمتها كيفية وجوب التصرف على المائدة. وقالت لها:

- «هذه هي العادات على الموائد هنا. وعليك أن تُراقبي طريقتك في الأكل، إذا ما أردت تجنّب مُراقبتهم لك والضحك مما تفعلين».

أكدت لها ليو لاو-لاو بأنّها ستفعل كما تقول لها دون ارتكاب أيّ هفوات.

خُصّص للزائرة مكاناً لها على مائدة صغيرة خاصة بـ سيّدة المنزل. وعادة، لا

تقوم فايت بالمهام الوضيعة، كتمرير الفوط، أو التلويح بريشة طرد الذباب، لكنها في هذه المناسبة، وقفت من وراء سيّدة المنزل، بحيث تكون قادرة على توجيه الأعمال. ومن ذلك، أنها انحنت من فوق ليو لاو-لاو تُعيد تذكيرها بالتعليمات، فردّت عليها الأخيرة:

- «لا تقلقي، كو-نيانغ. سأنفذ كل شيء كما قلت بالضبط».

بعد جلوسها، وجدت ليو لاو-لاو نفسها أمام زوج من عيدان العاج ذات الطراز القديم المُغطى بالذهب، وكانت ثقيلتين ويصعب عليها استخدامهما بسهولة. نظرت إليهما باستغراب، وقالت بأسف:

- «يا لهاتين الأداتين، إنهما أثقل من شوكات الحديد التي نستعملها، فكيف لي أن أتصرّف بهما؟»

بعد أن خدمت سيّدة المنزل، حملت فينيكس قدراً من بيض الحمام، ووضعته أمام ليو لاو-لاو. وعندما رفعت السيّدة الكبيرة زوج عيدانها، وطلبت من زائرتها التفضل بالأكل، نهضت ليو لاو-لاو من مكانها واقفة، وأنشدت بجديّة واضحة:

ها أنذا ليو المرأة الكهلة، السيّدة الحذرة،

قد وهبتها شهيتها الصيت والشهرة،

ستلتهم بقرة، بأسهل من لفظ اسمها، وما أدراك ما البقرة.

ثمّ جلست، وكأنّها قد أدّت شعيرة مقدّسة. في البداية، أصاب الذهول الجميع، ولم يدروا كيف يتصرفون تجاه ما بدر منها، لكنهم ما لبثوا لاحقاً، أن انفجروا في عاصفة من الضحك. بدأت ريفر ميست بصبّ الشاي، بينما كانت بلاك دجايد قد غصّت بطعامها بسبب الضحك، فatakأت على المائدة تبكي وتئنّ. أمّا باو-يو، فقد وقع مُتسبجاً من الضحك بين يدي الأم الكبيرة، التي كانت تدعوه بشتّى الأسماء اللطيفة بنوع من الهستيريا. حتّى أنّ مدام وانغ، لم تستطع الحفاظ على مهابتها. كما حمل الضحك العديد على مُغادرة المائدة.

كانت فينيكس وفايث الوحيدتين القادرتين على تمالك نفسيهما، فوقفتا بالقرب من ليو لاو-لاو، يخُثَّانها على مُتابعة الأكل.

نظرت ليو لاو-لاو إلى قدر بيض الحمام، وقالت:

- «حسناً، حسناً. حتّى دجاجكم أكثر أناقة ودلالاً من دجاجنا. أترون دقة ورقة البيض الذي يبيضه».

وما إن انتهت من كلامها، حتّى هبت عاصفة أخرى من الضحك في أرجاء القاعة.

وعلى الفور، قالت سيّدة المنزل:

- «إنّ هذه العفريته فينغ يا-تو، قد تلجأ إلى تمرير حيلها وخدعها القديمة معها. لا تأخذي بنصيحتها، لاو-لاو».

في هذا الوقت، استمرّت فينيكس تحثّ ليو لاو-لاو على الأكل، فقالت لها:

- «هيا تناولي طعامك. فهذا البيض يُكلّف تايلاً لكل بيضة، ولن يكون جيّداً إذا ما برد».

لكنّ ليو لاو-لاو كانت تجد صعوبة في تناوله، لا سيّما في زوج العيدان اللتين أعطتهما لها فينيكس عن عمد. وبعد أن حاولت التقاط البيض بعيدانها لبعض الوقت، استطاعت ليو لاو-لاو في النهاية من التقاط إحداها. وما إن اقتربت البيضة من فمها، واقترب فمها من البيضة، حتّى انزلقت البيضة ووقعت على الأرض. وضحك الجميع مزة ثانية. في تلك اللحظة، أمرت سيّدة المنزل الخادِمات بإحضار زوج آخر من عيدان الطعام لها. وكان هذا الزوج الجديد مصنوعاً من خشب الأبنوس، وقد غطّت الفضة طرفيهما. لاحظت ليو لاو-لاو هذا التغيير: بعد كلّ ما حصل، اثنتين من عيدان الطعام الخشبية الخفيفة كانت مؤاتية للكثير من أغراض الطعام.

وهنا، قالت فينيكس مُشيرة إلى هذا التغيير:

- «لكنّ الفضة أيضاً لها فائدتها، فإذا ما كان الطعام مُسمّماً، فإنّها تعمل على كشف ذلك».

وعلى الفور، هتفت ليو لاو-لاو قائلة:

- «سم! إذا كان هذا النوع من الأطعمة سمّاً، فإنّ طعامنا بالمُقابل سيكون زرينخاً-وحتى ولو كان مسموماً، فلسوف أموت دون تراجع؛ فهي ستكون ميتة سعيدة».

كانت نفس الأم الكبيرة، والتي عادة ما تكون شهيتها في أعلى درجات دلالتها، لا تقبل الطعام هذه المرة، مُغتبطة وهي ترى ليو لاو - لاو مُقبلة على تناول الطعام بهذه الشهية.

لم تكن المرأة العجوز جاهلة بما تفعل، كما تخيلت الخادمة، لأنّها، عندما اعتذرت منها فاith على طريقة ضحكها من طريقة طعامها، قالت لها:
- «لا داعي للاعتذار ، فأنا سعيدة لنجاحي في خلق جوّ من السعادة للسيدة لاو تاي-تاي».

وفي فترة ما بعد الظهر، وبعد زيارة مُختلف الأقسام في تاكوان يوان، أخذت الأم الكبيرة ليو لاو-لاو إلى الدير الموجود في إحدى زوايا القصر حيث توجد إكسكوبزيت دجايد. طلبت الراهبة من الأم ورفقتها التقدّم إلى البهو الداخلي، لكنّ الأم الكبيرة رفضت قائلة بأنّها قد تناولت اللحوم ولا تُريد تُدنيس أرض البهو المقدسة.

أما باو-يو الذي كان على علمٍ بشدّة حساسية الراهبة، وقف يُراقب كيفية تعاملها مع الضيوف عن كثب. صبّت الراهبة الشاي في كوب مصنوع في عهد تشينغ هوا (1665-88 قبل الميلاد)، وقدمته إلى الأم الكبيرة على صينية من الورنيش المنحوت. سألتها الأم الكبيرة عن نوع المياه الذي تستعمله، فأجابتها الراهبة بأنّه من مياه الأمطار المُجمّعة من السنة الفائتة. شربت الأم الكبيرة نصف الكوب، وقدمت الباقي إلى ليو لاو-لاو. وقال لها:

- «عليك تذوق هذا الشاي أيضاً».

فعلت ليو لاو-لاو ذلك، وعندما سألتها الأم الكبيرة عن طعمه، قالت لها بأنّه شاي قد تمّ إعداده بطريقة خفيفة جداً.

وبعد أن شرب الجميع الشاي، جرّت الراهبة كلاً من بلاك دجايد وبريشوس

فيرتشو من ثوبيهما، وأخذتهما إلى غرفة أخرى. أثار ذلك حفيظة باو-يو الذي لحق بهن ليرى ما الذي يُمكن أن تقوله الراهبة أو تُقدّمه لهما. رأى إكسكوبزيت دجايد تُحضّر شيئاً خاصاً لهما. دخل إلى الغرفة وفي نيّته الحصول على نصيبه من هذه المُعاملة الخاصة. صبّت الراهبة الشاي في كوبين من طرازين مُختلفين من عهد سُونغ النادر (1225-960 قبل الميلاد)، وقَدّمتها إلى بلاك دجايد وبريشوس فيرتشو. أمّا بالنسبة لـ باو-يو، فقد قدّمت له كوبها المصنوع من حجر الشيم الأبيض.

سألته بلاك دجايد وهي ترتشف من كوبها:

- «وهل هذا أيضاً من مياه أمطار السنة الماضية؟»
ردّت الراهبة مُستهجنة:

- «أنا مُندهشة من سؤالك هذا، ألا تلاحظين الفرق في الطعم؟ كان هذا الماء ثلجاً جمعته عن شجر الخوخ منذ خمس سنوات مضت. وملاّت به تلك الجرّة الزرقاء هناك، وحافظت عليه طيلة هذه المدّة. وقد كانت تلك الجرّة مدفونة تحت الأرض ولم أفتحها إلا في الصيفيّة الأخيرة، وهذه المرة الثانية التي أستعمل هذا الماء فيها. فكيف تتوقعين من مياه الأمطار أن تتصف بهذا الصفاء وهذه الخفّة؟»

كانت بلاك دجايد تعلم أيضاً مدى حساسية الراهبة وفسادها، ولذلك، لم تقل شيئاً. دخلت إحدى الخادِمات وهي تحمل الأكواب التي استعملت من قبل الزوار في البهو الخارجي، إلا أنّ الراهبة أوقفتها وطلبت منها وضع الكوب الذي استخدمته ليو-لاو-لاو جانباً.

قال باو-يو بعد أن قرأ أفكار الراهبة:

- «سيكون من العار أن ترمي هذا الكوب. لما لا تُقدّمينه لها؟ فيماكانها أن تبيعه وتحصل على سعر جيّد به».

قالت الراهبة:

- «قدّمه أنت لها، إذا كنت ترغب في ذلك؛ فمن حُسن الحظّ أنّي لا أستخدامه شخصياً، ولو كنتُ أستخدامه، لحطّمته قبل أن أعطيها إيّاه».

قال باو-يو موافقاً:

- «بكل تأكيد، وغداً سأبعث لك مع أحدهم أوعية مليئة من مياه النهر لتغسلي المكان الذي كانت تجلس عليه».

- «سيكون هذا عملاً عظيماً»، قالت الراهبة، وتابعت: «ولكن قل لرجالك أن يتركوا الأوعية في الخارج، وأنا سأرسل الخادמות كي ينقلونها إلى داخل الدير».

عند العشاء، كان هناك نوع من مباريات الشعر الإرتجالي، وقد لعبت ليو لاو-لاو في تسلية الجميع بشعرها الجاف من جديد. كان هذا اليوم، يوماً مرهقاً وطويلاً بالنسبة للسيدة الكبيرة-وهي التي اعتادت على ألا تزور إلا مكاناً واحداً فقط في تاكوان يوان في الوقت نفسه. وكتيجة لهذا اليوم المُتعب، شعرت بوعكة صحية في اليوم التالي، بالإضافة إلى تشبهاً تشبهه، شقيقة فينيكس. وفي هذا الإطار، قدمت ليو لاو-لاو نصيحتها في كيفية مواجهة الأرواح الخبيثة. وقالت أن سبب مرض الناس، يكون بسبب تجاهلهم لبعض المُحزّمت المادية.

وفي نهاية المطاف، غادرت العجوز ليو لاو-لاو القصر وفي جعبتها الكثير من الهدايا-مثل الثياب، والعلاجات الأُسرية، والطعام، والمال من جميع أفراد يونغ كُوفُو. ودعواها إلى الزيارة في أي وقت تختاره؛ ولذلك، لم تكن هذه الزيارة خاتمة زيارتها لآل تشبها، بل تبتعتها بعد ذلك الكثير من الزيارات المتكررة، حامله لهم الكثير من نتاج مزرعتها البسيطة، آخذة معها العديد من الأشياء القيّمة والنفيسة.

الفصل الرابع والعشرون

وفيه يتم إقامة الدليل على أن الظواهر البشرية غامضة
على غرار الظواهر المناخية
وأن الرجل يهب لتقديم الاعتذار إلى خليلته قبل زوجته

كان اليوم، هو الثاني من الشهر التاسع، وكان جميع من في يونغ كوفو يحتفلون بعيد ميلاد فينيكس داخل البهو الخاص بجناح الأم الكبيرة - حيث كانت تجري الحفلة تقديراً لجميلها وقدرتها على إدارة شؤون القصر. ولم تلبث بعد ذلك، أن غادرت الأم الكبيرة إلى غرفتها فاسحة في المجال أمام الجيل الشاب من أجل الاستمتاع بعيداً عن الكبت والمضايقات. وطلبت إلى يو-شيه التأكد من أن فينيكس تستغل أوقاتها بالاستمتاع على أكمل وجه. نفذت يو-شيه ما أمرت به، لكنها قالت بأن فينيكس لا تجلس، ولا تشرب أي شيء.

ردت الأم الكبيرة وهي في غرفتها:

- «إنك لا تعرفين كيف تحثينها على ذلك، فسوف أخرج إليها بنفسني إذا لم تُحَقِّقي أي نجاح».

في تلك الأثناء، أسرعت فينيكس إلى الداخل وقالت:

- «لا تُصدِّقها لاو ناي-ناي، لقد شربت فينيكس عدّة كؤوس من قبل».

قالت الأم:

- «أعيديها إلى الحفلة يا يو شيه، واحرصي على أن يُقدم لها كل واحد في

القاعة كأس الميلاد، فإذا أصرت على رفض الشراب، فسوف آتي شخصياً وأدفعها إلى ذلك».

أعدت يو-شيه فينيكس إلى الطاولة، وصبت لها كأساً، وقدمته لها قائلة:

- «إنك أمينة ومُخلصة لـ لاو تاي-تاي، ولـ تاي-تاي، ولي أنا شخصياً. وها أنذا الآن أقدم لك كأساً قد صببته بيدي».

قالت لها فينيكس ضاحكة وهي تشرب:

- «قبل أن أقبله، سأجعلك تقدميه لي وأنت جاثة على ركبتيك أمامي».

بعد ذلك، قدّم باو-يو والفتيات العديد من الكؤوس لـ فينيكس، ثم تلا ذلك، زوجات المُضيفين ومُدراء الأعمال والخادِمات... ثم بدأت تشعر بتأثير المشروب، واختلقت الذرائع من أجل الهروب.

سارت برفقة باشينس إلى غرفتها، وكانت إحدى الخادِمات تقف في مُقدّمة الشرفة؛ فاستدارت فجأة، ولما لمحت فينيكس، بدأت بالهرولة هاربة. اشتبهت فينيكس بها، فنادتها، لكن الخادِمة تظاهرت في بداية الأمر بأنها لم تسمعها، لكنها عادت إليها طائعة بعد أن نادتها بالإسم. جلست فينيكس على التراس، وطلبت من الخادِمة الركوع. ثم استدارت إلى باشينس تقول لها:

- «إذهبي واستدعي اثنين من المُساعدين، وليأتوا بالسيّاط، وليجلدوا هذه الوقحة حتّى لا يبقى جلداً على ظهرها».

عند سماعها ذلك، راحت الخادِمة تتوسّل برعب.

قالت فينيكس:

- «أنا لست متوحشة، لماذا لم تتوقفي مُتأهبة عندما رأيتني آتية؟ ولماذا جريت بعيداً عندما ناديتك؟»

أجابت الخادِمة باكية:

- «لم أر ناي-تاي. وركضتُ لأنني تذكرت بأنه لا يوجد أحد في الداخل يهتم بأمور الغرفة».

- «إذا لم يكن هُنَاك أحد في الداخل كما تقولين، فلماذا أتيت لتقفِي هُنَا في الأصل؟ حتى ولو كنتِ لم ترينني، لا بد من أنكِ سمعتِ باشينس وأنا نناديكِ من الصوت الأول. فأنتِ لستِ بصمَاء، أليس كذلك؟»

قالت هذا، وما لبثت أن صفتت الخادمة على خدّها الأول ثم على خدّها الثاني بعنف. وفي غضون لحظات، بدأ خدي الخادمة بالانتفاخ، فتدخلت باشينس من أجلها قائلة بأن على سيّدتها ألا تُسبب الألم ليديها أكثر من ذلك. عند ذلك، قالت فينيكس تأمر باشينس:

- «اضربيهَا، واسألِيهَا لماذا ركضت. وإذا بقيت مُصرّة على الصمت، دعي الدموع تأكل من خديّها!»

بقيت الخادمة ثابتة على أفعالها، إلى أن هدّتها فينيكس بإحراق خديّها بالحديد الساخن. ثمّ قالت باكية:

- «يُز-يه في البيت، وطلب مني أن أراقب له ناي-ناي وأخبره فوراً إذا ما غادرت ناي-ناي المأدبة. ولم أكن أدري بأن ناي-ناي ستعود إلى هنا بهذه السرعة.»

ارتأت فينيكس بأن شكّها لم يصل إلى النتيجة المرجوة بعد، فسألتهَا من جديد:
- «ولماذا طلب منك القيام بذلك؟ ولماذا عليه أن يخشى من عودتي؟ لا بدّ من سببٍ لذلك. أخبريني الحقيقة، وسأكون طيبة معك إلى أبعد الحدود، أمّا إذا أصريتِ على إخفاء ما تعرفين، فسوف أحولك إلى قطع.»

وفي الحال، تناولت فينيكس دبوس شعر وهدّدت الخادمة بوخزها به بكل أنحاء جسمها.

قالت الخادمة بتذلل وهي تبكي:

- «سأخبر ناي-ناي بكل شيء، ولكن أرجوكِ لا تُخبري يُز-يه بأنني أنا أخبرتكِ بذلك: لقد حضر يُز-يه إلى البيت قبل عودتكِ بقليل، وأخذ قطعتين من الفضة، ودبوسي شعر، وقطعتين من الحرير، وقال لي بأن أعطِي هذه الأشياء إلى زوجة باو-يُز وأن أطلب منها الحضور إليه. وفي

الحال، أخذت زوجة باو-يُ هذه الأشياء وأتت. ومن بعدها، طلب مني
يُ-يه مراقبة قدوم ناي-ناي، ولا أدري ما الذي حصل من بعد ذلك».
أسرعت فينيكس إلى جناحها مهرولة. فوجدت عند الباب إحدى الخادومات
واقفة كالحارس، وما إن لاحظت قدوم فينيكس، حتى بدأت بالجري. ولما نادتها
فينيكس باسمها، استدارت وتوقفت على الفور، بوعي أكثر من سابقتها- تُم بدأت
تجري نحوها أيضاً. قالت الخادمة حين وصلت وهي تلهث:

- «كنت ذاهبة لأرى ناي-ناي، ويا لحسن الحظ أن تأتي ناي-ناي بنفسها!»
تُم بدأت تروي تفاصيل القصة السابقة إيّاها.
سألتها فينيكس بنبرة شك:

- «أين كنت طوال هذا الوقت؟ لأنني لم أرك إلا قادمة إليّ لتقولين ما تقولين؟
فأنا أعرف جِيْلِك».

حينما اقتربت فينيكس من غرفتها الخاصة أكثر، سمعت صوت امرأة تقول:
- «سيكون ذلك أسهل لنا إذا مات ذلك الوحش قريبك!»
أجاب صوت تشيا لين:

- «سيكون هناك واحدة أخرى، وسنُنهيها بالمثل».
قالت المرأة:

- «يُمكنك أن تجعل من باشينس زوجة لك، فتطويعها أسهل».
قال تشيا لين:

- «حتى أنها لا تتركني ألمس باشينس، تُم أنّ باشينس لا تهتم ولا تشتكي،
بالرغم من أنها لا تُحب يقظتها وحذرها كذلك. ولا أدري ما الذي يُمكنني
فعله لكي أحصل على زوجة مثلها».

صُدمت فينيكس وامتلاّت غيظاً ممّا سمعته. واعتقدت أنّ باشينس قد تميل إلى
زوجها من وراء ظهرها، وعلى الفور، استدارت نحوها، وصفعتها على وجهها. وما
لبثت أن اقتحمت الغرفة، وأمسكت بزوجة باو-يُ وانهالت عليها ضرباً. كما أنّها

ثبتت نفسها في الباب خوفاً من هرب تشيا لين، بينما استمرت في توبيخ المرأة صارخة:

- «عاهرة! تغوين زوج سيدتك، ثم تتأمرين على قتلها»، ثم التفتت إلى باشينس وتابعت: «وأنت!..، يا لكن من العاهرات، كلكن تتأمرن ضدّي، وتدعون بأنكنّ إلى جانبي».

ثمّ صفعت باشينس من جديد. التي انفعلت بشدّة، وصرخت في وجه زوجة باو-يزو:

- «أنتما الإثنين - ألا يكفيكما فعل هذه الأشياء المُسيئة من دون إقحامي فيها؟»

أما تشيا لين الذي كان لا يزال جامداً بلا حول ولا قوة يُراقب زوجته فينيكس وهي تضرب زوجة باو-يزو، حاول اغتنام الفرصة من أجل إخفاء وهلته بسبب ضرب باشينس صارخاً في وجه الخادمة:

- «وأنت من تكونين لكي ترفعي يدك عليها؟»
تراجعت باشينس وقالت له:

- «ولكن لماذا أفحمتني في هذا من دون أيّ ذنب؟»

إزداد غيظ فينيكس عندما لاحظت خوف باشينس من تشيا لين، وأمرتها بتجاهله، ومتابعة ضرب زوجة باو-يزو. لكنّ الخادمة، وبسبب غضبها ويأسها، اندفعت تهرول إلى خارج الغرفة، وهي تبكي وتُهدّد بقتل نفسها.

بعد ذلك، ألقت فينيكس بنفسها فوق تشيا لين، وبدأت تبكي وتقول له بأنه عليه قتلها هي أيضاً عاجلاً أم آجلاً طالما أنه يُريد التخلص منها. أحسّ تشيا لين باليأس والتهوّر، فسحب سيفاً عن الحائط وقال بأنه سيكون مُرغماً وسعيداً على فعل ذلك إذا ما أصرت.

وفي ضوء ما يحدث، وصلت يو-شيه وآخرين لاستطلاع ما يحدث، فقالت:

- «ما القضية الآن؟ لقد كان كل شيء على ما يُرام منذ دقائق معدودة».

بعد أن وقف القادمون الجدد يُشاهدون ما يحصل، ازدادت جرأة تشيا لين وازداد معها تهديده ووعيده. أمّا فينيكس، في المقلب الآخر، فقد عملت على تهدئة نفسها، وتركت كل شيء ولجأت إلى الأم الكبيرة تطلب حمايتها. فقالت لها، وقد رمت بنفسها بين يديها:

- «أنقذيني، لاو تاي-تاي! فهذا لين يؤ-يه يُريد قتلي».

في غمرة هذا المشهد الدرامي، طُرحت الاستفسارات على فينيكس من قبل الأم الكبيرة، بالإضافة إلى مدام وانغ، ومام هسينغ، لمعرفة ما حدث، وعلى إثرها بدأت تروي قصتها:

- «ذهبتُ إلى البيت من أجل تغيير ملابسِي. وكان لين يؤ-يه يتحدث مع أحد ما في الداخل. لم أجرؤ على التدخل، ظناً مني بأنه يتحدث مع أحد الضيوف. ولكنني، وبعدهما سمعتُ المزيد، تبين لي أنّ هذا الشخص هو زوجة باو-يؤ، التي كانت تُخطط معه من أجل تسميمي، وأخذ باشينس مكاني كزوجة له. لم أجرؤ على الدخول في شجار معه، فاكتميتُ بإعطاء باشينس عدّة صفعات، وسألته عن السبب الذي يدعوها إلى قتلي. عندها، اشتد غضبه وصار كالمجنون وهددني بالقتل».

أخذت الأم الكبيرة كلام فينيكس على محمل الجدّ، فاستدعت المُساعدين وطلبت إليهم إلقاء القبض على تشيا لين وسوقه لِيُمثل أمامها في الحال. لكنّه كان قد حضر من تلقاء نفسه، وهو يحمل سيفاً في يده، مُتَشَجَّعاً بحالة السُّكر التي كان فيها، ومُعتمداً على حنكة وعدالة الأم الكبيرة.

عندما اقترب، أوقفه كل من مدام وانغ ومام هسينغ وسألاه بحزم:

- «هل فقدت صوابك أيّها البائس؟ كيف تجرؤ على التصرف بهذه الطريقة في حضور لاو تاي-تاي؟»

قال وكأنّه لا يعي ما يتفوّه به:

- «كل ما يحصل هو بسبب لاو تاي-تاي لأنها تمادت في تدليلها».

وفي الحال، نزعت مدام هسينغ السيف منه وأمرته بالمُغادرة. لكنّه استمرّ يزيد ويرعد، إلى أن هدّته الأم الكبيرة باستدعاء والده-وبهذا فقط، غادر بارتباك وعلى عجل.

قالت الأم الكبيرة تُكلّم فينيكس:

- «إنّ كل ما يحصل ما هو إلّا ضجيج بلا معنى؛ فالأطفال يبكون أطفالاً، والقطط تستمرّ في سرقة السمك. إنّه خطأي أنا. كان عليّ ألاّ أسمح لك بشرب هذا القدر من الخمر، ممّا أثار فيك الرغبة في التكدّ».

ضحك كل من في الغرفة من هذه الإشارة الغريبة لغيره فينيكس. لكنّ الأم الكبيرة لم يُعيقها ذلك، واستمرّت تقول:

- «لا تبتك الآن؛ فغداً سأطلب إليه المجيء والاعتذار منك. من الأفضل لك ألاّ تذهبي إليه اليوم لتفادي الشجار معه. أمّا بالنسبة لـ باشينس، فقد اعتقدتها دائماً تلك الفتاة الرصينة، ولم أكن أظن أبداً بأنّها ستكون على هذا المنوال».

وعلى الفور، قالت يؤ-شيه ضاحكة:

- «لم تفعل باشينس أيّ شيء إطلاقاً. فهما أرادها أن تكون مُجرّد كبش فداء، وهذا كل ما لديّ؛ ولطالما يفعلان ذلك عندما يتشاجران من وقت لآخر».

- «هذا صحيح بالتأكيد»، قالت السيّدة بهدوء، وتابعت: «فأنا أعرف هذا حقّ المعرفة؛ لقد كنتُ أتساءل كيف يُمكن أن تكون قادرة على فعل هذا الشيء».

ثمّ التفتت إلى إحدى خادمتها، أمبر، وقالت لها:

- «إذهبي إلى باشينس وقولي لها بأنني قد عرفتُ كل شيء، وغداً سأمر سيّدتها بالمجيء إليها للاعتذار. ولكن عليها ألاّ تُصعب الأمور اليوم، لأنّه عيد ميلاد سيّدتها».

في هذا الوقت، استطاع لي هوان بمعونة الفتيات من مرافقة باشينس إلى داخل تاكوان يوان مُحاولين التخفيف عنها. قالت لها بريشوس فيرتشو:

- «أنت فتاة عاقلة، ولا أفهم لماذا تُعاملك سيدتك دائماً بهذه الطريقة الفجّة. لقد رأيناها اليوم؛ فهي ليست هي! إنها تشعر بأنك الأقرب لها، ومن لديها غيرك منفس لغضبها؟ فإذا لم تهدأي وتتوقفي عن البكاء الآن، فسوف فسيشيح الأمر من حولنا، وسيسخر الناس من سيدتك. ونحن مُتأكدات من أنك لا تُريدين هذا في صميمك».

وما هي إلاّ لحظات، حتى وصلت أمبر تحمل رسالة الأم الكبيرة. ووجدت باشينس في ذلك مُبرّراً، لكي تتوقف عن البكاء تدريجياً. كما أنها لم تعد إلى جناح فينيكس في تلك الليلة، بل أصرت على البقاء عند لي هوان. أما فينيكس، فقد باتت في جناح الأم الكبيرة.

في صباح اليوم التالي، جاءت مدام هسينغ إلى منزل السيدة الكبيرة، ومعها تشيا لين. حين وصل إليها جثى أمامها على ركبتيه، فقالت له:

- «ما الذي عليك قوله لنفسك الآن؟»
ضحك مُعتزراً، وقال:

- «السبب في ما حصل، أنني شربت كثيراً تلك الليلة، وأتيتُ لإزعاج لاو تاي-تاي. وها أنذا قد حضرتُ لطلب صفح وعفو لاو تاي-تاي لا أكثر».

- «لو كان لديك حقاً أي اعتبار وقيمة لي»، قالت الأم الكبيرة له، وتابعت: «اعتذر بإخلاص وتواضع لزوجتك هناك، وسوف أسامحك على كل شيء. وإلاّ، عليك المُغادرة؛ فلا أريد أيّ من اعتذاراتك الكاذبة».

كانت فينيكس واقفة من وراء الأم الكبيرة، وكانت عيناها متورمتان من أثر البكاء، وقد ظهرت على وجهها البقع؛ فقد كانت تبدو لطيفة وحزينة. وبدا تشيا اليوم أكثر ميلاً إلى الاعتذار من اليوم الذي سبقه. بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه ما يفعله مع الأم الكبيرة في ما يتعلق بزوجته. ثمّ التفت إلى الأم الكبيرة وقال بخجل:

- «كيف أجرؤ على مخالفة إرادة لاو تاي-تاي في الاعتذار من زوجتي؟ ولكنني أخشى من أن لاو تاي-تاي قد أفسدتها».

- «إفسادها!»، قالت الأم الكبيرة، وتابعت باستهجان: «لا تكن وقحاً إلى هذا

الحد! فهي ليست بالإمرأة السليطة؛ وهي تعرف كيف تتصرف بصوابية من تلقاء نفسها. وإذا تصرفت معك بأي أسلوب من أساليب التشفي والظلم، فلسوف أسمح لك أنا شخصياً بمعاقبته».

وعلى الفور، نهض تشيا لين من مكانه، ثم انحنى أمام فينيكس قائلاً لها:
- «الذنب ذنبي، ناي-ناي، لقد أخطأت في حقك؛ فأرجوك لا تغضبي مني مرة أخرى».

وسط هذه الفرحة الناجمة عن هذا التواضع المتبادل، استمرت الأم الكبيرة بالكلام:

- «لن تشعر فينغ يا-تو بالغضب من جديد. وسوف أغضب كثيراً إذا ما استمرت في حردها ونكدها».

وبعد أن استدعت باشينس، طلبت من تشيا لين وفينيكس تقديم الاعتذار لها. والحقيقة أن تشيا لين الذي ينطبق عليه المثل، كان مستعداً للاعتذار إلى باشينس أكثر من زوجته؛ فتقدم إليها وقال آسفاً:

- «أرجوك لا تغضبي أكثر، كو-نيانغ. لقد بدر الخطأ مني-حتى وإن كانت ناي-ناي قد غضبت منك، فهو بسببي أنا».

وقبل أن تتفوه فينيكس بأي حرف أمام باشينس، هرعت هذه الأخيرة إليها، وجثت أمامها، وقالت:

- «إنني أفضل الموت على أن أتسبب بحزن ناي-ناي في ذكرى ميلادها».

وإثر ذلك، شعرت فينيكس بالخجل من نفسها لمعاملتها باشينس بهذا الأسلوب الظالم. والآن، وهي تراها تتوسل الغفران منها بدلاً من التذمر وطلب الاعتذار-لم تقوَ على تحمّل الموقف، فانفجرت باكية. ثم لم تتوانى عن مدها إلى الخادمة ترفعها عن الأرض، بينما استمرت باشينس في الكلام:

- «لقد خدمت ناي-ناي للعديد من السنوات، ولم أذكر أنها في يوم من الأيام، قد رفعت إصبعها في وجهي أو وجهت لي أي نوع من الإهانات أو التهديد. أنا موقنة من أن كل ذلك بسبب تلك المرأة الفاسدة».

وما إن انتهت من كلامها، حتى انفجرت في البكاء هي الأخرى.
وفي النهاية، أرسلت الأم الكبيرة الثلاثة إلى غرفهم، متوعدة بأنها ستعمل
شخصياً على ضرب أي واحد منهم يتجزأ على ذكر الموضوع من جديد.

بعد أن أصبحت فينيكس وحيدة هي وزوجها في البيت، سألته:

- «فقط قل لي لماذا أصبحت عندك متوحشة الآن؟ فهل أصبحت أقل قيمة
عندك من تلك العاهرة؟»

قالت ذلك، ثم غرقت عيناها بالدموع، وكأنها تنتحب فقيداً غالياً عليها.

وقف تشيا لين يتأملها بصمت لفترة وجيزة، ثم قال بعصبية:

- «وما الذي تُريدينه الآن أكثر من ذلك؟ لن أقول من تسبب بالضجيج يوم
أمس، ولكن ألا يكفيك بأنني قدّمْتُ لك الاعتذار أمام الجميع؟ وهل
تُريدين مني أن أجثو أمامك على ركبتي وأطلب منك السماح والمغفرة؟
على المرء أن يعرف متى وكيف يتوقف».

وفجأة قطعت حديثهما إحدى الخادמות التي وصلت لتقول بأن زوجة باو-يؤ
قد انتحرت شنقاً. فاجأ الخبر تشيا لين وفينيكس، ولكن لم تلبث هذه الأخيرة أن
عادت إلى واقعها، وقالت وكأنما الأمر لا يعينها:

- «وما المُشكلة إن فعلت؟ ولماذا أنت مُتأثر بهذا الشكل عليها؟»

وكانت زوجة تشيه-هسيوا، أحد مدراء الأعمال في يونغ كوفو، قد لحقت
بالخادمة. ثم قالت متوجهة بالكلام إلى فينيكس:

- «إن زوجة باو-يؤ قد انتحرت، وأهلها يُهدّدون برفع دعوى قضائية».

أفصحت فينيكس عن ابتسامة باردة، وقالت:

- «إنه لأمر عادل بالنسبة لي، وأنا كنتُ أفكر في رفع دعوى أيضاً».

نظرت إليها زوجة تشيه-هسيوا لبرهة، ثم قالت:

- «لقد كُنّا نعمل على استرضائهم، وبدا لي أنهم على استعداد للإصغاء
لمنطق العقل، بعد أن وعدناهم بدفع بعض المال».

- «المال؟»، أجابت فينيكس باستهجان، وتابعت تقول: «ليس لدي مالاً لرميه بهذه الطريقة. حتى ولو كان لدي، فلا أرغب في تبذير مالي هكذا. دعيهم يرفعون الدّعى، وبعد أن يخسروها، فسوف أرفع أنا بدوري دعوى ضدهم بتهمة الابتزاز».

تفاجأت زوجة تشيه-هسيياو بهذا الكلام، ولم تدر كيف تردّ عليه، لكنّها ما لبثت أن تلقت إشارة من تشييا لين، فانسحبت حتّى من دون أن تنظر خلفها. بعد انصرافها، اقترب تشييا لين من فينيكس واقترح عليها الذهاب ليرى ما يُمكن فعله بخصوص الموضوع. لكنّها أصرت على أنّها لن تدفع أي فلس. والواضح أنّ تشييا لين كان يعرف كيف يتصرّف في هذا النوع من القضايا-فدفع لعائلة المُنتحرة مئتي تايل، وأضاف المبلغ إلى حساب الشريات أو المصاريف المختلفة.

الفصل الخامس والعشرون

وفيه يُمكن للمرء توقع السلوك غير اللائق من أي

شخص مثل تشيا شيه

ولا يستغرب أحد اتّخاذ قرارٍ مُثير للإعجاب من

فتاة مثل فايت

بدأت مدام هسينغ غامضة عندما وصلت إليها فينيكس بناء على دعوتها. وبعد أن صرفت الخادמות، قالت لـ فينيكس:

- «الديّ شيء أودّ التحدّث معك بخصوصه. إن لاو-يه [إشارة إلى تشيا شيه] قد تسبب لي بمُشكلة عويصة، وأرغب في الاستنارة برأيك قبل أن أقدم على أي خطوة: لقد علمتُ بأنّه مولعٌ بـ يوان-يانغ [فايت]، وقد حاول كثيراً اصطحابها إلى غرفته. ثمّ عرض عليّ مؤخراً أن أطلبها له من لاو تاي-تاي؛ أعلم أنّه ليس في الموضوع ما هو استثنائي، ولكن ما أخشاه هو رفض لاو تاي-تاي لهذا الطلب. فما الذي تنصحين به بهذا الخصوص؟» أخذت فينيكس فترة وجيزة للتأمل بعد استماعها إلى كلام مدام هسينغ، ثمّ

قالت:

- «لو كنتُ مكان تاي-تاي، لما أقدمتُ على ضرب رأسي بهذا المسمار الكبير. كما أنّها لا تستطيع التحمّل طويلاً من دون يوان-يانغ، مع العلم أنّها لا ترغب في مفارقتها. وعلاوة على ذلك، أعرف أن لاو تاي-تاي كثيراً ما كانت تُعبّر عن استنكارها لوجود هذا العدد الكبير من الخليلات حول

لاو-يه. وغالباً ما تسأل: "لماذا يحتفظ بهن؟ فهو بذلك يمنعهن من الزواج، بينما هن في سن الزواج. إنه يزداد كبيراً، لكنّه لا يزال يُدّد حيويته، مُهملاً لواجباته، ويُضيع أيامه هدرًا مع خليلاته". ومما سبق، تستطيعين تاي-تاي أن تستنبطي طبيعة تفكير ونوايا لاو تاي-تاي تجاه لاو-يه. وأعتقد أن على لاو-يه أن يُفكر في كيفية تفادي المزيد من استياء لاو تاي-تاي، بدلاً من وخز أنف الأسد بقشة. وما يبدو لي، أن تاي-تاي ستعمل على ثنيه عن ذلك».

- «ليس غريباً أن يكون لرجل في موقع لاو-يه ثلاث خليلات أو أربع»، قالت مدام وانغ بنبرة استياء، وتابعت: «أضف إلى ذلك، أنه لا يوجد ما يثنيه عن أمر قد خطر بباله، ووضع مسألة تحقيقه نصب عينيه. ولسوف ينقلب ضدّي إذا ما نصحتّه ومنعته عنه».

أدركت فينيكس، أن لا جدوى من النقاش مع مدام هسينغ التي كانت تعيش شبخ الخوف اللدائم من زوجها، وتفعل كل ما يطلبه منها دون تردد. قالت فينيكس:

- «إنّ تاي-تاي على حق في ما تراه، وأنا موقنة من ذلك. ماذا يُمكنني أن أعرف، وأنا شابة كما أنا؟ بحسب فهمي، أنّ الإبن يرغب دائماً في الحصول على ما يُريده من والديه. لقد كنت سخيفة حينما أخذت ما قالته لاو تاي-تاي على محمل الجد. وحتى مع باو-يو مثلاً، كانت تتصرف معه وكأنّها ستضربه حتى الموت عندما كان يتسبب بغضبها. لكنّها كانت عندما تراه، تحبّه أكثر من قبل، وتؤمن له كل ما يُريد. ولا بُدّ أنّها تسير على نفس المنهاج مع لاو-يه. إنّ لاو تاي-تاي في مزاج حسن اليوم، ولذلك، سأذهب وأحاول تهيتها ووضعها في أجواء الموضوع. وعندما تأتي، سأتركها وأخذ الجميع معي، بحيث تكوني قادرة على التحدّث إليها بخصوصية».

كانت مدام هسينغ صامتة، ولكن صاغية طوال الحديث. فكّرت هُنيهة ثمّ قالت

بهدوء:

- «أرى أنه من الأفضل ألا تطرح الموضوع على لائ-تاي-تاي الآن. لا بد لي من الاجتماع بـ يوان-يانغ والتحدث إليها أولاً. فإذا وافقت، سيكون من الصعب على لائ-تاي-تاي عندها الرفض، حتى ولو كانت لا ترغب في مفارقتها».

قالت فينيكس بنوع من التملق:

- «في نهاية المطاف، لائ-تاي-تاي تعرف الأفضل. ومن ذا الذي لا يرغب في القفز إلى أعلى؟ فستكون سعيدة لأن تصبح نصف سيّدة من أن تزوج خادمة عادية أو قروية».

- «هذا ما كنتُ أفكر فيه أيضاً»، ردت مدام وانغ، وأكملت: «عليها أن تشعر بالإطراء. يُمكنك أن تذهبي إلى الجهة الأخرى الآن، ولكن لا تدعي الموضوع الذي ناقشناه للتوّ يخرج عن سزنا نحن الاثنتين. وسأعود من جديد بعد الإفطار».

بعد ذلك، غرقت فينيكس في تفكير عميق. فكّرت في: 'أَنْ يوان-يانغ فتاة لها تفكيرها الخاص هي أيضاً. فلو عدتُ إليها أنا أولاً، فسيكون كل شيء على ما يُرام في حال وافقت على عرض تاي-تاي. ولكن إذا رفضت، ستظنّ تاي-تاي بأنني قد أفشيت السز. سيكون إذن من الأفضل الانتظار والذهاب مع تاي-تاي، وهكذا لن يُلقى عليّ أي نوع من اللوم'. إذاً، انطلاقاً من هذا الاعتبار عملت فينيكس على ترتيب الأشياء، بحيث كانت مدام هسينغ أولى الواصلات إلى منزل الأم الكبيرة، وأولى المُغتنيات لفرصة الحديث مع فايت.

بعد انتظارها بضع دقائق في منزل الأم الكبيرة، دخلت مدام هسينغ مباشرة إلى غرفة فايت. شاهدت مُطرزاتها ومدحتها لمهاراتها في ذلك. وبسبب تدقيقها وتفحصها للأشياء، أحسّت الخادمة بعدم الارتياح، وشعرت بأنّ الزائرة قد جاءت من أجل غرض ما.

سألته الخادمة:

- «لماذا مرّت تاي-تاي من هنا باكراً اليوم؟»

أشارت مدام هسينغ للخادِمات الأخرى بالانسحاب، ثم أمسكت فايث من يدها، وقالت:

- «لقد أتيت لتهنئة كو-نيانغ».

فهمت فايث نيّتها، ولكنها لم تقل أي شيء. بينما تابعت مدام هسينغ كلامها لتقول بأن زوجها بحاجة إلى فتاة لابنه يُمكنه الوثوق بها، وقد اختار فايث من بين عدد كبير من المرشحات المُتلفات لذلك. واليوم نظر إلى الخادِمة على قدم المساواة بنا، وعلى أنها واحدة من العائلة:

- «فتعالى معي، سندهب ونتحدّث بالموضوع مع لاو تاي-تاي».

سحبت فايث يدها بطريقة فجّة ولم تُجِب بشيء.

استمرت مدام هسينغ بالكلام:

- «لا يحتاج الموضوع إلى الخجل، ولست مُلزِمة بقول أي شيء أمام لاو تاي-تاي، فكل ما عليك فعله، هو مُرافقتي إليها».

كانت فيث لا تزال تنظر بصمت. أمّا مدام هسينغ فاستكملت كلامها في مُحاولة لإقناعها، أو للحصول على إجابة حاسمة منها:

- «هل أن صمتك يعني بأنك لا ترغبين بالأمر؟ فإذا كان هذا معنى صمتك، فأنتِ إذن مُغفلة تماماً! فكيف لك أن ترفضى أن تُصبحي سيّدة وتُفضّلين البقاء خادِمة تعمل تحت أوامر سيّدات؟ فبعد بضع سنوات، ستتزوجين من أحد الخدّام، لكنك، وبكل الأحوال، ستبقين عبدة مدى الحياة. تعالي معي، فأنتِ تعلمين بأنني طيبة وحسنة المزاج، وسأكون حنوناً كالأم معك».

حتّى هذه اللحظة، وبعد كلّ ما سمعته من مدام هسينغ، بقيت فايث صامئة واجمة تنظر إليها وكأنها صمّاء لا تفهم شيئاً. لكنّ مدام هسينغ لم تتراجع عمّا جاءت من أجله، وتابعت الكلام وكأنها على ثقة من الوصول إلى النتيجة التي ترغبها في النهاية:

- «أعتقد بأنك تشعرين بضرورة قيام والديك بترتيب هذه الأشياء من أجلك».

لا تقلقي، سأفتح والديك بهذا الشأن، وسأطلب منهما مُحادثتك بكل الأمور التي تخص هذه المسألة. وعندها، بإمكانك إخبارهما بكل ما يدور في رأسك من دون الإحساس بالخجل».

بعدما علم تشيا شيه بفشل مهمّة زوجته، فكّر قليلاً ثمّ قرر استدعاء تشيا لين.

قال له:

- «هناك أكثر من وكيل في تشينلينغ؛ فابعث بأحد إلى هناك في الحال لإحضار تشين تساي والد يوان-يانغ».

حاول تشيا لين التهرّب من طلب والده، فقال:

- «تقول الأخبار التي وصلت أخيراً من تشينلينغ بأنّه مريض جداً، وأنّ الميزانية الخاصة بتحضيرات الدفن قد تمّ رصدها فعلاً. فإذا كان لا يزال حياً، فمن المرجّح أن يكون عاجزاً ولن يُفيد في شيء. كما أن زوجته صمّاء—»

قاطعته تشيا شيه عند هذه النقطة، قائلاً:

- «أيّها الوحش العاق! يبدو أنك على علم بكلّ شيء. هيا اخرج من هنا». انسحب تشيا لين على الفور، وجلس في مكتبه بانتظار ما قد يطراً من تطورات. في هذا الوقت، استدعى تشيا شيه شقيق فايت الأكبر تشين وين-هسيانغ، وطلب منه استخدام ما لديه من تأثير على شقيقته. وعندما استدعيت فايت من قبل أخيها، تردّدت كثيراً من الكلام خشية التسبب باستياء سيّدة المنزل إذا ما فاتحتها بالأمر، لكنّها صرّت بأسنانها، ورفضت كل توسل أو تملق من أخيها-الذي ذهب على الفور للقاء تشيا-شيه وإبلاغه بعناد وتصلّب الخادمة.

قال له تشيا شيه فور سماعه الخبر:

- «قل لزوجتك أن تخبرها بأنني أعرف ما الذي تُفكّر فيه. فمنذ بداية التاريخ، والخادمات يُفضّلن الشباب على المتقدمين في العمر. ولعلّها تُفكّر بأنني كبير جداً بالنسبة إليها، وقد وضعت قلبها جانباً بانتظار الجيل القادم. وأعتقد أن هذا الجيل-هو باو-يو مثلاً. فإذا كان هذا ما يدور في رأسها،

فأبلغها بأن تخلع هذه الفكرة من رأسها! فمن سيتجرأ على التقدّم إليها بعد أن يعرف بأنني أريدها؟ وهذا هو الشيء الأول والأساسي الذي عليها أن تعرفه. أما الأمر الثاني، فهو أنها إذا كانت تُفكّر في أن تُصبح زوجة أحدهم من خارج القصر، فعليها أن تُفكّر وتعتبر جيداً؛ لأنّ القضية ليست في من تتزوج، بل أنها لن تستطيع الفرار مني. إلا إذا قررت الموت أو البقاء عزباء طوال عمرها، فمن الأفضل لها أن تُغيّر رأيها. وإذا فعلت ذلك، فسأسامحها وسأكون لطيفاً معها».

لم يكن لدى تشين وين-هسيانغ أيّ شيء ليقوله، سوى الموافقة على كلّ شيء، والتعهد بممارسة كل ما يعرف من ضغوط على شقيقته من أجل الموافقة.

تابع تشيا شيه يقول:

- «لا تُحاول أن تخدعني بمظهرك الكاذب؛ فغداً سأرسل لها تاي-تاي من جديد. فإذا اقتنعت بما أخبرتني من أنها لن تُغيّر رأيها، فعندئذٍ عليك أن تنتبه إلى فروة رأسك».

كانت فايث مصدومة برّدة فعل تشيا شيه غير اللائقة. وبعد أن استمعت إلى كلام أخيها، فكّرت قليلاً ثمّ قالت:

- «حتّى وإن كنتُ راغبة في الذهاب إليه، فسيكون من الضروري، لا بل من الواجب عليّ أولاً، أن أذهب إلى تاي-تاي والحديث بالموضوع معها».

ازدادت سعادة أخيها عند سماع ذلك منها، لاعتقاده بأنها قد بدأت تلين، وأنّ بوادر التغيير في رأيها قد بدأت تلوح في الأفق. أخذتها زوجة أخيها إلى الأم الكبيرة، التي كانت في تلك الأثناء تتحدث مع زوّارها: مدام وانغ، هسويه يي-ما، لي هوان، فينيكس، باو-يو، وآخرين. تقدّمت فايث منها وجثت أمامها، وما بين قليل من بكاء وبين كثير من توسّل، أخبرتها القصة. ثمّ أردفت ما روته بالقول:

- «يقول تا لاو-يه بأنني أميل إلى باو-يو، أو لدي طموح للزواج من أحد من الخارج. وقال بأنني لن أفلت من يديه حتّى ولو صعدتُ إلى السماء نفسها. لقد صمّمت، وها أنذا أقولها أمامك، وأمام كل الموجودين هنا، بأنني

لن أتزوج طوال عمري، سواء أهمّ ذلك باو-يو أو أي أحد آخر. وحتى لو أقدمت لاو تاي-تاي على إرغامي على ذلك، فلسوف أموت قبل أن أخضع لهذا الأمر. وبعد أن رأيت عودة لاو تاي-تاي إلى الغرب، فلن أعود إلى والديّ أو إلى شقيقي. وأفضل الموت أو أن أصبح راهبة على أن أفعل ذلك. وأنا أقول هذا من كل قلبي وجوارحي، وبكامل قواي وإرادتي- وإن كنتُ لا أقول ما في داخلي، أو نفذت ما أنا عازمةٌ عليه، فلتبتلعي السموات والأرض، ولتحرقي الشمس والقمر، ولتشهد عليّ الملائكة والشياطين، ولتصنبي بكل الأمراض المُزمنة التي لا نجاة منها. . .»

كانت فايت، قبل أن تأتي إلى الأم الكبيرة، قد أخفت في كمها مقصاً. وفور الانتهاء من كلامها سحبت المقص وشرعت بقص شعرها، لكنها لم تكمل ذلك بعد أن هرع كل من في الغرفة ونزعوا المقص من يدها.

شعرت سيّدة المنزل بالاستياء والغضب فور سماع قصّة الخادمة. فقالت وهي ترتعد:

- «لديّ خادمة واحدة يُمكنني الاعتماد عليها، وها هم يُحاولون حرمانني منها وأخذها بعيداً عنيّ.

توقّفت سيّدة البيت لبرهة عن الكلام وهي ترتجف من الحنق، ثمّ التفتت إلى مدام وانغ وتابعت تقول:

- «ها أنتم جميعاً تُحاولون خداعي؛ فظاهرياً، تبدوون أبناء ومُطيعون، لكنكم جميعاً تتأمرون عليّ وتعملون ضديّ بالخفاء. عندما يكون لديّ الخير، تأتون إليّ وتطلبونه، والآن وقد بقيت لديّ هذه الخادمة المسكينة، أراكم تحسدونني عليها لأنني طيبة القلب وحنونة معها. ولكنني أقول لكم الآن، وليشهد الجميع، إذا ما كنتم تنوون إبعادها عنيّ، فما عليكم إلاّ الاستمرار في مؤامراتكم ضديّ».

كانت مدام وانغ، أثناء كلام السيّدة الكبيرة، قد نهضت من مكانها ووقفت تستمع إليها بصمت. كانت تعتبر أن ذلك لا يعينها لأنها ليست صاحبة المُشكلة من

أجل أن تُدافع عن نفسها. أمّا هُويِه بي-ما فلم يكن بمقدورها قول شيء بالطبع، طالما أن مدام وانغ تكون شقيقتها. وبالنسبة إلى لي هُوَان والآخريْن، فقد غادروا الغرفة فور شروع فايت برواية قصتها. لكنّ مدام وانغ، البريئة كعادتها، استمرت واقفة وصامتة لترى ماذا ستكون النهاية.

تفهمت كويست سبرينغ موقف مدام وانغ الحرج، وتأكدت من أنها ليست المعنية لكي تُدافع عن نفسها، ولا تعني هُويِه بي-ما من أجل الدفاع عن شقيقتها، ولا تعني بريشوس فيرتشو لكي تُدافع عن عمّتها. كما أنّ الأمر لم يكن يعني فينيكس أو لي هُوَان، ولا حتّى باو-يو ليدفعهم إلى الكلام. إذن، هذا هو الوقت المُناسب الذي تظهر فيه الحاجة الماسة إلى الشقيقات. لكنّ ولكوم سبرينغ كانت تفتقر إلى الشجاعة، وكانت كومباشن سبرينغ صغيرة جداً. وارتأت أنها هي الوحيدة التي يُمكنها الكلام؛ فدخلت الغرفة، وابتسمت في وجه السيّدة الكبيرة، وقالت:

- «ما الذي يجب أن نفعله مع تاي-تاي؟ لاو تاي-تاي، فكّري قليلاً، كيف يُمكن لزوجة الإبن الصغرى أن تُدرك أو تعرف شؤون زوجة الإبن الكبرى؟»

ابتسمت الأم الكبيرة، وقالت مُستدركة خطأها:

- «بالطبع، لعلني بدأتُ أفقد حواسي مع الكِبَر»، ثمّ التفتت إلى هُويِه بي-ما، وتابعت: «يجب أن لا تسخري مني، بي-ما. إنّ شقيقتك مُخلصة ومُطيعه لي، وليست مثل تاي ستاي التي لا تعرف إلا زوجها-فقد كنتُ غير عادلة بالنسبة لشقيقتك».

ردّت هُويِه بي-ما بأنّ الأم الكبيرة رُبما كانت مُتحيّزة لزوجة ابنها الصغير. فقالت الأم الكبيرة:

- «لا أبداً، أنا لستُ مُتحيّزة أنما أقول الحقيقة فقط. كما أنّ باو-يو»، ثمّ التفتت إلى حفيدها مُتابعة: «لماذا لم تتبهنّي إلى خطأي وتجنّبي تويخ والدتك بهذه الطريقة الظالمة؟»

- «ولكن كيف لي أن أدافع عن والدتي ضدّ عمّتي أو خالتي؟»، قال باو-يو،

وتابع: «كنتُ أودّ التعرّض للملامة، ولكنني كنتُ أخشى من لاو تاي-تاي أن لا تصدّقه».

- «إنّ هذه لإجابة منطقية أيضاً»، قالت الأم الكبيرة مُبتسمة، وأضافت: «والآن انحي لوالدتك واطلب منها أن لا تغضب، ولكي تأخذ بعين الاعتبار عيوب هرمي، وأن تنسى أي أذى من أجل خاطر باو-يو».

وما أن شرع باو-يو يفعل ما طلبته منه الأم الكبيرة، حتى استوقفته مدام وانغ قائلة:

- «هذا أمر سخيف، باو-يو. كيف يُمكنك أن تعتذر من أجل لاو تاي-تاي». نهض باو-يو واقفاً، مُدركاً أنّ الاعتذار بالطريقة التي كان ينويها، قد تكون تسليمياً بأنّ جدّته كانت على خطأ.

ثمّ قالت وهي تلتفت إلى فينيكس:

- «كما أنّ فينغ يا-تو لم تلفت نظري إلى ذلك أيضاً!»
فقال فينيكس:

- «حسناً، حسناً. لقد امتنعت عن لفت نظر لاو تاي-تاي، لكنّها الآن هي من تعمل على التسبب بالخطأ معي».

فضحكت الأم الكبيرة، وضحك جميع من في الغرفة.

في هذا الوقت، أعلن عن وصول مدام هسينغ، وخرجت مدام وانغ لملاقاتها. وكانت الأولى قد سمعت من الخادמות كل ما حصل، ولكن كان من الصعب عليها التراجع الآن. فدخلت مع مدام وانغ وحيّت السيّدة الكبيرة كالعادة، أمّا الأخيرة، فبقيت صامتة. وعلى الفور، طلبت فينيكس إذنًا بالخروج، وما لبث أن تبعها الآخرون، الذين لم يكونوا راغبين بالحضور وإحراج مدام هسينغ.

عندما أصبحا بمفردهما، قالت الأم الكبيرة تُخاطب مدام هسينغ:

- «أنا أعرف بأنك كنت تُحاولين القيام بدور صانعة مباريات من أجل ولدك لاو-يه. كما وأعرف أنّك زوجة فاضلة ومُخلصة، ولكنني في الوقت نفسه أيضاً، أعتقد أنّك مُخلصة بشكل مُبالغ فيه. لقد أصبح لديك الآن أولاد

وأحفاد، ولكنك ما زلتِ تخشين ولدك هذا، وتركيته يتصرف في كل شيء على هواه».

- «لقد كنتِ أتواجه معه دائماً، وأحتجّ على أفعاله»، ردّت مدام هسينغ، وتابعت: «لكنك، لاو تاي-تاي، تعرفين ما تكون نتائج ذلك. لا أستطيع فعل شيء»-

- «أتحسبن أنكِ ترتكبين جريمة إذا ما طلب منك ذلك؟»

سألته الأم الكبيرة هذا، وراحت تشرح لها كيف أنها لا تقوى على فراق الخادمة، ثم أكملت كلامها قائلة:

- «أخبري ولدك لاو-يه بأنني لدي من المال هنا ما يُمكنه من شراء الامرأة التي يُريدها، ولا أبه لو كلّف هذا عشرة آلاف تاييل، ولكن لا أريد مفارقة هذه الخادمة، وأصّر على بقائها إلى جانبي لرعايتي. وإنّ موافقته على احتفاظي بهذه الخادمة، سيكون أفضل له من معيئه ومواجهتي شخصياً». أنهت ذلك، ثم التفتت إلى أحد المُساعدين وقالت:

- «أطلب من بي تاي-تاي والآخرين العودة إلى هنا، لماذا اختفى الجميع؟» عاد الجميع، وانطلقت لعبة الماجونغ. وبما أنّ نظر الأم الكبيرة، لم يكن على ما يُرام، جلست فايت بقربها وراحت تُراقب لها اللوحات. وعندما رأت أنّ سيّدها تحتاج إلى «إثنين من الدوائر»، لإكمال مجموعة الدوائر في يدها، أوأمأت إلى فينيكس باللوحة التي تُريدها. وهُنا جاء دور فينيكس؛ فتظاهرت بأنّها مُتردّدة في اللعب، وقالت:

- «لدى بي تاي-تاي القطعة التي أريدها، لكنّها فقط تُحاول الصمود. ولذلك سألعب هذه بحيث أجبرها على التخلّي عن القطعة التي أريدها».

قالت هسويه بي-ما:

- «أنا مُتأكّدة من أنّي لا أملك القطعة التي تُريدينها».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «لن أصدق ما تقولين إلا إذا رأيتُ ما في يدك».
- وعلى الفور، أجابتها هُويه بي-ما بنوع من التملل:
- «إذا اكتشفتِ لاحقاً من أنني كنتُ أملك القطعة التي تُريدونها فعاقبيني، ولكن، رجاءً العبي الآن ولا تُعرقلي سير اللعبة».
- لعبت فينيكس ورقة الـ «إثنين من الدوائر»، ودفعتها إلى أمام هُويه بي-ما ، لعلمها بأن هذه الأخيرة ستأخذها. لكن هُويه بي-ما رفضتها قائلة:
- «أنا لا أحتاج إليها، ولكن أخشى من أن لاو تاي-تاي ستُسجل الرّم القياسي بها».
- أشارت فينيكس إلى فايت من أجل التقاط القطعة، لكن الأم الكبيرة رمت القطع وصرخت:
- «فات الأوان!»
- قالت فينيكس:
- «ألم أقل لكم بأنني لا بد خاسرة أمام الأم الكبيرة بسبب مُختلف أنواع التجسس التي تدور من حولي؟ لكن هذه المرة كانت هفوتي أنا».
- قالت لاو تاي-تاي وهي مُغتبطة بالربح:
- «بالتأكيد أنك لن تجدي أحداً آخر لإلقاء اللوم عليه. وعليكِ إذن، أن تصفعي نفسك، وأن تسألني نفسك لماذا لعبتِ بهذه الطريقة، مع أنني لم أَلعب أبداً ورقة الدائرة المُفردة طوال اللعبة، ثم التفت إلى هُويه بي-ما، وقالت:
- «لا آبه للمال، ولكن الرّبح يدفعني إلى الإحساس بغبطة الرّبح بدورة واحدة وفي غضون دقائق».
- كانت فينيكس في هذه الأثناء تعدّ مالها. وعندما سمعت كلام الأم الكبيرة، أوقفت ذلك وقالت:
- «طالما أن لاو تاي-تاي تلعب فقط من أجل التسلية، فليس عليّ إذن أن أدفع المال».

أما فيث، التي تعمل عادة على ترتيب أوراق السيّدة الكبيرة، فلم تُحرّك ساكناً. سألتها لاو تاي-تاي عن المُشكلة، فأجابتها بأنّه يُفترض على فينيكس أن تدفع المال الذي خسرتّه. وعندها، التفتت الأم الكبيرة إلى فينيكس وقالت باستهجان:

- «لا تُريد الدّفْع إذن؟ ستتعلم أن تدفع فوراً في المرة القادمة».

قالت هذا، ثمّ التفتت إلى إحدى الخادِمات التي كانت تقف إلى جانبها وأمرتها بجمع سلسلة المال النقدي من أمام فينيكس ووضعه فوق كتلة المال أمامها. عند هذه النقطة، بدأت فينيكس بالتوسّل إليها قائلة:

- «أرجوكِ أعيدي المال لي، وأتعهد بأن أدفع بناء على النقاط».

قالت هسويه بي-ما:

- «إنّ فينيكس امرأة بائسة، واللعب ليس إلّا للتسلية. لقد أخذت خسارة سلسلة واحدة من المال على محمل الجدّ».

انتفضت فينيكس وقالت تردّد على هسويه بي-ما، وهي تُشير لها إلى صندوق مركون في إحدى زوايا الغرفة:

- «ولكن أظري إلى ذاك الصندوق. لا أعلم كم يوجد من المال النقدي فيه، وهو نتيجة نصف ساعة فقط منذ بداية اللعبة- وإنّ القطع النقدية التي في الصندوق أُمست تتحسّر على سلاسل المال التي أصبحت على نهايتها. وعمّا قريب سيكون كل ما في الصندوق قد تلاشى. ولكن طبع لاو تاي-تاي الطيّب ورأفتها، ستعيد الأمور إلى نصابها. وسأعود أنا أيضاً إلى القيام بواجباتي، وإدارة الأعمال التي عليّ القيام بها».

بعدها، دخلت باشينس وهي تحمل سلسلة أخرى من النقد، مُعتقدة أنّ فينيكس لم يعد لديها ما يكفي من المال. نظرت إلى خادمتها وقالت لها مُبتسمة:

- «ضعي هذا المال فوق كومة المال التي أمام لاو تاي-تاي. فهذا قد يُنقذ القطع الموجودة في الصندوق، والذي يستجدي لاستعادة المال الذي نقص منها».

ضحكت الأم الكبيرة بأعلى صوتها، وطرحت كومة المال على كامل الطاولة،

وطلبت من فيث أن تذهب إلى فينيكس وتغلق فيها.

وضعت باشينس المال على الطاولة وخرجت بعد لحظات. فالتقت في الفناء الخارجي تشيا لين، مبعوثاً من قبل تشيا شيه لي عرف ما الذي حصل مع مدام هسينغ. نصحته باشينس بعدم الدخول قائلة:

- «لو كنتُ مكانك لما دخلت. كانت لاو تاي-تاي شديدة الغضب، وإذا ما دخلت إليها، فستكون أشبه بمن يضرب رأسه بمسمار حاد. ولم تهدأ إلا حينما تدخلت تاي-تاي وجازفت في الترفيه عنها وتسليتها».

أجابها تشيا لين:

- «طالما أنها هدأت، فلا أعتقد بأن هناك أي شيء أقلق عليه. وقد طلب مني لاو-يه المجيء، وسيغضب إذا علم بأنني لم أفعل».

أكمل تشيا لين طريقه إلى الداخل، وعندما بدأ بالإقتراب من غرفة الأم الكبيرة، بدأ يسير ببطء. عندما لمحتة فينيكس أشارت له بعدم الدخول، ثم انحنت نحو مدام هسينغ وهمست لها بوجود تشيا لين في الخارج. خشيت الأخيرة من أن ذلك سيُجبرها على أن تُغادر فوراً؛ فنهضت تصبّب فنجاناً من الشاي للأم الكبيرة آملة في أن هذا قد يجذب انتباهها عنه ويسمح له بالمُغادرة سريعاً. ولكن ما إن التفتت الأم الكبيرة لأخذ كوب الشاي، حتى لمحت خيال تشيا لين المتردّد في الجهة الخارجية من الباب. فسألت على الفور:

- «ومن هو ذاك الذي يقف أمام الباب؟»

عندما أحسّ بأن لا مجال للتسلل بعيداً، خطى تشيا لين إلى داخل الغرفة، وقال:

- «لقد حضرت للتأكد ما إذا كانت لاو تاي-تاي تنوي الذهاب إلى منزل لاي تا، لأقوم بتجهيز العربة لها».

قالت الأم الكبيرة له بشيء من الشك:

- «ولماذا لم تدخل مباشرة بدلاً من التسلل من أمام الغرفة كالجواسيس؟»

تبسّم تشيا لين مُتملقاً وقال:

- «خشيت من أن أزعج لاو تاي-تاي وهي في أوج لعبتها، وكنتُ على وشك لفت انتباه زوجتي لكي أتمكن من إخبارها بذلك».

قالت الأم الكبيرة وهي تشك في ما يقول:

- «لا أصدّق بأنّ هذه العجلة من أجل العربة. فلديك كل الوقت من أجل الحديث مع زوجتك عند عودتها. فمن حركاتك أستنتج بأنك كنت تتجسّس عليّ من أجل إبلاغ أحد ما بكل تحركاتي. إنّ سلوكك هذا يُزعجني، لكنني ما زلتُ بحاجة إلى زوجتك هنا لفترة من الوقت. يُمكنك أن تذهب الآن وتأمّر أنت وزوجة تشاو-يُ عليها».

ضحك جميع من الغرفة لدعابة الأم الكبيرة، فقالت فايت مُستهجنة:

- «زوجة تشاو-يُ! لماذا أقحمت لاو تاي-تاي زوجة تشاو-يُ في الأمر؟»

قالت الأم الكبيرة:

- «لا يهتمني أكان تشاو-يُ أم باو-يُ، فكيف لي أن أتذكّر هذا النوع من القضايا المُخجلة؟ وأنا لا أستطيع إلا أن أنفجر غضباً حينما أعيد التفكير بهما. لقد أتيت إلى هذا المنزل بصفتي كُبرى الحفيدات، وبعد أربع وأربعين سنة، أصبح لديّ أنا نفسي حفيدة كُبرى؛ لكنني لم أسمع بأمر كهذا طوال هذه السنوات. والآن، ما الذي تنتظره؟»

وعلى الفور، انسحب تشيا لين بطريقة فظة دون أن ينبس بكلمة.

أما باشينس التي كانت لا تزال تنتظر خارجاً لترى ما يحصل، قالت له:

- «ألم أقل لك ذلك؟»

خرجت مدام هسينغ أيضاً، فقال لها تشيا لين:

- «إنّ كل ما حصل لنا من إذلال على يد لاو تاي-تاي هنا-كله كان بسبب لاو-يه».

- «أيها الولد العاق»، قالت مدام هسينغ مويّخة، وتابعت: «كثير من الأولاد يتمنّون الموت بسعادة من أجل آبائهم، وأنت الآن تتدمّر وتشكو لمُجرد

بضع كلمات من لاو تاي-تاي. فإذا كنت لا تأبه للطريقة التي تتصرّف بها،
فإن لاو-يه قد يُحطّم لك رجلك يوماً ما».

شعر تشبهاً شبيه بنار الذلّ والعار تجري في دمه بسبب تهوّه. فادّعى المرض،
وتجنّب بذلك التحقيقات الصباحية والمسائية في جناح الأم الكبيرة. ومع ذلك، فقد
اشترى، بثمانمائة تايل، فتاة جميلة لتحل محل فيث.

الفصل السادس والعشرون

وفيه يتجلى مجد السيّد في رفاهية الخادم ورخائه
وشرف المهنة يُصان من قبل المُتملّ ليو هسيانغ-لين

وصل الخامس عشر من الشهر بسرعة، وخُصّص هذا اليوم للاحتفال بتنصيب لاي شانغ-جونغ، ابن لاي تا، في سلك القضاء. وكان آل تشيا يعملون كوكلاء أعمال في يُونغ كُوفُو لأجيال، وفي هذا الوقت، قد ازدهروا لدرجة أصبحوا معها قادرين على شراء مكتب لأكثر أعضاء العائلة الموعودين. وبهذه المُناسبة، استطاعت والدة لاي-تا، وهي امرأة طاعنة في السنّ قد أعفيت من الخدمة منذ وقت طويل، من إقناع الأم الكبيرة وآخرين لتكريم منزلها بوجودهم.

وبينما كانت الأم الكبيرة وباقي أفراد قصري يُونغ كُو ونينغ كُو من الإناث يُشاركن في الحفل في الأجنحة الداخلية، كان لاي شانغ-جونغ يحتفل مع تشيا تشين وتشيا لين وباو-يُو وهسويه بان وآخرين في الأبنية الخارجية. ودعا أفراد عائلة لاي العديد من الأصدقاء اللاتقيين-من ذوات المظهر الحسن من أجل المُساعدة في تسلية المدعوين والترفيه عنهم. وكان من بين هؤلاء المدعو ليو هسيانغ-لين، وهو صديقٌ لـ باو-يُو، وأحد أصدقاء تشين تشانغ المُتوفّي.

وكان هسويه بان قد قابل ليو هسيانغ-لين من قبل، وقد راق له بشكل كبير. علم أنّ الشباب مولعون بالحركة، ولذلك كان قد ظهر على مسرح الهواة يلعب دور امرأة. أمل هسويه بان بأنّه قد يتمكّن من إفساد ليو هسيانغ-لين، كما فعل مع العديد من الشباب إلاّ أنّه كان على خطأ. كان هسيانغ-لين من عائلة جيّدة ومعروفة، لكنّه كان

ضالاً ونازلاً للتقاليد والأعراف العائلية، يفعل ما يُريد، ولا يأبه لكلام الناس. توفي والديه وهو لا يزال طفلاً. وكان يُحب التمثيل وممارسة المبارزة بالسيف والرمح، والقمار، وغير ذلك من أنواع التسلية التي ينغمس فيها عادة مثليي الجنس. ولمّا كان وسيم للغاية ومقبول، فإنّه كان بالنسبة للذين لا يعرفونه بمثابة مُمثل معروف ويمتّع بأخلاق المُمثل. إستاء من مُجاملات هُويه بان، وهمّ بالمُغادرة، إلاّ أنّ لاي شانغ-جونغ أخبره بأنّ باو-يو طلب منه انتظاره. فقال له:

- «أصبر قليلاً بعد، سأبعث بطلب باو-يو».

كان باو-يو قد عرف ليو هسيانغ-لين لفترة من الوقت، وكانا هما الاثنيين من أصدقاء تشين تشانغ. وفي هذه المناسبة، أراد باو-يو أن يطلب من لاي شانغ-جونغ أن يعتني بضريح تشين تشانغ، وتقديم بعض الأضاحي له، لأنه لا يستطيع الذهاب بنفسه إلى هناك. وعندما سأله باو-يو عن سبب نيّته بمُغادرة المأدبة بهذه السرعة، أجابه لاي شانغ-جونغ بأنّ هُويه بان كان يُضايقه. كما أنّه أعلمه بأنّ عليه قطع مسافة طويلة للعودة. لم يقل إلى أين سيذهب، لكنّه قال بأنّه سيُعلم باو-يو بذلك إذا ما وعده هذا الأخير بعدم فضح مكان وجوده أمام الآخرين.

ألقي لاي شانغ-جونغ تحية الوداع على باو-يو وتوجّه نحو الباب، حيث رأى هُويه بان الذي سأل بحماس:

- «من الذي قد يتجرأ على ترك «ليو اللطيف» هذا يُغادر بهذه السرعة؟»

بدا وكأنّ عينا ليو هسيانغ-لين تقدحان ناراً عندما سمع كلمات هُويه بان المهينة. كان يودّ لو أنّه يقتله حالاً لو لم يع حقيقة أنّهما هما الاثنيين ضيفين في منزل لاي شانغ-جونغ. والواقع أنّ هُويه بان كان في سعادة لا توصف عندما رآه أمامه عند المدخل، فأخذ يده بكلتا يديه، وقال له:

- «إلى أين أنت ذاهب، يا أخي الجميل؟»

حاول ليو هسيانغ-لين أن يتفاداه قائلاً:

- «كنتُ لا أنوي المُغادرة باكراً، ولكن عليّ الذهاب الآن للاهتمام ببعض الأمور الطارئة».

- «لا تذهب الآن»، قال هسويه بان، وأضاف يحثه على البقاء: «إبقَ بعد فترة أطول وبرهن لأخيك هسويه بأنك تُحبّه-أخوك المُستعدّ لفعل أي شيء من أجلك».

إشتعل ليو هسيانغ-لين غيظاً وكُرهاً من هذا الكلام، وفجأةً خطرت له خطة. فرافق هسويه بان إلى الخارج وقال له:

- «هل لديك الحماس حقاً لتكون صديقاً، أم أنك تتظاهر بذلك؟»
أجابه هسويه وقد ابتسم مُبتهجاً:

- «يا صديقي العزيز، كيف لك أن تسأل هذا السؤال؟ فلتبتلعي الأرض الآن إن كان قلبي يكذب».

- «إذن، عليك أن تأتي معي»، قال ليو هسيانغ-لين وهو ينظر بمُكر، وتابع: «لأنّ هذا المكان غير مُناسب للكلام؛ تعال معي إلى بيتي وسوف نشرب طوال الليل، ولكن لا تصحب أحد معك، فلديّ المُساعدين الذين سيهتمون بكلّ شيء».

سأله هسويه بان وهو لا يُصدّق أذنيه:

- «أحقاً ما تقول؟»

قال ليو هسيانغ-لين:

- «يبدو أنّك تشكّ بلحظات في كلام شخص يتكلّم من أعماق قلبه».

- «لا أبداً، فأنا أُصدّقك»، قال هسويه على عجل، وأكمل: «لكنّ العقبة أنّي لا أعرف أين تعيش. فكيف لي أن أجدك وأنت ستُغادر المأدبة قلبي؟»

- «يقع منزلي خارج البوابة الشمالية»، قال ليو هسيانغ-لين، وأضاف: «سأنتظر على الجسر خلف البوابة مباشرة. ولكن دعنا نعود إلى المأدبة الآن. سوف أُغادر أولاً، لكي لا يتتبه أحد إلى مغادرتنا معاً».

كان هسويه بان طوال المأدبة ينظر إلى ليو هسيانغ-لين بإعجاب شديد، وسعيد كل السعادة بحظه الجيد. وبلا وعي، راح يشرب الكأس تلو الكأس حتّى أصبح

سكيراً وفقد رصانته واتزانته. ثم ما لبث أن تبع خطوات ليو هسيانغ-لين الذي تسلل من الحفل بهدوء.

صرف ليو هسيانغ-لين خادمه، وسار وحيداً إلى الجسر المُحدّد، ووقف ينتظر هسويه بان. وفي الحال، ظهر الأخير يخرج من باب المدينة، وهو يترنّح من جهة إلى جهة من فوق جواده، وعبر الجسر من دون أن يُلاحظ هسيانغ-لين. لحق به الأخير، وتحول كرهه إلى نوع من التسلية ضد هسويه بان الماكر. قال الأخير عندما لاحظ ليو هسيانغ-لين:

- «كنتُ أعلم بأنك ستُحافظ عليّ وعدك».

قال ليو هسيانغ-لين:

- «إنطلق، علينا ألاّ نسمح لأحد برؤيتنا معاً».

وما لبث أن وكز جواده، وسار أمام هسويه بان الذي كان يُحاول أقصى جهده ليبقى ثابتاً على سرج حصانه. قطعاً حوالي الكيلو مترين شمالاً حتّى وصل إلى منطقة مهجورة أشبه بالصحراء، بعيدة عن أي قرية أو معبد. ترجل هسيانغ-لين عن جواده وطلب من هسويه بان أن يفعل الشيء نفسه، ثم قال له:

- «لنقسم يميناً؛ فإذا ما بذل أي واحد منا نيته وأفشى السرّ، تُصبه اللعنة ويُعاني البلاء المُناسب».

أبدى هسويه بان الموافقة، فنزل عن جواده، ثم جثى على ركبتيه وشرع يقول:
- «لو أنّي، أنا هسويه بان، حاولت أن أبذل نيتي، أو أن أُخبر أحداً، س-»
وفجأة سمع ضربة وكأتما مطرقة من حديد قد هوت على ظهره، ثم شعر وكأنّ آلاف النجوم اللامعة تتراقص أمامه في ظلام حالِك-ثم هوى إلى الأرض. أداره هسيانغ-لين نحوه وراح يكيّل له الضربات في الوجه حتّى أصبح أشبه بالثمرة الناضجة. حاول هسويه بان النهوض جاهداً، إلاّ أنّ هسيانغ-لين عاجله بركلة قوية من قدمه، فأسقطته طريحاً على الأرض من جديد.

قال هسويه بان وهو على الأرض:

- «لم يكن أحد يُحاول إرغامك على فعل شيء؛ فإذا كنت لا ترغب بي، كان

من الأجدى لك أن تُخبرني بذلك بدل أن تفعل كل هذا».

ثمّ راح يكيّل الشتائم لـ ليو هسيانغ-لين، ويصفه بشتى أنواع الأسماء.

ليو هسيانغ-لين، وبالمثل، لم يُقتصر في توجيه الإهانات له، فقال:

- «أُنظر إلى ليو تا-يه لترى من هو، يا ابنَ السلحفاة الحمقاء الأعمى. وتتجزأ

الآن على إهانتِي! لن أقتلك، ولكنني سأجعلك تعرف من أنا».

ثمّ سحب سوطه وبدأ ينهال عليه ضرباً. وعندما بدأ هسويه بان بالآئين، سخر

ليو هسيانغ-لين منه قائلاً:

- «حسبتك رجلاً حديدياً تستطيع الحصول على ما تريد»، قال هذا وقد ازداد

حنقاً، ثمّ سحبه من خلال الأجمات إلى طرف المُستنقع وأضاف: «والآن

هل أصبحت تعرف من أنا؟»

كان هسويه بان عنيداً؛ فبالرغم من ازدياد أئينه، إلاّ أنّه لم يتفوّه بأيّ كلمة. لكنّ

هسيانغ-لين، الذي كان أشبه بالمجنون في تلك اللحظات، طرح السوط من يده،

وعاد يوجّه له اللكمات الواحدة تلو الأخرى، حتّى أصبح غير قادر على تحمل

المزيد، ثمّ التفت إلى هسيانغ-لين بعد جهد جهيد وقال ببطء شديد:

- «أعرف بأنك رجل شريف، ولكن كل ما تفعله معي الآن هو لأنني أُصدّق

كل الإشاعات التي أثيرت حولك».

وعلى الفور، ردّ ليو هسيانغ-لين قائلاً وهو يركله في صدره:

- «لا تُحاول توريط أي شخص آخر في هذا».

- «وماذا تُريدني أن أقول غير هذا؟»، سأله هسويه بان وهو يئنّ، ثمّ تابع:

«أقول بأنني قد أخطأت بما أعرفه عنك؟»

عاد ليو هسيانغ-لين يركله من جديد وهو يقول:

- «عليك أن تكون أكثر تواضعاً من هذا».

تأوّه هسويه بان بقوة، وعاد ينكزه بأسماء دلّع من جديد:

- «هوووو . . . كؤ-كؤ»

وفي الحال، فقد ليو هسيانغ-لين صبره، وراح يكيّل له اللكمات والركلات في كل أنحاء جسمه كالمجنون.

عند هذا الحدّ، قال هسويه بان وقد ازداد أنيه:

- «هاي أنت! هاو لاو-يه! سامح هذا الأحمق الأعمى، الذي لا يعود يعرف الرجال الأشراف عندما يراك. أقرّ بأنني عليّ أن أحترم لاو-يه، وأن أخشى لاو-يه منذ هذه اللحظة وحتى آخر العمر».

بدا ليو هسيانغ-لين بأنّه قد اكتفى بذلك، لكنّه قال وهو يُشير إلى ماء المُستنقع الكريه:

- «والآن إشرب من هذا الماء».

جفل هسويه بان من هذا الطلب، وقال متوسلاً:

- «الرحمة، لاو-يه»، فكيف يُمكن لأيّ شخص أن يشرب من هذا؟»

ثمّ، وبسرعة بعد أن ركّله ليو هسيانغ-لين من جديد، قال:

- «توقف، توقف، سأشرب منه».

ثمّ مدّ برأسه نزولاً إلى جذور الأعشاب وشرب ملء فمه. أصابته الرائحة الكريهة بالغثيان، فتقيأ مياهاً وخمراً وكل ما كان قد ملأ به جوفه.

- «ومن هذه الأشياء الكريهة أيضاً»، قال ليو هسيانغ-لين وقد سدّ أنفه، وهو

يُشير إلى مُستنقع سميكة من الخليط الكريه، وتابع يطلب منه: «تناول

القليل من هذه الآن، وسوف أتركك تذهب».

عند هذا، أحجم هسويه بان عن التنفيذ، وما لبث أن انحنى ويتوسّل، ولكنّه قال بأنّه لن يأكل من هذا حتى ولو قتله ليو هسيانغ-لين.

لكنّ ليو هسيانغ-لين أيضاً لم يكن قادراً على تحمّل الرائحة، فقال:

- «لا أستطيع البقاء أكثر من هذا، فهذه الرائحة تُشعرنني بالغثيان».

وما لبث أن وجّه ركلته الأخيرة إلى هسويه بان وامتطى جواده ورحل.

عجز هسويه بان عن الوقوف على قدميه، بسبب الكدمات والجروح المؤلمة،

فعاد وتمدد على ظهره، وراح يصرخ طالباً النجدة.

حينما لاحظ تشييا تشين غياب هسويه بان، أرسل ولده تشييا دجانغ برفقة أحدهم للبحث عنه. وبعد حوالي الكيلو مترين من مدخل المدينة الشمالي، شاهدا جواده هائماً لوحده، ولما اقتربا أكثر من المُستنقع، سمعا أصوات تأوهات وأنين. كان هسويه بان مُغطى بالوحول، وجهه ينزف وغير واضح الملامح. فهم تشييا دجانغ الذي حصل له، ومازحه قائلاً:

- «كيف حدث لـ هسويه تا-شُو أن يختار مكان كهذا من أجل مواعيده العاطفية؟ وهل كان يلقي استحسان الملك التنين؟»

كان من المستحيل على هسويه بان ركوب حصانه، نتيجة الجراحات والكدمات الكثيرة التي أصيب بها، ولتفادي هذه العقبة، تم استئجار عربة.

اصرّ تشييا دجانغ في البداية ساخراً بالعودة معه إلى المأدبة، لكنّ توسّل هسويه بدّل رأيه وانطلق به إلى البيت. بكت والدته وصرخت بسبب ما أصابه، وفكرت في رفع دعوى لتجبر ليُو هسيانغ-لين على دفع تعويضات. أما بريشوس فيرتشو فقد كانت أكثر تعقلاً، فأشارت إلى والدتها بأنّ هذا قد يتسبب لهم بفضيحة، عدا عن أنّه سيُعزّض هسويه بان للسُّخرية أمام رفقائه.

بعد أن تعافى هسويه بان من جروحه، غادر العاصمة من أجل إعطاء الوقت لأصدقائه لنسيان العار الذي لحق به من جهة، ومن أجل شعوره بأنّه عليه فعل شيء للتخلّص من حياته الماضية التي أمضاها بلا جدوى من جهة أخرى. في البداية، عارضت هسويه بي-ما هذه المُغامرة، لأنّها لا تثق بقدرته على التصرّف بمفرده، لكنّ بريشوس فيرتشو شجّعتَه على ذلك مُعتبرة أنّ هذا الشيء سيكون أفضل له للتفكير في شيء من التغيير بهدوء. عند مُغادرته، رافقه أحد مُديري مستودعاته على أساس أنّها ستكون رحلة عمل.

سمح غياب هسويه بان لـ بريشوس فيرتشو بأخذ لوتوس إلى تاكوان يوان للبقاء في «ويستاريا آربور» (تعريشة الويستاريا) لبعض الوقت. وقد كان والدها قد علّمها القراءة والكتابة، والآن وهي تحت وصاية بلاك دجايد، أصبحت قادرة وبسرعة على

نظم الشعر، وهو أحد إنجازاتها الذي دفع بشابات القصر إلى قبولها بينهم. في هذا الوقت، تمّ إنعاش مُجمّع الحديقة بوصول العديد من الخادِمات الشابات اللواتي حُصّصن للتجمع هناك. وكان منهن، اثنتين من بنات عمّ لي هوان-لي وبن ولي تشي، ووالدتهما الأرملة؛ وكانت أيضاً، هسويه باو-تشنين (بريشوس هارب) وشقيقتها هسويه كيُو، وهما من أبناء عم بريشوس فيرتشو. وكانت أيضاً حفيدة مدام هسينغ الصُغرى مع ابنتها هسين تي-ين (ماونتِن ريث). وكُنّ خلال قدومهن إلى العاصمة من الجهة الجنوبية، قد التقين معاً، وبعد أن اكتشفن أنّهن جميعاً مُتشابهات بالصفة والسفر إلى مكان الالتقاء نفسه، تجمّعن معاً وتابعن الرحلة سوية.

كانت الأم الكبيرة، وهي التي تُحب الرفقة، سعيدة جداً بالوصول المُفاجئ للزائرات، وأصرت على أن يبقين معها في يُونغ كُوْفُو وفي تاكوان يوان. كما أنّ شابات القصر كُنّ أيضاً سعيدات من مشهد وجود هذا العدد الكبير من الرفيقات-لا سيما وأنّ القادِمات الجديدات كُنّ خادِمات جميلات وبارعات في الوقت عينه. والواقع أنّ لي هوان و بريشوس فيرتشو وولكوم سبرينغ، وهنّ الأكثر التصاقاً بالزائرات، كُنّ أكثر سعادة من الجميع.

كانت بريشوس هارب، قد أثرت في قلب الأم الكبيرة أكثر من البقية؛ فطلبت من مدام وانغ أن تتخذها بمثابة إبنة بالتبني، وأن تعتبرها أيضاً مُتناسبة ومُتكافئة مع باو-يُو. سألتها الأم الكبيرة عن عمرها، وعن ساعة ويوم وشهر ولادتها. وبعد أن أدركت هسويه يي-ما نية الأم الكبيرة، نهتها إلى أنّ بريشوس هارب مخطوبة إلى عائلة من آل ماي، وقد حضرت إلى العاصمة حقيقةً، إستعداداً لزفافها.

عاشت بريشوس هارب مع بريشوس فيرتشو. وسُرعان ما أصبحت من أفضل صديقات بلاك دجايد، لأنّها كانت فتاة موهوبة واستثنائية، وبعد أن اكتشفت ذكاء بلاك دجايد، لم تخف هي أيضاً إعجابها بها.

عاشت بنتا عمّ لي هوان معها في «رايس فيليج» (قرية الأرز)، وتشاركت ماونتِن ريث السكّن في «بروكايد تشامبر» (غرفة التطريز) مع ولكوم سبرينغ. كانت ماونتِن ريث تختلف عن مدام هسينغ، وأعجب الجميع بدمائة خلقها وتهذيها. أمّا فينيكس

التي أحببتها، فقد كانت تستغل كل فرصة من أجل تقديم يد العون لها - لأنها كانت تعرف أن أفراد أسرة هسينغ لم يكونوا من الأغنياء.

وحدث أيضاً في هذا الوقت تقريباً، أن عُنِيَّ عمّ ريفر ميست، في أحد المناصب في المُقاطعة، فاضطرت العائلة إلى مُغادرة العاصمة. ولما كانت الأم الكبيرة ترفض ذهابها، فقد عملت مع عائلتها على ترتيب بقائها في يونغ كوفو. فقدّمت لها الأم الكبيرة جناحاً خاصاً، لكنّ ريفر ميست فضّلت البقاء مع بريشوس فيرتشو. وهكذا، أصبح جميع من يعيش في تاكوان يوان، أو من هم مرتبطين بهذا المكان بطريقة أو بأخرى، حوالى الثلاثة عشرة شخصاً من اليافعين، بمن فيهم فينيكس وباو-يؤ؛ كانت لي هوان أكبرهم، تليها فينيكس. أما الأخريات-ولكوم سبرينغ، كويست سبرينغ، كومباشن سبرينغ، بريشوس فيرتشو، بلاك دجايد، ريفر ميست، لي وين، لي تشي، بريشوس هارب، وماونتن ريث-كُنّ جميعاً من نفس الأعمار تقريباً، ما بين الخامسة عشرة أو السابعة عشرة، وبتواريخ ميلاد مُختلفة. وحتى هُنَّ أحياناً كُنَّ يضعن عن أعمار بعضهنّ البعض، ويُنادين بعضهنّ بأسماء خاطئة.

الفصل السابع والعشرون

وفيه تأخذ القوية كويست سبرينغ مسؤوليات فينيكس

بسبب مرضها

وتتسبب المتخبطة تشاوي-نيانغ بالإذلال لابنتها

كانت فينيكس حاملاً منذ بضعة شهور، ولكن بما أنها ذات طبيعة نشيطة، لم تستطع أبداً إهمال أي من واجباتها العديدة التي كانت تأخذها على عاتقها. كان موسم السنة الجديدة الذي مرّ للتوّ، من أكثر المواسم إرهاقاً لها، وبالرغم من معرفتها لحالتها، إلا أنها لم تعمل على إراحة نفسها. وكانت النتيجة أنها أجهضت حملها مباشرة بعد عيد الفوانيس. وحدثت بالتالي بعض المضاعفات وأصبحت ملزمة بالبقاء في فراشها. ولم يكن هذا في الحقيقة، إلا كارثة لها؛ فهي تُحب ممارسة الحياة المليئة بالنشاط والحيوية، والشعور بأهمية نفسها وبالحاجة الماسة إليها من قبل الجميع. فخفت في ظلّ الخمول، وتمنت لو أنها تتحسن سريعاً من أجل العودة إلى إدارة الأعمال من جديد. لكنّها لم تكن بالقوة الكافية التي تُفكر فيها، ولم تتحسن كلياً إلا في أواخر الشهر الثالث من تاريخ الإجهاض.

شعرت مدام وانغ بأنها من دون فينيكس ستكون عاجزة تماماً، كما لو أنها قد فقدت يدها اليمنى. فحاولت الاهتمام بالأمر الأكثر أهمية بنفسها قدر المستطاع، وعهدت بالأمر الأقل أهمية إلى لي هوان. وكانت هذه الأخيرة تُعرف بفضيلتها وإخلاصها أكثر من قدراتها ومهاراتها في إدارة الأشياء. وكانت ومن دون أن تدري تُدلل الخدم والخادמות. ولذلك، طلبت مدام وانغ من كويست سبرينغ مساعدتها.

إلا أنها، وبعدها تبين لها لاحقاً أن مرض فينيكس سيطول أكثر، أدرجت اسم بريشوس فيرتشو على لائحة المُساعدات.

كان الخدم-كل الخدم-رجال ونساء، سُعداء بهذا التغيير الدرامي في الأحداث، لأنهم كانوا يعلمون مدى طيبة وتسامح لي هوان معهم. كانت كويست سبرينغ مجهولة القدر بالنسبة لهم، لكنهم لم يكونوا يعيروها أي اهتمام. كما أنها كانت لا تزال خادمة عازبة وقد كانت بسبب تواضعها وخجلها الزائدين، قابلة وسهلة للعمل. وهكذا أصبح جميع الخدم سُعداء بازدهار أوقات العمل البسيطة والسهلة في الفترات القادمة. لكنهم، وبعد بضعة أيام، تبين لهم أنهم كانوا على خطأ في حساباتهم بالنسبة إلى كويست سبرينغ؛ صحيح أن أخلاقها كانت أقل حدة، ولسانها أقل تسلطاً من فينيكس، لكن اهتمامها بأدق التفاصيل، وقدرتها الخارقة في الكشف عن المخالفات، جعلها تتفوق على فينيكس بأشواط عديدة.

وقد وقعت إحدى الحوادث يوماً، وفرت لـ كويست سبرينغ الفرصة لتبرهن للخادِمات وللجميع بأنها لم تكن من اللواتي يُمكن العبث أو المزاح معها؛ كانت هي ولي هوان كالعادة تجلسان في قاعة المجلس، عندما وصلت زوجة وُو هسين-تينغ لتخبرهما بأن تشاو كيو-تشي-شقيق تشاو بي-نيانغ-قد تُوفي. وقالت:

- «لقد نقلتُ الخبر إلى لاو تاي-تاي، فقالت بأنني يجب عليّ أيضاً إبلاغ كُو-نيانغ».

بعد هذا، وقفت زوجة وُو هسين-تينغ تنتظر تعليق وقرار كويست سبرينغ في ما يتعلق بموضوع الوفاة. بالإضافة إلى إنتظار العديد من الخدم والخادِمات في البهو الخارجي لسماع ما ستقوله كويست سبرينغ؛ فإن كانت ستتخلص من هذه المسألة بطريقة مناسبة، فإنهم سيحترمونها؛ وإن لم تفعل ذلك، فسيكون لهم المُبزر على ضوء القرار الذي تتخذه. . . وعادة ما كانت تقوم زوجة وُو هسين-تينغ بتذكير فينيكس وإعلامها بطبيعة العرف الذي كان سائداً من قبل في مثل هذه الحالات، وما الذي يجب فعله على ضوء الحالات التي مرّت، تاركة لها اختيار الأفضل من الاقتراحات التي تراها مناسبة، لكنّها لم تفعل هذه المرّة من أجل مُساعدة كويست سبرينغ.

التفتت الأخيرة إلى لي هوان وسألته عن الذي يُمكن فعله. فكّرت لي هوان
لدقيقة ثم قالت لها:

- « طالما أنّ بيرفايدينغ فريغرانس قد حصلت على أربعين تايلاً عند وفاة
والدتها، فأرى أننا علينا دفع المبلغ نفسه إلى عائلة تشاو».

أجابت زوجة وو هسين-تينغ بنعم، وهمّت بالمُعادرة عندما أوقفتها كويست
سبرينغ، وقالت لها:

- « لا تذهبي الآن. دعيني أطرح عليكِ بعض الأسئلة. في جناح لاو تاي-
تاي، هناك العديداً من لاو بي تاي-تاي.⁽¹⁾ بعضهم من أتباعنا، وبعضهم
قد قدّم من الخارج. هل بإمكانك أن تقولي لي ما العرف الذي كان سائداً
في حالة الوفيات في العائلات من اللواتي هنّ من أتباعنا، أو من اللواتي
أتين من الخارج؟»

لم تستطع زوجة وو هسين-تينغ تذكر الحالات السابقة من هذا النوع، فتملّصت
من السؤال وقالت وهي تبتسم:

- « لا يهم، طالما أنّ كو-نيانغ تستطيع أن تُعطي حكمها الخاص في ذلك؛
فمن الذي سيهتمّ أكان المبلغ كبيراً أم كان قليلاً؟»

قالت كويست سبرينغ مُبتسمة ولكن بحزم:

- « من الصعب فعل ذلك. بإمكانني أن أدفع حالياً مائة تايل، ولكن إن لم يكن
ذلك مُطابقاً للعرف السائد، فلن تضحك جماعتك مني فحسب، بل أنني
سأخجل من مُواجهة سيدتك يز ناي-تاي التي أعمل لحسابها».

قالت زوجة وو هسين-تينغ:

- « في تلك الحالة، سأذهب للاطلاع على السجلات القديمة، لأنني لم
أتمكّن من تذكّر المسائل القديمة بهذا الخصوص».

تبسّمت كويست سبرينغ من جديد، بشيء من السخرية، وقالت لها:

(1) خليلات أو محظّيات جدّ باو-يو الأكبر.

- «لقد تمّ تأمينك على الكثير من هذه الأمور ولسنوات عديدة، ومع ذلك لا تتذكرين؟ فهل أنتِ مُستعدة لتوسل السماح من سيدتك يز ناي-ناي في هذه الحالة؟ أعتقد بأنها كانت سيّدة صارمة ودقيقة، ولكن إن كانت قد تغاضت عن هذا النوع من عدم الأهلية، فأعتقد أنها كانت مُتساهلة إلى أبعد الحدود. . . والآن، هيّا اذهبي وأعيدي تلك السجلات».

فاض وجه زوجته ووُ هسين-تينغ احمراراً، وانصرفت على عجل بارتباك وحيرة. كان الخدم الذين ينتظرون في البهو الخارجي يقفون وهم فارهي الأشدق باستغراب.

كشفت السجلات في ما يتعلّق بمحظيات الراحل تشيا تاي-شان، أن اثنتين كانتا ابنتين للعائلة الخادمة، واثنتين كانتا من خارجها. ففي الحالة الأولى، كان المبلغ الذي تمّ دفعه لتكاليف وفاة كل واحدة أربعة وعشرين تاياً. وفي الحالة الثانية تمّ دفع أربعين. بالإضافة إلى أن اثنتين أُخرَيَيْن من الخارج تلقّتا مائة تايل وستين تاياً على التوالي، ولكن كان هناك سبباً خاصاً لدفع المبلغ الإضافي. وطالما أنه لا توجد أيّ اعتبارات خاصة في حالة الوفاة الراهنة، فقد أمرت كويست سبرينغ بدفع أربعة وعشرين تاياً فقط لعائلة تشاو كيُو-تشي، من حيث أنها عائلة خادمة.

بعد أن غادرت زوجة ووُ هسين-تينغ بقليل، وصلت تشاو يي-نيانغ وقالت باستياء:

- «كل واحد يحاول الآن أن يدوس على رأسي بدوره. لا بد لي من الاعتقاد بأن كُو-نيانغ على الأقل ستقف في وجهي».

ثم انفجرت في البكاء. فقالت كويست سبرينغ:

- «ومن يتجرأ أن يطأ رأس يي-نيانغ؟ وما الذي تعنيه يي-نيانغ؟ أخبريني وسوف أعمل ما باستطاعتي لحمايتك».

قالت يي-نيانغ:

- «إنها كُو-نيانغ نفسها».

وعلى الفور، نهضت كويست سبرينغ من مكانها وقالت:

- «وما الذي تُشير إليه بي-نيانغ؟ لم أحلم أبداً بأن أفعل شيئاً كهذا». في هذه الأثناء، نهضت لي هوان أيضاً وحاولت تهدأة تشاو بي-نيانغ، التي خطت خطوة إلى الأمام وقالت:

- «لقد خدمت لاو-يه للعديد من السنوات، والآن لديك أخيك أيضاً. ولكن يبدو أنني لستُ بأهمية هسي-جين. إنه إذلال، ليس لي فقط، بل لـ كؤ-نيانغ نفسها».

تبست كويست سبرينغ وقالت:

- «ألهذا تتذمر بي-نيانغ؟»، ثم رفعت السجلات وعرضتها أمام تشاو بي-نيانغ، وتابعت: «أرايتِ هنا، لم تكن لديّ الجراءة على كسر الأعراف التي لا تزال مُتبعَة منذ الأجداد. فإذا ما أرادت هوان-يز أن تتخذ يوماً ما خادمة من والدين خارجيين، فسوف يحصل أهلها على ما حصلت عليه هسي-جين تماماً. وهذا كله يتعلّق باتباع الأعراف ليس إلّا؛ إذ ليس هناك ما له علاقة بالشرف أو بالإذلال. إن تشاو كيؤ-تشي هو خادم تاي-تاي. وما همّني إذا ما تسلّمت عائلته ألف تايل من تاي-تاي أو لم تتسلّم أي شيء؟ ولسوف أقترح على بي-نيانغ أن تتقاعد وتُريح نفسها، وأن لا تدع هذا النوع من التفاصيل يُتعبها. أنتِ تعلمين بأن تاي-تاي طيبة معي، ولكنني، ولأكثر من مناسبة، قد تعرّضت للإذلال والحزن بسبب بي-نيانغ. ولو أنني كنتُ ولدًا، لغادرت هذا المكان وحضنت نفسي بالكثير من الانجازات. ولكن، ويا للأسف، فأنا لستُ فتاة ومُرتبطة بخدمة الأجنحة الداخلية لهذا القصر. لقد كانت تاي-تاي عميقة التفكير بما فيه الكفاية لفهم موقفي، وقد كرمّنتي بتكليفي بتسلّم زمام الأمور، والآن، ها هي بي-نيانغ قد جاءت لتُصعّب عليّ الأمور. فإذا ما علّمت تاي-تاي بهذا، مع عدم رغبتها لأن تراني أخوض في موقف صعب، فلسوف تعفيني من واجباتي، وسيكون ذلك بمثابة عار حقيقي عليّ وعلى بي-نيانغ بالمثل».

وعند هذه النقطة، انفجرت كويست سبرينغ بالبكاء هي الأخرى. وكانت تشاو

بي-نيانغ عاجزة عن التفكير في ما تقوله في هذا الموقف. وهكذا حاولت لمس أحد المواضيع الدقيقة فقالت تُخاطب كويست سبرينغ:

- «يجب على كو-نيانغ مساعدتنا طالما أنها ذات تأثير مهم لدى تاي-تاي. ويبدو أنك قد نسيتينا في خُصم حرسك على كسب ود تاي-تاي».

قالت كويست سبرينغ:

- «لا أبداً، أنا لم أنس. لكنني لا أفهم لماذا عليّ حمل كل هذه الأشياء على كتفي؛ فكل الأسياد يُكافون جميع المُخلصين والموظفين المستحقين. وهم لا يحتاجون إلى المساعي الحميدة من الآخرين».

حاولت لي هوان تحقيق السلام ما بين كويست سبرينغ ووالدتها، فقالت:

- «لا تغضبي بي-نيانغ. أنا أكيدة من أن كو-نيانغ ستساعدك، لكنها لا ترغب بقول ذلك علانية».

أجابتها كويست سبرينغ:

- «لا تكوني سخيفة إلى هذه الدرجة، ساو-ساو. من ذا الذي سَمِع بسيدة تُشغل نفسها بأمور الخدم؟ وما هي شؤونهم بالنسبة لي؟»
إستاءت تشاو بي-نيانغ من لهجة ابنتها الشكلية، فقالت:

- «لم أطلب منك أن تنغمسي في شؤون الخدم. ولكنك الآن تمسكين بزمام الأمور. فإذا قُلتِ واحد فهو واحد، وإذا قُلتِ اثنتين فهما اثنتين-فمن ذا الذي يتجرأ على قول العكس؟ أما بالنسبة إلى مُخصصات جنازة عمك، فأنا أكيدة من أن تاي-تاي لن تُعارضك لو دفعتِ عشرين أو ثلاثين تايلاً إضافية؛ فكما تعلمين تاي-تاي كريمة وسخية، لكنك تُحاولين أن تظهرين عكس ذلك. ولماذا على كو-نيانغ أن تكون مُقتصدة؟ فهي ليست أموالك الخاصة. لطالما تأملت أن تتذكري عائلة تشاو، حتى من بعد زواجك. ولكن يبدو أنك قد نسيتِ الحُضن الذي ربّاك حتى قبل أن يبت ريشك».

ايض وجه كويست سبرينغ وفاضت غضباً عند سماع هذا الكلام، فقالت باكية:

- «ومن هو عمي؟ عمي هو الرجل الذي عُين للتو مُفتشاً عسكرياً على

المُقاطعات التسع. فمن أين أتى هذا العم الآخر الذي ذكرته؟ لقد كنتُ حتى الآن أراعي الأمور، ولكن ذلك لم يجلب لي إلا الأقراب الذين لم أسمع بهم ولا أعرفهم. فإذا كان ما كل تقولينه صحيحاً، لماذا أرى تشاو كيؤ-تشي ينهض ويقف احتراماً كلما خرج هُوَان-يُز من المنزل، ومن ثم للحاق به إلى المدرسة، بدلاً من أن يتصرّف كعم؟ بي-نيانغ، لا تكوني سخيفة. فمن لا يعلم بأنك أنتِ من وُلدني ووهبني الحياة؟ وما هو الدّاعي لكي تُكرّري هذه الحقيقة الواضحة في كل مرة تسنح لكِ الفرصة لذلك؟ أنتِ تقولين بأنني أتسبب لك بالإذلال، ولكن الحقيقة الواضحة هي أنكِ أنتِ التي تتسببين لي بالإذلال والتحقير».

حاولت لي هُوَان تهدة تشاو بي-نيانغ، ولكن الأخيرة استمرّت بالتبرّم ولم تتوقّف إلى أن وصلت باشينس برسالة من فينيكس.

- «تعتقد يُز ناي-ناي بأن تا ناي-ناي وسان كؤ-نيانغ قد لا تعلمان حجم المُخصّص المالي الذي يُمكن دفعه في ما يتعلّق بموت شقيق تشاو بي-نيانغ»، توقّفت باشينس قليلاً تنظر من حولها، ثم تابعت: «وقالت فينيكس بأن القاعدة تقول بدفع أربعة وعشرين تايلاً، ولكن في هذه الحالة، يُمكن لـ سان كؤ-نيانغ أن تسمح بدفع مبلغ أكبر إذا ما رغبت في ذلك».

وفي الحال، قالت كويست سبرينغ تسأل:

- «ولماذا الاستثناء في هذه الحالة؟ فهل لدينا هنا أي رجل قد استغرقت ولادته أربعة وعشرين شهراً، أو أنقذ حياة سيّده كما فعل تشياؤ تا في القصر الآخر؟ ويا لها من مهارة عند سيّدتكِ ناي-ناي، التي تُحاول أن تُحمّلي مسؤولية خرق القواعد، والعمل في الوقت نفسه على كسب الصيت الحسن في الكرم والجود! قولي لسيّدتكِ ناي-ناي بأنني لن أتجرأ على تحمل هذه المسؤولية. وإذا ما كانت تُريد أن تكون سخية، فما عليها إلا أن تنتظر وقت عودتها للإمسك بزمام الأمور من جديد».

لاحظت باشينس عند وصولها أنّ الأجواء ليست على ما يُرام؛ لكنّها الآن، وبعد

كلام كويست سبرينغ فهمت الموضوع. فقد كانت تُصغي بصمت واحترام عندما كانت كويست سبرينغ تتكلم، بالرغم من أنها عادة ما تبدو كأخت ورفيقة أكثر من كونها خادمة في يُونغ كُوفُو الخاص بسلالة باو-يو.

في هذه الأثناء، وصلت بريشوس فيرثشو مبعوثة من طرف مدام وانغ، وانضمت إلى كويست سبرينغ و لي هوان. ووصلت في الوقت نفسه إحدى الخادמות تحمل جفنة من الماء إلى كويست سبرينغ لغسل وجهها المُبَقع بالدموع. وما إن انحنت إلى الجفنة، حتّى دخلت خادمة أخرى، ومن أن دون أن تنتظر انتهائها، بدأت بالكلام:

- «لقد بعثت المدرسة بأحدهم يطلب المُخصّصات المالية المُتعلّقة بكل من هوان-يه ولان-كُو».

- «ولماذا أنت مُستعجلة؟»، سألتها كويست سبرينغ بنبرة حادة، وتابعت: «ألا ترين بأنّ كُو-نيانغ مشغولة؟ أتجروين على المثل أمام يز ناي-ناي؟ قد تكون كُو-نيانغ متسامحة، ولكن لا تلوميني إذا ما وصل هذا إلى مسامع يز ناي-ناي، ووجهت إليك ما تستحقين على قلة الأدب».

وفي الحال، خفت الخادمة إلى القول بتملّق وهي تُغادر:

- «كم أنا غبية!»

بعدها، قالت كويست سبرينغ لـ باشينس وهي تضع مساحيق التجميل على وجهها:

- «كان عليك أن تري شيئاً أكثر سخافة-لقد كان ذلك من وُو تشيه-تشيه، التي تصرّفت على سجيّتها؛ فقد جاءت تحمل لي تعليمات من دون أن تتعمّق في التجارب السابقة المُتعلّقة بالقضية. لم أكن أعرف أنّ سيّدتك ناي-ناي صبورة إلى هذا الحدّ على اللامبالاة وعدم الكفاءة».

- «لن تتسامح مع ذلك»، قالت باشينس، وأكملت: «إنّهن فقط يُحاولن الاستفادة من تاي ناي-ناي وكُو-نيانغ»، ثمّ التفتت نحو الباب، فقالت تُتابع وقد رفعت صواتها عالياً من أجل إسماع الخادومات اللواتي يقفن خارج الباب لاستراق السَّمع: «أمضين قُدماً والعبن الحيل التي ترغبن بها،

ولكن انتظرون لترين ما الذي سيحدث لكنّ عندما تتحسن حال يز ناى-
ناى».

بعدها، استدعت كويست سبرينغ الخادمة التي جاءت من أجل مُخصّصات
المدرسة، وسألتها:

- «ولما هذا البدل السنوي؟»

أجابت المرأة:

- «إنّه من أجل المُرطبات والقرطاسية». ويبلغ كل مُخصّص ثمانية تايلات في
السنة».

سألتها كويست سبرينغ من جديد، ولكن بلهجة حازمة:

- «ولماذا يُريدانها وكل منهما يحصل على مُخصّص شهري خاص به؟»

وفي الحال، سجّلت كويست سبرينغ ملاحظتها، وأمرت بإلغاء هذه
المُخصّصات. ثمّ استدارت إلى باشينس وقالت:

- «عودي الآن واخبري سيدتك ناى-ناى بالذي فعلته، فأنا لا أرى ضرورة
لهذا النوع من المصاريف».

عملت كويست سبرينغ أيضاً على إدخال عدد من الإجراءات على أسس
مدروسة للحدّ من النفقات ومنع المُخالفات التي تقع من جهة وكلاء الأعمال لا
سيّما في حقل المُشتريات. من هذه الإجراءات مثلاً: أن توضع مسكبات الأزهار،
والأشجار والأجمات، ومُستنقعات اللوتس، وبساتين الخيزران، وغيرها من
مصادر مُنتجات تاكوان يوان، تحت إشراف مجموعة متنوّعة من الخُدّام المؤهلين
والمستحقين؛ فقد عهد إليهم حفظ الأشياء في أحسن حالاتها، وتزويد العائلة بأنواع
وأجزاء مُعيّنة من المُنتجات وفقاً للموسم المعنيّ. كان الكثير من الموظفين يرغبون
في جعل العروض نقدية لتأمين استمرارية الامتيازات (من حيث أنّ تاكوان يوان
ذات مساحات هائلة، وكان هناك مجال لتحقيق الربح الحقيقي والجيد عن طريق
بيع الأزهار، وبراعم الخيزران، وجذور اللوتس، والتفاح... إلخ)، لكنّ كويست
سبرينغ قد عيّنت فقط الخادِمات القديمات من ذوات السجلات النظيفة في هذا

المجال. وقد تنازلت عن الأموال التي يقدمنها، لكنها اقترحت عليهن توزيع قسم من ربحهن على زميلاتهن الأخريات في مجمّعات الحديدية-وبهذه العملية، تبتعد الأخريات عن الحسد والغيرة، أو عن افتعال التلف المُتعمّد في المُنتجات. سُرّت فينيكس عندما سمعت بهذه الإصلاحات التي أدخلتها كويست سبرينغ، فقالت تُخاطب باشينس:

- «لطالما كنت أقول بأنّ سان كو-نيانغ هي مُساعدة ذكية وحاذقة. إنّها تقوم بعمل جيّد، ولكن من المؤسف أنّها لم تولد من تاي-تاي».
- «وما الفرق الذي قد يُحدثه ذلك؟»، سألت باشينس، وأضافت: «ومن يتجرّأ على النظر إليها بأيّ نظرة مُغايرة؟ أو ليست يابنة من لاو-يه؟»
- «هذا صحيح من الناحية النظرية»، أجابتها فينيكس، وتابعت: «أمّا من الناحية العملية، فهي لا تفرق عن أيّ كو-نيانغ آخر طالما هي في منزلنا. لكنّها في النهاية ستزوِّج؛ فهُنالك الكثير من الناس الذين يُفضلون بنات الزوجة الأولى على البنات من الخليلات أو المحظيات. وهذا بالطبع مفهوم سخيف إلى أبعد الحدود، وقد يخسر المرء حفيذة ذكية وحاذقة بسبب هذه التفاهة. ولكن بالرّغم من ذلك، يبقى هذا المفهوم ويستمر».

الفصل الثامن والعشرون

وفيه تُظهر كوكو كم هي معنية بمُستقبل سيّدها
ويُقدّم باو-يو دليلاً جديداً على أنّه لا يستطيع العيش
من دون بلاك دجايد

في أحد الأيام، ذهب باو-يو إلى «بامبو ريثريت» (مُتجمع الخيزران) لرؤية بلاك دجايد، التي كانت حينها تأخذ قيلولته ولم تشأ أن يزعجها أحد، ولذلك، انضمّ إلى بيربل كوكو، التي كانت تجلس على الشرفة تنجز بعض أعمال الخياطة.

سألها باو-يو عن وضع بلاك دجايد:

- «هل خفت سعالها الليلة الماضية؟»

- «نعم، ولكن ليس بشيء يُذكر».

- «يا للأسف! أتمنى أن تتعافى سريعاً وإلى الأبد».

تبسّمت بيربل كوكو وقالت:

- «إنها لمفاجأة في الواقع حينما تتوسّل باسم بوذا».

كانت بيربل كوكو ترتدي معطفاً من الحرير بلون الحبر الأسود المُبطّن بطبقة رقيقة من القطن وسترة من الساتان الأخضر.

تلمّس باو-يو ثوبها وقال:

- «لا يجب أت تجلسي في الهواء وأنت ترتدين هذا الثوب الخفيف. فلا أمان للطقس. وسوف أزداد قلقاً إذا ما مرضتِ أنتِ أيضاً».

سحبت بيربل كوكو نفسها بعيداً وقالت:

- «لنتكلم في ما نريد من الآن فصاعداً. ولكن أرجو منك ألا تلمسني. فالمرء يزداد عُمرأ كل سنة، وهناك أناس يحبون القيل والقال. يجب علينا أن لا نتصرف كما لو كنا لا نزال أطفالاً؛ فكثيراً ما أوصتنا كو-نيانغ ألا نتحدّث إليك. ألا ترى أنّها هي نفسها تُحاول أن تبقى بعيدة عنك قدر الإمكان أيضاً؟»

وما لبثت أن أنهت كلامها، حتى نهضت وغادرت المكان.

أحسن باو-يؤ بالإساءة؛ فوقف قليلاً يُحدّق في بستان الخيزران، ثمّ جلس على صخرة. . . وبدأت دموعه بالانهمار. وبعد انقضاء فترة لا بأس بها من الوقت، رآته سنؤ داك وهي عائدة من إحدى مأمورياتها، وسألته تستفسر عن سبب جلوسه هناك كالحجر.

فقال لها بنبرة حزن ممزوجة بالحنق:

- «ولماذا تتحدّثين معي؟ ألسنتِ بفتاة أيضاً وتخشين من كلام الناس؟ فابتعدي عنيّ قبل أن يراك أحد».

ظنّت سنؤ داك بأنّ كلامه بهذا الطريقة يُفسّر على أنّه قد دخل في شجار جديد مع بلاك دجايد. تركته وانصرفت إلى بيربل كوكو تُخبرها بما حصل، ثمّ سألتها:

- «من الذي أساء إليه مرة أخرى؟ إنّه يجلس هناك ويكي بمرارة».

وعلى الفور، هرعت بيربل كوكو إليه، وقالت تسترضيه:

- «كنتُ أفكر فقط بما هو أفضل لكلينا. فلا يجب أن تستاء من ذلك وتجلس هنا في الهواء، فماذا لو أصابك الرّشح ومرضت؟»

- «لا، لست بمُستاء»، ردّ عليها باو-يو، وتابع: «إنّ كل ما قلتيه كان صحيحاً تماماً، ولكن إذا تكلم كل واحد وفكّر بطريقتك، فلن يطول الأمر إذن لينصرف عني الجميع. وهذا في الواقع هو سبب حزني».

وفي الحال، تقدّمت بيربل كوكو وجلست بقربه، فيما استكمل هو كلامه قائلاً:

- «قبل قليل فقط، تركتيني فجأة لمجرد أنني جلستُ أمامك. والآن، ها أنت تجلسين إلى جانبي مباشرة! ألا تخافين من كلام الناس؟»

- «يبدو لي أنك قد نسيت نهائياً الموضوع الذي كنت تتحدث عنه منذ فترة»، قالت بيربل كوكو مُستهجنة، وتابعت مُتجاهلة تماماً ملاحظة باو-يو: «أتذكر أنك منذ بضعة أيام خلت، كنت أنت وسيدتنا كو-نيانغ تخوضان في حديث ما، عندما وصلت تشاو بي-نيانغ وقاطعتكما ؛ لقد سمعتك تذكر شيئاً في حديثك يتعلق عن «عش الطير»»⁽¹⁾

صمت باو-يو قليلاً، ثم قال:

- «أوه، نعم. كنت أفكر حينها، بأنه يجب علينا أن لا نُحمّل باو تشيه-تشيه أكثر من طاقتها، لا سيّما عندما سمحت لين ماي-ماي لنفسها بأخذ «عش الطير» كل يوم. ولهذا، كنت أرمي إلى إخبارها بأنني سأتحدث بهذا الخصوص مع لاو تاي-تاي، ولقد فعلت ذلك. وبعد أن عرفت أنها قد بدأت فعلاً بإرسال طبقٍ منه كل يوم، توقفت عن الخوض في هذا الموضوع من جديد».

- «إذن هذا هو السبب، شكراً كثيراً لك. لكنني كنتُ أتساءل كيف حدث أن تذكرتنا لاو تاي-تاي بهذا الشكل المفاجئ».

- «حسناً، قال باو-يو، وأضاف: «فإن كانت ستأخذه كل يوم، فسُصبح فعلاً، في حالة أفضل في خلال عامين أو ثلاثة».

- «نعم، ولكن من أين سيتم تأمين المال من أجل هذا في السنة المُقبلة عندما تعود إلى البيت؟»

بدا باو-يو مشدوهاً لما سمع، فقال:

(1) هو نوع من الحساء الصيني، غالي الكلفة، يتكون من لعاب الطيور، بعد أن يكون قد جف وتصلب. يُعتبر هذا النوع من الحساء مُنشطاً قوياً، ويُساعد على حماية الجسم وخفض الإصابة بالالتهابات والحمول الجسدي... إلخ.

- «أَيَّ بَيْتِ؟»

- «أَقْصِدُ سَوْشُو بِالطَّبْعِ، لِأَنَّ كُو-نِيَانِغَ سَتَعُودُ إِلَى سَوْشُو».

- «مَا هَذِهِ التَّفَاهَةُ!»، قَالَ بَاو-يُو، وَأَكْمَل: «بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ سَوْشُو هِيَ مُسَقَطُ رَأْسِهَا، فَنَحْنُ نَعْلَمُ بِأَنَّ وَالِدَيْهَا لَمْ يَعُودَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَلِهَذَا السَّبَبُ أَسَاسًا جَاءَتْ لِلْعَيْشِ مَعْنَا. فَلِمَنْ تَذْهَبُ إِذْنِ لَوْ غَادَرْتَ مِنْ هُنَا؟ وَهَذَا مَا قَصَدْتَهُ بِأَنَّ مَا تَقُولِينَهُ عَنِ الْعُودَةِ إِلَى سَوْشُو هُوَ كَلَامٌ هَرَاءٌ بِهَرَاءٍ».

ضَحَكَتْ كُو كُو بِيْرُودَةَ، وَقَالَتْ لَهُ:

- «إِنَّكَ قَلِيلُ التَّفَكِيرِ جَدًّا بِالْآخِرِينَ. فَهَلْ تَعْتَقِدُ بِأَنَّكَ الْوَحِيدَ الَّذِي لَدَيْهِ أَقَارِبُ؟ لَقَدْ بَعَثْتَ لَوِ تَاي-تَايَ بِطَلْبِهَا لِأَنَّهَا تُرِيدُهَا بِقُرْبِهَا، لَكِنَّهَا سَرَعَانَ مَا سَتُصْبِحُ فِي سَنَةِ الزَّوْجِ، وَسَتُرْسَلُهَا لَوِ تَاي-تَايَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى سَوْشُو لِكَيْ تَتَزَوَّجَ؛ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَوِ تَاي-تَايَ هَذَا، فَسِيَحْضُرُ آلُ لِينِ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَجْلِ إِعَادَتِهَا، لِأَنَّهُمْ سَيَعْتَبِرُونَ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّائِقِ لَهَا أَنْ تَعِيشَ طَوَالَ عَمْرِهَا عِنْدَ الْأَقَارِبِ. وَكَانَتْ كُو-نِيَانِغَ قَدْ أَخْبَرْتَنِي اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ إِعَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ كَانَتْ قَدْ أَعْطَيْتَ إِيَّاهُ مِنْ قَبْلِ. وَبِالْمِثْلِ، قَالَتْ بِأَنَّ أَشْيَاءَكُمْ قَدْ أَصْبَحَتْ جَاهِزَةً لَدَيْهَا لِإِعَادَتِهَا إِلَيْكَ أَيْضًا».

وَقَعَ هَذَا الْكَلَامُ الْأَخِيرَ عَلَى رَأْسِ بَاو-يُو كَوْقُوعِ الصَّاعِقَةِ، بَيْنَمَا كَانَتْ كُو كُو قَدْ صَمَتَتْ بِانْتِظَارِ مَا سَيَقُولُهُ. وَلَمَّا حَاوَلَتْ الْكَلَامَ مِنْ جَدِيدٍ، وَصَلَتْ بِرَايْتِ دِيْزَايِنِ لَتَفْقَدَهُ. حِينَمَا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ، بَقِيَ صَامِتًا، وَقَدْ بَدَأَتْ قَطْرَاتُ التَّعَرُّقِ تَنْزَلُ إِلَى حَاجِبِيهِ. شَعُرَتْ بِبِرْفَايْدِينِغِ فَرِيغْرَانْسِ بِالْقَلْقِ وَالْخَوْفِ، لَكِنَّ مَا أَفْزَعَهَا أَكْثَرَ شِدَّةً تَفَرُّسَهُ فِي الْأَشْيَاءِ وَضِيَاعِهِ الْوَاضِحِ. فَكَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَلْقِيَ لَوْ نَاوَلْتَهُ وَسَادَةٌ، وَمُمْكِنُ أَنْ يَجْلِسَ هَامِدًا لَوْ شَدَّدْتَهُ، وَأَنْ يَشْرِبَ الشَّايَ لَوْ أَحْضَرْتَهُ لَهُ-لَكِنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ بِطَرِيقَةِ آلِيَّةِ كَمَنْ فَقَدَ السَّيْطِرَةَ عَلَى عَقْلِهِ وَإِرَادَتِهِ.

لَمْ تَعْرِفْ بِبِرْفَايْدِينِغِ فَرِيغْرَانْسِ وَلَا غَيْرِهَا مِنَ الْخَادِمَاتِ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ فِعْلَهُ. كَنْ لَا يُرْدُنْ إِرْسَالُ أَيِّ خَبِيرٍ إِلَى الْأُمِّ الْكَبِيرَةِ دُونَ التَّأَكُّدِ مِنْ رِزَانَةِ سَلُوكِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، أُرْسِلَتْ لَهَا لِي-مَا-مَا تُخْبِرُهَا بِالْأَمْرِ. نَظَرَتْ إِلَيْهِ، وَجَسَّتْ نَبْضَهُ، وَوَكَزَتْ

وجنتيه بأظافرها، لكنّه لم يكن يشعر بأيّ شيء. وإثر هذا، أطلقت لي ما-ما تأوهاتنا الحزينة وانفجرت باكية، قائلة أنّها قد أسعفت باو-يو ولكن من دون نتيجة. وارتعت بيرفايدينغ فريغرانس وشعرت وكأنّ العالم مُقبلٌ على النهاية، ثمّ راحت تطرح الأسئلة على برايت ديزاين وهي تبكي، في محاولة منها لتفسير ما أصاب باو-يو؛ فسألته عن المكان الذي وجدته فيه، وعن الظروف التي كان فيها عندما وجدته، ومع من كان يتكلّم. ثمّ هرعت إلى «معزل الخيزران»، بعد أن أخبرتها برايت ديزاين بأنّه كان هناك مع بيربل كوكو.

في تلك الأثناء، كانت بيربل كوكو تُعطي بلاك دجايد الدواء. فسألته بيرفايدينغ فريغرانس:

- «ما الذي قُلته أمام باو-يو؟ إذهي واخبري لاو تاي-تاي بأنني قد انتهيت». وفي الحال، رمت بنفسها على الكرسي بشكل عشوائي، على عكس استقامتها المعتادة. كانت بلاك دجايد تنظر بدهشة إلى سلوك بيرفايدينغ فريغرانس المُستهجن، فسألته باستغراب:

- «ما الذي حدث؟»

قالت بيرفايدينغ فريغرانس بنبرة شديدة:

- «لا أدري ما الذي قالته تلك الخادمت الساذجات لهذا المُغفل؛ فقد أصبحت عيناه شديدتا التفرّس، ويداه ورجليه باردة. وهو لا يتكلّم ولا يشعر عند وخزه. لقد بدا وكأنّ الجزء الأكبر من جسده يفتقر إلى الحياة، حتّى أنّ لي ما-ما تقول بأن لا أمل من فعل شيء-وكل واحدة هناك كانت تبكي عندما أتيت، فلعلّه قد فارق الحياة الآن، وهذا كل ما أعرفه».

تحت وطأة هذه الكلمات، تقيأت بلاك دجايد كل الدواء الذي تناولته للتو، وبدأت بالسعال الشديد حتّى بدت وكأنّ رثتها تكادان تنفجران؛ فقد طفح وجهها احمراراً، ونُفّس شعرها. أسرعَت إليها كوكو في الحال تضرب ظهرها بقوة لإراحتها. لكنّ بلاك دجايد دفعتها عنها، وقالت:

- «لا تضربي على ظهري، فلا أريد أن أتسبب لكِ بالمتاعب. فاذهي واتي

بجبل واشتقيني، فذلك سيكون خير ما تخدميني به».

قالت لها بيربل كوكو:

- «لم أفعل له شيئاً، لقد قلتُ له بعض الكلمات على سبيل الدعابة، ولكن يبدو أنه قد أخذها على محمل الجد».

قالت لها بيرفايديغ فريغرانس بعصبية:

- «ألا تعلمين بأنه أحمق، ويأخذ كل شيء بجديّة كبيرة؟»

عادت بلاك دجايد تسألها من جديد:

- «وما الذي قلته بالتحديد؟ إذهيبي إليه واخبريه بأنك كنت تُمزحينه. فلعلّ هذا يُعيده إلينا من جديد».

عندما عادت بيرفايديغ فريغرانس برفقة بيربل كوكو إلى «بيوني كورت» (صومعة الفاونيا)، وجدت هناك الأم الكبيرة، ومدام وانغ، وغيرهما. حينما ظهرت بيربل كوكو حدّقت بها الأم الكبيرة، وسألتها بغضب:

- «ما الذي قلته له أيتها الصغيرة البائسة؟»

بدأ باو-يو بالبكاء فور ظهور بيربل كوكو أمامه، وشعر لذلك كل من في الغرفة-لأنه كان الصوت الوحيد الذي ينطق به منذ إصابته. في هذا الوقت، شعرت الأم الكبيرة بأن بيربل كوكو هي السبب، وطلبت منها التقدّم إليه والاعتذار. إلا أنّ باو-يو أخذ بيدي كوكو وقال:

- «إذا رحلتِ فعليك أن تأخذيني معك».

لم يفهم أحد ما الذي قصده بهذا الكلام، إلى أن قامت الخادمة بالتوضيح أنّها كانت قد أخبرته بعودة بلاك دجايد القريبة إلى سوشو.

قالت الأم الكبيرة تلوم بيربل كوكو:

- «لقد عرفتك دائماً فتاة عاقلة، لقد كنت أتوقّع منك أن تتأكّدي قبل أن تقولي شيئاً كهذا له».

خلال كلام الأم الكبيرة، وصلت زوجة لين تشيه-هسيباو وغيرها من أجل

الاستعلام عن حالة باو-يو. كانت الأم الكبيرة سعيدة باهتمامها، ودعتها مع الآخرين إلى الدخول ورؤية باو-يو. وما إن تناهى إلى سمعه اسم «لين»، حتى أصبح شديد القلق من جديد، وهتف:

- «النجدة، النجدة! لقد حضر آل لين لأخذ لين ماي-ماي!»

فراحت الأم الكبيرة تشرح له بأن آل لين قد ماتوا جميعاً وأن «لين» هذه لا تمت بأي صلة إلى بلاك دجايد.

قال باو-يو بهلع:

- «لا يهمني كانت تقرب لهم أم لا. لا أحد له الحق في حمل اسم «لين» إلا لين ماي-ماي».

- «حسناً»، قالت الأم الكبيرة تُلطفه، وتابعت: «فلا وجود لأحدٍ من آل لين هنا الآن، فكلّهم قد انتهوا».

ثم همست لجميع المُساعدات بعدم ذكر هذا الاسم أمامه من جديد، وأن يُخبرن زوجة لين تشيه-هسيباو بعدم الدخول. أخفت الخادما ضحكاتهن، وأجبن بالطاعة. بعد ذلك، لاحظ باو-يو سفينة دُمية على رف التحف، فهتف على الفور، وهو يُشير إليها:

- «انظروا! تلك هي السفينة التي جاءت لأخذهم! أعطوني إياها».

ثم وضع الدمية تحت الغطاء وقال بأنهم لن يستطيعوا المغادرة الآن. . . وكان لا يزال مُمسكاً بـ بيربل كوكو.

وفي وقت لاحق، وبعد أن تناول الدواء الذي وصفه له الطبيب، بدأ باو-يو يشعر بالتحسن السريع-وفي اليوم التالي، استعاد كامل حواسه، لكنّه بقي مُتظاهراً بأنه ذهنيّاً لم يستقر تماماً، من أجل إبقاء بيربل كوكو إلى جانبه.

وعندما أصبحا وحيدين، سألتها:

- «لماذا حاولت إخافتي؟»

- «كنتُ أمازحك فقط».

- «ولكن بدا ذلك حقيقياً، فكيف يُمكن أن تكون مُجَرَّد مزحة؟»
 - «في الحقيقة، لقد اختلقتُ كل ذلك من نفسي»، أجابت وهي تُلاطفه،
 وأكملت تقول: «إنَّ عائلة لين ليست كبيرة، وما تبقي منهم، لا يعدو كونهم
 أقرباء لعائلة كو-نيانغ من بعيدٍ، وبعيدٍ جداً، كما أنَّهم قد توزَّعوا في كلِّ
 أنحاء المُقاطعات؛ وحتى وإن أتوا لأخذنا، فمن المُحتمل أن لا و تاي-تاي
 لن تدعنا نذهب».

قال باو-يو بغبطة:

- «حتى ولو سمحت لاو تاي-تاي بذلك، فأنا لن أسمح».
 - «أنت لن تسمح؟»، قالت بيربل كوكو مُستغربة، وتابعت: «أخشى من كل
 هذا الإطراء-أنت تكبر، وقد تمَّت خطوبتك مُسبقاً، وبعد تزويجي في
 الستين أو الثلاث المُقبلة، فستكون قد نسيت كل شيء».

سألها باو-يو بانفعال:

- «خطوبتي أنا؟ ولمن؟»

قالت كوكو بهدوء:

- «لقد سمعت بأنَّ لاو تاي-تاي قد خطبت تشين كو-نيانغ (بريشوس
 هارب) لك. ولن تكون لاو تاي-تاي سعيدة إذا لم يكن كذلك».

شعر باو-يو بالارتياح وقال:

- «يقولون بأنَّ غبي، ولكنني أرى بأنك أسوأ مني. ألا تعلمين بأنَّها مخطوبة
 منذ زمن لأسرة ماي؟ أعتقد بأنَّ كلامك هذا ليس إلاَّ مزحة الآن. وهل
 تعتقدين بأنني سأقبل بذلك فيما لو كان هذا صحيحاً؟ وهل نسيت العديد
 من المُشاحنات السابقة التي وقعت بسبب هذا النوع من المواضيع؟»،
 توقَّف قليلاً ثمَّ تابع بجديَّة أكثر قائلاً: «أتمنى-أتمنى لو أنني أقتلع قلبي
 وأريك إِيَّاه. وأموت من بعدها، أو أتحوّل إلى رماد ودُخان، وتذريني
 الريح».

وعلى الفور رفعت بيربل كوكو يدها ووضعتها على فمه وقالت:

- «لا تنفعل، إن قلقي الشديد، هو الذي دفعني إلى قول هذا من أجل اختبارك».

سألها باو-يو:

- «وأي قلق؟»

«أنت تعلم بأنني في الأصل لستُ خادمة لين كو-نيانغ، بل ليوان-يانغ وهسي-جين. ولكن منذ أن أعطتني لاو تاي-تاي إلى لين كو-نيانغ، فقد أصبحتُ أكثر تعلقاً بها. إنها لطيفة جداً معي، وتعاملني أفضل من الخادمة التي أحضرتها من سو شُو. وأنا وهي الآن معاً بشكل دائم، ولا أتحمّل فكرة مفارقتها على الإطلاق. كنتُ دائماً أخشى من قدوم الوقت الذي ستتخذ فيه القرار بالمغادرة، وإذا ما حصل هذا فعلاً، فماذا عليّ أن أفعل عندها؟ فإذا لم أرافقها، فسيعني ذلك أن كل هذه السنوات التي مرّت معها، لم يكن لها أي معنى منذ البداية. وإذا غادرتُ معها، فسأنفصل نهائياً عن جماعتي وقومي هنا. ولهذا، حاولت أن أجسّ نبضك لأنأكد من شعورك. . . ولم أشك بأنك ستفلق على هذا النحو».

- «إنك حقاً لغبية لكي تقلقي حول هذا الموضوع»، قال باو-يو، وأضاف

بنبرة ساخرة: «أريحي فؤادك، ودعيني أقول التالي: إذا قُدّر لنا أن نعيش،

فسنعيش معاً، وإذا متنا، فلا بدّ من أن نتحوّل إلى رماذٍ ودُخانٍ معاً».

بدت بيريل كوكو مأخوذة بما سمعت، وراحت في تفكيرها بعيداً إلى أن انقطع

ذلك بوصول تشيا هوان وتشيا لان، اللتين جاءتا للاستعلام عن حالة باو-يو.

عندها، قالت بيريل كوكو مودّعة:

- «عليّ العودة لتفقد إحدى المريضات، وأرى كيف أصبحت اليوم، فأنت لا

تحتاجني أكثر من ذلك اليوم».

- «لقد كنتُ أفكر في ذلك الليلة الماضية، لكنني نسيت الموضوع اليوم»، قال

باو-يو، وأضاف: «يُمكنك الذهاب إليها الآن».

بسبب ما حصل مع باو-يو، أصيبت بلاك دجايد بانتكاسة، وذرفت الكثير من

الدموع. وما لبثت أن شعرت بالتحسّن فور وصول بيريل كوكو وعلمت منها بأنّ

باو-يو قد أصبح في أحسن حال الآن. وفي الليل، وبعد أن أوت كل منهما إلى السرير، قالت الخادمة لها:

- «إن قلب باو-يو مُخلص حقاً. لقد شعرتُ بأنه قد فقد صوابه عندما سمع بأننا سنرحل من هنا!»

لم تُجب بلاك دجايد، لكن الخادمة استمرت في الكلام، وكأنها تُكلم نفسها:
- «أنتما الإثنتين ستشكّان التطابق الكامل؛ لقد تربّيتما معاً وتعرفان ميول بعضكما البعض على أكمل وجه».

سألته بلاك دجايد وكأنها ملّت الكلام:

- «ألم تتعبي بعد من كل ما حصل في الأيام الأخيرة؟ لما لا تخلدين إلى النوم بدلاً من الثرثرة بهذه التفاهات؟»

لم تسكت بيربل كوكو واستمرت تنصح بلاك دجايد بالحفاظ على «أهم شيء في الحياة» ثابتاً في الذهن وأنه ينبغي أن يتحقق قبل وفاة الأم الكبيرة. وتابعت:

- «ألم تسمعي بالحكمة التي تقول بأنه من الأسهل الحصول على عشرة آلاف أونصة من الذهب من أن تعثري على قلب مُفعمّ بالعاطفة الحقيقية؟»
قالت بلاك دجايد:

- «إن هذه الخادمة قد فقدت عقلها. كيف أمكنك أن تبدلي بهذه السرعة في غضون أيام؟»، ثم تابعت: «لا بُد لي من أن أخبر لاو تاي-تاي بأنني لا أجرؤ على الاحتفاظ بك هنا أكثر».

- «أنا أقول ذلك فقط من أجل خاطر كؤ-نيانغ».

قالت بيربل كوكو هذا وقد شعرت بجرح بسيط. فاستدارت إلى الجهة الأخرى تخلد للنوم. لكن بلاك دجايد بقيت صاحبة وهي تُفكر بكلام خادمتها المُخلصة، باكية طوال الليل.

الفصل التاسع والعشرون

وفيه يتزوج تشيا لين من يو ير-تشيه لتكون خليلته السرية وتطلب سان-تشيه يد ليو هسيانغ-لين علانية لزوجها

بعد أيامٍ من الأحداث الأخيرة، وصلت أخبار من المعبد الطاوي حيث كان يعيش تشيا تشينغ تقول بأنه قد توفي بجرعة زائدة من إكسيرٍ كان قد أعدّه بنفسه. وعلى الفور، أرسل تشيا دجين إلى هناك. ولكن بما أنه لن يستطيع العودة قبل عشرة أيامٍ أو نصف الشهر على الأقل، تمّ تكليف يو-شيه بإعداد الترتيبات اللازمة من أجل الجنازة. كما طلبت هذه الأخيرة من زوجة أبيها، لُو لاو-نيانغ⁽¹⁾ مساعدتها في إنجاز الأعمال الداخلية لأجنحة القصر، طالما أن فينيكس لا تزال متوعكة ولا تستطيع تحمّل المسؤولية كما فعلت عند وفاة تشين شيه.

كانت لُو لاو-نيانغ قد أنجبت من زواج سابق بتين، هما: يو-تشيه وسان-تشيه.⁽²⁾ كانتا هاتين الفتاتين جميلتين كثيراً ولكنهما كانتا مختلفتين جداً في الشخصية-فبينما كانت الأولى لينة العريكة ولطيفة، كانت الثانية عنيدة وحازمة. وكانتا، مع والدتهما، من بين الزوار الدائمين إلى يونغ كوفو، وقد انتشرت الكثير من الشائعات حول علاقتهما بكل من تشيا دجين وتشيا دجانغ. وكان تشيا لين قد سمع عنهما، وكثيراً ما كان يحسد تشيا دجين وولده على هذه العلاقة، وقد أتاح له

(1) تعني «لاو-نيانغ» لغوياً «الجدّة من ناحية الأم».

(2) أي «الأخت الثانية» و«الأخت الثالثة» على التوالي، من حيث أن يو-شيه تعني الأولى.

المأتم فرصة لقاائهما والتعرف عليهما. وسُرعان ما أكتشف أن يز-تشييه كانت الأكثر قابلية للتقارب، فقرر تركيز اهتمامه عليها، فكان بإمكانه اختلاق الأعذار للاتصال بـ يو لاو-نيانغ، وهكذا تمكن إلى حد ما، من تبادل النظرات، وأحياناً، الهمس ببعض الكلمات لها.

لم يخف اهتمام تشيا لين بـ يز-تشييه على تشيا دجانغ. ففي أحد الأيام، وبينما كان الاثنان يسيران على جواديهما في إحدى المهمات، راح تشيا لين يتحدث بتوقد عن يز-تشييه، عن جمالها وحلاوتها، وسمو سلوكها وعذب كلامها، وقال:

- «كل شيء فيها يستدعي حُبها واحترامها»، ثم استنتج يقول لزميله: «كل واحد أصبح يتحدث بالجميل عن قريبتك شين-شين⁽³⁾، ولكن برأيي، لن تُعادل بجمالها جمال قريبتك يز-يي⁽⁴⁾».

حين ذلك، قال تشيا دجانغ بمكر:

- «طالما أنك تُحِبها هذا الحب، فلماذا لا تدعني عدليك والحصول عليها من أجل الغرفة الأخرى».

سأله تشيا لين وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة:

- «هل أن ما تقوله حقيقي أم أنك تمزح؟»

- «بالطبع حقيقي، فأنا جدّي تماماً».

فقال تشيا لين على الفور مُغتبطاً:

- «سيكون هذا مُدهشاً. لكنني أخشى من أن قريبتك شين-شين لن تستسيغ الأمر، وبالتالي لن تكون جدتك لاو-نيانغ راغبة بذلك أيضاً، بالإضافة إلى أنني قد عرفت مؤخراً بأنها مخطوبة».

- «الخطوبة لا تعني أي شيء»، قال تشيا دجانغ، وتابع: «فقد كانت موعودة بالزواج من عائلة تشانغ منذ سنوات خلت، وإحدى أنواع مشاريع الخطوبة

(3) أي: زوجة عم الشخص الأكبر من أبيه.

(4) أي: الخالة لجهة الأم.

هذه كانت حتى قبل الولادة. ومنذ ذلك الحين، تدهورت سلالة تشانغ من الناحية المادية، وتزوجت جدتي لاو نيانغ من جديد. وقد مرّت حتى الآن حوالي عشر سنوات منذ أن سمعنا آخر مرّة شيئاً من ذلك عن سلالة تشانغ. وغالباً ما كانت جدتي تنبذ الخطوبة، وتُعتبر عن رغبتها الدائمة في فسحها. ولكنها كانت عموماً مسألة بحثٍ عن شريكٍ آخر. وبما أنّ عائلة تشانغ فقيرة جداً الآن، فبالإمكان شراؤها بسهولة. أنا بالنسبة إلى لاو-نيانغ، فأنا أكيد من أنّها ستكون أكثر من راغبة، وقس ذلك على والدي أيضاً. فالمشكلة الصعبة والحقيقية، تبقى في الأساس زوجة عمّي شين-شين».

كان تشيا لين سعيداً ومُغتبطاً لدرجة أنّه لم يقل شيئاً سوى الابتسام. وبعد لحظات، تابع تشيا دجانغ كلامه:

- «إذا ما اتّسم شو-شو بالشجاعة، فسيكون بالإمكان ترتيب كل الأمور؛ فأنا أعتقد أنّ المسألة لن تُكلّف سوى بعض المبالغ الإضافية».

وحينما طلب منه التوضيح، قال:

- «لن يكون شو-شو مُلزماً على قول شيء إلى شين-شين. وسأكون أنا فقط مُلزماً بالحديث مع والدي ومع لاو-نيانغ. فما إن أسمع بموافقتهم، سيُصبح بمقدور شو-شو شراء منزل في الجوار، واقتناء بعض الخادومات والخدم، والترتيب من أجل عرس مُعتبر. وإذا ما اهتمّ شو-شو باقتناء الخدم والخادومات الموثوقين، فسيكون بالإمكان حفظ سرّ الزواج عن باقي أفراد العائلة، وبالطبع ستكون شين-شين آخر من يعلم بكل الأحوال. وإذا ما تقشّى السرّ في خلال ستة أشهر أو سنة، فبالإمكان شو-شو القول دائماً بأنّه قد أخفى خبر زواجه لأنّه يُريد ضمان وريث ذكر. وأعتقد بأنّ شين-شين ستقبل بالوضع على ما هو عليه كأمر واقع، طالما أنّ طبخ الأرز قد انتهى».

«الرغبة تجعل المرء أعمى» كما يقول المثل. وهذا ما ينطبق على تشيا لين الذي

كان مبهوراً بالآفاق المفتوحة التي فتحها أمام عينيه تشبهاً دجانغ، مع أنه قد فشل كلياً في توقع المصاعب المنصوبة في الطريق. فقد نسي تماماً كيف كانت فينيكس كل العيون والآذان، وكيف سيكون ممكناً إخفاء كل شيء عنها، وكيف أنها اعتادت على إدارة الأشياء على طريقتها الخاصة. لقد نسي بأنه ستكون هناك فترة من الحداد الذاتي، وبالإضافة إلى الحداد الخاص بعمه. نسي أيضاً بأنه من غير القانوني اقتناء الخليفة من دون علم وموافقة الزوجة. كما أنه لم يتمهل للاستفسار والتحقق من دوافع تشبهاً دجانغ، والتي كانت أبعد ما تكون عن النزاهة والتعقل. ذلك أن تشبهاً دجانغ ترتيباته بخصوص يز-تشيه بالرغم من أنه يعلم بمشاعر والده تجاهها. وهو لا يمكن أن يأمل في تحقيق أهدافه طالما أنه لن يتمكن من رؤيتها إلا في نينغ كوفو، ولكن إذا رغب تشبهاً لين في الزواج منها ووضعها في عش الزوجية السري، فسيكون لديه الفرصة الجيدة، طالما أن تشبهاً لين سيمضي أغلب أوقاته في يونغ كوفو مع فينيكس.

وافق تشبهاً لين بسهولة على مخطط تشبهاً دجانغ. وسارت الأمور بالطريقة التي يشتهيها الأخير؛ فقد أعطت يو لاو-نيانغ موافقتها الكلية بأسرع من البرق، ولم يُبد تشبهاً دجين أي معارضة. وكانت لدى يو-شيه شكوكها لكنها اعتادت على الانصياع والاستسلام لرغبات زوجها، ولذلك لم تعمل على إعاقة هذه النقطة. أما في ما خص تشانغ هوا، خطيب يز-تشيه، فقد كان في وضع لا يسمح له بمقاومة الضغط الذي كان يُمارس عليه، لا سيما المالي منه.

وفيما بعد، اشترى تشبهاً لين منزلاً في الشارع الخلفي، على بعد كيلومترٍ من يونغ كوفو، وجهزه بكل أنواع الأثاث. كما اشترى عبتين واستأجر خادمتين كبيرتين من أجل المنزل، لخوفه من حصول أي نوع من التحقيق إذا ما طلب خدمات من يونغ كوفو. وما إن انتهى كل شيء، حتى كان كل من يو لاو-نيانغ وسان-تشيه أول الواصلين إلى البيت. وفي هذا اليوم الميمون، وصلت يز-تشيه من نينغ كوفو، وتمت مراسم الزواج بسرية تامة.

أمضى تشبهاً لين أغلب أوقاته مع زوجته الجديدة. كما أنه غالباً ما كان يُقدم

الأعدار إلى فينيكس لتبرير غيابه الطويل. وقد حاول جهده من أجل إسعاد يز-تشييه، كما أنه أمر الخادِمات بُمِناداتها كما لو أنها كانت هي «الزوجة الأولى». وكان يسرّ إليها بكل شؤون وشجون يُؤنغ كُؤفؤ، ويُخبرها عن مرض فينيكس، ويعدّها بأن يجعلها الزوجة الأصلية في حال وفاة الزوجة الأولى.

مرّ على هذه الحالة شهرين بالكمال والتمام؛ وقد تمّت مراسم تشييع تشيا دجينغ منذ فترة، وفي أحد الأيام قرّر تشيا دجين زيارة يو لاو-نيانغ، وحصل بذلك على الفرصة لرؤية سان-تشييه. وهذا ما فعله تلك الأمسية، بعدما تأكد من أنّ تشيا لين غير موجود في البيت. بدى أولاً أنّه مُستمتع بوجود يو لاو-نيانغ والأختين. ولكن لاحقاً، استأذنت يز-تشييه، وعادت إلى عُرفتها لأنّها كانت تخشى عودة تشيا لين بصورة غير متوقّعة، ولا تُريد التسبّب بأي سوء فهم.

بعد فترة وجيزة، عاد تشيا لين بالفعل، وعندما علم من الخادِمات بأنّ تشيا دجين كان موجوداً في البيت، اكتفى بالابتسام دون أن ينطق بشيء. ثمّ دخل إلى غرفة يز-تشييه وراح يتسامر معها وكأنّه لم يكن هناك شيء في الأجواء. شعرت يز-تشييه بالإحراج من الحديث بالواقعة، ولذلك عندما بدأ العاشق تشيا لين يُداعبها ويُعلن لها بأنّها أجمل وأكثر جاذبية من فينيكس، قالت له:

- «إنّك لطيف جداً. ولكن حتّى لو كنتُ أجمل منها، فأنا في وضع غير مواتٍ بسبب ما لديّ من ماضي».

سألها تشيا لين باستغراب:

- «وأيّ ماضٍ، أنا لا أفهم ما تقصدين».

قالت يز-تشييه:

- «لا داع لأنّ تتظاهر بأنّك لا تعرف. فأنا سعيدة بإطلاعك عليه، فما تمّ فعله لا يُمكن التراجع عنه، وأشعر بأنّني يُمكنني الاعتماد عليك. ولكن ماذا عن شقيقتي؟ فالأشياء لا تسير كما هي عليه».

- «يُمكنك الاعتماد عليّ إلى أقصى الحدود»، قال تشيا لين لي مؤكّداً، وتابع يقول: «أنا لستُ من النوع الذي يغار من الماضي، وأنا أكيد من أنّك طالما

أصبحت الآن لي، فإن دجين تا-كو لن يُوفّر لي السبب من أجل الغيرة في المُستقبل أيضاً. أنا بالنسبة إلى شقيقتك، فأترح إحضارها إلى هنا هي وتا-كو. وعندها سيأتي إلى هنا من الإحساس بأي نوع من القلق أو الاستياء. فما هو رأيك بذلك؟»

- «إن ما تعنيه جيد، بالطبع، لكنني أخشى من أن هذا لن يحصل»، أجابت يژتشييه، وتابعت: «ففي المقام الأول أنت لا تعرف كيف تتصرف أختي، ثم، يجب ألا تنسى بأن تا-يه مُتزوج من شقيقتنا الصغرى».

قال تشيا لين؛ وقد كان يشرب حتى بلغ الخمر منه مبلغ:

- «لا ضير من التجربة، سأذهب الآن وأنظر ما الذي يُمكنني القيام به».

شعر تشيا دجين بالقلق الواضح من حضور تشيا لين المُفاجئ، لكن الأخير كان مُصراً على أن أخيه العزيز يجب أن يحضر إلى بيته بكل حرية؛ فهو يدين له بسعادته، وإذا تصرف تشيا دجين على عكس المتوقع، فهو نفسه سيكون مُلزماً بالتخلي عن المنزل. وبعدها فعل ذلك، جلس مع تشيا دجين في مكتبه؛ فصب كوبين من الخمر- أعطى أحدهما إلى تشيا دجين وناول الآخر إلى سان-تشييه، وقال:

- «إشربا هذين الكأسين من أجل سعادة ثنائية: تا-كو وسان ماي-ماي، بحيث يُمكننا تقديم التهئة لكما».

في تلك اللحظة، قفزت سان-تشييه من مكانها وصرخت، وهي تهز إصبعها نحو تشيا لين، وتقول:

- «لن أقبل التعرض لأي نوع من وقاحاتك. فمن الأفضل عدم خرق شاشة عرض الظلال المتحركة. فأنت مُخطئ كثيراً إذا كنت تظن بأنك قادر على معاملتنا كائتيتين من المومسات، فقط لأنك تملك المال. لقد عملت، بما لديك من حلاوة الكلام والوعود الكاذبة، على خداع شقيقتي لكي تتنازل عن نفسها، وجعلتها تضع نفسها في وضع لا يُمكنها من خلاله مواجهة العالم علانية بسبب امرأتك الغيورة. ولكنك لن تستطيع خداعي أو الإيقاع بي. فإذا عملتما كلاكما على تحسين سلوككما، فسيكون ذلك خيراً

وانتهينا. أما إذا لم تفعل ذلك، فسأريكما ما أنا قادرة على فعله: سأجعل الحياة بائسة لكما، وعند الضرورة، سأواجه طوال حياتي مع داعمتمكم كثيرة الكلام والمُتَبجحة فينغ ناي-ناي. تُريدني أن أشرب؟ سأفعل ذلك بسرور، لأنه لا يعني بالنسبة لي أي شيء».

وبعد ذلك، صبّت لنفسها كأساً، وشربت نصفه، ثم شدّت تشبياً لين نحوها، وقدمت له النصف الآخر قائلة:

- «لم أسمح لأخيك أبداً الشرب من كأسي، ولكنني سأمنحك هذا الشرف». كان هذا السلوك الغاضب وغير المُبرّر مُفاجئاً تماماً، بحيث أنه أذهل تشبياً لين وتشبياً دجين بالكُلية، ولم يدريا ماذا يفعلان. حاولا التهرب من الواقعة، إلا أن سان- تشيه لم تسمح لهما بذلك. وراحت تشرب الكأس تلو الآخر، وترشقهما بوابل تلو الوابل من الشتائم، وبعد أن ملّتهما، غادرت إلى غرفتها على عجل.

بعد ذلك، قاما بأشياء غير لائقة بالنسبة لكل من تشبياً لين وتشبياً دجين. فقد الحت عليهما بالعديد من الإغراءات والطلبات، وراحت تتدمر من كل شيء. وعند أدنى استفزاز تشعر به، كانت تُرسل إلى تشبياً لين وتشبياً دجين، وأحياناً إلى تشبياً دجانغ، وعند حضورهم تنهال عليهم بالشتائم واصفة إياهم بأنهم دجالين وغشاشين، وغير ذلك من الأسماء الجديرة بالإزدراء.

استمرّ الوضع عمّا هو عليه، إلى أن تأكّد تشبياً لين من أن سان-تشيه، وهي الجميلة كالزهرة، كانت مليئة بالأشواك بالنسبة له. وقد دفعه ذلك في النهاية إلى التخلّي عن الأمل الذي كان يشغله بالحصول عليها لنفسه، وطلب من تشبياً لين تزويجها بأسرع ما يُمكن. فقام الأخير باستشارة يز-تشيه على الفور، وارتأياً أن يتكلّم مع سان-تشيه بجديّة قريباً.

فهمت سان-تشيه نيّتهما، فبكت بحزن، وقالت لشقيقتها يز-تشيه:

- «أعلم بأنّ لدى تشيه-تشيه شيئاً مهماً لتقوله لي. وأعلم أيضاً، بأنّ الأشياء لا تُعالج بهذه الطريقة. فلدى تشيه-تشيه الآن بيتاً، وكذلك لدى الوالدة. إنّها رغبتهما في أن يكون لي أنا أيضاً بيتاً. صحيح أنّ الفتاة لا بد أن تتزوج

الآن أو لاحقاً، ولكن هذه المناسبة تُعتبر من أهم المناسبات في حياتها، ولا يُمكن أن تدخلها من دون بعض الاعتبارات المهمة. لقد تصرّفت بهذه الطريقة السيئة، لأنني أردتُ أن أحمي نفسي من هذه الذريعة. حتى أنني الآن، لا أستطيع افتراض التواضع الزائف؛ ولا بد لي من التكلم بصراحة: ما لم أُخطب إلى رجل أريده أنا نفسي، سأبقى بلا زواج إلى آخر العمر».

قال تشيا لين:

- «سأعمل كما ترغبين، فقط سمّ لي الرجل الذي تُريدين وسأحضره لك إلى هنا».

- «لا داعي لتسميته»، قالت سان-تشييه، وتابعت: «فشقيقتي تعرف من أقصد».

- «من هذا الرجل إذن؟»

طرح تشيا لين على زوجته الثانية هذا السؤال، لكنّها لم تستطع التفكير باسم الرجل الذي تحتفظ به سان-تشييه في رأسها.

بعد ذلك، وصلت إحدى الخادמות التي يثق بها تشيا لين، وأخبرته بأنّ تشيا شيه تُريده في الحال. وعلى الفور، اندفع تشيا لين، من دون أن يعلم اسم الشخص الذي يدور في مخيلة سان-تشييه.

وعند عودته في اليوم الثاني، قالت له يز-تشييه:

- «لا يجب أن تُشغل نفسك كثيراً بهذه المسألة. يجب أن تعلم بأنّ شقيقتي عنيدة، وقد حدّدت خيارها من قبل، ولا شيء أبداً يُمكن أن يجعلها تُبدّل رأيها. وبما أنّ الرجل الآن في الخارج، فعليك أنت أيضاً أن تضع هذه المسألة جانباً وتنتظر مجيئه».

سألها تشيا لين:

- «من هو هذا الرجل؟ كم أودّ أن أعرف من هو، ومن يشبهه».

- «إنّها قصة طويلة»، قالت يز-تشييه، وتابعت تشرح: «منذ خمس سنوات، وفي حفلة عيد ميلاد جدّتي، أقيم عرض تمثيلي في المنزل من قبل مجموعة من المُمثّلين-كان من بينهم مُمثّل يلعب دور امرأة تحت اسم ليو هسيانغ-لين».

ويبدو أنها قد وقعت في حُبّه، حتّى من دون أن تسنح لها فرصة التحدّث معه».

- «هل هذا هو؟»، سألتها تشيا لين مُستفسراً، وتابع يُبدي رأيه: «لا يُمكنني إلا أن أقول بأنها ذات ذوق حسن، فأنا أعرفه؛ إنه وسيم جداً، لكنّه لم يُبد يوماً اهتماماً بأي امرأة. وهو أيضاً صديقٌ جيّد لـ باو-يو، وهو الوحيد الذي يُمكنه أن يعرف أين يُمكن أن يكون. لكنني أعرف أنّه في وقتٍ ليس ببعيد، وجّه جلدًا عنيفاً إلى هسويه لاو-تا، وغادر المدينة خوفاً من مواجهتنا بعد معرفتنا بالأمر. والآن، ليس له مكان مُحدّد؛ فلربما تمضي سنوات قبل إيجاده من جديد».

- «إذن لا بد أن تكون سنوات!»، قالت يز-تشيه مُستهجنة، وأكملت: «فليس هناك جلدٌ لفتاتنا، ولا بد من أن يكون الأمر كما تُريد».

في هذه الأثناء، دخلت سان-تشيه وقالت:

- «على صهري أن يعرف أي نوع من النساء أنا ولو لمرة واحدة؛ فأنا لست من أولئك الذين يقولون الشيء ثم يفعلون عكسه. ولم أُبدل رأبي عندما أُصرّ على شيء. ولهذا أقول بأنني لن أتزوِّج أحد باستثناء ليو هسيانغ-لين. وسأنتظره طوال حياتي إذا ما رأيت ضرورة لذلك»

ثم أخذت دبوس شعر من الحجر الكريم، وكسرتّه إلى قسمين، ورفعتهما عالياً وقالت:

- «إذا لم أعني ما أقوله، فلتفعل بي الآلهة مثل هذا».

جاب تشيا لين أماكن كثيرة يستعلم عن ليو هسيانغ-لين، لكنّه فشل في إيجاد أي خيط يوصله إليه. وفي الوقت نفسه، ونتيجة للجدية في البحث عن الرجل، أظهرت سان-تشيه الكثير من التغيير على حياتها وسلوكها؛ فأصبحت هادئة، وظريفة في سلوكها، وتركت مساحيق التجميل والثياب الغريبة. . . وتصديقاً لكلامها، كانت مُصمّمة على انتظار هذا الرجل الذي اختارته، ولو طال ذلك إلى نهاية العمر.

الفصل الثلاثون

وفيه تدفع سان-تشييه حياتها من أجل أن تُبرهن

على صدق حُبِّها

وينبذ هسيانغ-لين أرض التربة الحمراء بسبب ندمه

بعد أيامٍ لاحقة، انطلق تشيا لين إلى بينغ-آن-تشاؤ في مُهمّة لدى والده. وبعد ثلاثة أيام على خروجه من العاصمة، التقى بموكبٍ من المُسافرين وتفاجأ بوجود هُويه بان وليو هسيانغ لين بينهم. وبعد تبادل التحيات، لجأوا إلى أحد الفنادق، وهناك قال تشيا لين لهما:

- «بعد الشجار الذي حصل بينكما أنتما الإثنين، حاولنا جاهدين لإعادة جمعكما وإحداث نوعاً من المُصالحة، لكننا لم نكن قادرين على ذلك لأن الأخ ليو كان قد غادر المدينة مُباشرة بعد ذلك. وأنا سعيدٌ الآن لأراكما قد أصلحتما ذات البين من دون الحاجة إلينا. فكيف حدث هذا؟»

- «نُدين بذلك إلى إحدى الظروف غير العادية»، قال هُويه بان، وتابع يُجيب: «ذهبت أنا وأحد المُديرين العاملين لدي إلى فينغتين لشراء البضائع. وأثناء رحلة عودتنا، تعرّضنا لهجوم من قبل مجموعة من قُطاع الطرق، وما إن أصبحنا على أهبة الدخول في شجار، حتّى ظهر الأخ ليو، فأبعد اللصوص وأنقذ حياتنا. لكنّه لم يقبل أيّ شيء مُقابل مُساعدتنا، ومنذ تلك اللحظة تعاهدنا على الأخوة وبدأنا السفر معاً. لدى الأخ ليو عمّة ليست ببعيد من هنا، وها هو سيزورها لفترة وجيزة من الوقت، ومن بعدها سينضمّ إليّ في

العاصمة. فعليّ تأمين منزل له هناك بأسرع ما يُمكن، لأنّه يُخطط للزواج والاستقرار».

قال تشيا لين مُستبشراً:

- «أنا سعيدٌ لسماع كلّ هذا، وكم أرغب لو أنّي سمعتها من قبل؛ كان يُمكن أن تُجنّبي الكثير من القلق الذي كنتُ بغنى عنه. وبمناسبة الحديث عن الزواج، فأعتقد بأنّني لديّ بالضبط الفتاة التي تُناسب الأخ ليو».

ثمّ تابع الحديث، وروى لصديقيه قصّة زواجه من يز-تشيه، مُقترحاً زواج ليو هسيانغ-لين من سان-تشيه. لم يُجبه بشيء، وهذا طبيعي، فقد اختارته سان-تشيه هي بنفسها، ولا علم له بالموضوع.

شعر هسويه بان بفرح لسماع عرض الزواج، وحثّ ليو هسيانغ-لين على القبول به. قال المُمثّل:

- «كنتُ دائماً أريد إيجاد فتاة ذات جمال حقيقيّ بنفسني، ولكن ماذا أقول؛ لا يمكنني رفض مساعيكما الحميدة أنتما الإثنين».

قال تشيا لين:

- «لست مُضطرباً للاستجابة من أجل خاطرنا، وها أنذا قد طرحت الموضوع؛ فلا أرى أيّ فائدة من التفاخر والإشادة بشقيقة زوجتي، ولكنني أكيد من أنّك عندما تراها ستشكرني وستوافق معي بأنّها ذات جمال لا يُضاهي».

أحسّ هسيانغ-لين بالسعادة من التأكيد الذي سمعه، فقال:

- «عليّ العودة إلى العاصمة في أقلّ من شهر، فماذا عن ترتيب إجراءات خطوبة رسمية حينها؟»

وعلى الفور، قال تشيا لين:

- «لنُحدّد ذلك الآن. فأنا لا أشكّ أبداً من تنفيذ وعدك، ولكنني أعرف أنّك رجل غير معروف التحركات. فإذا ما قررت فجأة القيام بوحدة من رحلاتك الطويلة، فقد يستغرقنا ذلك سنوات لكي نجدك مرّة أخرى. فلا يُمكنك أذن أن تدع فتاة-أيّ فتاة-مُعلّقة بهذه الطريقة إلى ما لا نهاية. ومن

أجل كل ذلك أقترح أن نُحدّد ذلك الآن عن طريق إعطائي رمز تعهد منك بذلك».

قال هسيانغ-لين:

- «يُمكنك الاعتماد على كلمتي، لأنني أتيت من عائلة فقيرة، زد على ذلك أنني بعيد عن بلدي ومنزلي. فكيف لي أن أؤمن هذا النوع من الرمز؟»
وهنا، تدخل هسويه بان للمساعدة على الحلّ، إلا أنّ تشيا لين قال:

- «أنا لا أقصد الرموز العادية كالذهب والفضة. ما أفكر به هو شيء من الأخ هسيانغ-لين شخصياً. وليس بالضرورة أن يكون شيئاً قيماً».

- «في هذه الحالة، سأقدّم لك هذا كرمز تعهد»، قال هسيانغ-لين وهو يسحب غمد سيفه الذي كان يحمله، ويُسلمه إلى تشيا لين، وأضاف:

- «لقد انتقل هذا السيف في عائلتي من جيل إلى جيل، ولا أذكر بأنّه قد فارقتني في يوم من الأيام أبداً».

وهكذا، تمت خطوبة ليو هسيانغ-لين وسان-تشيه. ومن ثمّ افترق المسافرين كلّ إلى وجهته.

فور عودته إلى العاصمة، ذهب تشيا لين مباشرة إلى يو-تشيه وسان-تشيه قصّ عليهما كل ما حدث وكيف تحققت عملية الخطوبة؛ فقدم إلى سان-تشيه السيف، فتسلّمته، ووجدت، بعد تفحصه، أنّ في الغمد سيفين-خُفر على الأول كلمة «يوان»، وعلى الثاني «يانغ»، وتُشكلان معاً اسم «البط اليوسفي»-رمز السعادة الزوجية. شعرت عندها بسعادة لا توصف، فأخذت السيف إلى غرفتها، وعلّقته على الجدار، وراحت تُحدّق فيه وكأنّها تُهنئ نفسها بأنّه، وأخيراً ستحصل على الرجل الذي اختارته بنفسها.

عاد هسيانغ-لين في الشهر الثامن إلى العاصمة. وما إن وصل، حتّى ذهب لرؤية باو-يو. وخلال حديثهما، سأله عن زواج تشيا لين السري.

قال باو-يو:

- «لا أعرف الكثير عنه، ولم أسمع عنه إلا من مينغ-يه. وقد أخبرني مينغ-

يه، بالمناسبة، بأن الأخ لين كان يسأل عنك قبل مغادرته، فأتساءل لماذا؟»
أخبره هسيانغ-لين بما حدث، وهنأه باو-يو من كل قلبه قائلاً له:
- «إنها تتمتع بجمال نادر، وهي تناسبك تماماً».

وبالرغم من ذلك، أحس هسيانغ-لين بالقلق، وقال:

- «ما لا أفهمه، لماذا عليهم اختياري أنا بالذات. ومن المؤكد، لو أنها بالجمال الذي تصفه، لكان عليهم أن يجدوا لها من يناسبها من العائلة-من يكون أغنى وأفضل، وأكثر تواصلاً مني أنا. أضف إلى ذلك، أن الأخ لين ليس واحداً من أصدقائي المقربين. ويبدو لي غريباً أنه يسعى من أجلي أنا بالذات، ناهيك عن حقيقة أنه من غير الطبيعي أن تسعى عائلة الفتاة نفسها لأخذ زمام المبادرة. لقد كانت لي شكوكي حول الأمر، وأصبحت ألوم نفسي لتسليمي السيف كرمز تعهد بالخطوبة. وها أنا وقد أتيت إليك، وأكلمك للسعي من أجل اكتشاف المزيد لي عن هذه الفتاة وعن عائلتها».

- «لماذا تُقلق نفسك إلى هذه الدرجة؟»، قال باو-يو، وتابع: «قلت أنك تُريد فتاة جميلة، وها أنت الآن قد حصلت عليها، فلماذا تعمل على إرهاق نفسك بالقلق والتردد؟»

قال هسيانغ-لين بنبرة توسل:

- «عليك أن تعرف لي شيئاً عن العائلة، طالما أنك تجزم بجمال الفتاة الرائع».

- «بالطبع أنا أعرفهما، شقيقتان من ناحية زوج الأم-دجين تا-ساو. وقد رأيتهما في الجنازة».

ضرب هسيانغ-لين رجليه بالأرض، وقال بنبرة حازم:

- «لا يُعجبني ذلك، هذه الخطوبة لن تتم أبداً. لعل أنظف وأطهر شيء في قصركم الغربي، هو زوجي الأسود المنصوبة قبالة المدخل، فليست لدي

الرغبة لأكون «ديوثاً»⁽¹⁾ في النهاية».

تفاجأ باو-يو، لكن ليو هسيانغ-لين قال على الفور:

- «اغفر لي، لقد كنتُ مُنفعلاً ولم أشعر بما كنتُ أقوله. أرجو منك أن تُخبرني بصراحة عن شخصيتيها».

أجبر باو-يو نفسه على الابتسام وقال:

- «إذا كنت تعرف أشياء حسنة عنها، فما الفائدة من توجيه الأسئلة لي؟ فلعلني أنا أيضاً غير بريء بالحديث عنها».

- «أرجوك، لا تأخذ ذلك بهذه الحساسية»، قال هسيانغ-لين، وهو ينحني اعتذاراً، وتابع: «أنا حقاً لم أكن أدرك ما أقول».

- «إذن لا تعود إلى ذكر هذا»، ردّ باو-يو بلهجة حازمة، وأضاف: «فإذا فعلت، فسأفسر ذلك عندها على أنك تتعمد الإساءة».

بعد مُقابلته مع باو-يو، قرّر ليو هسيانغ-لين فسخ الخطوبة. وذهب على الفور للقاء تشيا لين في منزله السري، وعندما تمّ تقديمه إلى يو لاو-نيانغ، خاطبها وكأنّه صديق الوالدة، وليس على أساس أنها لربما تكون والدة زوجته المُستقبلية. شعر تشيا لين بالارتباك، ثمّ قال هسيانغ-لين بعد تناول الشاي:

- «جئت، ولديّ بعض الأنباء المُحرجة التي سأقولها. عندما عدت إلى البيت، وجدتُ خالتي قد أعدت لي ارتباطاً وأنا غير موجود. فإذا ما أطعتك أنت، أخي لين، فسأكون قد خالفت إرادة خالتي. ولو أنّ رمز تعهدي كان مالاً أو فضة، لما طلبتُ استعادته إطلاقاً، ولكن طالما أنّه سيف تناقلته أجيال العائلة للعديد من السنوات، فأنا لا أقوى على التخلي عنه، وأتوسّل إليك إعادته لي في الحال».

وعلى الفور، قال تشيا لين:

- «فكّر بما تقول! فالوعد وعد، والخطوبة ليست شيئاً يُمكنك أخذها بهذه

(1) أي: زوج زانية، الذي يكون في كثير من الأحيان محطّ سخرية.

الخفة، وأنا أخشى من أنك لا تستطيع فسخ تعهدك والتراجع عن كلمتك». - «هذا صحيح»، أجاب هسيانغ-لين، وأضاف مُبرراً: «ولكن في ظلّ هذه الظروف، ما من شيء آخر يُمكنني فعله. وما عليك فقط إلا أن تُعيد لي سيفي. ولسوف أخضع وأقبل بأي نوع من الجزاء أو الغرامات التي ترى وجوب فرضها عليّ».

حاول تشيا لين قول شيء، لكنّ هسيانغ-لين قاطعه واقترح عليه بأنّه سيكون من الأفضل لو انتقلا إلى الغرفة الثانية لمُتابعة الحديث في الموضوع.

فرحت سان-تشييه الني كانت موجودة في الغرفة الثانية، عندما عرفت بقدوم هسيانغ-لين. وعندما سمعت ما كان يطلبه، عرفت بأنّ هناك أشياء فاضحة ضدّها قد سمعها من أحدهم. وشعرت بأنّها لو تركته هو وتشيا لين ينتقلان إلى الغرفة الداخلية للحديث لوحدهما، فلن تكون أكيدة من قدرة تشيا لين على إقناعه بتبديل رأيه. ولكن إن ناقشا الموضوع في لقاء مفتوح، فإنّ ذلك سيتسبب لها بإهانة علنية. وعلى الفور، طرأت في رأسها فكرة؛ فاندفعت إلى الغرفة وقالت:

- «لا تذهب الآن، لأنّ سيفك معي هنا».

وقفت وفي يدها اليسرى الغمد، وفي يدها الأخرى تحمل أحد السيفين من وراء ظهرها. ناولت الغمد إلى هسيانغ-لين، وعندما مدّ يده لالتقاطه، وضعت حدّ السيف الآخر على عنقها، وراحت تشد عليه بقوة.

حول الاثنين الاندفاع نحوها لمنعها من الإقدام على أيّ عمل أحمق-ولكن كان الأوان قد فات؛ فقد أصابهم الشلل حينما لمع السيف وهي تؤرجحه على حنجرتها بقوة، وعندما استفاقا من الصدمة، كانت سان-تشييه قد وقعت على الأرض صريعة.

أزهار الخوخ قد هوت، تُغطي الأرض بالأحمر؛
وانهار جبل اليشم، وأبدأ لن ينهض أو يظهر.

بكى تشيا لين وهو يلعن هسيانغ-لين ويقول بأنّ عليه دفع حياته ثمناً لذلك. حاول تشيا لين توقيفه عازماً على تسليمه إلى الشرطة، ولكن كانت يؤ-تشييه أكثر

الفصل الحادي والثلاثون

وفيه تقهر فينيكس منافستها بلطفها الواضح
وتَهلك ير-تشييه بسبب مُخطَط شيطاني مؤكَّد

يقال أن الطريقة الوحيدة لمنع الناس من معرفة أسرار المرء، تكون في عدم امتلاكه أيّ منها على الإطلاق. وهكذا، ومع مرور الوقت علّمت فينيكس بالزواج السري بين تشيا لين ويز-تشييه، وكان المسؤول عن إفشاء هذا السرّ هسينغ-يز، أحد خُدّام تشيا لين الموثوقين. ففي أحد الأيام، وبينما كان يتحدّث إلى خادم آخر حول سيّدتهما الجديدة، تناهى الحديث إلى سمع فينيكس، فاستدعته إليها على الفور.

قالت تُلمّح بحزن:

- «أرى أنّك وسيّدك قد مارستما بعض الخدع. والآن أخبرني بكل ما تعرف من دون أيّ لفّ أو دوران».

أشعره سؤال فينيكس المُفاجئ بالهلع بالرّغم من قوة عزمته وذكائه، وراح ينحني أمامها بصورة مُتكررة، في حين أكملت فينيكس كلامها:

- «أعرف أنّ هذه المسألة ليست خطأك ولا من تدبيرك. ولكن عليك إخباري بكل التفاصيل، وسوف أسامحك. وإلاّ، فعليك أن تخاف على رقبتيك، وتبحث ما إذا كان لديك رأس آخر تستخدمه فيما بعد».

قال هسينغ-يز مُحاولاً تبرأة نفسه:

- «ما الذي تُحاول أن تُشير إليه ناي-ناي؟»

وعلى الفور صرخت فينيكس غاضبة، وقالت بنبرة الأمر:

- «فليُضرب هذا البائس بسبب كذبه».

وما إن سمع وينغ-يز، أحد خدمها المُفضّلين صوتها، حتّى أسرع لتنفيذ الأمر، لكنّها أوقفته وقالت له:

- «لا، دعه هو يضرب نفسه أولاً. ومن بعدها يأتي دورك لكي تضربه أنت».

خضع هسينغ-يز للأمر؛ فوقف ومدّ يديه إلى الأمام قدر استطاعته وراح يلطم خديّه بكل ما أوتي من عزم، إلى أن أمرته فينيكس بالتوقف. ثمّ كرّرت كلامها له بصورة أوضح:

- «ألا تعلم شيئاً يتعلّق بسيدتك الجديدة؟»

ولمّا أدرك أن لا مفرّ من إخفاء أيّ شيء عن القضية، ركع هسينغ-يز أمامها وقال:

- «سأقول كل شيء إذا ما عفوت عني. فلا أستطيع التهرّب من ذلك، إذ أنّ

سيدي تشييا لين قد هدّدني بالقتل إذا أخبرت ناي-ناي».

فصرخت فينيكس بغضب:

- «هيا إذن!»

بدأ هسينغ-يز الكلام، وهو لا يزال راكعاً:

- «في أحد الأيام كان سيدي يسير على حصانه إلى جانب دجانغ-كو إلى

القصر الآخر، قادمين من المعبد. وكانا يتحدثان عن شقيقتي دجين-تا

ناي-ناي، وقال دجانغ-كو بأنّه سيُحاول الحصول على الأخت الثانية بي

ناي-ناي—»

قاطعته فينيكس بشيء من التجديف، وقالت:

- «أيّها البائس الوقح! أيّ بي ناي-ناي تقصد؟ ومن أين أنت بي ناي-ناي

هذه؟»

انحنى هسينغ-يزُ وقد غفل عما كان يقول. فحشته فينيكس على الكلام موبخة، فتابع يقول:

- «كان سيدي سعيداً بعرض الزواج الذي اقترحه دجانغ-كو، لا أعرف كيف حصل ذلك، لكن الأمر قد تمّ ترتيبه».
 - «بالطبع، أنت لن تعرف كيف تمّ الأمر، ولكن أكمل».
 - «من بعدها، استأجر دجانغ-كو منزلاً—»
 - «منزلاً؟ أين هو هذا المنزل؟»
 - «إنه من خلفنا تماماً، وليس ببعيد عن هنا».
- التفتت فينيكس إلى باشينس وقالت:

- «كنا كالجيفتين، بينما يحدث كل هذا من وراء ظهورنا!»
وتابع هسينغ-يزُ يقول:

- «ومن بعدها، أعطى دجين تا-يه بعض المال إلى عائلة تشانغ، وبالتالي، أسكتهم».
- «عائلة تشانغ؟»، هتفت فينيكس مُندهشة من هذا التحول في رواية هسينغ-يزُ، وسألت باستهجان: «ومن أين دخلت عائلة تشانغ إلى الموضوع؟»
- «آه، نعم»، قال هسينغ-يزُ، وأكمل: «ناي-ناي لا تعرف بأن يزُ ناي-ناي الأخرى—»

وفجأة توقف مُستدركاً أنه كان يستخدم نوع الخطابة المُحزَم عند الإشارة إلى يزُ-تشيه، فصنع نفسه على الفور، فأضحك فينيكس ومن معها، وعاد يُتابع الكلام بالخطابة المسموحة:

- «كانت شقيقة دجين تا ناي-ناي الثانية في الأصل مخطوبة لعائلة يُطلق عليها اسم تشانغ. ولما كانوا الآن قد أصبحوا فقراء، كانوا ينوون إعادة أوراق الخطوبة عندما قام دجين تا-يه بإعطائهم بعض المال».
- وتابع هسينغ-يزُ كلامه، وأخبرها عن المنزل، وعن الخدم، وعن انتحار سان-

تشبيهه، وعن الحقيقة بأن يو-شيه كان في المنزل بعد بضعة أيام من الزواج. وبعد أن استخرجت كل المعلومات التي يعرفها هسينغ-يز، أمرته فينيكس بالمغادرة. فانحنى لها من جديد وتراجع إلى البهو الخارجي، مُعتقداً أنه لا يستطيع المغادرة على الفور، فقد تحتاجه فينيكس لطرح بعض الأسئلة من جديد.

ولم تمرّ لحظات، حتى استدعته فينيكس إليها من جديد. دخل هسينغ-يز، فانحنى لها ووقف ينتظر. فسألته:

- «لماذا أنت مُستعجل على المغادرة بهذه السرعة؟ فهل تُريد أن تذهب إلى منزل سيدتك الجديدة يز-تشيه وتُخبرها بما حدث هنا؟ وما أنذا أقول لك الآن بأنك لن تذهب إلى هناك مجدداً، وعليك أن تكون مُستعداً للمشول أمامي في أي وقت قد أطلبك فيه. وسأحطّم ساقيك إذا تأخرت دقيقة واحدة، والآن يُمكنك الذهاب».

أطاعها الخادم، ولكنها عادت ونادت عليه بالرجوع إليها وقالت:

- «أعتقد بأنك ستُهرول الآن إلى يز-يه وتُخبره بكل شيء».

أجابها الخادم بخوف:

- «لن أجرؤ على فعل هذا ولو كان لي ألف رأس إضافي».

- «حسناً، ولكن إن عرفت بأنك قد تجرأت ونطقت بحرف واحد من هذا، فما عليك إلا أن تخاف على جلدك من السلخ».

وما إن أنهت كلامها، حتى صرفته من أمامها للمرة الأخيرة. ثم التفت إلى وانغ-يز، الذي كان قد وصل و ينتظر دوره. لكنها لم تقل له إلا:

- «بإمكانك أن تذهب الآن، ولكن اعلم بأنك ستكون مسؤولاً عن أيّ تسريب لما حصل».

في هذا الوقت، كان تشيا لين في رحلة أخرى إلى بينغ-آن-تشاو، والتي عاش فيها من قبل فترة شهرين. كانت فينيكس أثناءها، قد تصوّرت خطة لتدمير مُنافستها. وفي أحد الأيام، أعدت العدة وانطلقت لزيارة يز-تشيه، يُرافقها في الزيارة: باشينس، وفينغ-ير، وزوجة تشو دجوي، وزوجة وانغ-يز. فرحبت يز-تشيه بها وحيّتها بمثابة

«الشقيقة الكبرى»، واعتذرت منها متوسلة السماح لأنها لم تخرج للقاءها. وبعد أن رافقتها إلى الغرفة، وأجلستها في كرسي الشرف، ركعت على وسادة كانت قد أحضرتها لها الخادمة، وانحنت لها اعترافاً بمكانتها في المركز الأعلى. وحاولت أن تتواصل مع فينيكس بسرعة، فبدأت تشرح لها بأن كل ما حدث قد تم ترتيبه من قبل والدتها ويؤ-شبه.

وبالمثل، فقد بدأت فينيكس من جهتها تهدأة روع يز-تشيه بالقول:

- «في المبدأ، عليّ أن أومك على الطريقة التي حدثت بها هذه الأشياء»، ثم انطلقت تقول بلطافة واضحة: «بما أن اهتمامي بيز-يه نابع من القلب، فلا يمكنني في بعض الأحيان أن أحرضه ضد «النوم مع الصنفاص والكذب مع الزهور» على حد سواء، لأنه أمر ضار بصحته، ولأنه يتسبب بالقلق لـ لاو تاي-تاي وغيرها من كبار السن من الجيل القديم. أنا أكيدة من أنك ستفهمين هذه المخاوف السخيفة جيداً، طالما أنك امرأة. ولكن لا بد لي من الإشارة إلى أن يز-يه قد فهمني خطأ، ويعتقد بأنني غيورة، ولكن هذا لا يمت بأي صلة إلى الحقيقة. والواقع، أنني قد اقترحت عليه لمزات عديدة من أنه ليسعدنا جميعاً بأن تكون له زوجة ثانية، بحيث يُنجب لنا ولدًا نهتم به ونُعائشه في المستقبل. أما الآن، فأنا أشعر بالإهانة والظلم من يز-يه لأنه أقدم على الأمر بطريقة سرية كما لو أنني امرأة غيورة غير قادرة على تحمل عضواً آخر في العائلة».

كان أسلوب فينيكس صادقاً، وكل من عرفها يلحظ روعة تعقلها. تابعت تقول:

- «لقد سمعت عن الموضوع فقط أمس، وها أنا قد استعجلتُ المجيء إلى هنا من أجل الطلب من ناي-ناي العودة معي إلى البيت. فإذا أنتِ عشتِ هنا في الخارج، وأنا هناك في الداخل، فكيف لي أن أشعر بالسعادة، وكيف سيهنأ لي العيش؟ وألسنة الناس لا ترحم كما تعلمين- إذ لن ينعكس هذا عليّ أنا وحدي وحسب، بل عليكِ أنتِ أيضاً. وحتى على صيت وشهرة يز-يه. أتوسّل إليكِ القدوم معي الآن، وأعدكِ بأنكِ ستعيشين كما أعيش؛

فتأكلين مِمَّا آكل وتلبسين مِمَّا ألبس. وحينما يعود يز-يه، سيرى بأنني لا أغار ولا أحقد كما يعتقد. فإذا لم شعري بالرأفة تجاهي وتأتي معي، فسأتي إليك وأعيش معك هنا وأكون خادمتك أيضاً؛ ولكن عليك بكل الأحوال أن تُعطيني وعداً سواء أكان هنا أو هناك، بأن يكون يز-يه عندما يعود، عادلاً معي ولا يُعاملني بالقسوة والظلم».

وبعد أن نظقت بكل أنواع الظلم والأخطاء التي رماها هذا العالم عليها، والمعاملات السيئة التي تُعاني منها، انفجرت باكية بشدة وكأنها تبكي على موت نفسها. ونتيجة هذا الكلام، أصبحت يز-تشيه، التي شعرت بالترنح، مُقتنعة بمصادقية ما قالته فينيكس، وتلوم نفسها على تصديق الأخبار السيئة التي كانت قد سمعتها من قبل. ذهبت يز-تشيه مع فينيكس إلى تاكوان يوان، ونزلت في غرفة قريبة من جناح لي هوان. ثم قَدِّمتها إلى فتيات مُجمِّع الحديقة، اللواتي تفاجأن بتسامح فينيكس الاستثنائي كما كُنَّ مُغتبطات بجمال وجاذبية يز-يه.

سرفت فينيكس خادمت يز-تشيه، وخصّصت لها، شان-يز، واحدة من خادمتها الشخصية. ثم جمعت كل الخادمت وأمرتهن بخدمة يز-يه، وبأنهنَّ سيتحملن المسؤولية الكاملة عن هروبها من القصر. لم يكن هذا التحذير ضرورياً لأن يز-يه امرأة ليست من النوع الذي يُقدم على فعل هذه الأشياء. لا بل أنها كانت تنطلق هنا وهناك مع كل نسمة من الظروف. شعرت يز-تشيه بالسعادة لانقلاب الأحداث، فقد كانت فينيكس طيبة ولطيفة معها منذ اللقاء الأول، وكانت فتيات تاكوان يوان يُعاملنها ويتصرفن معها بتهذيب ومودة.

وبعد ثلاثة أيام أو أربعة، شعرت فينيكس بتبدل في طبيعة الخادمة شان-يز؛ فقد أصبحت الخادمة غير مُطِيعَة ومُنْعَجِرفَة. وبعد يوم، احتاجت يزتشيه إلى القليل من الزيت لشعرها، فطلبت من الخادمة أن تذهب إلى فينيكس للحصول عليه. لكنَّ الخادمة قالت لها:

- «يؤ ناي-ناي،⁽¹⁾ عليك أن تكوني أكثر عقلانية من هذا. إن تا ناي-ناي،⁽²⁾ امرأة مشغولة جداً، وعلينا ألا نُضايقها بهذا النوع من التفاهات. ما كنتُ أعيش هذه الخصوصية والاستثنائية لو كنتُ في مكانك. عليك أن تتذكّري حالة المُقارنة التي تضعين نفسك فيها. فلو كنتِ في أيدٍ غير لطيفة ولا كريمة كأيدي سيدتي تا ناي-ناي، لكنتِ الآن منبوذة، ولتركتِ في الخارج تُعائنين. وأين عندها ستكونين؟ وما هي الحال التي يُفترض أن تكوني عليها الآن؟»

أهان هذا الكلام يؤ تشيه، ولكنها، مع ذلك، لم تُقدم على التذمّر أو التشكيّ لخوفها من أن تظن فينيكس وغيرها من أنها تقصد التسبب بالمتاعب أو بالتهوّر والاستهتار. ومع الوقت، أصبحت الخادمة شان-يؤ أسوأ فأسوأ، إلى درجة أنها لم تعدّ حتّى تُحضر وجبة الغداء إلى يؤ-تشيه على الوقت. وعندما تأتي لها بالطعام، يكون بارداً ومُجمّعاً من فضلات الأطعمة التي بالكاد تُصلح للأكل. والحقيقة أنّ يؤ-تشيه قد استجمعت ما يكفي من شجاعتها وكلمتها بالأمر، ولكن الخادمة سرعان ما كانت تتجاهل ذلك. ولما كانت تُكلمها من وقت لآخر، تحولت الخادمة إلى مُتمزّدة، وأصبحت متوحّشة وعدائية-كانت فينيكس تأتي لتفقد يؤ-تشيه كل بضعة أيام. وبهذه المناسبات، كانت لا تنطق إلا بالكلمات الطيبة، ولا تُنادي يؤ-تشيه إلا باسم «ماي-ماي العزيرة». وتسألها مهمومة كيف تُمضي أوقاتها، وتوصيها بأنّها يجب أن تُعلمها ما إذا انتقصت أيّ من الخدمات من قدرها أو إن قصّرن في خدمتها، أو عاملتها بطريقة غضة أو جافة. ثمّ تلتفت إلى الخدمات، فتقول:

- «اعملن جيداً بأنكن تهتممن فقط بمن يُعاملكن برأفة وطيبة، وتخشين من يُعاملكن بحزم وقسوة. فإذا ما تناهى إلى سمعي أي شكوى واحدة من يؤ-تشيه بخصوصكن، فسوف أسلخ جلودكن دون أن تأخذني بكن رأفة

(1) أي «السيدة الثانية».

(2) أي «السيدة الأولى أو الأساسية».

أحبط هذا الكلام أي نية كانت لدى يو-تشييه للإشتكاء من الخادمة شان-يز أو غيرها.

في هذه الأثناء، استطاعت فينيكس تحديد مكان تواجد تشانغ هوا، خطيب يو-تشييه الأول، الذي تحول إلى شخص بلا جدوى، يُمضي أوقاته وماله هائماً في حانات القمار وأوكار الفسق والرذيلة. وكان هذا قد عزم على رفع دعوى ضد تشيا لين لتغريمه لإقدامه على الزواج في الفترة العائلية السنوية، وفي فترة الحداد العام. وإرغام تشانغ هوا على فسخ خطوبته، وغيرها من الجرائم المتنوعة التي كان تشيا لين من الناحية التقنية مُتَّهماً بها. بعد ذلك، ذهبت فينيكس إلى نينغ كوفو، وهناك أنجزت المشهد المرعب: مُوبخة يو-شييه وتشيا دجانغ ومُهددة لهما بإخبار الأم الكبيرة بما فعلاه من استدراج وإرشاد ل تشيا لين إلى هذا النوع من الجرائم الجنائية. توّسل تشيا دجانغ وناشد فينيكس إلى أن تراجع عن قرارها.

تلا ذلك، قيام فينيكس بتقديم يو-تشييه إلى الأم الكبيرة، قائلة لها بأنّها قد عملت على تأمين الزوجة الثانية من أجل تشيا لين بمُساعدة يو-شييه. سرّت الأم الكبيرة ومدحتها على اهتمامها بأمور زوجها وخيره، وعلى اهتمامها بأهمية استمرار سلالة العائلة. وقد تمّ لاحقاً انتقال يو-تشييه إلى غرف أعدت خصيصاً لها بعلم الأم الكبيرة. كما ازدادت سعادة الأم بوجود يو-تشييه أيضاً لأنّها كانت امرأة جميلة ومُتواضعة جداً.

كان الخُطة الرئيسة الذي تسعى فينيكس إلى تطبيقها، أن تبدو الأمور في أحسن حال لكي تبدو وكأنّها لا تشعر بأيّ غيرة أو حسد، وفي نفس الوقت، للتخلّص من يو-تشييه بطريقة أو بأخرى. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وهبت المزيد من المال إلى تشانغ هوا، وأجزلت عليه بالعطايا بهدف الإستمرار في إصراره على طلب استعادة خطيبته. ومن ثمّ ذهبت إلى الأم الكبيرة وأخبرتها بأنّه، وبسبب خطأ غير مقصود من قبل يو-شييه، فقد تزوّج تشيا لين من إحدى الفتيات التي كانت في الأصل مخطوبة، وأن خطيبها قد رفع دعوة من أجل استرجاعها. وبخّنت الأم

الكبيرة يؤ-شيه بعنف لعدم انتباهها وتهوّرهما، وطلبت إلى فينكس العمل على تهدأة ومساومة تشانغ هُوَا بقدر استطاعتها.

زعمت فينيكس أنّها قد أطاعت، لكنّها فعلياً شجّعت تشانغ هُوَا على الاستمرار قدماً بالدّعوى. وفي النهاية، قرّر تشيا دجين أن المسألة قد تجاوزت مداها المُمكِن، إذ كان من غير الوارد لعائلة تشيا التخلّي عن يز-تشيه. وهكذا، استدعى تشانغ هُوَا وهدهدّه بأنّه إذا كان يعرف قيمة جلده، فعليّه أن يُسقط الدّعوى في الحال. كان تشانغ هُوَا مُريداً لذلك، لكنّه كان من جهة ثانية، مُرغماً بإيعاز من فينيكس. عمل تشيا دجين على حل المُشكلة له عن طريق منحه مائة تايل مقابل وعدٍ منه بمُغادرة العاصمة في الحال.

فور عودته من بينغ-آن-تشاو، ذهب تشيا لين مُباشرة إلى بيته الجديد، وشعر بالاستياء عندما علم بأنّ فينيكس ظهرت على الساحة وأخذت معها يز-تشيه. كان شديد الحرج عند مُواجهة فينيكس، التي قالت له بأنّها سعيدة جداً بتأمين زوجة ثانية قد تحمل لهما ولداً، لكنّها لامته فقط على اعتقاده بأنّها قد تُعارض ذلك. كانت تقول مُخاطبة يز-تشيه:

- «أنا آسفة كثيراً لأنّ الناس تتكلّم كثيراً عن ماي-ماي. حتّى لاو تاي-تاي وتاي-تاي قد أصبحتا الآن على علمٍ بالموضوع، ويا ليتني أعرف أي طريقة أستطيع من خلالها وقف هذه الشائعات الشريرة».

لكنّها كانت في السرّ، تُشجّع الخادِمات على تحويل حياتها إلى بؤس وتعاسة قدر الإمكان.

أمّا اليوم، فقد أعدّت تواطؤها مع تشيو-تُونغ، وهي الخادِمة التي أعطها تشيا شيه إلى تشيا لين لإنجاح مهمّته في بينغ-آن-تشاو. ولأنّ الخادِمة قد أُعطيت إلى تشيا تشيه من قبل تشيا شيه، فقد شعرت بأنّها في موقع يفوق موقع يز-تشيه. فلم تعد تُعير اهتماماً إلى فينيكس أو باشينس، ولا حتّى إلى التعيسة يز-تشيه. كما أنّها لم تعد تقبل بأن تُداس من قبل أيّ امرأة وصلت إلى المنزل عن طريق السُّفاح أو الزنا، وكانت لا تخشى من قول ذلك حتّى على مسامع يز-تشيه. وكانت فينيكس

تعمل على نصحتها؛ فكانت تأخذها جانباً وتقول لها:

- «أنتِ شابة ولكنك متهورة. يجب أن تعلمي بأن يز-تشييه من المُفضلات لدى يز-يه. حتى أنا لا أدعي المساواة بها؛ إنه لتهوّر منك أن تقومي بإهانتها وإغاظتها باستمرار».

وكما كان مُتوقِعاً، فقد ألهب هذا الكلام تشييو-تُونغ، وجعلها تزيد من إساءاتها ضد يز-تشييه، التي بدأت تهزل وتضعف تحت وطأة الاضطهاد الذي لا هوادة فيه، وأصبحت فريسةً للمرض الطويل. إلا أن الشيء الوحيد الذي كان يُساعدها على التحمّل، هو أملها في وضع مولود ذكر يمنحها الحماية والقوّة. والواقع أنها كانت تحمل هذا الطفل، إلا أن الطبيب الذي استُدعي، أجرى تشخيصاً خاطئاً، وتسبّب علاجه القوي لها بالإجهاض.

أُصيب تشيا لين بنوبة حزن عنيفة، وعمل على توقيف الطبيب ومُعاقبته، إلا إذا كان هذا الطبيب قد علم بخطأه وهرب. وبدت فينيكس أكثر حُزناً من تشيا لين، فقالت أنه لا بُدّ في هذه الحالة من استدعاء الأطباء المُميزين بحيث تتحسن حالة العزيزة ماي-ماي وتحمل لهم الطفل الموعود.

وتَمّ في هذا الإطار استشارة أحد العزّافين؛ فقال بأن سقم المريضة كان بسبب تقاطع نجمها مع نجم شخص آخر مولود تحت رمز الأرنب. أشعلت هذه النبوءة نيران الغضب داخل تشييو-تُونغ، التي صودف أنها الشخص الوحيد من حول يز-تشييه المولودة تحت هذا الرمز. فقالت هاتفة:

- «أنا وهي مثل ماء النهر وماء البئر. فلماذا يجب أن يتصارع نجمي مع نجمها؟ لقد اعتادت أن ترى وتلتقي كل أنواع الناس، لكنّها لم تُعاني من شيء بسبب ذلك. فلماذا يجب أن تكون عُرضة لذلك الآن؟ لا يُمكنها أن تتخذ إلا السيّد. فما هو الطفل؟ مع الوقت، أيّ واحدة يُمكنها أن تحمل بطفل، وأصيلّاً أيضاً».

وفي وقت آخر، لجأت تشييو-تُونغ إلى مدام هسينغ واشتكت من أن تشيا لين ويز-تشييه يعاملانها بقسوة، فأرسلت مدام هسينغ بطلب تشيا لين ووبخته على ذلك

بشدة، وقالت بأنه من العار مُعاملة أيّ شخص بهذه الطريقة وهو مثلنا من البشر. شجّع هذا التوبيخ تشيُو-تُونغ، فأصبحت أكثر وقاحة من ذي قبل. فكانت تقف خارج غرفة يز-تشييه، وتوجّه لها من وراء النافذة الإهانة تلو الأخرى. في تلك الليلة، عزمت يز-تشييه على وضع حدّ لحياتها البائسة-كانت قد سمعت من قبل بأنّ الذهب يُمكن يُسبّب الموت، فنهضت من فراشها، فقاومت ألمها وسارت بقوة على رجليها، إلى الخزانة وفتحت علبة مجوهراتها وابتلعت قطعة من الذهب. ولمّا لم يزرها أحد في تلك الليلة، بقيت مرمية ولم تُكتشف وفاتها حتّى وقت متأخر من صباح اليوم التالي.

الفصل الثاني والثلاثون

وفيه تُبرهن شا تا-تشييه أنّ جهلها هو مصدر بركاتها
وأنّ جمال برايت ديزاين هو سبب سقوطها

كانت جنازة يُو-تشييه بسيطة إلى أبعد الحدود. فبعد بضعة قداديس أقيمت في بير فريغرانس كورت، دُفنت إلى جانب قبر سان-تشييه، بحسب رأي الأم الكبيرة التي اعتبرت بأن ليس من حقّها أن تُدفن في مقبرة عائلة تشيا. وكان على تشيا لين أيضاً أن يعمل على كل التفاصيل بنفسه، لأنّ فينيكس لم تكن مُستعدة لأن تُحرّك ساكناً لمُساعدته؛ فبالإضافة إلى عدم رغبتها في عمل أيّ شيء من أجل نَدتها السابقة، كانت مشغولة بالتخطيط من أجل احتفالات السنة الجديدة.

استمرّ نادي الشعر متوقفاً عن نشاطاته أثناء قيام لي هوان، وكويست سبرينغ، وبريشوس فيرتشو بمُساعدة فينيكس في إنجاز بعض أعمالها أثناء فترة مرضها؛ فقد تمت إعادة إحيائه من جديد، وتغيير اسمه إلى «بيتش فلاور كلب» (نادي زهور الخوخ). وقبل أن تبدأ العديد من اللقاءات فيه، وصلت رسالة من تشيا تشينغ تحمل خبر عودته إلى العاصمة من مركز المحافظة. وهذان بالطبع، دفع باو-يو إلى إجراء جردة على دروسه، ونسخ ما يكفي من الخطوط لإرضاء والده وإقناعه بأنّه لم يكن خاملاً ومُهملًا أثناء غيابه.

عاد تشيا تشينغ في الموعد المُحدّد لحفلة عيد الأم الكبيرة - في اليوم الثالث من الشهر الثامن. تمّ الاحتفال بالمناسبة بإسهاب، ولم تتميز إلاّ بحضور المحظية الإمبراطورية. استمرّت الاحتفالات عارمة مُدّة ثمانية أيام، مُنطلقة بالولائم من أجل

أمراء الإمبراطورية، ومُختومة بالعديد من الهدايا والعتاءات من قبل وكلاء أعمال وخدم القصرين. وكانت فينيكس مسؤولة عن إدارة الاحتفالات من جديد، وقد سار كل شيء على خير ما يُرام في ظلّ إشرافها البارِع.

كان في جناح الأم الكبيرة خادمة تُدعى شا تا-تشيه أو ستوبيد سيستر (الأخت الحمقاء). كان لهذه الخادمة قدمين كبيرتين وملامح ضخمة، وكانت على درجة كبيرة من السذاجة، إن لم نقل بسيطة العقل، وعادة ما تنطق بأشياء تُضحك الأم الكبيرة لفترة من الوقت. ولهذا السبب، كانت لها مُعاملة خاصة، ومُنحت المزيد من الحرية أكثر من غيرها من الخادِمات؛ فكانت تخرج من وقت إلى آخر للهو في الحديقة في أوقات الفراغ.

في إحدى نُزهاتها الخارجية، وبعد فترة وجيزة من الأحداث السابقة، عثرت ستوبيد سيستر على محفظة مُطرزة أثناء مُلاحقتها لبعض الحشرات وراء بعض الصخور. وبدلاً من الزينة المُعتادة الشائعة من الطيور والزهور أو الشخصيات في الأزياء التقليدية، وُجد على أحد الجوانب شخصين عاريين تماماً ومحصورين معاً، كما لو أنهما يُشاركان في مباراة مصارعة. ذهلت الخادمة بما وجدت وفكرت بعرضها على الأم الكبيرة، عندما مزّت مدام هسينغ في المكان.

كان من المُمكن تصوّر مشاعر مدام هسينغ عندما رأت المحفظة برسم الشخصين العاريين. ولكن إذا كانت قد شعرت هي بالخزي، فما الذي ستشعر فيه مدام وانغ عندما تعلم باكتشاف هذا الشيء في تاكوان يوان، على اعتبار أن شؤون تاكوان يوان كانت من مسؤوليتها أكثر من مدام هسينغ.

كانت فينيكس تتحدث مع باشينس في جناحها، عندما أعلن فجأة عن وصول مدام وانغ. كان وجه الأخيرة كالحأ، وما إن دخلت الغرفة حتى أشاحت بوجهها عن باشينس، واتجهت مُباشرة إلى فينيكس، فأخرجت المحفظة من كُمها ورمّت به إليها قائلة لها:

- «أنظري إلى هذا!»

صُدمت فينيكس لرؤية الرسم على المحفظة، وسألتها:

- «من أين حصلت تاي-تاي عليها؟»

أجابت مدام وانغ والرجفة في صوتها:

- «من أين حصلت عليها؟ وهل تسأليني أنا؟ لطالما كنت أقول بأنك قليلة

الحذر والاهتمام، ولكن من الواضح أن هفواتك لا تزال هي نفسها. فكيف

يُمكن أن تكوني مُهملة إلى درجة ترك هذا الشيء في الخارج؟ فقد وجدته

إحدى خادمت لاو تاي-تاي، ولو أنني لم أكن أمرّ في الوقت المُناسب،

لكانت الخادمة قد أوصلته إلى سيّدها!»

دُهشت فينيكس من هذا الاتهام، وسألتها وقد بدت ملامح الاستهجان على

وجهها:

- «ما الذي جعل تاي-تاي تعتقد بأن هذا الشيء لي؟»

- «ومن يكون غيرك؟»، سألتها مدام وانغ، وتابعت: «ففي المُجمّع الداخلي،

أنتِ ولين-يز الوحيدين المتزوجين، وليس بإمكان ما لدينا هنا من خادمت

صغيرات، امتلاك هذا النوع من الأشياء، أمّا البالغات منهنّ أعتقد بأنهن قد

يأتين بها إلى هنا. وأعتقد بأن لين-يز عديم النفع هذا، هو من حصل عليه

بطريقة ما وأعطاك إياه. بصراحة، من المتوقع حصول شباب هذه الأيام

على هذه الأشياء دون رادع، ولكن الذي استفزتي هو إهمالك المتواصل.

فماذا لو أنّ واحدة من أخواتك قد عثرت عليه؟ ومن الأسوأ، أن تعثر عليه

واحدة من الخادمت، وتنقله خارج القصر. فتصوري فقط مدى الفضيحة

التي قد يتسبب فيها ذلك!»

قالت فينيكس، بعد أن ركعت أمام مدام وانغ:

- «إنّ طريقة تفكير تاي-تاي صحيحة تماماً، ولا ينبغي عليّ افتراضاً أن

أعارض ما تقصده. ولكن الحقيقة الثابتة هي أنني لم يسبق لي أن امتلكت

شيئاً كهذا، ولكن تأملي عميقاً في الأمر، تاي-تاي. . . حتى لو حصلت

على هذا الشيء، فلن أفكر في حمله أينما حللت، وعلى الأخصّ إلى

الحديقة. فنحن الأخوات ندفع عادة بعضنا أثناء اللهو، أو نسحب بعضنا البعض على سبيل اللعب والتسلية. وفرصة رؤيته من قبل أخواتي مُمكنة في تلك الحالات، ومن غير المُمكن إذن أن أُجازف بحمله في مثل تلك الأوقات، مهما كانت درجة إهمالي التي تصفيني بها».

ذهبت فينيكس في حديثها إلى حدّ الإشارة إلى أنّها، ورغم كونها أكثر أعضاء يونغ كُوفُو المُباشرين التي يُمكن الشكّ بأمرها، فقد كان هناك الكثير من الزوّار الذين يتردّدون بصورة مُستمرة على تاكوان يوان، مثل محظّيات تشيا تشيه وتشيا دجين، اللذين كانا بمستوى عمرها، ومن المُحتمل إدخال هذا النوع من الأشياء إلى القصر.

عندما أنهت فينيكس كلامها، قالت مدام وانغ:

- «أرجو منك النهوض. ينبغي لي أن أعلم أنه لا يمكن أن تكوني أنتِ المسؤولة، ولولا غضبي لما شككتُ بكِ أبداً. ولكن السؤال الآن ما الذي علينا فعله حيال ذلك؟»

قالت فينيكس:

- «إنّ أهم شيء الآن، هو التكتّم على الموضوع، بحيث لا يصل إلى لاو تاي-تاي. علينا فقط أن نسّر به إلى الموثوقين من خدمنا، ونطلب إليهم البحث في كل أقسام وأجنحة مُجمع الحديقة تحت مُختلف الذرائع، وسيكون هذا وقتاً مُناسباً بالطبع للتخلّص من بعض الخادِمات غير المرغوب فيهن، وسنُحقّق بذلك شيئاً على حد سواء: التحرّز ممّا قد يستجدّ مُستقبلاً من أمور مُماثلة، وكإجراء اقتصادي. فما رأي تاي-تاي بذلك؟»

- «أنتِ على حق، بالطبع»، أجابت مدام وانغ، وأضافت: «ولكنني لن أفكر أبداً في تجريد أخواتك من خادِماتهن. وكما هي الحال الآن، فكل واحدة منهن لديها اثنتين أو ثلاث من الخادِمات المُعتدلات الهيئة. وبسبب صعوبة الأمور، لم نناقش هذه النقطة بعد. أوّد في هذا الخصوص، أن أُجري بعض التضحيات الشخصية بدلاً من تجريدن بهذه الطريقة، ولكن تابعي عملية

البحث التي اقترحتها».

وسرعان ما وصلت زوجة تشو دجوي مع أربع باي-فانغ أخريات تابعات لمدام وانغ، وفينيكس، في الوقت نفسه، مع زوجة وانغ شان، وخادمة مدام هسينغ، التي كانت قد أحضرت المحفظة، وقد أرسلت الآن من قبل سيدتها للاستفسار عما آلت إليه الأمور بالنسبة للموضوع. وبرغبة منها لعدم استغلال خادمتها فقط، التفتت مدام وانغ إليها وقالت:

- «أخبري سيدتك بأنني أرغب في مساعدتك في هذه المسألة إذا أمكن لها أن تستغني عنك الآن».

اعتادت زوجة وانغ شان دائماً على حمل الضغينة ضد أفضل خادمتها مُجمَعِ الحديقة، لأن أكثرهن لا يعرنها أي اهتمام، وكانت في هذه الفرصة ترغب في إثبات أهميتها، ولتسجيل النقاط على اللواتي يتصرفن معها بفظاظة على وجه الخصوص. فتتطحت وقالت:

- «يجدر بي عدم الكلام، ولكنني أرى أن بعض الخادمت هنا يحتجن إلى التأديب. إنهن يتصرفن وكأنهن سيدات وليس كخادمت. إنهن أشبه بكتلٍ من الوقاحة التي لا تُحتمل. فلهن دائماً طرقهن، لأن كل واحدة منهن تخاف من قول أي شيء، خشية أن تتحول الأمور وتُصبح الفتيات على محك الانتقاد والملامة. وتاي-تاي لا تدري بهذه الأمور، لأنها لا تذهب إلى أقسام مُجمَعِ الحديقة بصورة دائمة».

- «يُمكنني أن أتخيل ذلك تماماً»، قالت مدام وانغ وهي تهز برأسها بالموافقة، وتابعت: «إن كل ما في الأمر هو أن الخادمت الشخصية للشابات قد حصلن على بعض الدلال الذي أفسدهن».

ردت زوجة وانغ شان موافقة:

- «هذا صحيح، ولكن بعضهن قد تجاوز حدود اللياقة، ولا زالت في رأسي كمثل على ذلك، تشينغ-وين [برايت ديزاين] الموجودة في غرفة باو-يؤ. إنها جميلة بالفعل، ولكن المشكلة تكمن في أنها تعرف ما تفعله

تماماً، وتُصَرَّ عليه؛ فهي ترتدي وكأنها الأميرة هسي شيه، وتتصرف وكأنها الوحيدة. إنها سريعة الغضب وسليطة اللسان وميالة للتأنيب وللاستمرار في إظهار بعض أساليبها المُشينة عند أقل استفزاز».

تذكّرت مدام وانغ عندما سمعت هذا الوصف عن برايت ديزاين، بما سبق أن لاحظته خادمتها. فالتفتت إلى فينيكس وسألت:

- «لاحظت في آخر زيارة رافقت فيها الأم الكبيرة إلى مُجمَع الحديقة، فتاة ذات خصر بليونة الصفصاف، وعينين تُشبهان إلى حدّ بعيد عينا خادمك لين ماي-ماي. وسمعتها توبّخ الصغير يا-تو. لم تُعجبني أبداً، لكنني لم أقل شيئاً لأنني لا أريد التسبب بأي كراهية أمام لاو تاي-تاي. وأردت أن أتأكد من هويتها، إلا أنني لم أتمكن من الوصول إليها عن كثب-إن مواصفاتها تنطبق على تشينغ-وين».

- «إن تشينغ-وين من أجمل الخادِمات، وهي فظة نوعاً ما»، قالت فينيكس، وتابعت: «ووصف تاي-تاي ينطبق عليها تماماً، ولكنني لا أرغب في استحضار الواقعة، ولا أفترض بأنني سأعمل على التحقيق معها».

- «إذن، تمّت تسوية المسألة»، قالت زوجة وانغ شان، وتابعت بنبرة تحريص: «وكلّ ما على تاي-تاي فعله استدعاءها والتحقّق منها بنفسها».

قالت مدام وانغ:

- «عندما أזור غرفة باو-يُو، كنت أرى عادة كل من هسي-جين وشيه-يُو. وهما لطيفتان، وصریحتان وتمييزان ببساطة واضحة. ولا أرى أن باو-يُو مُستعدّ لتأثير فتاة مثل تشينغ-وين. فلطالما كرهت هذا النوع من الفتيات، ويجب ألا يُسمح بإفساد باو-يُو»، ثمّ التفتت إلى إحدى خادِماتها وقالت: «إذهبي وأتي لي بوحدة من خادِمات باو-يُو. . . أعتقد بأنّ لديه هسي-جين وشيه-يُو، فاحضري لي شيه-يُو، ولا تقولي شيئاً لها».

لم تكن برايت ديزاين تشعر بالراحة في ذلك اليوم، فها هي صحت للتوّ من قيلولتها، عندما وصلت خادمة مدام وانغ تطلبها هي الأخرى. كانت دائمة الخشية

من مدام وانغ، وحاولت دائماً أن تبدو وكأنها بعيدة عن أي شُبْهة خلال زياراتها إلى منزل باو-يو. كانت مُتفاجأة بطلبها، لكنّها كانت مُتأكدة من أنها لم تفعل شيئاً، وليست لديها أدنى شكوك، وخاصة منذ أن توقفت عن الإصراف في تزيين نفسها. ولكن بالنسبة إلى مدام وانغ التي كانت تشك فيها، فإنّ بساطة ثيابها وغياب زيتها ظهرا لها وكأنّهما كانا مدروسين وليسا طبيعيين، وهذا بالتحديد ما أغضبها وأثار استياءها. فقالت بسخرية:

- «ما هذه الهيئة التي تبدين فيها! هل تتصنّعين أنّك متوعكة؟ ولماذا تقومين بأنواع التصنّع هذه؟ قد تعتقدين بأنّي لا أعرف شيئاً عنك، ولكنك مُخطئة، ولسوف أعتني بك جيّداً عمّا قريب. كيف هو باو-يو اليوم؟»
عرفت الخادمة المسكينة على الفور، أنّ أحداً ما قد وشى بها، ودفاعها الوحيد الآن أن تُظهر بأنّها ليست حميمة بالنسبة لـ باو-يو. فركعت وأجابت:

- «لم أدخل أبداً إلى غرفة باو-يو وفقاً للقواعد والتعليمات، ولا أستطيع الإخبار عن حالته كيف هي بالتحديد. ولكن لديه هُناك هسي-جين وشيه-يويه، وبإمكان تاي-تاي أن تستفسر منهما».

- «تستحقّين الصفع على وجهك لهذه الإجابة الوقحة»، قالت مدام وانغ بنبرة حادة، وأكملت توبيخ الخادمة: «أليست لك عينين وأذنين؟ وهل أنت ميتة لكي لا تعرفي شيئاً ممّا يحدث؟ فما نفعك إذا كنت غير قادرة على الإجابة عن سؤال مثل هذا؟»

أجابت برايت ديزاين:

- «لقد كنتُ واحدة من خادمت تاي-تاي، وعندما انتقل باو-يو إلى مُجمّع الحديقة وخصّصتني لـ او تاي-تاي بالعمل لديه، قلتُ لسيدتي لـ او تاي-تاي بأنني لستُ رشيقة كفاية وقد لا أكون مُرضى عنها في العمل، لكنّها قالت لي بحزم: "لا أريدك أن تهتمّي بحاجات باو-يو الشخصية، ولكن عمّلك الأساسي هو المراقبة أثناء الليل في الغرف الخارجية، ولا تحتاجين إلى الكثير من المهارات والذكاء للقيام بذلك". وبناء على هذا ذهبت. ومن

النادر أن يطلبني باو-يُو، وإذا ما فعل، كنتُ أفف أمامه وأجيب عن الأسئلة التي كان يطرحها، وهذا كل شيء. وعندما لا يكون لديّ ما أفعله، أعمل على خياطة بعض الأشياء من أجل لاو تاي-تاي. أما بالنسبة إلى مُتطلبات باو-يُو الشخصية، فهناك المُريبات والخدمات الكبيرة، بالإضافة إلى خدماته الشخصية مثل بيرفايدينغ فريغرانس، وماسك مؤون وآتومن سكاي. وهذا هو سبب عدم قُدرتي على الإجابة عن أيّ سؤال يخص باو-يو. وبكل الأحوال سأحرص على أن أكون أكثر انتباهاً في المرة القادمة إذا ما كانت تاي-تاي تُريد ذلك».

قالت مدام وانغ:

- «لا، لا تُزعجي نفسك بذلك. فكلّما ابتعدتِ عن باو-يو أكثر، كلّما كنتُ سعيدة أكثر. ولكن طالما أنّك قد عيّنتِ لديه من قبل لاو تاي-تاي، فمن واجبي أن أتكلّم معها أولاً قبل التخلّص منك. والآن، يُمكنك الذهاب واحذري من أن تتصرّفي كامرأة غاوية! فلا نفع لي بفتيات على شاكلتك هنا». في تلك الليلة، وبعد أن أوت الأم الكبيرة إلى سريرها، تقدّم فريق التفتيش إلى مُجمّع الحديقة. شرعوا أولاً بالخدم الذين يُراقبون في الليل، فلم يجدوا لديهم ما يدعوا إلى التجريم سوى القليل من الشموع وجرة أو جزّتين من الزيت للمصباح، والتي كان قد أخفاها أحدهم من أجل أخذها إلى البيت لاحقاً. وهذا النوع من السرقات الصغيرة كانت غير ذي أهمية، ومتوقعة عادة في مُقتنيات هذا التجمع الضخم مثل يُونغ كُوْفُو-إلّا أنّ زوجة وانغ شان-باو، وثبت من فوقها كما لو أنّها قد اكتشفت جريمة عظيمة. وأصرّت على اعتبار هذه الأشياء نوع من الأدلة وبعثت إلى مدام وانغ للتصرف بذلك في اليوم التالي.

بعد ذلك انتقلوا إلى صومعة الفاوانيا (بيوني كورت) حيث كان باو-يُو يتواسى مع برايت ديزاين. دُهِسَ بقدم فينيكس مع هذه الحاشية من كبار المُساعدين، وقد ازدادت حيرته عندما دخلوا مُباشرة إلى غرف الخدمات. وعندما سأل فينيكس عن معنى هذا، قالت:

- «فقدت بعض الأشياء الثمينة ولم يعترف بها أحد، وقد قررنا تفتيش كل غرف الخادماٲ».

جلست فينيكس وحصلت على بعض الشاي، بينما استمرت زوجة وانغ شان-باو في عملية التفتيش. وبعد تفقد الأشياء المطروحة في أرض الغرف، أمرت كل خادمة بفتح صندوقها؛ فعلت الخادماٲ جميعهن ذلك دون تردد كما فعلت بيرفايدينغ فريغرانس. لكن برايت ديزاين لم تكن موجودة من أجل فتح صندوقها، وما إن سألت زوجة وانغ شان-باو عن صاحبة هذا الصندوق الذي لم يُفتح بعد، حتى تسللت خلسة ومن دون أي كلمة، فتحت الصندوق وأفرغت محتوياته على أرض الغرفة. عند ذلك، قالت زوجة وانغ شان-باو وقد طفح وجهها غضباً:

- «يجب ألا يُغضبك ذلك، كو-نيانغ. لم نأت إلى هنا من تلقاء أنفسنا، بل بأمر من تاي-تاي. وإذا كنت لا ترغبين في تفتيشك، فما عليك إلا القول، فسوف نفعل ذلك، ومن ثم نُبغ تاي-تاي. فلا يجب عليك التصرف بهذه الفظاظة».

أدى هذا الكلام إلى زيادة حنق برايت ديزاين. فقالت وهي تشير بإصبعها تجاه زوجة وانغ شان-باو:

- «إذن أنت هنا بأمر من تاي-تاي. وماذا في ذلك؟ وأنا هنا أيضاً بأمر من لاو تاي-تاي. وأعرف أيضاً جميع خادماٲ تاي-تاي، ولم يسبق لي بالتشرف بمعرفتك وبأنك بهذه الأهمية والتفضيل».

وقفت زوجة وانغ شان-باو صامته تُفكر في الرد، لكن فينيكس قالت لها:

- «إنها أقل من منزلتك، ما-ما، ولا تستحق المناقشة. فمن الأفضل الاستمرار في مهمتك، لأن هناك العديد من الأجنحة وإذا تلكأنا هنا طويلاً، فقد تنتقل أخبار ذلك بسرعة».

كظمت زوجة وانغ شان-باو غيظها، ثم تفحصت أغراض برايت ديزاين بتمعن؛ ولما لم تجد شيئاً لافتاً، أبلغت فينيكس بذلك.

بعد أن غادر فريق التفتيش بيوني كورت قالت فينيكس تُكلم زوجة وانغ شان-

باو:

- «لديّ اقتراح أتمنى أنه ينال إعجابك. ما رأيك في أن نُفتش فقط خادمتنا، ونبعد عن خادِمات هُويه كو-نيانغ؛ فسيبدو ذلك أمراً غير مُستساغاً».

وافقت زوجة وانغ شان-باو من دون تردد، قائلة:

- «حسناً، سيكون ذلك بلا مُناقشة».

في جولة التفتيش التالية، وصل الفريق إلى جناح بلاك دجايد، فوجد في غرفة بيربل كوكو بعض التذكارات من باو-يُو. فاعتقدت زوجة وانغ شان-باو بأنها قد اكتشفت شيئاً يُدينها. ولكن سرعان ما لفتتها إلى هذا الخطأ.

في هذه الأثناء، علمت كويست سبرينغ بعملية التفتيش، فأعدت نفسها لاستقبال النساء والفريق. وسألت الفريق عن الهدف من القدوم، فردت فينيكس:

- «إنه بسبب فقدان بعض الأشياء؛ وتمّ تفتيش الأجنحة الخارجية من دون العثور على شيء. وقد اقترحنا تفتيش كل الفتيات في مُجمّع الحديدية أيضاً، ليس لأنهن تحت الشبهات، بل لأنها الطريقة الوحيدة لتبرأتهم».

- «لست مُضطرة إلى إبداء كل هذا التهذيب معي بالنسبة لهذه المسألة»، قالت كويست سبرينغ ضاحكة، وتابعت: «ولربّما قد تخرجين أيضاً وتُشيعي بأنّ الشبهة تحوم حول كل خادِماتي، وبأنني أتلقى منهنّ المسروقات. ولهذا، أقول لك لا بأس، إبدأي أولاً بتفتيش أشياءي».

وما إن أنهت كلامها، حتّى أمرت خادِماتها بفتح كل صناديقها ورزَمها أمام فينيكس للتفتيش. وبينما كانت باشينس تعمل على مُساعدة فوليو في إغلاق الصناديق، قالت كويست سبرينغ:

- «تأكدوا من كل شيء قبل إقفال الصناديق لأنني لديّ الوصاية الكاملة على مُمتلكات خادِماتي، باستثناء حاجياتهن الشخصية التي يحملنها. فإذا وجدتم أي شيء مسروق لديهن، فستجدونه بين أشياءي، وليس في غرفهن. ولهذا السبب، لن أسمح بتفتيش غرفهن؛ فأنا سيّدة حازمة، وأعلم كل شيء

عنهن، وأعرف ما يملكن، وأنا مسؤولة عنهن بالكامل. وبإمكانكن نقل كلامي هذا إلى تاي-تاي، وسوف أتحمّل كل النتائج المترتبة على مخالفة أوامرهما.

وفي الحال، قالت فينيكس موافقة:

- «طالما أن كل مُمتلكات الخادِمات هنا في عهدتك، فلا حاجة إلى تفتيشها».
- «تقولين لا حاجة إلى التفتيش فيها بعد أن فتحت لك كل الصناديق لرؤيتها!»، قالت كويست سبرينغ، وتابعت: «أنا مُصرّة على تفتيشها بدقة، لأنني لن أسمح بأي تفتيش آخر، ولأنني لا أريدك أن تقولي لاحقاً بأنني قد حميت خادِماتي».
- «حسناً»، قالت فينيكس، وتابعت ضاحكة: «لقد فتنشنا جيداً ولم نجد فيها شيئاً»، ثم التفت إلى المُساعدات وقالت تسأل: «هذا ما حصل، أليس كذلك؟»

أجابتها المُساعدات، وقد غمر كلامهن الذّهاء والخبث:

- «نعم، هذا ما حصل».

ولكن زوجة وانغ شان-باو، التي تعوزها اللبابة، اختارت هذه اللحظة من أجل أن تتلاطف بنكتتها السمدجة. فقد سمعت عن كويست سبرينغ بأنها ليست بالفتاة التي يُمكن العبث معها، ولكنها كانت تعتقد بأن هذا يعود إلى أن الآخرين لا يعرفون كيف يتعاملون معها؛ وانطلاقاً من حقيقة أن كويست سبرينغ قد أبدت كل ما لديها من ملاحظات إلى فينيكس. فاستنتجت أن كويست سبرينغ كانت غاضبة من فينيكس، وأنها هي نفسها والخادِمات الأخريات لم يكن موضوع استيائها. ومن هنا، تقدّمت من كويست سبرينغ، وفتحت لها معطفها، وقالت لها:

- «أنظري! حتّى أننا فتنشنا كو-نيانغ نفسها. فهناك»-

وقبل أن تُنهي زوجة وانغ شان-باو ما تقول، حتّى تلقت صفة مُدوية على وجهها من كويست سبرينغ، وقالت تُخاطبها بغضب:

- «ومن أنتِ لكي تتجرّأي على لمسي؟ إنني، احتراماً لسنك، ولحقيقة

خدمتكِ لسنوات في ظل تاي-تاي، أحترمُكِ بمُناداتكِ ما-ما وأعاملكِ بلطف واحترام، ولكن هذا لا يعني أبداً أن تنسي نفسك وتخطي الرّسميات إلى هذه الدرجة. لقد حاولت التّغاضي كثيراً عن تعجرفكِ وتصلّفكِ، إلى أن وصل بك الحدّ لأنّ تمدّي يديك عليّ، فإذا كنتِ تظنين بأنكِ قادرة على مُعاملتي بالطريقة التي تُعاملين بها فتاتكِ، فأنتِ بالتأكيد مُخطئة».

وبعد أن بدأتِ بفكِ ازرار معطفها. التفتت إلى فينيكس وقالت:

- «إذا كنتِ ترغبين في تفتيشي شخصياً، فعليكِ أنتِ أن تفعلي ذلك، ولا تتركي يد خادمة تمتد إليّ».

أسرعت كل من فينيكس وباشينس بإعادة تزيير معطف كويست سبرينغ، وخاطبتا زوجة وانغ شان-باو بصوت واحد:

- «ما-ما، لا بدّ أنّكِ شربتِ ونسيتِ نفسكِ إلى هذا الحدّ. فمن الأفضل لكِ مُغادرة الغرفة في الحال قبل أن تتسببي بفوضى أخرى».

وفي نهاية المطاف، وبعد الكثير من الاعتذارات، استطاعت كل من فينيكس وباشينس من إقناع كويست سبرينغ بالخلود إلى النوم. بعدها، ذهب الجميع إلى جناحي كل من لي هوان وكومباشن سبرينغ، حيث فتّشن عُرف الخادِمات من دون إزعاج سيّداتهن.

عندما وصل فريق التفتيش إلى جناح ولكوم سبرينغ، كانت الأخيرة قد أوت إلى فراشها، وكانت الخادِمات يُحضرن أنفسهنّ لذلك. . . ولهذا كانت هُنَاكَ مسافة ما بين الطرق على الباب وفتحه. والآن، كانت تّشيس ابنة وانغ شان-باو الكبرى، وأحست فينيكس بالفضول لترى ما إذا كان سيجري تفتيش أشياء ابنتها بالكامل كما حصل مع الخادِمات الأخرى. شرع فريق التفتيش عمله على أغراض الخادِمة الأخرى أولاً، ولم يجد شيئاً. وعندما جاء دور إبنة زوجة وانغ شان-باو، فأسرعت وأجرت تفتيشاً سطحيّاً على عجل وقالت:

- «لا يوجد أي شيء هُنَا».

ولكنّها عندما كانت على وشك إقفال الصندوق، قالت زوجة تشو دجوي:

- «من العدالة أن نُفتش في أغراضها جيداً كما فعلنا مع غيرها من الخاديات». وبعد أن غاصت كثيراً في التدقيق في صندوق ابنة زوجة وانغ شان-باو، عثرت على زوجي أحذية رجالية، ورسالة من ابن عم الخادمة تُشير إلى أن الاثنين قد التقيا في الحديقة منذ بضعة أيام خلت.

تسبب هذا الاكتشاف غير المتوقع لزوجتي وانغ شان-باو بالخجل الشديد، وأوقعها في حرج لم تكن مهتأة لاحتماله. وكنيجة لذلك، راحت تصفع وجهها وتلعن نفسها، وتقول:

- «أيتها العجوز البائسة... أنت التي تعيشين من وراء الزمن. فما الذي فعلته لكي تجلبي هذا العار على نفسك؟ ولماذا لا تهتمين بشؤونك وتركين شؤون الآخرين؟»

وبالرغم من أن التفتيش قد انتهى من دون العثور على أي أدلة جرمية بحق برايت ديزاين، فقد تمت مُعاقبتها مع تسييس سوية. ولما كانت قد تحسنت منذ فترة وجيزة، فقد أدى ما حصل إلى تفاقم مرضها، وهي، التي كانت فخورة وحساسة إلى حد الإفراط، فقد توفيت في وقتٍ لاحق ليس بطويل.

الفصل الثالث والثلاثون

وفيه تزوج هسويه بان من «لبوة، هو-تونغ
وتزاوجت ولكوم سبرينغ مع «ذئب، تشانغ-شان

ذهب باو-يو في أحد الأيام إلى جناح تشيا شيه لزيارة سون شاو-تسو، خطيب
ولكوم سبرينغ، بناء على رغبة والديه، واقترح تشيا شيه. كانت الأم الكبير وتشيا
تشينغ يعارضان، والسبب في ذلك، أن عائلة سون كانت حديثة القدم إلى المكان،
وكان جدّ سون شاو-تسو قد ربط نفسه إلى تشيا تاي-شان لأنه كان في موقع يسمح
له بمساعدته في إنجاز بعض المعاملات الصعبة. ولكن لما كانت مواضيع الزواج
هي همّ الوالدين، لم يضغط كثيراً من أجل صرف النظر عن الزيارة، وهكذا تم في
النهاية تحقيق الخطوبة. وكانت زيارة سان شاو-تسو الخطوة الأخيرة من إجراءات
التنفيذ.

والواقع أن باو-يو لم يكن سون شاو-تسو يعجبه. وكانت ردة فعله على خطوبة
ولكوم سبرينغ كمن يوافق من أجل الهروب من الواقع والحقائق. فهو لم يفهم
لماذا على الفتيات الجميلات الزواج والتحول إلى عبدات للرجال كأمر مُسلم به،
بينما يُمكنهنّ البقاء مُتحرّرات من كل شيء، حتى من انشغال الذهن، والانغماس
في اللعب وكتابة الشعر.

أوى باو-يو إلى الفراش تلك الليلة، وهو متعكّر المزاج، وشاهد الكثير من
الأحلام والكوابيس. وكان بسبب ذلك يصحو وهو يُنادي باسم برايت ديزاين،
أو يتفوه بكلام غير واضح ومُتقطع. وفي اليوم التالي، لم تكن لديه شهية للطعام،

وأصابته الحمى المترافقة مع حرارة عالية. كان ذلك، طبعاً، نتيجة للأحداث الأخيرة: تفتيش مُجمّعات الحديدية، طرد تشييس وغيرها، مُغادرة ولكوم سبرينغ، وعلاوة على ذلك، إذلال وموت برايت ديزاين.

حينما حضر الطبيب، طلب من باو-يُو الانحباس في الغرفة لمدة مئة يوم. وبعد حوالي الشهر، بدأ يشعر بالتحسن الكافي لكن التضايق من الحبس في مسكنه، وحاولت الأم الكبيرة التملق لكي تدعه يخرج، ولكن بلا فائدة. ولهذا حدث أن فاته زواج هُسوِيه بان، وزواج ولكوم سبرينغ، واللذين حصلوا خلال هذه الفترة.

وبالعودة إلى زواج هُسوِيه بان، فقد كانت عروسه، كاسيا، الوحيدة في عائلة هسِيَا. وكانت هذه العائلة غنية على غرار عائلة هُسوِيه، بالإضافة إلى تشابههما في تأليف لجنة كوكلاء شراء لقصر من أجل جيل العائلة الجديد. كانت كاسيا جميلة وطيبة، لكنّها كانت تُعامل بقسوة مُهينة من قبل والدتها الأرملة. فقد كانت هذه الأخيرة أنانية، وكثيرة الشك، وقاسية جداً، وتحتقر كل من هم تحت سيطرتها. وإذا ما تصدّى لها واحد بأدنى شيء، كانت تثور كالمجنونة، وتبكي وتصرخ وتشم بحرية وكأنّها قد طُبعت على هذا السلوك الرديء.

والآن وقد تزوجت، فقد تتبّعت إلى أنّها ستلعب دور الزوجة المتواضعة والمُطبعة. وصمّمت على أن تظهر بأنّها سيّدة نفسها، وهذا ما كانت عليه، من قبل أي من تلك الأفكار الخاطئة التي فبركها البعض عنها. لكنّها لم تكن بعد قد وضعت خُطتها الدقيقة والحاسمة. أمّا هُسوِيه بان، وهو واحد من أولئك الذين يؤمنون بتطبيق مبدأ "ما لي هو لي، وما لك، هو لك ولي"، كان تَوَاقاً إلى إسعاد عروسه، وجاهزاً بأن يتنازل لها، إذا ما برزت الاختلافات بينهما. ففي الشهر الأول من الزواج، كان الأخذ والعطاء بينهما مُتعادلاً إلى حدّ بعيد؛ ومع مرور الشهر الثاني، بدأ هُسوِيه بان يأخذ الكثير ويُعطي القليل.

كان هُسوِيه بان مثلاً حَيّاً، ليس فقط عن الأقوال المُقتبسة، وإنّما أيضاً عن الأقوال المأثورة، مثل: "يستولي على أرض شو، وطمعه بأرض لانغ". فبعد أن أشبع رغباته من زوجته كاسيا، بدأ يصب اهتمامه على خادمته تشاري التي كانت تفتقد

إلى الجاذبية نفسها. كانت الخادمة راغبة في ذلك، ولأنها كانت تعرف سيئتها جيداً، كانت خائفة من تشجيعه.

في هذه الأثناء، كانت كاسيا أكثر اهتماماً في تحريض هسويه بان ضد لوتوس، مع أن هذه الأخيرة مثالية في سلوكها، ولم تكن لديها أرضية للغيرة والحسد. ومن خلال عقلها المتعرج والكيدي، رأت كاسيا الفرصة مؤاتية لاستخدام تشاري كوسيلة ضد لوتوس. ومن أجل ذلك، لم تُحاول منع زوجها عن مُغازلة خادمته والتحرش بها من وقت لآخر.

في إحدى الأمسيات، قبض هسويه لا بان على يد تشاري وهي تناوله كوباً من الشاي. تظاهرت الخادمة بأنها ترفض، وسحبت يدها، وخلال ذلك، سقط الكوب على الأرض وتحطم. وللتغطية على عمله، اتهم هسويه الخادمة بقلّة الانتباه، فتراجعت إلى الوراء تحت وطأة لومه. عند ذلك، قالت كاسيا:

- «لا حاجة للتوضيح، لستُ بعمياء لكي لا أرى ما كنت بصدده».

انفرج وجه هسويه بان عن ابتسامة عريضة، بينما غادرت الخادمة إلى غرفتها وقد فاض وجهها خجلاً.

بعد ذلك، وخلال فترة النوم، تظاهرت كاسيا بأنها غير مُهتمة بالطريقة التي يُمضي بها زوجها ليلته، فقالت له:

- «إذهب حيث تشتاق أن تكون»، ودفعته على سبيل المُداعبة، وتابعت: «فأنا لا أريدك أن تحرق قلبك في الشوق إلى الخارج».

عاود هسويه بان إلى بسمته إياها، بينما استمرت كاسيا تقول:

- «أفعل ما تشاء طالما أنه ليس من وراء ظهري».

ولإظهار عُرفانه بالجميل، قام هسويه بان بواجباته الزوجية بأفضل ما أمكن من قدرته في تلك الليلة. وفي اليوم التالي، لم يذهب خارج الغرفة بتاتاً. متأمل في فرصة لإشباع رغباته من جديد. وفي فترة ما بعد الظهر، تركته كاسيا عن قصد مع خادمته في الغرفة. وبعد أن تركت لهما مجال من أجل الحركات التمهيديّة، أرسلت

بطلب خادمة صغيرة لديها، وقالت لها:

- «إذهبي وأخبري لوتوس بأنني قد نسيت منديلي في الغرفة، ولتذهب إلى هُنَاكَ وتحضره لي، وأكدّي عليها بأنّ هذا الاقتراح قد جاء منك وليس مِنّي أنا».

فعلت الخادمة ما أمرت به، فقالت تطلب من لوتوس:

- «لقد نسيت ناي-ناي منديليها في الغرفة، وأنا أكيدة من أنّها ستُسَرّ منك إذا ما أحضرته لها».

تلقّت لوتوس الاقتراح بفارغ الصبر؛ لأنّها كانت قد أخطأت من قبل ورغبت في كسب رضى سيّدتها. وما حدث أنّها دخلت إلى غرفة سيّدتها، ولكن في اللحظة التي كانت فيها الخادمة تشاري قد استسلمت بين يدي سيّدها، الذي لم يُزعج نفسه حتّى في إغلاق الباب. وبسرعة، أشاحت بوجهها بعيداً واحمزت خجلاً وعاراً.

لم يتأثر هسويه بان بدخول الخادمة، لأنّه كان يظن بأنّه قد حصل على موافقة ضمنية من زوجته؛ لكنّ تشاري دُعرت لذلك وأصابها القلق الشديد، ولم تترك أي نوع من الكلام عن لوتوس إلا وتفوّهت به، ولم تترك أي فرصة للأخيرة من أجل الردّ بالمثل. وما لبثت أن دفعته عنها، واندفعت خارج الغرفة تدّعي محاولة الاعتداء عليها.

ثمّ أنّ غضب هسويه بان في هذه الحال لا يُمكن تخيله. فقد صبّ على لوتوس جام غضبه، ولم يترك إهانة أو شتيمة إلا ورماها بها. وفي تلك الليلة، كانت لوتوس قد زادت من سخونة المياه في حمّامه، فاتّهمها بأنّها قد فعلت ذلك عن عمد لتسبب له بالحروق في جسمه، فأهانها وضربها، وهو شيء لم يسبق له أن فعله من قبل-فقد كان سريع الغضب ومتهور؛ لا سيّما وأنّه كان يُعامل لوتوس كابنة أكثر منها كخادمة.

ومن أجل التخفيف من عذابات هسويه بان، قامت كاسيا بالترتيب له من أجل أن يُمضي الليلة فترة من الوقت في غرفة تشاري، وطلبت من لوتوس النوم معها في الغرفة من أجل السهر على خدمتها. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّها ترغب في إرهاب لوتوس وإذلالها؛ فقد عملت على إنهاض الخادمة من نومها سبع

أو ثماني مرات من أجل إعداد الشاي لها، أو لتدليك رجلها، وغير ذلك، لتتأكد من أن الخادمة لن تحصل على فترة من النوم المريح. كما أنها تعمّدت إيجاد الأخطاء في كل ما فعلته لها لوتوس، وادّعت بأن الخادمة قد قصدت إثارته، ودفعها إلى الموت، ومن أجل ذلك، قامت لوتوس بالتقرب من هسويه بان إلى درجة احتكاره. وفي ذلك الوقت، بدأت كاسيا تشكو من ألم في المعدة والأطراف. استمرت هذه الأمراض المزعومة بحسب رأي الآخرين والتي فاقت قدرة التشخيص الطبي.

وفي أحد الأيام، قامت إحدى الخادמות بفتح وسادتها من أجل تغيير حشوتها، وجدت في داخلها دمية ورقية عليها يوم وساعة ولادة كاسيا مكتوبين على الدمية بسبع أبر مغروزة داخل القلب والمفاصل الأربعة من الأطراف. فلم تدر هسويه لي-ما ماذا عليها أن تفعل؛ أمر هسويه بان بجلد الخادمت والخدم حتى يعترف المذنب.

قالت كاسيا:

- «ليس من العدل أن يُجلد الصالح مع الطالح، فعلى الأرجح هي تشاري، التي تُريد أن تتخلص منّي من أجل الحلول محلّي».

وقال هسويه بان:

- «لا، لا يُمكن أن تكون هي؛ فهي لم تدخل غرفتك في الآونة الأخيرة».
- «ومن ثراه يكون إذن، إلا إذا كنت أُجرب السحر الأسود على نفسي».
- «من المُرجح أن لوتوس تعرف»، قال هسويه بان، وتابع: «فهي كانت تعمل على خدمتك هذه الأيام».

قالت كاسيا:

- «لا فائدة من استجواب أحد، إذ لن يعترف بذلك أي من الموجودين. وأرى أنه من الأفضل نسيان الموضوع، والتصرف كما لو أنه لم يكن. وما يهم إن أنا مت؟ فيسمح لك ذلك الزواج بأي واحدة ترغب فيها، لأنني أعرف جيداً أنكم جميعاً تُريدون التخلص منّي وإزاحتي من أمامكم!»
- أنهت كاسيا كلامها وانفجرت باكية بعنف.

لم يمرّ تأثير هذا الكلام على هسويه بان مرور الكرام؛ فافتلح مزلاج الباب، وانهاهال به ضرباً على لوتوس، إلى أن أوقفته والدتها قائلة:

- «عليك ألا تقفز مباشرة إلى النتائج من دون أدلة. فالفتاة كانت ولم تزل معنا منذ عدّة سنوات، وكانت طوال تلك الفترة دائمة الإخلاص ومحط الثقة. فلا يُمكن أن تكون هي من فعل ذلك».

عقب ذلك، ومن أجل شحن زوجها، ردّت كاسيا عليه بعنف وبصوت أعلى ارتفاعاً، فقالت بنبرة تحريضية:

- «أولاً، أخذت خادمتي الخاصة إلى الخارج بالقوة، ودفعنتي لأخذ لوتوس إلى غرفتي. . . ولا تُريدني أن أحقق مع تشاري لأنها ساخنة وتتناسب مع غرائزك. والآن تتظاهر بأنك تُعاقب لوتوس؛ فأنا أعرف بما يدور في خلدك! إنك تُحاول دفعي إلى حتفي، من أجل إفساح المجال لك للزواج بواحدة أجمل، وأكثر تواصلاً معك مني».

أصابت هسويه بي-ما ثورة من الغضب على الطريقة المُخجلة التي تتصرّف بها، بالإضافة إلى اتهاماتها وتلميحاتها السخيفة؛ وكانت غاضبة من ابنها أيضاً لأنه يسمح لزوجته أن تتصرّف بهذه الطريقة. كما أنها لم تكن لديها الوسيلة المناسبة لتحديد الشخص المسؤول عن السحر الأسود. والحقيقة التي يُمكن قولها في هذا المجال: «إذا كان الحكيم العاقل لا يستطيع تفسير التعقيدات العائلية» فمن المؤكّد أنّ يكون الآباء الأكثر تبصراً عاجزين أمام النزاعات بين الإبن والزوجة».

وفي ظلّ غضبها وعجزها، صرخت تُخاطب هسويه بان:

- «ما الذي فعلته في التجسيد السابق لكي أستحق ولداً مثلك؟ حتى الكلب التائه في الحرّ ليست لديه الوقاحة التي لديك. فكيف تفعل شيء كهذا لتجعل زوجتك تدمر وتشتكي من خادمتها وتقول بأنها قد تعرّضت لمُحاولة اغتصاب؟ وما الذي حدى بك إلى اتهام لوتوس؟ فأنا أعرفك؛ إنك تعمل دائماً على هجر القديم من أجل الجديد. وطالما أنك سئمت من لوتوس، فسأشتريها إن كان هذا سيؤدّي إلى إحلال السلام بينكما»،

ثم التفتت إلى الخادمت، وأمرت قائلة: «فلتذهب واحدة منكن لإحضار هذا الوسيط، لتتخلص من هذه الشوكة الموجودة في اللحم، والمسمار الموجود في العين. والآن، هل لنا أن نحصل على الهدوء والسلام هنا». اكتفى هسويه بان بإحناء رأسه لوالدته صامتاً، إلا أن كاسيا التي لم تعد تتحمل الصمت أكثر من ذلك، فقالت باكية وهي تصرخ بصوت أعلى:

- «إذا كنتِ ترغيبين بشرائها، فهنا افعلي ذلك دون تردد. ليس من الضروري أن تُبدي التلميحات بإشارتك إلى شوكة في اللحم ومسمار في العين. وإلى من تلمحين بقولك ذلك؟ ولو أنني كنت من النوع الغيور كما تلمحين، لما سمحتُ له بالحصول على خادمتي».

وهنا، ضرب هسويه بان رجليه بالأرض وقال يائساً وهو يُشير إلى كاسيا:

- «توقفي! توقفي! لا تجعلينا أضحوكة أكثر مما تفعلين!»
رفعت كاسيا صوتها الآن أعلى، وقالت:

- «ليس لدي ما أحجل منه! فلماذا عليّ السكوت، بينما حبيبتك المفضلة تعمل على التخلص مني؟ فلعلك تُريد بيعي ووضعها هي في مكاني؟ من ذا الذي لا يعلم بأن آل هسويه لديهم المال والتأثير ويستطيعون فعل ما يشاؤون؟ لماذا لا تحسم الأمر وتتخلص مني؟ ما الذي تنتظره؟ ولكن دعني أسألك أيضاً، لو صحيح أنني كنتُ غير مناسبة لك، فلماذا ارتديتِ حذائك وجريتِ تننطح إلى منزلنا في المقام الأول؟»

وهكذا استمرّت ثورتها، ولكانت هسويه بي-ما وابنها سيتواجهان المزيد من هذا النوع من الغضب لولا أن بريشوس فيرتشو لم تخرج في النهاية وحثّت الجميع على ترك هذه المرأة السليطة لوحدها.

كان إعلان نية هسويه بي-ما بشراء لوتوس، بالطبع، نوع من التهديد الذي أُطلق في لحظة انفعال عفوية. ففي عائلة مثل عائلة هسويه، كما ألمحت إلى ذلك بريشوس فيرتشو، يُمكن إعادة العبدَة إلى ذويها أو تزويجها إلى رجل ذات مركز مُناسب، لكن الشراء لم يكن تقليداً، ولم يكن موجوداً أصلاً. وانطلاقاً من هذا، وافقت هسويه

بي-ما على ترك لوتوس مع ابتها. وبذلك تكون أحد أسباب المشكلة قد تم حلّه بلا شك.

لم تكن لوتوس قوية، ولمّا كانت عرضة لاضطرابات الدورة الشهرية، فقد أدّت المُعانة والمذلة التي واجهتها، إلى تطوّر حالتها والتسبب لها بتوقف كامل لهذه الدورة. فقدت الشهية على الطعام وازدادت ضعفاً يوماً بعد يوم. ولم تنفع وصفات الأطباء في إظهار أي بريق أمل من التحسّن على حالتها المتدهورة.

تابعت كاسيا استكمال رسم المشهد. ولمرة أو مرّتين، كان هسويه بان يُدعّم شجاعته بالخمّر، ويشرع في محاولة منه إلى إعادة هذه المرأة إلى صوابها، وكانت، عندما يُهدّد بضربها، تُدير ظهرها وتقول له: «هيتا افعل ما تشاء!؛ وعندما هدّدها بالقتل، مدّت بعنقها إليه وتحدّته أن يفعل إذا كانت لديه الجرأة على فعل ذلك. وفي النهاية، جعلت منه هذه التهديدات الكلامية صغيراً ومُجرّداً خسيس بنظرها.

كانت خطوة كاسيا التالية، تركيز اهتمامها على تشاري، التي كانت تُضاهي سيّدتها إلى حدّ ما؛ فلم تكن تريد أن تردّ على الكلام بالكلام فحسب، بل كانت لتردّ على ذلك بكلمات أكثر قوّة وتأثيراً. وعندما استفزّت كاسيا على ضربها، فقد شرعت، بالرغم من أنّها لم تردّ بالضرب، بالبكاء والصراخ حتى يسمع جميع الجيران في المنطقة، وتُدحرج نفسها على الأرض وتُهدّد بالانتحار، «وهي تبحث عن السكاكين والمقصات في النهار، والحبال والربطات في الليل».

لم يحدث أيّ نوع من السلام بين الزوجين في منزل هسويه. وقد اعتاد هسويه بان على التسلّل إلى خارج المنزل عندما يشعر بأنّ الأوضاع لم تعد تُحتمل، ولكن لم يكن هذا الهرب مُلائماً بالنسبة إلى كل من هسويه بي-ما أو بريشوس فيرتشو، فلم تكونا قادرتين على فعل شيء إلّا حبس نفسيهما في الغرفة والعويل. كما أنّهما لم تكونا قادرتين على حفظ أسرار هذه العائلة وتفاصيل ما يحدث فيها؛ إذ سرعان ما أصبحت أخبار تصرفات كاسيا السيئة هذه مُتداولة في قصرئ آل تشيا كخبزهم اليومي-وقد وصلت حتّى إلى باو-يو وحملت الجميع على الهزّ برؤوسهم والتأوّه أماً ويأساً.

انتهت في هذه الأوقات فترة المئة يوم لنقاها باو-يو، وقام بزيارة كاسيا كعادته قبل المرض. وفي تلك المناسبة، أظهرت حسن التصرف والمعاملة الجيدة الشكلية فقط، ولو لم يكن قد سمع بأخبار تمردھا وثورتھا الجامحة، لبقی علی اعتقاده من أنّھا تلك الأخت الرصينة والمُحبة كغيرھا من أخواته في تاكوان يوان. وقد استغرب طبعاً كيف يُمكن لهذا الوحش البشري الذي سمع عن سلوكها السيء الكثير، أن تتحول بهذه السرعة إلى هذا الحمل الوديع الهادئ ذات المظهر الجميل.

وفي أحد الأيام، وبينما كان باو-يو في منزل مدام وانغ، حضرت لزيارتها المريبة ولكوم سبرينغ حاملة لها تحيات سيّدتها. فتكلّمت معها بخصوص استبداد واضطهاد سون شاو-تسو، واستتجت قائلة:

- «كل ما تقدر على فعله كو-نيانغ هو البكاء سراً. كم تتمنى أن تُرسل تاي-تاي بطلبها، فقد تحصل من خلال ذلك على فترة راحة لبضعة أيام».

قالت مدام وانغ:

- «كنتُ أفكر في القيام بهذا منذ بضعة أيام، لكنني لم أستطع فعل ذلك للكثير من الأسباب. حسناً، سنرسل أحدهم لإحضارها غداً، طالما أنه سيكون يوماً محظوظاً».

حضرت ولكوم سبرينغ لزيارة تاكوان يوان في اليوم التالي. فأخبرت مدام وانغ وغيرها من أفراد العائلة بمشاكلها وأحزانها: كيف أنّ زوجها قد أدمن على الشرب والقمار، وكيف أصبح على علاقات عمل وغيرها مع كل زوجات الخدم ومع الخادّات، وقالت:

- «لقد عارضته وتناوشت معه لفترة من الوقت، لكنه لم يردّ إلاّ بشتمي، قائلاً بأنّه لا مبرّر للوقوف في وجهه سوى الغيرة القاتلة التي يُسببها لي الخمر... وسمعتة يذكر بأنّ لاو يه يدين له بخمسة آلاف تاييل. وعندما نهض أشار إلي وقال: "لا تتظاهري كالسيّدات، لقد أخذتك من والدك مُقابل المال الذي يدينه لي؛ فأنت لا شيء سوى عبدة تُباع وتُشترى، وإذا لم تُحسني من سلوكك، فسوف أضربك وأحبسك في مُجمّع الخادّات"».

وبعد الانتهاء من رواية قصتها، انفجرت باكياً- وما لبث أن بكى كل من حولها.
ثم حاولت مدام وانغ مواساتها قائلة:

- «لا بد أن تُقدّمي أفضل ما عندك، وبقدر استطاعتك يا صغيرتي. وإذا كان عمك قد فعل ذلك، فما هو إلا مُحاولَة منه لثني تا لاو-يه عن قبول عرض الزواج، لكنه لم يُصغ-فعلعل هذا هو قدرك».

- «لا أدري لماذا يجب أن أكون سيئة الحظ هكذا»، قالت ولكوم سبرينغ، وتابعت باكياً: «لقد تركت والدتي هذا العالم وأنا طفلة، ولم أعش أسعد سنوات عمري إلا في هذا البيت. لكنني لم أفكر أبداً بأن نهايتي ستكون على هذا النحو».

وعندما سُئلت أين تحب الإقامة طوال زيارتها، قالت بأنها ترغب بغرفتها القديمة، مُضيفة:

- «بالقرب من إخوتي وأخواتي، الذين كانوا يُشاركونني أفكارِي، ولعلني لن أحصل على فرصة أخرى لقضاء لحظات هنيئة بعد الآن هناك».

ويختها مدام وانغ على كلامها هذا بالقول:

- «لا تنفّوْهي بهذه السخافات. فالشجارات والمُشاحنات ما بين الزوجين الشابين شائعة وليست بغريبة. وعليك ألا تيأسي وتتقهقري بهذه السرعة».

بعد ذلك، أمرت مدام وانغ بإعداد جناح بروكايد تشامبر (غرفة الزركشة)، وأبلغت باو-يو بأن لا يذكر أي شيء عما حصل أمام الأم الكبيرة، لكي لا تشعر بأي أسى.

أمضت ولكوم سبرينغ ثلاثة أيام من اللقاء السعيد مع السيدات الصغيرات والخادمات الأخرى، ثم انتقلت إلى القصر الآخر، حيث أمضت يومين مع مدام هسينغ، في الوقت الذي أرسلت فيه عائلة سون لإحضارها. كانت ترغب في تمضية وقت أطول في هذا الجانب، لكنها لم تكن تجرؤ على الإفصاح عن ذلك، خشية أن تُعاود زوجها نوبة جديدة من جنون الغضب.

الفصل الرابع والثلاثون

وفيه تشعر بلاك دجايد باليأس بالرغم من وجود الأمل
وتعود إلى العواطف من جديد بالرغم من ضياع كل شيء

لم يذهب باو-يو إلى المدرسة لستين أو ثلاث، بسبب تكرار أزماته الصحية من جهة، وبسبب سفريات تشيا تشينغ المتواصلة لأعمال تخصص المحافظة، بينما كانت الأم الكبيرة، خلال كل تلك الفترات جاهزة من أجل تسليته والترويح عنه. ولكن باو-يو الآن في السابعة عشرة، وعليه أن يُعدّ نفسه جيداً من أجل الامتحانات. وبناء عليه، وبعد التشاور مع الأم الكبيرة ومدام وانغ، قزر تشيا تشينغ إعادة باو-يو إلى مدرسة العائلة. وقد عمل هو شخصياً على أخذ باو-يو إلى تشيا تاي-جو ومارس ضغوطه عليه لكي يكون قاسياً وحازماً مع ولده وحثه ولو بالقوة على تحصيل دروسه.

كان جناح بيوني كورت (صومعة الفاوانيا) صامتاً هادئاً من دون باو-يو. في أحد الأيام، كانت بيرفايدينغ فريغرانس جالسة لوحدها مع مطرزاتها، وغارقة في أفكارها؛ كان غياب باو-يو نعمة في حدّ ذاته. فلو أنّه كان في المدرسة طوال هذا الوقت، لما كانت الخادמות قد انشغلت معه إلى هذا الحدّ، ولكان هناك القليل من التعقيدات. ولما كانت برايت ديزاين قد استاءت وأسرعت إلى حتفها. ثمّ عادت بيرفايدينغ فريغرانس إلى نفسها؛ فهي في النهاية ترغب في أن تكون مُجَرّد محظية أو خليعة لـ باو-يو. لكنّ مُستقبلها يعتمد إلى درجة كبيرة على شخصية زوجة باو-يو المُستقبلية. فإذا كانت سيّدة المُستقبل هذه لطيفة وكريمة، فسوف تتأمل بيرفايدينغ

فريغرانس حياة سعيدة. وإذا لم تكن كذلك، فإن مصيرها سيكون إلى حد بعيد أشبه بمصير يُويز-تشييه أو لوتوس.

فمن تكون زوجة باو-يو؟ لقد بدا من الأحاديث التي كانت تجري ما بين الأم الكبيرة ومدام وانغ، بأن بلاك دجايد قد تكون هي الخيار الحتمي. وأي نوع من السيدات قد تكون؟ وعند هذه الفكرة، بدا قلبها يخفق بشكل أسرع، وفار وجهها احمراراً. وسوف تذهب إلى بلاك دجايد وتستطلع رأيها.

كانت بلاك دجايد ودية في لقاءها مع بيرفايدينغ فريغرانس؛ فقد ألفت جانباً الكتاب الذي كانت تطالعه، وطلبت من ضيفتها الجلوس. وبعد أن أحضرت بيربل كوكو الشاي، شرعنا بالحديث في مختلف المواضيع. وسرعان ما تنطرق حديثهما إلى لوتوس ويُويز-تشييه. قالت بيرفايدينغ فريغرانس:

- «المسكينة لوتوس تستحق سيّدة أفضل. يا له من قدر بائس أصابها! لطالما قلت لها بأن سيّدتها أسوأ من الصورة التي تبدو عليها».

وهنا، رفعت بيرفايدينغ فريغرانس إصبعين في يدها للإشارة إلى فينيكس،⁽¹⁾ كما لو أنّها لا ترغب في ذكر الإسم أمام الخادמות.

وفي الحال، دخلت خادمة عجوز وفي يدها جزّة من شراب الـ «ليتشي»⁽²⁾ المحفوظ من بريشوس فيرتشو. وقفت العجوز تنظر إلى بلاك دجايد لفترة، ثمّ قالت:

- «لا عجب في أن تقول سيّدتنا تاي-تاي دائماً بأنّ هذه الجميلة وباو-يو سيّسكلان ثنائياً كاملاً ورائعاً. لم أَر في حياتي أبداً أجمل من هذه الشابة على الإطلاق».

بعد انصراف زائرتها، غرقت بلاك دجايد في أفكارها هي الأخرى. وكانت تعلم

(1) كان تشيا لين، زوجها، يرّيه أو «السيد الشاب رقم اثنين».

(2) هو شراب جنسي حلو الطعم ولذيذ، مصنوع من عصير ثمرة الـ «ليتشي» وهي واحدة من الفواكه الصينية الصيفية الشائعة، والتي تحتوي على قائمة طويلة من المواد الغذائية الأساسية مثل الأوليغونول والفيتامينات والمعادن ...

بأن باو-يو يُحبها أكثر من أيّ واحدة أخرى، وكانت مُتأكّدة من هذا؛ إلا أن كل من الأم الكبيرة ومدام وانغ، لم تُشيرأ أبداً إلى أفضليتها كزوجته المُستقبلية. وتمنّت بأن يكون والديها، قد عملا على حسم المسألة بهذا الخصوص قبل وفاتهما. وأقنعت نفسها أيضاً، في لو أنهما قد خطباها لعائلة أخرى، لما تعرّفت إلى باو-يو من الأساس. ولكن كان لديها الآن أملاً في ذلك تُعزّي به نفسها على الأقل.

غرقت في نوم عميق وهي تُفكّر في تلك الأشياء، وحلمت أن تشيا يو-تسون قد حضر لأخذها إلى البيت من أجل الزواج.

وعندما تساءلت عن معنى هذا الحلم، حضرت مدام وانغ وغيرها من أجل تهنّئها، قائلين لها بأن والدها-الذي بدا في منامها بأنه لا يزال على قيد الحياة-قد تزوّج من جديد، وأنّ زوجة أبيها قد خطبتها إلى أحد أقاربها. لكنّ بلاك دجايد احتجّت على ذلك واعتبرته مُغايراً للحقيقة، غير أنّ الجميع كانوا يضحكون ويقولون لها بأنّها ستري ذلك عاجلاً أم آجلاً.

بعد ذلك ذهبت إلى جناح الأم الكبيرة. وهنا، على الأقل، كما فكّرت، يوجد الشخص الذي يستمع بصدقٍ إلى مناقشتها. فركعت أمام جدّتها وأخبرتها بأنّها لا تُريد مُفارقتها، وأنّها ترغب في البقاء إلى جوارها طوال حياتها. بدت الأم الكبيرة غير مُكترثة؛ فقالت لها بأنّها عاجزة عن منع ذلك، وأن الفتاة لا بد من أن تتزوّج عاجلاً أو آجلاً. لكنّ، بلاك دجايد التي كانت لا تتوقّع البقاء في يُونغ كُوفُو إلى ما لا نهاية، قالت متوسلة:

- «دعيني إذن أكون عبدتك؛ فسأخدمك بإخلاص، وأعكف على راحتك، ولن أكون عبثاً عليك، ولكن لا تدعيهم يأخذوني بعيداً».

أمّا الأم الكبيرة التي كانت أشبه بالضماء لسماع توسّلاتها، قالت لإحدى خادماتها:

- «أعيدي كو-نيانغ إلى جناحها، فهي تُرهقني بتوسّلاتها».

ولمّا شعرت بلاك دجايد بعدم جدوى المزيد من التوسّلات، غادرت غرفة الأم الكبيرة، آسفة على مصيرها؛ أعلنت لنفسها أنّ كل العطف والمودّة التي قد لقيتها

من أقاربها كانت خاطئة. وفكرت بأنها قد تقتل نفسها؛ ثم خطر على بالها بأنها لم تعد ترى باو-يو منذ فترة في الجوار، ولعله هو الوحيد القادر الآن على فعل شيء لمساعدتها.

لم تمض فترة طويلة على التفكير بهذا، حتى ظهر باو-يو من جديد. ولكنه هو الآخر كان غير مُبال؛ فقد أجاب وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- «تهانِي الحارة، ماي-ماي!»

نسيت بلاك دجايد في خُصَمَ ياسها الكبير، تواضعها، فأخذت بيد باو-يو وقالت وهي تقترب منه:

- «الآن، قد أثبت لي بأنك غشاش. كيف أمكنك أن تقول شيء كهذا، إذا كنت تُحِبني حقاً؟»

- «لم أكن غشاشاً أبداً»، أجابها باو-يو، وتابع يشكو: «ولكن ما الذي علي فعله إذا كان والدك سيزوجانك إلى شخص آخر؟»

قالت بلاك دجايد بياس:

- «ولكنني لا أريد الذهاب.»

- «في تلك الحالة، بإمكانك البقاء هنا»، قال باو-يو، وأضاف مؤكداً: «لقد كنت في الأصل مخطوبة لي، ولهذا السبب أتيت إلى هنا للبقاء منذ البداية.»

وبدا لها في تلك اللحظة، أنها لا بد مخطوبة إلى باو-يو منذ زمن طويل. وقد غمرتها السعادة لتأكدها من هذا الآن. قالت تُخاطب باو-يو بنبرة جد:

- «لقد اتخذتُ قراري بأنني سأفضل الموت على أن أغادر هذا المكان. ولكن أخبرني أنت، هل تُريد بقائي هنا، أم تريدني أن أذهب؟»

- «بالطبع أرغب في بقائك. وسأريك قلبي.»

وما إن انتهى من الكلام، حتى تناول سكيناً حاداً وطعن بها صدره. ارتعبت بلاك دجايد لهول ما ترى، ووضعت يدها على الجرح لوقف نزيف الدم، وصرخت:

- «كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟ كان عليك قتلي أولاً!»

- «لا تخافي، سأريك قلبي».

ثم أقحم يده في صدره وهو ينبش كالباحث عن شيء. بينما كانت هي تصرخ وتُحاول منعه.

ثم قال باو-يو متسائلاً:

- «أوه، لقد أضعف قلبي! ولا بد من أنني سأموت الآن!»

وعلى الفور، استدارت عيناه إلى أعلى، وسقط إلى الخلف مُحدثاً جلبة قوية. بينما سقطت هي بعد أن انفجرت في عاصفة من البكاء والصراخ، ولم تشعر إلا وهي تسمع بيربل كوكو تُناديها وتدعوها للاستيقاظ.

كان الحلم غريباً وحقيقياً إلى درجة أنها لم تزل حتى اللحظة تنتحب وتغرق عينها بالدموع. نهضت من فراشها، وخلعت ملابسها، وأوت إلى فراشها، ولكنها، ولفترة طويلة، لم يغمض لها جفن، وقد أصابها السعال طوال الليل. وفي صباح اليوم التالي، حينما أخرجت بيربل كوكو الجزء لغسلها، أطلقت صرخة لا إرادية، لأنها عثرت فيها على بعض البقع من الدم. وعندما سألتها بلاك دجايد عما حصل، خشيت من قول الحقيقة، وقالت بأنها كادت أن تسقط الحجرة من يدها إلى الأرض. لكن هذه الإجابة لم تخدع بلاك دجايد؛ وفكرت بأنها كانت قد لاحظت الطعم المالح في حنجرتها-عندما عادت بيربل كوكو إلى الغرفة، لاحظت بأنها كانت لا تزال تبكي. كانت بلاك دجايد متأكدة من أنها قد بصقت دماً؛ وتأكدت أيضاً، وللمرة الأولى، من أنها في حالة مرضية خطيرة.

وسرعان ما علم كل من في مُجمّع الحديقة بمرضها. وأرسلت كويست سبرينغ إحدى خادمتها لدعوة بلاك دجايد للانضمام إليها مع ريفر ميست إلى جناح كومباشن سبرينغ لثريهما اللوحات التي كانت تعمل عليها من أجل تاكوان يوان، وكانت بذلك الأولى التي علمت بمرضها. وعلى الفور، ذهبت لرؤية بلاك دجايد وأبلغت الأم الكبيرة بالأمر لاحقاً. وعندما ذهبت بيرفايدينغ فريغرانس إلى بامبو ريتريت (معزل الخيزران)، وعلمت من بيربل كوكو بكابوس بلاك دجايد، أخبرت الأخيرة بأن باو-يو قد استيقظ تلك الليلة وهو يُعاني من ألمٍ شديدٍ في صدره.

بعد مرور بضعة أيام، اغتنمت الأم الكبيرة الفرصة لتحدث مع ولدها تشيا تشينغ بموضوع دراسة باو-يو. وكالعادة، وجّه تشيا تشينغ انتقاداته إلى إنجازات ولده الدراسية، بينما عملت الأم الكبيرة على تقيّمها وتعظيمها. وقالت لولدها توبخه:

- «إنك عديم الصبر! ولكن عليك أن تتذكر دائماً أنّ ملعقة واحدة من الطعام، لن تجعل من الطفل سميناً. وبالمُناسبة، أرى أنّ الوقت قد حان من أجل الإعداد لخطوبته. وأريدك أن تفتح أذنيك جيداً وتختار فتاة جيّدة له. وأنا شخصياً لا يهمني ما إذا كانت من إحدى عائلتنا أو من غيرها، ولا يهمني إن كانت غنية أم فقيرة. ولكن المهم أن تكون الفتاة حلوة الطلعة، عذبة الكلام، وليست قبيحة».

وهكذا، كانت الأم الكبيرة مُفتحة العقل بخصوص زوجة باو-يو المُستقبلية؛ فقد كانت تُفكر فيها فقط من ناحية الشروط والصفات العامة، من دون الإشارة إلى أيّ من الترشّحات والتفضيلات المُحدّدة. وكانت قد ألمحت في مثل هذه المُلاحظات العرضية على أنّها «ستجعل منهما ثنائياً لطيفاً ومُتكاملاً»، قاصدة بذلك باو-يو وبلاك دجايد. ولكنّها شرعان ما أطلقت ملاحظاتها المُشابهة بالنسبة إلى بريشوس فيرتشو وغيرها.

إقترح أحد مُساعدي تشيا تشينغ ابنة إحدى عائلات تشيا البارزة، والتي ترتبط بـ مدام هسينغ عن طريق قرابة بعيدة. وعندما سألت الأم الكبيرة هذه الأخيرة عن تلك الابنة، فقالت بأنّ الفتاة هي الوحيدة وأنّ والديها يتوقّعان من صهرهما الانتقال للعيش معهما. كانت هذه الإجابة خارجة عن الموضوع بالطبع، لأنّ باو-يو، وكما أشارت الأم الكبيرة، يحتاج إلى من يراعاه ويهتم به؛ فهو ليس بالشخص الذي سيعمل على الاهتمام بشؤون عائلة أخرى.

وخلال المُناقشات التي تطرقت إلى موضوع زواج باو-يو، اقترحت فينيكس بأن تكون بريشوس فيرتشو «لأنّها الأكثر ملائمة لذلك». وقالت بهذا الخصوص:

- «أنيبحث في مكان آخر، بينما قضت السماء بوجود ما نطلبه بيننا؟»، ولما سألت عن التوضيح، قالت: «هل غاب عن بال لاو تاي-تاي موضوع حجر

اليشم والطوق الذهبي، وما الذي تم توقعه عنهما؟ فعائلتنا في الأصل مترابطة؛ وهذا الزواج سيُضيف رباطاً إضافياً في ما بيننا».

شعرت الأم الكبيرة بالغبطة بهذا الاقتراح، وأخبرت مدام وانغ وفينيكس لإعلام هشويه بي-ما، عند أقرب فرصة.

ولكن، في هذا الوقت، علمت سنُو داك بأمر عرض الزواج هذا من فوليو، خادمة كويست سبرينغ الرئيسة. فاستدعت بيربل كُوكو جانباً وأخبرتها بالأمر. وكان الجميع قد سمع عن بلاك دجايد، التي كانت تُصارع مرضها بيأس من أجل البقاء، بأنها عزمت على إهمال مرضها، وبذلك ستضع حداً مُبكراً لحياتها التعيسة. وبعد أن أُصيبت بيربل كُوكو بالذعر بسبب تدهور سيدتها، هرعت هذه الأخيرة على عجل لإبلاغ الأم الكبيرة بذلك.

بدأت سنُو داك، التي بقيت وحيدة مع سيدتها شبه الغائبة عن الوعي، بالشعور بالخوف الشديد، وتمنت عودة بيربل كُوكو السريعة، عندما وصلت فوليو في إحدى المأموريات. وبما أنها كانت تعتقد بأن بلاك دجايد غير واعية بالكامل، سألت فوليو ما إذا كان خبر عرض الزواج الذي شاع بخصوص باو-يو صحيحاً.

قالت فوليو:

- «نعم، إن هذا صحيح جداً، لكنّ هذا الاقتراح قد سقط بسبب مُعارضة لاو تاي-تاي. وسمعتُ بأنّ لديها فتاة من أجل باو-يو ولكنها لم تذكر شيئاً عنها. والفتاة ترتبط بعائلتنا، وتعيش هنا في مُجمّع الحديدية. ورغبت السيدة الكبيرة في إضافة رباط جديد إضافي إلى الرباط الحالي».

قالت سنُو داك وهي تُشير إلى سيدتها:

- «وفي هذه الحالة، فإنّ تلك الفتاة تموت عبثاً!»

سألتها فوليو:

- «ما الذي تقصدينه؟»

- «أنتِ لا تعلمين، بالطبع، ولكنّ كُو-نيانغ سمعتني بكل وضوح أخبر بيرفايدينغ فريغرانس عن عرض الزواج».

ومنذ ذلك الحين، راح القلق يُصيبها كل يوم، حتى أصبحت الآن أقرب إلى الموت من أي وقت مضى».

- «إذن، دعينا نتحدث بهدوء، فلعلها تسمعنا الآن».

- «لا، لن تستطيع سماعنا، فهي فاقدة للوعي. وأخشى من أن لا يطول ذلك الآن».

عند هذه النقطة، عادت بيريل كوكو ووبختهما، قائلة:

- «انتما الاثنتين، عليكمم ألا تتحدثان هنا. أتخشان من أنها لن تموت في القريب العاجل؟ أخرجنا من هنا إذا كنتما مُصرّتين على الحديث».

لم تكن بلاك دجايد غائبة عن الوعي أو نائمة. فقد شعرت بالتحسن عندما سمعت بأن عرض الزواج قد سقط. وعندما سمعت بأن هذه العروس المتوقعة تعيش هنا في الحديقة، وأن الارتباط مع باو-يو سيُضيف رباطاً آخر للعائلتين، وكانت متأكدة من أن هذه العروس هي نفسها. وقد شعرت بالتحسن، وبدأت أكثر حيوية في الوقت الذي وصلت فيه الأم الكبيرة، ومدام وانغ وغيرهما. فقالت فينكس لـ بيريل كوكو:

- «لماذا أرعبتنا بهذه الطريقة؟ فحالة سيدتك ليست بنصف الخطورة التي أخبرتنا عنها».

قالت الخادمة:

- «لكنها لم تكن كذلك عندما تركتها. لقد كانت ذات شكل مُرعب حينها، وإلا لما كنت أقلقت الأم الكبيرة. ومن الغريب أنها قد تغيرت كلياً في هذه الفترة القصيرة».

قالت الأم الكبيرة:

- «لا توبّخها، فهي تفتقر إلى الخبرة. ومن الأفضل لها أن تكون على الجانب السليم».

أصبح مرض وتحسن بلاك دجايد السريع، خيراً شائعاً في أوساط العائلتين ولم يُشكك بصحته أحد. وقد تأكدت الأم الكبيرة من سبب ذلك من بعد اطلاعها على

الظروف المُحيطة ببداية هذا المرض. وفي أحد الأيام، وبينما كانت تتحدّث مع كل من مدام وانغ، ومدام هسينغ وفينيكس، قالت لهن:

- «لم يزل باو-يو ولين يا-تو يعيشان معاً منذ الطفولة. كنتُ أنظر إليهما دائماً كطفلين، ولم يخطر ببالي أبداً أنه يُمكن حدوث أيّ شيء بينهما أبداً. ولكنني بدأتُ أفكر الآن بأن نوبات لين يا-تو المرَضِيّة المُفاجأة، قد يكون لها علاقة بما يُشعران به تجاه بعضهما البعض. وأرى أنه من غير الحكمة عيشهما قرييين في مُجمّع الحديقة؛ فما هو رأيكن بذلك؟»

قالت مدام وانغ:

- «قد تكون لاو تاي-تاي على حق، ولكن قد يؤدي انتقال أحدهما المُفاجئ إلى خارج الحديقة، إلى انتشار الاشاعات والتأويلات. . . وأرى أن الحل الأفضل هو الزواج.»

صممت الأم الكبيرة للحظات قبل أن تقول:

- «تتصف لين يا-تو بالكثير من المُميّزات الحسنة، ولكن في داخلها نزعة مُنحرفة. وعدا عن ذلك، فهي سقيمة، وأخشى من أنها قد لا تعيش طويلاً. وأنا أميل إلى القول بأن باو يا-تو هي الأفضل والأنسب.»

- «وهذا ما نُفكر فيه جميعاً»، قالت مدام وانغ موافقة، وأكملت: «ولكن لا بدّ من الاهتمام بوضع لين تا-يو أيضاً. وهي الآن أكبر من أن تُفكر في هذا النوع من الأشياء؛ فلرُبما لديها ميل إلى باو-يو، كما ذكرت لاو تاي-تاي. وإذا كانت هذه هي الحالة، فأعتقد أن خطوبته من باو يا-تو قد يؤدي إلى إنتاج وضعاً دقيقاً.»

- «إن خطوبتها ستجري عقب خطوبة باو-يو مباشرة»، قالت الأم الكبيرة، واستمرت: «نعم هي أكبر بستين، وأنتِ على حق في أنها حقيقة مشاعرها؛ وعلينا أن نُخفي هذه الأخبار عنها في الوقت الحاضر.»

عند هذا، التفتت فينيكس إلى الخادِمات وقالت:

- «هل سمعتن ما قالته لاو تاي-تاي للتو؟ لا أريد تسريب أيّ حرف عن

خطوبة باو-يُو إلى أيّ كان. وإذا ما علمنا بأيّ تسريب، فسوف تتحملن
المسؤولية الكاملة».

وهكذا كان؛ فقد صمّمت الأم الكبيرة على بريشوس فيرتشو، بنفس الوقت
الذي كانت فيه بلاك دجايد تظنّ نفسها سعيدة، وبأنّها هي زوجة باو-يُو المُستقبلية،
والذي بدأت تميل إليه أكثر.

الفصل الخامس والثلاثون

وفيه يُعتبر إزهار نبتة البيغونيا قبل أوانها دليل
على الفأل السيِّء
واختفاء حجر اليشم من باو-يو يؤدي إلى
فقدانه لصوابه

سمعت بلاك دجايد في أحد الأيام، حديثاً مُثيراً، في تاكوان يوان. وتمّ إرسال بيربل كوكو إلى الخارج للتحقق من أنّ شجر البيغونيا⁽¹⁾ في صومعة الفاوانيا (بايوني كورت) قد بدأت تُزهر قبل أوانها. وكان باو-يو قد لاحظ في اليوم السابق ظهور البراعم على الأغصان بكثرة، ولكن لم يهتم أحد كان يقوله، لا سيّما وأنّ ذلك يحدث في غير موسمها السنوي. والآن، لم يعد هناك من شكّ حول الموضوع؛ فقد امتلأت الأشجار بالأزهار اللامعة علي مرأى الجميع. وأوضحت بيربل كوكو أيضاً من أنّ صومعة الفاوانيا قد نُظمت وأعدت بشكل كبير مع ترقب وصول الأم الكبيرة إليها.

عندما وصلت بلاك دجايد إلى جناح باو-يو، كانت الأم الكبيرة قد وصلت فعلاً إلى هناك، بالإضافة إلى مدام وانغ ومدام هسينغ. كانت الأم الكبيرة تعمل على التخفيف من أهمية وغرابة هذه الظاهرة غير الطبيعية أمامهم بالقول:

(1) هي نبتة شجرية تحمل زهور وردية كبيرة، وأوراق باللون الأرجواني البرونزي وتوجد في الحدائق العامة، ومن حول الفيلا والقصور.

- «يُزهر شجر البيغونيا في الربيع عادة، ومن المعروف إنه قد يتفتح أيضاً في موجات الحز التي قد تقع في الخريف. ومع أننا الآن في الشهر الحادي عشر من السنة، فهو بحرارة الشهر العاشر تماماً، والذي لا يختلف أيضاً عن الثالث - وهو موسم تفتح أشجار البيغونيا».

حاولت مدام وانغ أن تبدو متوافقة مع رأي الأم الكبيرة، بينما ألحت لي هوان على أنه قد يكون علامة على وقوع حدث غير سعيد في حياة باو-يؤ. لكن كويست سبرينغ لم تتقبل هذه التفسيرات المُتشائمة؛ فهي لم تُبدِ رأيها، لكنها قالت في نفسها: 'لا يُمكن أن يكون هذا نذير بالفأل الحسن، لأن ما يتبع طُرق السماء يزدهر، وما يُعارضها يندثر؛ فهذه الظاهرة الطبيعية التي نشهدها الآن، ما هي إلا نذير بأن عزّ وثروة العائلة أصبحت على طريق الانحدار!'.

شعرت بلاك دجايد بالسعادة لتفسير لي هوان، واقتنعت بأن أيّ حدث سعيد يطرأ على حياة باو-يؤ سيكون لها أيضاً.

وفي هذا الوقت، حضر المشهد أيضاً كل من تشيا شيه وتشيا تشينغ؛ فقال الأول بأن بعض الأرواح الخبيثة تقف من وراء هذه الظاهرة الغريبة، ولتجنب شرّها، لا بد من قطع هذه الأشجار في الحال. أما تشيا تشانغ، فقد أخذ بتعاليم كونفوشيوس التي تقول بأن تجريد الأرواح الشريرة من قواها وسلّتها عن التأثير، يكمن في تجاهلها. لم تشعر الأم الكبيرة بالسعادة تجاه هذين الرأيين غير المُريحين، وقالت:

- «لا تتعمّقان كثيراً في الحديث عن بشائر ونذر الشر. فإذا ما كانت نُذُرٌ خير، فجميعكم شركاء فيه؛ وإذا كانت نُذُرٌ شر، فدعوني أحمله لوحدي».

عند البدء بتغيير ملابسه لاستقبال الأم الكبيرة، نسي باو-يو وضع قلادة حجر اليشم من جديد في عنقه. وعندما لاحظت بيرفايدينغ فريغرانس ذلك وسألته عنه، قال بأنه قد يكون نسيه على الكانغ. وعلى الفور ذهبت الخادمة تبحث عنه، لكنها لم تجده؛ فقال لها باو-يو:

- «يجوز أن تكون ماسك مؤون أو غيرها من الخادِمات قد خبّأوه على سبيل المزاح».

ولمّا نفت الخادِمات علمهنّ به، بدأت بيرفايدينغ فريغرانس حملة تفتيش واسعة عنه في جناح باو-يو، وفي كافة الأجنحة التي يُمكن أن يكون قد زارها طوال اليوم. ولكن لا جدوى من كل ذلك. وبعد مرور بضعة أيام، أمل الجميع في حلّ سريع لاختفاء قلادة الحجر الكريم، الذي وصلت أخباره إلى الجميع باستثناء الأم الكبيرة، التي لم يرغب أحد في تكدير أوقاتها وإقلاقها.

بدا باو-يو فاتر الحركة ومُنشغل عقب هذه الخسارة، لكن مدام وانغ اعتبرت ذلك طبيعياً وبخاصة أنه قد ارتدى هذه القلادة طوال حياته، عدا عن أنها لديها مشاغلها الأخرى التي تُشغل بها أفكارها. وفي تلك المرحلة، كان أخوها قد عُين في أحد المراكز الوزارية، وكان في طريقه إلى العاصمة، وكانت تطلّع إلى عودة الاجتماع به بفارغ الصبر. أضف إلى ذلك، وفاة محظية الإمبراطور المُفاجأة، ومُداومة مدام وانغ مع الأم الكبيرة على حضور مراسم الدفن واستقبالات العزاء.

وفي هذه الفترة أيضاً، حدث تغيير لافت في حالة باو-يو؛ كان يبدو طبيعياً بالشكل، ولكنه كان يتصرف كمن فقد عقله. وبدأ باتّباع نصائح واقتراحات بيرفايدينغ فريغرانس؛ أما ما عدا ذلك، فقد كان لا يقدر على شيء إلا الأكل والنوم أو التحديق عالياً إلى الفضاء. كانت الخادِمة مُتأكدة من أنه ليس مُحبطاً بسبب فقدانه للقلادة وحسب، وإنما يُعاني من المرض الشديد. ومن أجل التخفيف عنه، ذهبت بيرفايدينغ فريغرانس إلى بلاك دجايد تطلب منها المُساعدة في الترويح عن باو-يو وتسليته، لكنّها رفضت بالقول أنها ستتزوَّج قريباً من باو-يو، وعليها تجنّبهُ الآن من أجل عدم إثارة الشائعات. كما أنه كان من الصعب على بريشوس فيرتشو القُدوم إليه، لأنها كانت قد أُخبرت بقُدوم فترة خطوبتها منه. وبالنسبة إلى هسويه يي-ما فقد كانت تزوره من وقت إلى آخر، لكنّها كانت هي أيضاً مشغولة لأنّ هسويه بان كان في هذا الوقت يقبع في السجن لاثّهامه بجريمة قتل، فكانت في حالة انشغال لترتيب موضوع الدفاع.

بعد الانتهاء من مراسم تشييع محظية الإمبراطور، ذهبت الأم الكبيرة إلى صومعة الفاوانيا لزيارة باو-يو. شعرت بالارتياح لرؤيته صاحباً ويتحرك ويبدو

أفضل، ولكنها لاحظت أنه حالياً يعمل على تنفيذ تلقينات بيرفايدنغ فريغرانس.
فقالت الأم الكبيرة:

- «عندما جئتُ في المرة الأولى، لم أشعر بأيّ شيء غريب، ولكنني الآن ألاحظ الآن بأنه مريض جداً. أخبريني، كم مرّ عليه من الوقت وهو على هذه الحال؟»

بعد تأكدها من أن لا مجال من إخفاء الحقيقة عن الأم الكبيرة مدّة أطول، أخبرتها مدام وانغ عن فقدان قلادة الحجر الكريم. وفي الحال شعرت الأم الكبيرة بالأسى والقلق، واقتربت من مدام وانغ تلومها على عدم إبلاغها بهذا الأمر باكراً. وأعلنت بأن هذا الحجر هو حياة باو-يو ويجب العثور عليه الآن وبأي ثمن. ثمّ أرسلت بطلب تشيياً تشانغ، وعندما لم تجده في البيت، أمرت في الحال بتخصيص جائزة قدرها عشرة آلاف تايل لمن يجد القلادة، وقرّرت نقل باو-يو إلى جناحها،
قائلة:

- «لم يُعجبني الإزهار غير العادي لأشجار البيغونيا؛ فقلادة حجر اليشم تمنع الأرواح الشريرة من الأذية، ولكن من دونها، لن يكون باو-يو بمأمن الآن. ولهذا السبب أريد نقله حالياً إلى جناحي الخاص».

- «لاو تاي-تاي على حق»، قالت مدام وانغ موافقة، وأضافت: «إنّ ملائكة لاو تاي-تاي الخيرة ستحميه من الشر».

قالت الأم الكبيرة:

- «ليس هذا ما أقصده، بل لديّ العديد من المجلّدات لمخطوطات بوذا في جناحي هناك. سأستمر بقراءة هذه المخطوطات، لطرد الأرواح الشريرة وإبقائها بعيدة عن المكان، واسألني باو-يو إذا لم يكن يُفكر في الشيء نفسه».

لم يُجب باو-يو إلا بابتسامة عريضة.

كان العام عاماً كثيباً على تاكوان يوان، كانت الاحتفالات فاترة وروتينية، بسبب وفاة المحظية الإمبراطورية ومرض باو-يو. ولتسعير حرارة الكآبة في القصر، فقد

وصلت أخبار وفاة وانغ تزؤ-تينغ بعد يومين فقط من عيد الفوانيس. وأصيبت مدام وانغ بالكآبة لوفاة أخيها ووقعت طريحة الفراش مريضة بسبب ذلك.

مع قدوم الشهر التالي، نُصِّبَتْ تشيا تشانغ مُفَوَّضاً إمبراطورياً للإيرادات في ولاية كيانغسي. لكنّه لم يكن سعيداً بمنصبه الجديد كما كان مُتَوَقِّعاً، ذلك لأنّه لم تكن لديه الخبرة الكافية الضرورية للمنصب من جهة، ولأنّ الأم الكبيرة قد أصبحت طاعنة في السنّ ومرض باو-يو من جهة ثانية. وبينما هو جالس وحيداً يُفكّر في كل هذه الأشياء، وصلت خادمة تطلبه لمُقابلة الأم الكبيرة.

عَلِمَ تشيا تشانغ بأنّ لدى الأم الكبيرة أمراً مُهمّاً تُريدُ قوله، عندما رأى أنّ مدام وانغ موجودة في الغرفة أيضاً، بالرغم من مرضها. قالت له الأم الكبيرة عندما رآته يدخل:

- «أنت ذاهبٌ للعمل بعيداً عمّا قريب. ولديّ شيء أرغب في تسويته قبل ذهابك، ولكن لا أدري إن كنت ستعمل وفق رغباتي أم لا.»
هَبْ تشيا تشانغ على الفور من مكانه، وقال:
- «ما الذي تقولينه، لاو تاي-تاي! منذ متى يتلقّى ولدك أوامرك ولا يُنفّذها؟»
تابعت الأم الكبيرة كلامها:

- «أصبحتُ الآن في الحادية والثمانين من العمر، وقد تمّ تعيينك أنت في أحد المناصب الإمبراطورية في إحدى الولايات البعيدة، ولا يُمكنك رفض المنصب. . . وهذا أخوك الأصغر هنا سيهتم بي. ولكن بعد ذهابك، لن أقبل بوجود أحد غير باو-يو بقربي لتسليتي. والآن، ها هو طريح الفراش يُعاني من المرض الشديد، وليس هناك من يريق أمل في الأفق بشفائه؛ لقد أرسلتُ البارحة زوجة لاي تا إلى إحدى العزّافات لاستشارتها في أمر باو-يو، فقالت العزّافة بأنّه لن ينجو من مرضه الغريب إلّا إذا تزوّج من الفتاة البعيدة التي وُلدت بـ مصيرٍ ذهبي.⁽²⁾ أنا أعلم بأنك لا تؤمن بهذه الأشياء،

(2) أي وُلدت على غرار باو-يو، ولكن مع قطعة يشم من ذهب.

ولكن اعتقادي أنه في ظلّ هذه الظروف عليك أن تتخلى عن تعصّبك
وتحاملك. والآن اخبرني، هل تُريد شفاء باو-يو أم لا؟»

أجاب تشيا تشانغ:

- «كيف يُمكن لـ لاو تاي-تاي أن تسأل هذا النوع من الأسئلة؟ فبالرغم
من أن ابنك لا يُظهر محبته لابنه ومُراعاة مشاعره كما تفعل لاو تاي-تاي
لحفيدها، ولكنه لا يخلو من المشاعر الأبوية. وقد رأيت أنّ ولدك قد
تصرف بقساوة وفضاظة مع ولده في مرحلة ما، ذلك لأنّه كان يُظهر نفسه
بلا فائدة، وأنا كنتُ أحاول الاهتمام بمصلحته وصقل عقله وسلوكه؛ وهذا
أشبه بمحاولة تحويل قطعة من الحديد إلى قطعة من الفولاذ. أمّا إذا كانت
لاو تاي-تاي ترغب في تزويجه، فكيف لها أن تتوقّع مُعارضتي؟»

في هذه اللحظة، طلبت الأم الكبيرة من بيرفايدينغ فريغرانس إحصار باو-يو إلى
الغرفة. عندما دخل باو-يو إلى غرفة جدّته، راح يستفسر عن صحّة تشيا تشانغ، لكنّه
لم يكن يهتم بأي شيء آخر في الغرفة. كان واهن القوى، نحيف الجسد، وعيناه
فارهتان؛ كان واضحاً أنّه يفتقر إلى أي نوع من الحواس. شعر تشيا تشانغ بالحزن
والأسى لرؤية ولده على هذه الحال، وطلب إلى بيرفايدينغ فريغرانس العودة به إلى
غرفته ليرتاح. ثمّ قال يُخاطب الأم الكبيرة:

- «لاو تاي-تاي تعلم تماماً ما الذي عليها فعله من أجل إنقاذ حياة باو-يو،
وأن تفعل ما ترتأيه مُناسباً. ولكن هل تمّ توضيح الأمر بالنسبة إلى بي تاي-
تاي؟»

- «لقد أبدت بي تاي-تاي موافقتها منذ وقت طويل» أجابته مدام وانغ،
وتابعت: «لكننا لم نُقارب بعد مسألة الزواج المُبكر بسبب المُصيبة التي
حلّت على بان-يز».

قال تشيا تشانغ:

- «تلك عقبة بالفعل. إذ من الصعب تزويج فتاة بينما يقبع أخيها الصغير في
السجن، علاوة عن الحداد على صاحبة السّمو الذي يجب أخذه بعين

الاعتبار أيضاً؛ فبالرغم من أن الزواج غير مُحَرَّم في مثل هذه المناسبات، لكنّ باو-يو كان ولا يزال يبذل جهده لرؤية القواعد تحكّم حداد الشقيقة الكبرى، والذي يجب أن يستمرّ إلى تسعة أشهر. أضف إلى ذلك أن موعد مُغادرتي قد تمّ تحديده من قبل مجلس الضرائب، فكيف يُمكن ترتيب كل هذه الأمور في الأيام القليلة المُتبقيّة؟»

إلا أن الأم الكبيرة قد اتخذت القرار. سيجري ترتيب كل شيء قبل رحيل تشيا تشانغ، لأنّ عودته ستستغرق عاماً أو عامين. ولذلك، قالت له:

- «أستطيع تدبير كل شيء إن كنت تُريد إنقاذ ولدك باو-يو. يُمكننا إيفاد كيو-يز إلى بان-يز والحصول على موافقته؛ وأنا أكيدة من أنّه سيوافق على هذا الأمر من أجل باو-يو. أمّا بالنسبة لفترة الحداد، فأرى أن رأي باو-يو في الأمر سيُشكّل عقبة حقيقية. ولكن علينا أن لا نجعله يبدو وكأنّه زواجاً حقيقياً أولاً وأخيراً؛ فيُمكن تنفيذه بهدوء وسريّة، فيبدو بالتالي وكأنّه «طقس تشفّعي»، بدلاً من «حفل زواج». والمؤكّد أنّ باو-يا-تو فتاة عاقلة ولن ترفض. وبعد أن تتحسنّ حالة باو-يو، وانصرام فترة الحداد، يُمكننا عندها إجراء حفل الزواج كما نشاء.»

طفح غضب الإحساس بالخصوصية لدى تشيا تشانغ من عدم انتظام الإجراءات المذكورة من قبل الأم الحاكمة، لكنّه كظم غيظه، وكبت مشاعره في داخله. وقال:

- «لا أشكّ أبداً في أنّ حكم تاي-تاي سيكون صائباً، ولكن علينا التأكّد من أن المسألة ستبقى سرية لكي نتجنّب الانتقادات المتوقّعة.»

انصرف تشيا تشانغ من أمام الأم الكبيرة، ورأسه عامر بالشكوك والأفكار السوداوية. وتساءل كيف يُمكن لهذه السلسلة من الأحداث الأخيرة أن تحدث في أسرة كان حظّها وثروتها في تصاعد، والآن يأتي هذا الزواج غير الرسمي! ولكن نظراً لرحيله الوشيك، لم يكن لديه الوقت لبيدأ ترتيب وتدبير الأشياء بنفسه؛ فكل الترتيبات والإجراءات لا بد من أن تُلقَى في هذه الحال على عاتق الأم الكبيرة، بالإضافة إلى كل من مدام وانغ وفينيكس.

لم يسع باو-يو الاستماع إلى أي كلمة من المناقشة، لأنه غط في نوم عميق فور عودته إلى الغرفة الداخلية. أما بيرفايدنغ فريغرانس، فقد سمعت كل شيء، وكانت سعيدة بانقلاب الأوضاع إلى هذه النتيجة، لأنها كانت على يقين من أن بريشوس فيرتشو ستكون سيئة مثالية. ولكن ماذا عن باو-يو؟ فكيف ستكون ردّة فعله عندما يعرف الحقيقة؟ نعم، كانت الأم الكبيرة تعرف هي ومدام وانغ بالمشاعر المتبادلة بين باو-يو وبلاك دجايد، لكنهما كانتا لا تعرفان كامل القصة وتفصيلها. جلست بريشوس فيرتشو لوحدها تستعيد بحوية ذلك اليوم الصيفي عندما كلمها باو-يو مُعتقداً أنها بلاك دجايد، والكلمات الجميلة التي قالها لها- فإذا كانت مشاعر باو-يو قوية تجاه بلاك دجايد، فهل ستزيد مسألة الزواج من سوء حالته، أم أنها ستؤدّي إلى تحسنه؟

ذهبت بريشوس فيرتشو بهذه الأفكار إلى مدام وانغ، وأفضت لها بكل ما تعرفه. واقترحت أيضاً إعلام الأم الكبيرة وفينيكس بذلك من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية باو-يو. أبدت مدام وانغ موافقتها، واقترحت فينيكس خطة لحلّ هذه المعضلة: أولاً، يجب المحافظة على سرية الخطوبة، بحيث لا يتسرّب شيء من تفاصيلها إلى بلاك دجايد؛ ثم، إخبار باو-يو بأنه قد خُطب إلى بلاك دجايد وسيتمّ زواجه منها عمّا قريب.

الفصل السادس والثلاثون

وفيه يبدو باو-يُو سعيداً لاقترب موعد زواجه
وتكون بلاك دجايد مجروحة القلب بسبب مصيرها المأساوي

بعد الإفطار ذات صباح، قرّرت بلاك دجايد أن تذهب إلى الأم الكبيرة. وتقديم الإطراء والثناء لها. واثناء طريقها، تذكرت بأنها قد نسيت حمل منديلها، فأرسلت بيربل كُوكو لإحضاره. حينما اقتربت من جانب التلّ الذي كانت قد دفنت عليه الأزهار مرّة مع باو-يُو، وجدت الخادمة سيستر ستُوبيد تبكي وحيدة. توقّفت بلاك دجايد وسألّت الخادمة عن سبب بكائها، فأجابتها:

- «الآن يا لين كُو-نيانغ، كوني أنتِ الحكم على هذا، وانظري إذا ما كانت سيّدتي تشبه-تشبه كانت على حق في ضربتي».

سألّتها بلاك دجايد:

- «وأيّ تشبه-تشبه».

- «أنا أعني تشين-تشو الموجودة في غرفة لاو تاي-تاي. كنت أتحدّث مع هسي-دجين حول موضوع الزواج، وقلت: "لقد كُنّا تُناديها باو كو-نيانغ؛ وسُنّاديتها هكذا لفترة قبل أن نعتاد على مناداتها باو ناي-ناي". وبسبب كلامي هذا فقط، صفعتني تشين-تشو وقالت بأنني قد خالفت الأوامر. لم يُخبرني أحد بأن لا أذكر شيئاً حول الموضوع، وحتى لأولئك الذي يعلمون مُسبقاً».

سارت بلاك دجايد برفقة الفتاة إلى مكان هادئ، وسرعان ما حصلت منها على كامل تفاصيل القصة، باستثناء المقطع حيث يظنّ باو-يو بأنها ستكون زوجته. سقطت عليها هذه الأخبار كالصاعقة؛ فشعرت في قلبها وكأنه قد امتلأ بمزيج من الزيت، والصويا، والسكر، والنيبيذ، أي بطعم ونكهة لا تستطيع تبيانها. انصرفت بلاك دجايد عن الخادمة طالبة منها أن لا تذكر أي شيء عن المسألة إذا ما أرادت أن تنجو من العقاب، وقفلت عائدة إلى بامبو ريتريت (مُعْتزل الخيزران). وبعد أن سارت لمسافة لا بأس بها، عادت أدراجها من دون أن تدري بالضبط ما هي فاعلة. وما هي إلا لحظات حتى وصلت بيربل كوكو حاملة المنديل. وكانت هذه الأخيرة قد شاهدت بلاك دجايد تسير باتجاه بامبو ريتريت ومن ثم استدارت وعادت، وهي تسير على غير هدى أو بدون هدف. كما لمحت سيستر ستوبيد وهي تسير مُبتعدة. حينما وصلت إلى بلاك دجايد وتواجهت معها، رأت وجهها شاحباً وعيناها ثابتتان تُحدّقان إلى الفضاء. وبعد أن تأكّدت من حدوث أمرٍ ما، طلبت من سيّدتها العودة إلى غرفتها، ولكن لم يبدُ أنّ بلاك دجايد تسمعها؛ ولم يكن يجري على لسانها إلا عبارة واحدة:

- «لا بد من أسأل باو-يو».

عندما وصلتا إلى جناح الأم الكبيرة، وجدتاها تأخذ قيلولتها، وكانت الخادومات تلعبن في البهو. وكانت بيرفايدينغ فريغرانس لوحدها مع باو-يو. فقد كان يجلس على سريره وعلى وجهه الضحكة إيّاها، وبالرغم من وقوف بلاك دجايد أمامه، فلم يبدُ أنّه قد لاحظ وجودها. ولا حتى كانت بلاك دجايد تدري من هو وأين هي؛ جلست قبالة تبتسم ابتسامة عريضة ردّاً على ابتسامته لها. وفجأة سألته:

- «لماذا أنت مريض، باو-يو؟»

أجاب:

- «أنا مريضٌ بسبب لين ماي-ماي».

شعرت كل من بيرفايدينغ فريغرانس وبيربل كوكو بالدهشة والإحراج لسماع هذا التصريح، وحاولتا تغيير الحديث. ولكن لم يكن هناك من حاجة إلى هذا القلق؛

لأنّ بعد هذا التغيير، عاد المُحبّين إلى الصمت من جديد وفي الوقت نفسه. أمّا بيرفايدنغ فريغرانس، التي كانت تعلم بأنّ بلاك دجايد هي الأخرى مريضة مثل باو-يؤ أيضاً، فقد همست إلى بيربل كوكو بضرورة إعادة سيّدتها إلى بامبؤ ريتريت، وقالت:

- «لم تلبث كو-نيانغ أن تحسنت حديثاً من مرضها، ولا بد لها من أن تستريح، سأبعث أوتومن سكاى لمُرافقتك، في حال احتجتِ إلى أيّ مُساعدة».

نهضت بلاك دجايد من مكانها حينما اقتربت بيربل كوكو منها وأخذت بيدها. وعندما قالت لها الخادمة: «لقد حان وقت عودتكِ إلى البيت من أجل الراحة»، ردّت عليها بلاك دجايد آلياً وبالعبارة نفسها: «نعم، لقد حان وقت عودتي إلى البيت من أجل الراحة». ثمّ سارت إلى خارج الغرفة من دون مُساعدة؛ فقد بدت حقيقةً، قوية لا إرادياً وبشكل عفوي واضح.

تنفّست بيربل كوكو الصعداء بعد وصولهن أخيراً إلى بامبؤ ريتريت. فقالت:

- «الشكر للآلهة، وأخيراً وصلنا».

في تلك اللحظة، مالت بلاك دجايد إلى الخلف، وتقيأت كمية من الدم؛ وعلى الفور أسرعَت الخادمتان إليها في اللحظة المُناسبة ومنعاهما من السقوط، ومن ثمّ ساعدتاها على الوصول إلى غرفتها، واستلقت على سريرها.

استعادت بلاك دجايد وعيها، بعد فترة، وعندما لاحظت الدموع على وجنات الخادمتين، سألتهما عن سبب بكائهما، فأجابتها بيربل كوكو:

- «لم تكن كو-نيانغ بخير عندما عادت من جناح لاو تاي-تاي، وقد أشعرنا ذلك بالخوف».

قالت بلاك دجايد لهما:

- «لا تكونا سخيقتين، فلن أموت بهذه السهولة».

ولكن، عندما عاودها ما حدث معها من لقاءها بـ سيستر ستوييد وتفاصيل القصة التي سمعتها منها، تمنّت لو أنّها تموت بأسرع ما يمكن، وبذلك تكون قد

دفعت ثمن الحب الذي سيكون بذمتها من الحياة السابقة.

حينما علمت الأم الكبيرة من أوتومن سكاى عمًا يحدث، أتت في الحال لرؤيتها مع مدام وانغ وفينيكس. فوجدتها شاحبة كالموتى، وبالكاد تتنفس. فتحت بلاك دجايد عيناها ببطء، وقالت، عندما انحنت الأم الكبيرة من فوقها:

- «لاو تاي-تاي، لقد أحببتي واهتممتِ بي بلا فائدة».

عند هذا، تألمت الأم الكبيرة من قلبها، لكنّها حاولت تهدئة حفيدتها بالقول:

- «لا تخافي يا صغيرتي. انتبهي إلى نفسك، وسوف تحسّنين قريباً».

تبسّمت بلاك دجايد على نحوٍ ضعيف، وأغمضت عينيها من جديد.

في الأيام التالية، بدت بلاك دجايد أضعف بشكلٍ مُطرد، وحاولت بيربل كوكو تشجيعها بالتأكيد لها على أنّ ما اشتبهت به أو سمعته لم يكن صحيحاً، ولكنّها لم تُجبهها بشيء، فاكتفت مُبَسِّمَةً بصمت. ثمّ أخذت تسعل بشكلٍ متواصل، وتقنّيات المزيد من الدم بشكلٍ مُتكرّر. واستمرت بيربل كوكو برعايتها بإخلاص كامل، وكانت تتردّد على الأم الكبيرة في فترات مُتفاوتة، من أجل تزويدها بتطورات حالتها. لكنّ الأم كانت مشغولة كثيراً في الاعداد لزواج باو-يو وفق المُتفق عليه. كما أنّها دعت الطبيب لعيادة بلاك دجايد في مرّات عديدة، لكنّها هي نفسها لم تأت، وكذلك بالنسبة للجميع في يُونغ كُوْفُو، بسبب انشغال الجميع في الإعداد للزواج المُرتقب. لم يكن باستطاعة بلاك دجايد ملاحظة ما يجري، لكنّها كانت تشعر بالحزن عندما تستعيد ذاكرتها صُور قلقهم عليها في الماضي.

وفي أحد الأيام، وبعد تأكّدها من أنّها لن تعيش طويلاً، قالت تُخاطب بيربل كوكو:

- «ماي-ماي، أنتِ الوحيدة التي تعرف أسرار قلبي، منذ أن أتيتِ إلى هنا من جناح لاو تاي-تاي. ولطالما اعتبرتكَ، ولم أزل، كشقيقتي».

شعرت بلاك دجايد بالتعب من الجهد الذي بذلته للكلام، وتوقّفت من أجل استعادة أنفاسها. وبدأت بيربل كوكو بالبكاء. . . وبعد فترة، عادت بلاك دجايد للكلام من جديد:

- «لا أشعر بالراحة وأنا مُستلقية هكذا طوال اليوم. تعالي وساعديني على الجلوس».

قالت لها بيريل كوكو بأن عليها ألا تُرهق نفسها، لكنّها عندما رأت أنّ سيّدتها مُصرّة على الوقوف، ساعدتها على ذلك - فوضعت لها الوسادات من وراء ظهرها، ودعمتها بيديها. ثمّ نادت بلاك دجايد على سنو داك، وقالت لها:

- «أحضري لي كتب الشّعْر».

أحضرت الخادمة الكتب المخطوطة، ووضعتها بقربها. انحنت بلاك دجايد وراحت تبحث باتجاه صندوق موجود على الرف، وشعرت بالانزعاج لأنّ الخادمة لم تستطع قراءة أفكارها، لكنّها لم تتمكن من إعلامها بما تُريد بسبب إصابتها بنوبة قوية من السعال. وحينما ناولتها بيريل كوكو منديلاً، طرحته جانباً بنفاد الصبر، وقالت جاهدة:

- «ليس هذا - بل الشيء الذي عليه كتابة».

فهمت الخادمة أنّها تُريد المنديل الذي بعثه لها باو-يو، والذي سبق لها وأن كتبت عليه مجموعة من المقاطع الشعرية. ناولتها سنو داك المنديل من الصندوق، فأخذته منها بقوة، وشرعت جاهدة في مُحاولة لتمزيقه لكنّها لم تستطع فعل ذلك بسبب ضعفها. فهمت بيريل كوكو السبب الذي يدفع بلاك دجايد إلى الإقدام على ذلك، لكنّها لم تتفوه بحرف واحد خوفاً من تفاقم حزن سيّدتها، فاكتفت بالقول:

- «لا تغضبي، فسوف يزيد ذلك من مرضك وأسالك».

ولمّا عجزت بلاك دجايد عن تمزيق المنديل، طلبت من خادمتها ناراً. لكنّ بيريل كوكو، التي اعتقدت بأن سيّدتها تشعر بالبرد، اقترحت عليها التمدّد ووضع المزيد من الأغطية عليها، لأنّ دُخان النار قد يُسبّب لها السعال. هزّت بلاك دجايد برأسها، فأسرعت بيريل كوكو بإشعال النار في شِعالة الفحم وأحضرتها، ووضعتها في زاوية الغرفة. أوعزت لها بلاك دجايد بوضع الشِعالة على مسافة قريبة منها. ثمّ انتظرت فترة، فاستغلّت خروج الخادمتين من غرفتها؛ فحملت المخطوطات والمنديل، وانحنت إلى الأمام ثمّ، وباستخدام كامل قوتها وجهدها، ألقت بكل شيء إلى النار.

كانت بيربل كوكو مُرتعبة من حالة سيدتها المُتفاقمة. وشعرت بأن الوقت مُتأخر لإخبار الأم الكبيرة بما يحصل، ولربما كان هذا أيضاً إنذاراً كاذباً كما حصل معها من قبل؛ ولكن، ماذا إن ماتت بلاك دجايد أثناء الليل؟ كانت الخادمة تتألم من عدم قُدرتها على حسم خيارها، لكنّها شعرت بالغبطة عندما أُطلّ النهار من جديد دون حدوث أي سوء.

بدأت بلاك دجايد أفضل اليوم، ولكنّها في وقت الإفطار، بدأت بالسعال العنيف من جديد. وصمّمت بيربل كوكو على ضرورة إبلاغ الأم الكبيرة بالأزمة. ثمّ كلّفت سنو داك وغيرها بالاهتمام بأمر بلاك دجايد، وغادرت إلى جناح الأم، ووجدت هناك مجموعة قليلة من الخدم والخادِمات. فسألتهن:

- «أين لاو تاي-تاي؟»

أجاب الجميع بأنهم لا يعلمون أين هي. ثمّ تركتهن وانصرفت إلى غرفة باو-يو تظنّ أنّه لربّما لن يكون موجوداً هو أيضاً، لعلها بقصة زواجه؛ فسألَت الخادِمات عن الموضوع، فلم تتلقّ سوى الأجوبة المُراوغة. وصارت تتحدّث إلى نفسها باستغراب: "كم يبدو القوم هنا قساة القلب!". كانت ساخطة من إجاباتهم المُتضاربة، فقفلت عائدة إلى بامبو ريتريت باكية طوال الطريق. وعند اقترابها، رأت عند المدخل خادمتين صغيرتين تنتظرانها بقلق وارتباك، وعلمت منهما أنّ بلاك دجايد قد عاودتها الأزمة، ولكن بشكل أشدّ.

كان وجه بلاك دجايد يفور احمراراً، وشعرت بيربل كوكو بأن هذا نذير شؤم. فأسرعت إلى مُربية بلاك دجايد العجوز تطلب عونها، لكن هذه الأخيرة كانت تبكي وتولول وغير قادرة على فعل شيء. ثمّ خطرت في بالها لي هوان؛ فكونها أرملة، لن تكون في غرفة الزواج بالتأكيد. وعند سماعها الأخبار المؤسفة من الخادمة المسعورة، هبّت لي هوان على الفور إلى بامبو ريتريت. وهي تُفكّر في جمال بلاك دجايد النادر، وفي إنجازاتها العديدة، وازداد سخطها على سُخرية القدر وقسوته. كانت تعلم أيضاً، بالخطة التي وضعتها فينيكس، ولذلك لم تأت لتفقد بلاك دجايد، لأنها ستكون عاجزة عن التظاهر بأنّها لا تعرف أيّ شيء. ولكن لا بد من ذهابها

الآن والنطق بكلمة الفراق معها.

عندما دخلت البوابة، كان الجو هادئاً والصمت يُخيم على كل شيء؛ ظننت أنها لرُبما وصلت متأخرة. وتساءلت ما إذا كان الجميع هنا مشغولون بتحضير مُستلزمات ما بعد الحياة. فهرعت إلى غرفة الجلوس، والتقت بيريل كوكو التي كانت تخرج للتو من الغرفة الداخلية. فأشارت إليها ناحية الغرفة الداخلية لأنها لم تكن قادرة على النطق، بسبب فيض حزنها وبكائها الشديد.

وفي الداخل، كانت بلاك دجايد ضعيفة جداً وغير قادرة على النطق. فاقتربت منها لي هوان تُناديها بهدوء ولطف؛ ففتحت عينيها ببطء وبدت وكأنها قد تعرّفت على زائرتها، ولكنها بالمُقابل، بدت وكأنها قد فقدت كل علامات الحياة، وبالكاد كانت قادرة على الإحساس بأنفسها.

نظرت لي هوان حولها، فلم تلاحظ وجود بيريل كوكو كما هو متوقع، فتحرّكت باتجاه الغرفة التالية. وهناك رأت الخادمة تبكي وتتحب كالسابق. فخاطبتها موبّخة:

- «خادمة حمقاء، هذا ليس وقت البكاء. هاتي ثياب سيدتك وضعيها عليها.

فأنت لا ترغبين في أن ترحل وهي على هذه الحال، أليس كذلك؟»

عند هذا، ازداد بكاء ونحيب الخادمة بشكل أشد. وبدأت لي هوان بالبكاء أيضاً، لكنها كانت أقدر على ضبط نفسها أكثر من الخادمة. فتقدّمت من الأخيرة وقالت لها، وهي تُرّبت على كتفها:

- «لا تبكي يا صغيرتي، هينا أعدّي لها ما طلبته منك، فلم يعد هناك مُتسع من الوقت».

وصلت في هذه الفترة باشينس ومعها زوجة تشيه-هسيماو. وعندما سُئلتا عن سبب قدومهما، أجابت باشينس:

- «بدت يز ناي-ناي مشغولة البال حول مُجريات الأمور هنا، وأرسلتني من أجل الاستطلاع. ولكن طالما أنّ تاناي-ناي موجودة هنا، فلا داعي للقلق. وسأبلغها بأن لا تشغل بالها بما يحصل هنا، والاهتمام بما لديها هناك».

أحنت لي هوان رأسها، ودخلت باشينس لرؤية بلاك دجايد.

عندها، قالت لي هُوَانُ تُوَجَّهَ كلامها إلى زوجة تشيه-هسيباو:
- «يُمْكِنُكَ الدخول والتأكد من أَنْ كَلَّ حاجيات بلاك دجايد لما بعد الحياة
قد تَمَّ تحضيرها، ومن بعدها، أخبريني عن أيِّ نقص».
وافقت زوجة تشيه-هسيباو على ما سمعته، إلاَّ أنَّها لم تدخل. فسألتهَا لي هُوَانُ:
- «وماذا تنتظرين؟»

أجابتهَا زوجة تشيه-هسيباو بشيءٍ من الارتباك:
- «لقد استشارت يَزْ ناي-ناي السَيِّدة لاو تاي-تاي، وقالتا بأنَّهما تُريدان
حضور بيربل كوكُو إلى هُنَاك، لاعتقادهما بأنَّ ذلك قد يبعث الطَّمَأِينَة في
نفس باو-يو».

عِنَمَا سمعت بيربل كوكُو بهذا، لم تمالك نفسها عن الغضب والسخط، فقالت
بشخريَّة:

- «من الأفضل للسَيِّدة لاو تاي-تاي أَنْ ترتاح. فلتنتظر إلى أَنْ تموت السَيِّدة
التي لدينا هُنَا قبل أَنْ تطلبي خادمتهَا. كان عليهما أَلَّا تكونا—»
توقَّفت عن الكلام فجأة، وانتظرت قليلاً في مُحَاولة منها لتمالك نفسها، ثُمَّ
عاودت الكلام بلهجة أكثر اعتدالاً:

- «لقد أمضيت فترة طويلة من الزمن، وأنا ساهرة بالقرب من سرير المريضة؟
فلستُ مُناسبة الآن لغُرف الزواج. بالإضافة إلى أَنْ لِين كُو-نيانغ هي الآن
في لحظات وعيها، وتَسأل عَنِّي بلا انقطاع».
قالت لي هُوَانُ:

- «يبدو لي أَنْ لِين كُو-نيانغ وهذه الخادمة قد ارتبطتا معاً في مصير واحد.
ومع أنَّها قد أَحضرت سَنُو دَاك من الجنوب، لكنَّها لا تُحِبُّ إلاَّ هذه
الخادمة. وَأخشى من أَنَّنا لا نستطيع التفريق بينهما».

شعرت زوجة تشيه-هسيباو بغليان في داخلها من أسلوب بيربل كوكُو اللفظ
والمؤذي في الكلام، لكنَّها لم تُقابل الأذى بمثله، لأنها كانت تعلم بحالة الخادمة

الحزينة والمأساوية. فقالت:

- «لن أكرث بما قالته لي للتوّ، ولكن ما الذي عليّ قوله للسيدة لاو تاي-تاي ولـ يز ناي-ناي؟ فلن أكون قادرة على تكرار ما قالته هذه الخادمة لهما». وبعد أن خرجت باشينس من غرفة المريضة، وعلمت بموضوع النقاش الذي حصل، اقترحت ذهاب سنو داك بدلاً من بيربل كوكو.

الفصل السابع والثلاثون

وفيه تتزوج بريشوس فيرتشو بناء على حكم القدر
وتموت بلاك دجايد وفاء لدين قديم

لم تغتبط سنو داك بمهمتها، ولكن ماذا على الخادمة أن تفعل غير الطاعة؟
حينما جلست في غرفتها في المُجمَع المُخصَّص من قبل تشيا تشانغ لـ باو-يو
وبريشوس فيرتشو، بدأت تُفكر في سيدها وما الذي كانت تعنيه للعريس، وتساءلت
ما إذا كان باو-يو يُعاني حقاً من أي مرض عقلي ولا يدري ما الذي يحصل، أو أنه
يتظاهر بما هو عليه لمُجرد التملص من بلاك دجايد. وإذا كان ذلك مُجرد تظاهر،
فما الذي سيقوله لها عند رؤيتها- طالما أن هذا ما سيحصل عاجلاً أم آجلاً؟ ثم
دخلت إلى غرفة باو-يو، وفي رأسها كل هذه الهواجس تغطي على أفكارها.

بدا باو-يو أفضل من الفترة السابقة، لكنّه كان لا يزال مُشوشاً وغير متوازن،
إلاّ أنّه كان سعيداً لأمر ما. وبالرغم من أنّ سنو داك لا تدري بسرّ الزواج، فقد
كانت تشعر بالكره تجاه باو-يو بسبب قسوته، وانصرفت عنه من دون أن تُكلّمه.
أمّا باو-يو، من الجهة الأخرى، كان ينتظر ساعة الزواج بفارغ الصبر. فقال يُخاطب
بيرفايدينغ فريغرانس:

- «ستأتي لين ماي-ماي من بامبو ريتريت، ولكن لماذا تتأخر كل هذا
الوقت؟»

أجابته الخادمة، وقد كبتت شعورها بالضحك:

- «إنها تنتظر الساعة المُحدّدة، ولا يُمكنها أن تأتي قبل ذلك».

وأخيراً، وصلت هذه الساعة المُحدّدة. وفي لحظة دخول عربة الزواج إلى البهو، بدأت فرقة صغيرة عزف موسيقى الزواج التقليدية. كانت هذه الموسيقى تُعبّر عن قضية زواج حزينة لأسرة تُقيم في يُونغ كُوْفُو، على الرغم من أنها قد تُعتبر بالنسبة لعائلة عادية كافية تماماً لإقامة عرس كامل. كانت العروس تضع من فوق رأسها وشاحاً أحمر وتخرج من العربة بمُساعدة إشييتها المُساعدة. ومن هي هذه الإشيية باعتقادك؟ لم تكن سوى سُو سُو داك! تفاجأ باو-يو بها؛ فمن المُنتظر وفق اعتقاده أن تكون بيربل كوكُو. ثم غرق في أفكاره: آه، بالطبع. . . سُو داك هي الخادمة التي أحضرتها لين ماي-ماي من الجنوب، أمّا بيربل كوكُو فقد كانت خادمة لاو تاي-تاي في الأصل. ولعلّها رأت أنّه من الأنسب أن تكون سُو داك إشييتها في هذه المُناسبة!

وفي هذه الأثناء، حلّت اللحظة الحرجة لرفع الوشاح عن العروس. فوفقت الأم الكبيرة وغيرها الكثير بفارغ الصبر، لترقّب ما الذي يُمكن أن يحدث عند رفع الغطاء عن رأس العروس، واكتشاف باو-يو بأنّها ليست بلاك دجايد.

اقترب باو-يو من عروسه بحذر وبيطء، وقال مُغتبطاً:

- «ها هي ماي-ماي بخير أخيراً؟ فأنا لم أرك منذ أيام وأيام. فلماذا تُغطين نفسك بهذا الشيء؟ وما إن شرع برفع الغطاء، حتى انقطعت أنفاس جميع من في القاعة. لكنّه توقّف عن ذلك، وقال مازحاً بصوت مُرتفع:

- «إنّ لين ماي-ماي حسّاسة جدّاً، ولن أضايقها».

ووقف ينتظر للحظات، لكنّه لم يعد يحتمل مشاعر التشويق، فتقدّم إلى بريشوس فيرتشو على عجل ورفع الغطاء. وما إن فعل ذلك، حتى انسحبت سُو داك من المكان على الفور؛ وتقدّمت أوريول، خادمة بريشوس فيرتشو وأخذت مكانها.

لم يُصدّق باو-يو ما يرى؛ فالعروس تُشبه إلى حدّ كبير بريشوس فيرتشو-ثمّ فرك عينيه ونظر من جديد، النظر لم يُخطئ فهي بريشوس فيرتشو، لا شكّ في ذلك. كانت ترتدي ثوب الزواج الذي بدا على درجة عالية من الجاذبية والجمال. وقف

باو-يو مشدوهاً كالمذهول بما يرى، ثم التفت من حوله فتفاجأ بوجود أوريول. فارتبك، وأصابته الحيرة مُعتقداً أنه يحلم. تقدّم المُساعد إليه، وأخذ منه المُصباح الذي كان يحمله وأجلسه. حينما بدا مُترنحاً في مقعده، وكأنه قد تاه عن محيطه، هبت فينيكس برفقة يو-شيه ورافقتا بريشوس فيرتشو إلى الغرف الداخلية. ثم طلبت الأم الكبيرة من بريشوس فيرتشو وضع باو-يو في فراشه.

سأل باو-يو خادمتها:

- «أين أنا؟ هل أنا أحلم؟»

- «لا تتفوّه بهذه السخافات. إنه يوم زفافك. فلماذا تعتقد بأنك تحلم؟ لا تتكلّم، لاو-يه في الخارج، فلا تدعه يسمع هذه السخافات التي تتفوّه بها.»

قال باو-يو بإصرار، وهو يُشير إلى بريشوس فيرتشو:

- «ولكن من هي تلك الحسناء الجميلة التي تجلس هناك؟»

وضعت الخادمة يدها على فمها لإخفاء ضحكتها، وقالت:

- «تلك هي ناي-ناي التي تزوّجتها للتوّ.»

قال باو-يو مُستهجناً:

- «أنتِ بالتأكيد مُخطئة، فمن هي يزّ ناي-ناي؟»

- «هي باو-كو-نيانغ، بالطبع.»

- «وأين لين كو-نيانغ إذن؟ ما الذي حدث لها؟»

- «لقد كان فرار لاو-يه بتزويجك من باو-كو-نيانغ، ولا تتكلّم مرّة ثانية عن لين كو-نيانغ.»

لم يقتنع باو-يو، وتابع الأسئلة:

- «ولكنني مُتأكد من أنني رأيت لين كو-نيانغ منذ لحظات. وقد كانت سنو

داك إلى جانبها أيضاً. وهل أنتم تُمازحونني؟»

وعلى الأثر، تقدّمت منه فينيكس وقالت:

- «توقّف الآن، ها هي باو كؤ-نيانغ موجودة في الغرفة الداخلية، وستُزعجها لو استمرّيت على هذا النحو».

شهد اليوم التالي، مُغادرة تشيا تشانغ، وباستثناء باو-يو الذي كان معذوراً بسبب مرضه، فقد رافقه جميع من في المنزل لمسافة خمسة كيلومترات خارج العاصمة من أجل توديعه. وبالنسبة لفترة الوداع داخل المنزل، فقد تدرب عليه باو-يو بعناية. وبسبب ذلك، لم يلاحظ تشيا تشانغ الانتكاسة المفاجئة التي عاناه ولده. وطلب منه والده أن ينشط ويقوّي من عزيمته، وأكد على مدام وانغ الإصرار على باو-يو للتقدّم لامتحانات القادمة لدرجة «الإنسان المُترقّع».

ازدادت حالة باو-يو سوءاً بعد رحيل تشيا تشانغ. وفي اليوم التاسع، أعدت الأم الكبيرة العدة لإرساله إلى منزل هسويه بي-ما للعناية بتحسين مظهره. وفي هذه الأثناء، كانت بريشوس فير تشو قد اعتزلت؛ فهي كانت تعتقد في خفايا نفسها من أنّ والدتها قد تسرّعت في الموافقة على هذا الزواج الغريب. وكانت قد أسفت هسويه بي-ما لذلك أيضاً، وبخاصة عندما رأت حالة باو-يو في اليوم التاسع - ولكن ما الذي يُمكن أن يفعله المرء بعد أن تكون طبخة الأرز قد نضجت؟

وفي يومٍ كان فيه باو-يو نسيبياً واضح الذهن، أخذ بيرفايدينغ فريغرانس جانباً وقال لها باكياً:

- «أرجوكِ أخبريني كيف أمكن لباو تشي-تشي أن تُصبح هنا. أذكر أنّ لاو-يه قد خطب لي لين ماي-ماي، وكان عليّ أن أكون زوجها الآن. فكيف أمكن أن تأتي باو تشي-تشي لتحلّ محلّها؟ أرغب كثيراً في توضيح هذه المسألة، لكنني أخشى إغاظه باو تشي-تشي»، ولا بُدّ أنّ لين ماي-ماي تبكي نفسها حتّى الموت الآن».

لم تجرؤ بيرفايدينغ فريغرانس على إخباره بالحقيقة. واكتفت بالقول أنّ بلاك دجايد لم تكن على ما يُرام. وعلى الفور، انتفض باو-يو قائلاً:

- «سأذهب لرؤيتها».

حاول النهوض، لكنّه كان مُتعباً جداً، ولم يتناول الطعام منذ فترة طويلة الشيء

الذي أفقده قواه. فارتقى إلى الخلف وغرق في البكاء، صارخاً:

- «ليس لديّ الوقت الكافي للعيش، ولكن أريدك أن تُخبري لاو تاي-تاي برغبتني؛ أنا أكيد من أن لين ماي-ماي ستموت، عندما أموت أيضاً - قولي لها أن تضعنا الآن في غرفة واحدة، وبإمكاننا الاعتناء بأنفسنا. فإذا شفينا، فذلك جيد وخير. وإذا متنا، فسنكون على الأقل قد متنا معاً. . . لقد أمضينا معاً العديد من السنوات. وسأبتهل لكي يبقى الحب بيننا حتى النهاية؛ أبلغني لاو تاي-تاي بأنها رغبتي ووصيتي الأخيرة».

وحدث أن عادت بريشوس فيرثشو في تلك اللحظة، وسمعت كلام باو-يو،

فقالت:

- «لا تبدأ الآن بالنطق بتلك الكلمات الكثيرة. فها أنت لم تلبث أن بدأت بالتحسن، وما عليك إلا الاعتناء بنفسك جيداً، بدلاً من ترديد هذه الكلمات المضحكة. وحتى لو كنت تريد الموت، فالسماء لن تتركك ترحل، لأن لاو تاي-تاي تُحبك كثيراً ولسوف تُحطم قلبها إن أنت رحلت. كما أن هذه هي حالة تاي-تاي بنفسها - فالجميع يهتمون برعايتك من أجل شفائك ومن أجل سعادتك المستقبلية. فبالرغم من أنني سيئة الحظ، فأنا لا أصدق بأن الأمور سوف تتحول من أجلي كما تعتقد. ومن أجل هذه الأسباب الثلاثة، فأنا أجزؤ على القول من أن السماء لن تدعك تموت، حتى ولو كنت ترغب في ذلك».

صمّمت بريشوس فيرثشو على اللجوء إلى العلاج الجذري للمسألة، فقالت

تزيد من رعب بيرفايدينغ فريغرانس:

- «عليك ألا تُفكر في لين ماي-ماي أكثر من ذلك، لأنها قد ماتت منذ بضعة أيام أثناء غيبوبتك».

وعلى الفور، هبّ باو-يو من فراشه صارخاً:

- «هل هذا صحيح؟»

- «بالطبع هذا صحيح»، قالت بريشوس فيرثشو، وأضافت مؤكدة: «وهل

تعتقد بأنني سأخبر بهذا أياً كان لو لم يكن صحيحاً؟ ولم تشأ لاو تاي-
تاي ولا تاي-تاي إخبارك لأنهما لم تُريدا التسبب لك بمُعاناة إضافية».
ارتمتى باو-يو باكبياً بحزن شديد، وما لبث أن راح يلهث، ثم فقد وعيه.

كان موت بلاك دجايد قد تزامن مع ساعة زواج باو-يو وبريشوس فيرتشو؛
فمباشرة بعد استدعاء سنو داك إلى غرفة الزواج، استعادت بلاك دجايد وعيها.
وخلال لحظة الوعي هذه، التي لا تختلف كثيراً عن لحظة الشفق عند غروب
الشمس، أخذت بيد بيربل كوكو وقالت لها بجهد:

- «ها أنا أخيراً قد حانت ساعتني. لقد عملت على خدمتي للعديد من
السنوات، وكم كنتُ أرغب في أن نعيش معاً ما تبقى لنا من العمر. . .
لكنني أخاف من. . .»

وبعد أن أجهدها الإرهاق، سقطت إلى الخلف، لاهثة. كانت لا تزال تُمسك
بيدي بيربل كوكو، فتابعت بعد فترة تقول وقد أعيها المرض:

- «ماي-ماي، لدي رغبة واحدة فقط، وليس لدي أي مُرافقين هنا، أخبريهم
أن يُعيدوني من بعد موتي إلى الجنوب—»

توقفت عن النطق من جديد، وأغمضت عينيها ببطء شديد. وشعرت بيربل
كوكو بيد سيديتها قد قبضت على يديها بإحكام. ولما شعرت بدنو لحظة الفراق،
استدعت لي هوان، فيما عادت الأخيرة ومعها كويست سبرينغ. كانت يدي بلاك
دجايد قد أصبحتا باردتين، وعيناها شاحبتين. وعلى الفور، كبتتا أساهما، وأسرعنا
لوضع ملابسها على جسدها البارد والهزيل. وفجأة، هتفت بلاك دجايد:

- «باو-يو، باو-يو، كيف—»

كانت تلك كلماتها الأخيرة. . . ثم انطفأ قبس الحياة فيها ورحلت.

فبالرغم من الفواجع التي كانت ترهقهن، ظنت لي هوان و بيربل كوكو وكويست
سبرينغ بانهن قد سمعن نغمات موسيقى الأثير الرقيقة في السماء. فخرجن فوراً
للتحقق منه، فلم يكن كل ما سمعنه سوى حفيف الرياح بأغصان الخيزران، وكل ما
يُمكن تمييزه كان ظلّ القمر وهو يزحف نزولاً على الجدار الغربي.

بقيت الكلمات الأخيرة التي نطقت بها بلاك دجايد خافية على باو-يو، وحتى أن الأم الكبيرة لم تُبلِّغ بها، إلا بعد مرور بضعة أيام؛ فقد كان لديها ما يكفيها من الأحران لكي يتم إبلاغها بخبر موت حفيدتها. وهكذا، وبعد كشف بريشوس فيرتشو للخبر أمام باو-يو من دون أيّ تحذير، صدم هذا الطيش الجميع. ولكنها كانت في أعماق ذاتها، مُقتنعة بضرورة إخباره؛ فقد كانت تظنّ بأنّ هذه الصدمة لا بد وأن تكون إيجابية بالنسبة له، طالما أنّ مرضه كان بنسبته الأكبر نفسياً. وهذا ما استطاعت أن تُبرهنه من خلال ما أقدمت عليه: فقد تحسّنت حالة باو-يو باطّراد من بعد استعادته لوعيه، وبمساعدة الوصفات الطبية، للنهوض في خلال بضعة أيام. وبعد أشهر، وعقب انتهاء فترة باو-يو للحداد على كاردينال سبرينغ، أُقيم احتفال كبير من أجل إتمام عملية الزواج، وبذلك أصبح باو-يو وبريشوس فيرتشو، زوج وزوجة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

الفصل الثامن والثلاثون

وفيه يُصبح تاكوان يوان مرتعاً للأرواح الشريرة
ويصل قصري نينغ كوفو ويونغ كوفو إلى انهيارهما المُحتم

مُقارنة مع حالته التي كان عليها في فترة ازدهار نادي الشعر، فقد أصبح تاكوان يوان خالٍ من سكّانه حالياً. كان باو-يو يعيش في شقة قريبة من جناح مدام وانغ، ولم تعد تسمح له الأم الكبيرة بزيارة تاكوان يوان إلا في المناسبات النادرة، لأنّه بالرّغم من نقل بقايا بلاك دجايد إلى مدفن داخل أحد الأديرة، فإنّ بامبو ريتريت لا يزال قائماً، وقد يتسبب بإعادة إحياء أحزانه.

غادرت بريشوس هارب للعيش مع هسويه يي-ما، بعد وفاة ابن عمّها. وريشر ميست عادت لعائلتها-التي عادت مرة جديدة إلى العاصمة - وكانت على أبواب الزواج. وكانت خلال الأشهر الأخيرة، قد زارت يونغ كوفو مرتين: مرّة عند زواج باو-يو، ومرّة عند قيامه بـ «تدوير الغرفة». في هذه الأثناء، تزوّجت ولكوم سبرينغ، ونتيجة لذلك، تمّ إغلاق جناح بروكايد تشامبر، وغادرت ماونت ريث للعيش مع مدام هسينغ. أما الأختين لي، فكانتا تعيشان مع عائلتهما، وواظبتا على زيارة يونغ كوفو باستمرار. ولم يبق في مُجمّع الحديقة سوى لي هوان، كويست سبرينغ وكومباشن سبرينغ.

وفي إحدى الليالي، وعلى أبواب عيد الحصاد، كانت فينيكس تمرّ بالقرب من تاكوان يوان، فقرّرت زيارة كويست سبرينغ. ولما كان ضوء القمر ينتشر على

المكان، صرفت حامل المِصباح، ودخلت مع خادميتين فقط. وعندما سمعت خادميتين تتشاجران في البهو الخارجي، أرسلت إحدى خادمتها للتحقق مما يحصل، بينما تابعت هي سيرها مع الأخرى. وما لبثت في تلك اللحظة أن هبت عاصفة مُفاجئة من الرياح دوت من خلال بساتين الحديقة، مما تسبب في دعر الطيور الليلية وراحت تُحلّق في دائرة من فوق الأشجار التي كانت تميل بقوة. شعرت فينيكس بقشعريرة أسفل ظهرها، فأرسلت الخادمة المُرافقة لها، لإحضار سترة الصوف الفضية، وأخذها إلى مكتب أوتومن.

بعد مُغادرة الخادمة، بدأت فينيكس تشعر بالخوف وراحت تُسرّع في خطواتها. ولاحظت شخصاً بالقرب من مكتب أوتومن يتحرك في الظلام. صرخت تستفسر عن الموجود، ولكن لم تتلق أي رد. وفجأة سمعت أحدهم يقول من خلفها:

- «هل نسيّتي، شين-شين؟ هل نسيّت شين-شين ما كنتُ قد قلته لها منذ سنوات حول إدامة مدرسة الأسرة وأرض مقبرة الأجداد؟»

تنتهت فينيكس وقد أصابها القشعريرة من أنها تشين-شيه. ومن خوفها، بدأت تبصق يُمّنة ويُسرى في محاولة منها للتخلص من التأثيرات الشريرة وما لبثت أن انطلقت تعدو بكل ما أوتيت من عزم. وفجأة، تعثرت وسقطت أرضاً. وعندما استعادت وعيها وقواها، أحست وكأنها كانت تحلم. في هذه اللحظة، عادت الخادمتان معاً، وأسرعت فينيكس برفتها إلى البيت، مُتظاهرة بأنها تنوي الذهاب إلى مكتب أوتومن بحُجة أنّ كويست سبرينغ قد نامت الآن.

بعد بضعة أيام لاحقة، حدث أن كانت يو-شيه تمر في مُجمّع الحديقة، وسقطت طريحة الفراش مريضة في اليوم الثاني. وكانت تهذي في بعض الأحيان، وتُتمتم بكلمات عن الشياطين والأشباح. والواضح من كلامها، أنها قد تفاجأت ببعض الأرواح الشريرة في الحديقة. وتمّت في هذا الإطار، استشارة أحد العزّافين، فقال بأنّ الأرواح الشريرة قد تؤدّي إلى المزيد من حالات المرض في نينغ كوفو. وقد ثبتت صحّة هذه النبوءة في الفترات اللاحقة؛ فتوالى مرض كل من تشيا دجين وتشيا دجانغ وزوجة الأخير الواحد تلو الآخر. وللاستفسار عمّا يحصل،

تمّ استدعاء بعض الرهبان البوذيين، وبواسطة بعض الطقوس السحرية والتعاويذ تمّ تطهير مُجمّع الحديقة من الأرواح الشريرة. وهكذا تمّ تبديد هذه المخاوف الخرافية، وبدأ الجميع من بعدها يزورون الحديقة، مع أن العديد منهم، من الذين يعيشون في المُجمّع، لم يكونوا يتجزّأون على الخروج بمفردهم إلى الممرات أو البهو الخارجي في الليل.

تطلّب منصب تشيا تشينغ الجديد في الولايات، الكثير من الفطنة الإدارية والمهارة أكثر من تلك التي يمتلكها. وكتيجة، فقد تعرض للخيانة من قبل مرؤوسيه، وأنهم بأنّه موظّف جشع يُحبّ المال، على الرغم من أنّه لم يتلقّ الرشاوى، ولم يُقدم على لمس أيّ شيء ليس ملكه. كان متلهّفاً لتقديم استقالته وترك المنصب، ولكن بسبب فقدانه للعذر القانوني من أجل ذلك، كان مُلزماً بقضاء فترة ولايته كاملة، وانتظار مشيئة الإمبراطور ورغبته. وأثناء وجوده في منصبه، تلقّى رسالة من أحد كبار مسؤولي الولايات يطلب فيها زواج ابنه من كويست سبرينغ. كتب تشيا تشينغ إلى الأم الكبيرة يسألها رأيها في الأمر. أدركت هذه الأخيرة بأنها يجب أن تحسم أمرها لصالح الاقتراح، من حيث أن تشيا تشينغ كان قد تحمّل عناء استشارتها، فوافقت. كان هناك شعور عام بالأسى والحزن في يُونغ كُوْفُو لزواج كويست سبرينغ إلى تلك المسافة البعيدة، ولكن لا بُدّ للمرء من أن يُسلم بمصيره؛ فعندما توضع السماء القواعد، فلن يكسب المرء إلاّ الشرّ من خرقها؛ فقد تمّ إرسال كويست سبرينغ إلى مكتب تشيا تشينغ، وتزوّجت من نجل مسؤول الحدود في الوقت المُحدّد.

تأثر باو-يو أكثر من غيره لفراق كويست سبرينغ؛ فبدأ الأمر له وكأنّها قد حُكِم عليها بالنفي. فها هو قد شهد زواج ابنة عمّه الصغرى كويست سبرينغ. وسمع بأنّ عائلة صن تشتهر بالبخل وطرق الابتزاز القاسية التي كانت تُمارسها على زوجات الأولاد، ولاحظ عدم سعادة كويست سبرينغ وحزنها عندما عادت لزيارة يُونغ كُوْفُو. وسمع أيضاً أنّ زوج ريفر ميست لم يكن ذا شخصية قوية، مع أنّه كان وسيماً ولطيفاً ويجزل بالعطايا عليها. والآن، وقد بدأ الاعداد لسفر كويست سبرينغ للزواج بعيداً أيضاً. فأصبح يشعر بالوحدة والحزن، وبدأت تظهر عليه بوادر الضعف والوهن.

بعد عودة تشيا تشينغ من منصبه، كانت لديه مُقابلة مع الإمبراطور، الذي يبدو أنه غير راضٍ عنه. وكان تشيا تشينغ قد تعرّض للتهجّم من قبل الوالي خلال حفل تشييد نصب تذكاري للعرش، مُتّهماً إيّاه بعدم الكفاءة والفشل في التحقق من المُخالفات التي كانت تُرتكب من قبل مُساعديه. بعد أن انتهى من المُقابلة في الخارج بانتظار التبليغات بالأمر الإمبراطوري وشعر بالارتياح عندما أعلمه أصدقائه في مجلس الوزراء بأن موضوع إقالته من منصبه اعتُبر العقوبة الكافية لعدم أهليته، لا سيّما عندما علم الإمبراطور بأن تشيا تشينغ بريء من قضايا الفساد التي ارتكبتها مُساعديه، ولم يكسب أي فائدة من عمليات الابتزاز غير القانونية.

كانت هناك اتهامات من قبل الرقابة ضدّ تشيا دجين وتشيا شيه التي لا يُمكن التغاضي عنها. وكما ظهر من التحقيقات، فقد كان تشيا دجين مُذنباً بإفساد أبناء العديد من الأسر البارزة في العاصمة. ثمّ علم تشيا تشينغ بأن نينغ كوفو كان من أبرز مُنتجعات القمار المُفضّلة لدى أولئك الأولاد غير الجديرين بالثقة. ومن التهم ذات الطابع الأكثر خطورة، كانت تهمة تشيا دجين أيضاً بإجبار ابنة إحدى العائلات المُحترمة لتكون خليلته، ممّا دفع بها لاحقاً إلى الانتحار. كانت القضية تتعلق بعدة إدارات قضائية في العاصمة، كما اكتشفت هيئة الرقابة، أنّ خطيب الفتاة الأول المسؤول، قد رفع دعوى في ذلك الوقت، وأنّ تشيا دجين، قد عمل على عرقلة سير العدالة عن طريق الرشوة. وكانت هذه بالطبع، واقعة يؤيّز-تشيه.

أمّا التهم المنسوبة إلى تشيا شيه، فتمثّلت في أنّه كان قد دخل في مؤامرات مع المسؤولين في المحافظة لغرض العبث بالدعاوى القضائية وإفساد العدالة. أمّا التهمة الأكثر خطورة، فكانت موت أحد الملاك لبعض المراوح الأثرية النادرة، والتي كان فيها تشيا تشيه المُحرّض غير المُباشر.

أمّا نتائج هذه الإتهامات وفق هيئة الرقابة، فقد تمثّلت في التالي: أثناء قيام تشيا تشينغ بتسليم أصدقائه بمُناسبة عودته، تمّ تطبيق يونغ كوفو ونينغ كوفو من قبل الحرس الإمبراطوري. وتمّ اعتقال تشيا تشيه وتشيا دجين، وتمّت مُصادرة أملاكهما. كان الارتباك الناجم عن عمل الحراس الشرس والمُتغطرس لا يوصف.

فقد دخلوا كل بهو أو ممز، وفتحوا وأفرغوا كل البراميل والصناديق، وأخذوا كل ثمين. ولحسن الحظ، صودف وصول الأمير بيس - أمير الشمال - وهو يحمل مرسوماً آخراً من الامبراطور يمنع بموجبه الحراس من الاستيلاء العشوائي على أملاك كل من عائلي تشيا تشينغ وتشيا شيه. وخضع التفتيش إلى رقابة الأمير المباشرة، وهو صديق جيد لأسرة يُونغ كُوْفو وباو-يُو، الذي أظهر التساهل حيث تطلّبت الضرورة. ولكنّه، ولسوء الحظ، لم يصل في الوقت المُناسب لمنع كشف الدليل على القروض الربوية التي أقدمت عليها فينيكس في السابق.

كان الإمبراطور، الذي كانت ذكرى وفاة المحظية الإمبراطورية تشيا لا تزال حاضرة في ذهنه، ميالاً إلى العفو؛ فبعد مُراجعته لكل التّهم الموجهة ضد قصري نينغ كُوْفو ويُونغ كُوْفو، استدعى تشيا تشينغ إلى القصر وأصدر قراراته على لسان الأمير. كان تشيا شيه، كما بدا، قريب المسؤول الإقليمي الذي لوحظ وهو يُجري الاتصالات به بشكل مُتكرّر، والتي كانت بطبيعتها خاصة وسريّة-بحيث لم تكن هيئة الرقابة على الأقل قادرة على تقديم الدليل القاطع لإثبات العكس. أمّا بالنسبة لتهمة المتعلقة بالمراوح، فقد تبين أنّها كانت بالدرجة الأولى أشبه بمجموعات هاو، والتي لا يُمكن مُقارنتها بالأملاك الحقيقية. ووفاة صاحب المراوح كان سببها انحرافه الشخصي وليس بسبب الاضطهاد الفعلي ل تشيا شيه. واكتشف صاحب السمّ أيضاً أنّ هناك ظروفاً مُخفّفة في الاتهامات الموجهة ضد تشيا دجين. وبناء عليه، جاءت الأحكام مُتساهلة؛ فقد تمّ نفيهما الى المنطقة الحدودية، حيث كان عليهما خدمة مصالح الإمبراطور للتكفير عن جنحهما. لم يكن صيت تشيا تشينغ بالسلوك القويم معروفاً لدى الإمبراطور، والذي كان غائباً عن المنزل أثناء وقوع هذه الأحداث، ولذلك، فقد تمّت تبرئته كلياً. واستعاد أيضاً كامل أملاكه ولقبه.

كانت الشهامة الإمبراطورية غير متوقعة على غرار ما بدر سابقاً من أولى علامات الإستياء الامبراطوري. فالأم الكبيرة، التي كانت قد صُدمت عميقاً عندما أحاط بها أولادها وأحفادها وهم يبكون بأسى ولوعة، ظنّت أنّها لن ترى ولديها من جديد. وراحت تُصلّي للسماء لكي تتحمّل مُعاناة ذنوب ولديها، وشعرت بأنّ

السماء تستجيب لصلواتها عندما عاد تشيا تشينغ إليها من جديد.

اهتم تشيا تشينغ بشؤون العائلة، واكتشف أن المداخيل من الإيجارات وغيرها من المصادر قد انخفضت كثيراً عن النفقات منذ سنوات خلت، وأن هناك العديد من الاستحقاقات التي لا بد من مواجهتها؛ فوبّخ تشيا لين لترك الأمور تجري على هذا النحو، مع العلم أنه لا يملك الوسائل لمعالجة الأمور. واستمر تشيا لين في إدارة الأمور بالطرق نفسها، والشيء الوحيد الذي فعله بعدما زجره تشيا تشينغ من أجل اعتماد تدابير اقتصادية فعالة، تمثل في بيع بعض الأراضي لتغطية مختلف النفقات التي تتطلبها احتياجات تشيا شيه وتشيا دجين خلال مدة نفيهما.

كانت فينيكس مريضة لبعض الوقت. بالرغم من مُحاولاتها المتكررة لإخفاء ذلك، لأنها كانت تكره تخليها عن إدارة الأمور. وقد أُغميَ عليها حينما علمت بمعاينة شقتها وتفتيشها، لأنها كانت تعلم بأن مذكراتها وملاحظاتنا مُعرضة للاكتشاف. وظنّت بأن كشف الأمور، قد يؤدي إلى كره الأم الكبيرة لها، وأن زوجها سيُعرضها للمساءلة؛ فشعرت باليأس الشديد وانتظرت تتوقّع النهاية. لكن زيارة الأم الكبيرة إليها مُباشرة بعد مُغادرة تشيا شيه وتشيا دجين، قد أثبتت لها بأنها لا تزال تُحبّها أكثر من السابق؛ فأحيا ذلك آمالها وأنعش نفسها وبالتالي، بدأت علامات التحسّن تظهر على حالتها تبعاً.

عند اقتراب موعد السنة الجديدة، كانت مصائب القصرين الأخيرة قد خفّت كثيراً استعداداً لدخول الاحتفالات بقلوب خالية من الهموم. ولكن بتاريخ الواحد والعشرين، يوم ميلاد بريشوس فيرتشو، قامت الأم الكبيرة بالتحضير لحفلة على شرفها. فقد كانت تشعر بالأسى الشديد على بريشوس فيرتشو، التي لم تشعر بيوم سعادة خلال العام الأول من زواجها. فخصّصت مبلغاً من مالها الخاص لتغطية تكاليف الحفلة، وبعثت الدعوات لكل من ريفر ميست، التي كانت تعيش في هذا الوقت مع عائلتها، وللكوم سبرينغ و الأختين لي.

كانت ولكوم سبرينغ التي لم تزر أو تبعث بأيّ خبر خلال مرور يُونغ كُوْفُو في فترة المصائب، تبكي وهي تشكو أمام الأم الكبيرة وغيرها، بأن عائلة زوجها، لم

تكن تسمح لها في البداية من الاتصال بقومها، ولكنهم حين علموا بأن تشيا تشينغ قد استعاد لقبه، وأن يُونغ كوفو لم يزل تحت رعاية الإمبراطور، سمحوا لها بزيارة عائلتها من جديد.

إتصفت جهود الأم الكبيرة من أجل إسعاد الجميع بالنجاح الجزئي، لأنّ مدام هسينغ ويو-شيه كانتا حزيتين بسبب نفي زوجيهما. وحاولت فينيكس بدورها بذل الجهود في سبيل التخفيف عنهما، إلا أنّها كانت تفشل في كلّ مرّة.

الفصل التاسع والثلاثون

وفيه تعود الأم الكبيرة إلى السماء بعد حياة طويلة
وتبلغ فينيكس الراحة الأبدية من العمل الذي فرضته على نفسها

منذ الصدمة التي تلقّتها خلال الفترة التي تمّ فيها حجز قصريّ عائلة تشيا بسبب الديون، بدأت حالة الأم الكبيرة الصحية بالتدهور؛ وها هي الآن قد أصبحت على مشارف الثالثة والثمانين من العمر - العمر الذي قد ينتهي عند أي وعكة صحية عنيفة مُفاجئة. وفي أحد الأيام، وبعد أن حذّر الطبيب مدام وانغ وغيرها من خطورة حالتها، تداعى أولاد الأم الكبيرة وأحفادها إلى غرفتها، وبدت وكأنها قد دعت إلى اجتماع وطلبت الشاي. أحضرت لها مدام هسينغ كوباً من مُشثقات الجينسِنغ، إلا أنّ مدام وانغ أصرّت على الاكتفاء بالشاي فقط، وهذا ما حصل؛ فشربت الشاي وعبرت عن رغبتها في الجلوس، فقال تشيا تشينغ والباقيين:

- «يُمكن للأم الكبيرة أن تأمرنا كما ترغب، ولا داعي لأن تُجهد نفسك». فردّت عليهم:

- «أشعر بأنني أفضل من بعد الشاي، وأريد أن أنهض لكي أتمكّن من الحديث معكم وأنا مرتاحة».

وبعد أن أعانوها على الجلوس في وضع مُريح، تابعت تقول:

- «لقد مضى لي حتّى الآن ستون عاماً منذ أن انتميت إلى عائلتكم... ولقد استمتعت بالكثير من الخيرات والنعم خلال هذه المدة. وأرى أن جميعكم،

ابتداء من لا-ويه نزولاً إلى الأولاد والأحفاد - الجميع يستحقون حُبِّي
على العموم. . . وباو-يو. . . أحببته ولم أزل. . .»

توقفت عن الكلام، وبدأت عيناها تبحث في أرجاء الغرفة. فهمت مدام وانغ
رغبتها، ودفعت باو-يو إلى الأمام، فسحبت الأم الكبيرة يدها من تحت الغطاء
ووضعتها على رأس باو-يو، وقالت:

- «ولدي، عليك أن تحمي نفسك. . .»

إغرورت عينا باو-يو بالدموع، لكنّه لم يجرؤ على البكاء. وتابعت الأم الكبيرة
تقول:

- «كم أُرغب في أن أرى ولد حفيدي الأكبر، ومن بعدها سأموت مرتاحة.
أين هو لان-يزو؟»

وهنا، دفعت لي هوان تشيا لان إلى الأمام. رفعت الأم يدها عن باو-يو ووضعتها
على رأس تشيا لان، وقالت:

- «يجب أن تكون جيداً مع والدتك. عليك أن تقوم ببعض المنجزات اللافتة
التي تجعلها فخورة بك. . . وأين فينغ يا-تو؟»

كانت فينيكس تقف من خلفها، أجابتها، بعد أن تقدمت إلى الأمام:
- «أنا هنا».

قالت الأم الكبيرة:

- «عزيزتي، أنت ذكية وماهرة. عليك أن تُباركي النعم بالأفعال الطيبة والورعة.
لم أكن أنا نفسي ورعة، ولم أصم أو أصلي كما ينبغي لي. ماذا عن نسخ
مخطوطة «دياموند سوترا»⁽¹⁾ التي رغبت في نسخها العام الماضي؟ فهل تم
توزيعها جميعاً؟»

(1) «دياموند سوترا» أو «كمال الحكمة»: هي مخطوطة شعرية دينية من العهد الصيني القديم -
عهد الماهايانا (البوذية)، تُشدد على ممارسات غير المؤمنين، أو غير الملتزمين دينياً، لإرشادهم
إلى طريق النور والصواب...

ثمّ تنبّهت إلى بعض الغائبين عن الحضور في الغرفة، فقالت:
- «أعلم بأنّ تا لاو-يه ودجين-يز في المنفى، ولكن أين يؤن يا-تو؟ لماذا لم
تأت هذه المخلوقة القاسية لرؤيتي؟»

كان الجميع يعرف لماذا لم تأت ريفر ميست ولكن لم يشأ أحد إخبارها؛ كان
من الأفضل ألاّ تعلم بأنّ زوج ريفر ميست يعاني من مرض عضال، ولربّما لن تُكتب
له الحياة الطويلة.

كما أنّهم لم يُخبروها عن وفاة ولكوم سبرينغ، التي كانت قد ذبلت في الجو
العدائي لأسرة صن الدينية، ثمّ توفيت قبل فترة وجيزة.

بعد ذلك، التفتت الأم الكبيرة إلى بريشوس فيرتشو وتنهّدت من دون أن تنطق
بأيّ كلمة للتعبير عمّا تُفكّر فيه. ثمّ أغمضت عينها لفترة وجيزة، وعادت تفتحهما
بطء شديد، وراحت تُحدّق في الغرفة. وما لبثت أن أغمضتهما من جديد للمرّة
الأخيرة، وقد ارتسمت على مُحياها ابتسامة مُضيئة. على الرغم من أنّ فينيكس كانت
واحدة من جيلين يعودان إلى الأم الحاكمة، طالبت بأن تكون المسؤولة عن تربيّات
الجنّازة بسبب كفاءتها وخبرتها في إدارة جنازة تشين-شيه منذ سنوات مضت. لم
تكن فينيكس حريصة كل الحرص على تحمل المسؤولية، لأنّها كانت تعلم مدى
الصعوبات التي قد تُواجهها؛ لكنّها لم تكن قادرة على رفض طلب مدام وانغ ومام
هسينغ بهذا الخصوص.

وبعد أن أجرت المسح المطلوب، وجدت بأنّ مهمتها ستكون حتّى أصعب من
مخاوفها؛ فلديها تحت يدها فقط واحد وعشرون من الخدم الذكور، وتسع عشرة من
الإناث. بالإضافة إلى وجود حوالي الثلاثين من الخادّات الشابات اللواتي يفتقرن
إلى الخبرة. وهذا العدد لم يُعادل نصف الفريق الذي عمل خلال جنازة تشيا-شيه،
لا سيّما وأنّ جنازة الأم الكبيرة كانت أهمّ منها بمزّات عديدة. كما كان المال المتوفّر
كميزانية للتنفيذ، قليل ولا يكفي، ولم يكن هناك ما يكفي من الكراسي، والطاولات،
والأطباق وغير ذلك من الأدوات والأوعية والأواني الضرورية من أجل الولائم
وغيرها من حفلات العزاء المُختلفة.

قدّم تشيا تشينغ المُلتزم بتعاليم وشرائع كونفوشيوس، أفكاره ورأيه بخصوص الإعداد للجنائز. فاعتبر أن الحداد الصادق لا يعني بذل الكثير من النفقات والإسراف بلا سبب، فتفرغ من أجل الحداد، وترك الترتيبات من شأن الآخرين. وعندما كان يُستشار بأيّ تفصيل يتعلّق بالمُناسبة، كان يُحيل الأمر إلى مدام هسينغ-التي كانت المعنّية الأولى بالحداد لكونها زوجة الإبن الأول للأُم المتوفية. وكذلك كانت لها أسبابها من أجل الخفض في النفقات؛ فهي لم تكن ترغب في الضغط على موارد العائلة المتناقصة.

وهكذا، وقعت فينيكس في مأزق صعب. فكانت تتعرض للوم عند حدوث أيّ خطأ، مع أنّها لم تتلقَ الوسائل الضرورية للعمل. ولعلّ أكثر الأمور التي دفعتها إلى التآزم، المقاربات التي كانت تقترحها فايت؛ فهي كانت تُلح عليها وتؤكد لها بأنّ جنازة الأُم الكبيرة لا بد وأن تسير على أكمل وجه وتتلائم مع مكانة الأُم وفضلتها. فتقول مثلاً:

- «لم تكن لاو تاي-تاي مُسرفة في حياتها. ولا أدري ما الذي عناه تشيا تشينغ بالحداد الصادق وتعاليم الحكّماء، لكنني أعلم بأنّ لاو تاي-تاي اعتادت على حبّ ناي-ناي، وحبّي أنا أيضاً، وكانت لطيفة وطيبة معنا أكثر من الجميع، ولهذا، فأنا امرأة أعتبر بأنني سأشعر بالعار لمواجهتها في الحياة الأخرى إذا ما مرّت جنازتها بهذا النوع من التقطير والميل إلى التوفير. لذلك، أناشد ناي-ناي وأستحثّها على عدم التقدير في أيّ مصاريف- لقد ادّخرت لاو تاي-تاي من أجل ذلك بنفسها».

والواقع، أنّ الأُم الكبيرة كانت قد عملت على تأمين المؤونة من أجل المُستقبل. فبعد فترة وجيزة من المصائب التي حلت بالأسرة، احتفظت بمخزون مواردها من المال، وكذلك مُدّخراتها الشخصية لتسيير حياتها الطويلة بحكمة وعدل، ثمّ وزّعت ما تبقى لديها إلى حصص متساوية على كل من تشيا شيه وتشيا تشينغ وغيرهما، كما أنّها احتفظت بمبلغ خاص من أجل جنازتها. أحسّت فينيكس بالحزن من شك وريبة فايت، واعتبارها المسؤولة عن الاقتصاد في المصاريف غير المُبرّر، مع أنّها

لم تتهم بأي شكل مدام هسينغ، والدة زوجها. كانت فينيكس تعمل بلا كلل، واصله ليها بنهارها. كان عليها أن تتملق، وتهدد، وتحث نفسها للردّ على أي استفسار من الخدم والخادومات. وعندما كانت تُغامر لسرقة دقيقة من الراحة، يحدث شيئاً غير مُتوقّع؛ وكما كانت تسمع الكثير من التلميحات بأنها مُقصرّة وقد أصبحت تواقّة إلى النوم. وفي الليلة التي سبقت الجنازة، حيث كان من المفترض نقل جثة الأم الكبيرة لدفنها في «معبد الختم الحديدي» (أبرون سيل تمبل)، انهارت ولم تعد قادرة على مُغادرة عُرفتها، بالرغم من أنّ الحاجة إليها في ذلك اليوم كانت ماسّة.

وفي الليلة نفسها، انتحرت فيث؛ فبينما كان الجميع مُنهمكاً في التحضيرات الخاصة باليوم التالي، لجأت إلى غرفة الأم الكبيرة الداخلية. دون أن يلاحظ غيابها أحد. جلست تُفكّر في الماضي وتأمّلت في مُستقبلها المجهول، وقزّرت للحاق بسيدتها إلى القبر. حينما تمّ اكتشاف جُثتها المُعلّقة في دعامة السقف في الصباح التالي، بدا الجميع مُعجبون بإخلاصها وقرارها الصائب! فأمر تشيا تشينغ بوجود دفنها كابنة كبيرة للأم الكبيرة، والسماح لـ باو-يو، الذي كان أكثر المُصابين ألماً وحُزناً، لتشريفها وتكريمها كشقيقة كُبرى.

خلال إقامة القداديس للأم الكبيرة في المعبد، غزت مجموعة من قُطاع الطرُق تاكوان يوان. ولحسن الحظ، كان من بين الخدم المُتّبئين في القصر باو يُونغ، وهو رجل شجاع ضخم، وقويّ البنية، فحشد زملائه وواجهوا اللصوص وهزموهم قبل يُحدثوا الكثير من الضرر. وأثناء هذه الغارة، رأى أحد اللصوص إكسكوزيت دجايد، الراهبة التي تعيش في زاوية معزولة في تاكوان يوان، فتأثّر بروعة جمالها الأخاذ—وكان اللصوص قد عادوا إليها فيما بعد، وخطفوها، ونقلوها إلى مناطق خارج حدود الإمبراطورية. لم يُعرف مصير الراهبة، التي كانت شديدة الحساسية في عاداتها وغيورة جداً على طهارتها وعفتها. ولكن يُمكن للمرء تصور المصير المرعب والمأساوي الذي يُمكن أن تكون قد واجهته هذه الوردة الرقيقة عندما تقع بين أيدي هذا النوع من الوحوش البرية.

أدى الرعب الذي سببه هجوم قُطاع الطرق وتناثجه، إلى تفاقم حالة فينيكس

المرضية، ولم يكن هناك من بصيص أمل ولو ضئيل لتحسن حالتها، عند عودة أعضاء يونغ كوفو من المعبد والوقوف على حالتها الحرجة. وقبل بضعة أيام من وفاتها، تلقت زيارة من ليو لاو-لاو، التي وجدت في قدومها العزاء والسلى، كزيارة لها هي الأولى؛ وراحت تُفكر في الانقلاب الذي أحدثه الزمن، والفرق الذي صنعه الأيام بينها وبين ليو لاو-لاو، لأن الأخيرة قد أصبحت سمينة على «فضلات الطعام» التي كانت تصلها من موائد آل تشيا، وأصبحت الآن في ظروف ميسورة، بينما تدهورت أوضاع يونغ كوفو، وها هي نفسها تحتضر الآن من دون أي رعاية تُذكر.

كانت أيام فينيكس الأخيرة عارمة بالتجارب المؤلمة. فهي التي كانت المُحرّك للنشاط وهدفاً للإطراء والإغراء، تستلقي على سريرها تحتضر ولا عزاء لها إلا الصبر لتهدأتها؛ فزوجها، الذي كان في الماضي رهن إشارتها، لم يكن يتجاهل وضعها وينكر وجودها فحسب، بل كان أيضاً يحتقرها ويزدرئها علانية. كما أنّ تشيو-تونغ، خلية تشيا لين، كانت تتجاهلها وكأنّها قد ماتت، وبدا لها أنّ الاثنين أصبحا ينتظران النهاية. شعرت بأنّها كانت مسكونة بروح يو-ير-تشيه، التي كانت تضطهدها حتى الموت، ومن كين-كيو وخطيبها، اللذين وقّعت على مصيرهما عندما كانت في أوج قوتها وزهوها، ووصلا إلى يدها من معبد قمر الماء (وتر مؤن كونفينت) وأجبرتهما على فسخ خطوبتهما. رأت في منامها تشين-شيه، الذي أكد لها على أنّ صور معاناتها قد أصبحت تسبح وتهيم عالياً، وأنّها ستتحّد عمّا قريب في فلكٍ آخر.

وبالرغم من أنّ موتها قد أضيف إلى الأجواء القاتمة، إلاّ أنّه لم يحدث أي نوع من الصدمة أو المفاجأة لأعضاء يونغ كوفو، بسبب مرضها الطويل. وقد أصبح تشيا لين الآن، مشغولاً بعتاب الذات وتأنيب الضمير والنواح عليها. أمّا باشينس التي كانت بطبيعة الحال، أكثر المتألمين والمصعوقين برحيل فينيكس، فقد أخذت على عاتقها رعاية وتربية ابنتها، التي عملت بفضل براعتها في الحيل، وبمساعدة ليو لاو-لاو، على حمايتها ومنع بيعها لاتخاذها كخليفة «للزواج غير الشرعي»، بواسطة

مكيدة مُحكمة من أحد أحوالها، وبتشجيع سرّي وتستر من قبل مدام هسينغ نفسها،
وأثناء غياب تشيا لين عن العاصمة. تُمّ أصبحت باشينس في نهاية المطاف، زوجة
تشيا لين-وكل هذه الأمور لم تحدث إلاّ في وقت لاحق. ولكن، لنعد الآن إلى
باو-يو.

الفصل الأربعون

وفيه يتخلّى باو-يُو عن ريد داست عندما تبدو أكثر احمراراً
وتتزوَّج بيرفهايدينغ فريفرانس عندما تُصبح أقل نيةً للزواج

لم يكن باو-يُو غير مُدركٍ لتقلبات عائلته، بالرغم من أنه يصعب توقُّع مُساعدته أو تقديمه لأيّ نوع من الرفاهية والراحة لأعضاء يُونغ كُوْفو، وهو في هذه الحالة الجنونية التي أصابته عقب فقدانه لقلادته. كانت دروسه، بالطبع مُهمّلة، ليس فقط بسبب عدم قُدرته على الاجتهاد والكدّ، بل لأنّ تشيا تشينغ لم يكن لديه الوقت الكافي للاهتمام به.

وبعد أن بدأت ضغوط الهموم والمصائب التي نزلت على رأس العائلة تخفت تدريجياً، أدرك تشيا تشينغ في هذا الوقت، أنّ عليه الاهتمام برعاية ولده من الناحية الدراسية، والتأكّد من المرحلة التي وصل إليها، والشروع بإعداده من أجل الامتحانات التي يُفترض إجراؤها في الخريف. فاستدعى باو-يو وأعلمه بوجود مُراجعة دروسه، وبكتابة بعض المقالات للتأكّد من المرحلة التي وصل إليها. ولكن قبل أن يجد باو-يو الوقت الكافي لاستجماع مهاراته، ومُراجعة معلوماته، وقعت حادثة جعلت من المشروع مُستحيلًا.

كان باو-يُو قد سمع عن شخص اسمه تشين باو-يو،⁽¹⁾ نجل أحد أصدقاء تشيا

(1) «تشين» هي لفظ مُتجانس مع كلمة «صح»، بينما «تشيا» تتجانس مع «خطأ».

تشيغ، والذي يتوافق تاريخ عيد ميلاده مع تاريخ عيد باو-يو أيضاً - وأن يكون هناك شخص بنفس عيد ميلادك وعمرك وإسمك، هو أمر لافت ومُميز حقاً. ولكن في هذه الحالة، قد تذهب الصدفة إلى أبعد من ذلك: اشتهر تشين باو-يو بتشابهه الكامل مع باو-يو؛ لدرجة أنه عندما زارت خادمتان من عائلة تشين قصر يُونغ كُوْفُو منذ سنوات، قالتا بأنهما قد رأتا باو-يو نفسه في منزلهما من قبل، وقد اعتقدها سيدهما، وتعاملا معه على هذا الأساس. ومن هنا، احتار باو-يو في أمر نظيره هذا ورغب في مُقابلته. والآن أصبحت الفرصة مُتاحة لذلك؛ فقد انتقلت عائلة تشين للعيش في العاصمة، وفي أحد الأيام، زار والد تشين باو-يو قصر يُونغ كُوْفُو مع ولده.

وجد باو-يو أن الكلام عن التشابه هذا لم يكن مُبالغاً في؛ فإذا ما ارتديا الملابس نفسها، فسيدوان وكأن أحدهما يقف أمام المرأة، والثاني انعكاس له. اغتبط باو-يو بهذا، لتأكده من أنه أمام شخص نسخة طبق الأصل عنه، شخص قد يفهمه، وقادر على الحديث معه - شخص يُمكن الاعتماد على تعاطفه. ولكن كم كانت خيبته عميقة؛ فبالرغم من أن تشين باو-يو كان يتشابه معه في الملامح والشكل، إلا أنهما كان في الكلام والآراء والأفكار، أشبه بالمياه والنيران إن اجتمعوا. كانت طموحات تشين باو-يو وحسّ التقييم لديه، كما يبدو، صفات شاب يجعل والديه في موضع حسد من قبل جميع الآباء والأمهات، ولدٌ يُمكن أن يؤخذ كمثالٍ ساطع لجميع الشبان الآخرين. عندما حاول باو-يو الإفصاح له عن بعض أفكاره، فلم يجد منه أي تشجيع، ولكن نصحه بدلاً من ذلك، من أن يُوفّر أفكاره هذه للامتحانات، لأنها الطريقة الوحيدة التي يكون من خلالها الفرد قادراً على إتمام واجباته تجاه والديه، وأسلافه وأميره.

عاد باو-يو إلى شقته، وهو في حالة كبيرة من الضجر واليأس. فذهب إلى النوم من دون أي تعليقات أو تفكير. وعندما حاولت كل من بريشوس فيرتشو وبيرفايدينغ فريغرانس الاستفسار منه عن وجومه، لم تتلقيا منه أكثر من الإجابات غير المتماسكة عادة، مُرفقة بتكشيرات تافهة ومربكة. وظننا أنه لربّما قد عاودته نوبة أخرى من النوبات التي اعتاد الجميع على رؤيته فيها، ولسوف يتحسن في غضون أيام، كما

حدث معه في مناسبات كثيرة سابقة. لكن باو-يو استمرّ وضعه يتطوّر إلى الأسوأ، حتّى وصل الأمر بطيبه الذي كان يُعانيه أن يرفض وصف أي علاج له.

وبعد أن تلاشت كل الآمال بتحسّن حالته، وبعد أن كانت تشبهاً لين مع تشبهاً تشينغ على وشك البدء بتجهيز حاجات ما بعد الموت، ظهر فجأة راهب بوذي وقال بأنّه قادر على إعادة القلادة المفقودة وإنقاذ باو-يو في مُقابل عشرة آلاف تاييل. وقبل أن يصحيا من المُفاجأة بهذا الكلام، والذي كان أشبه بقارئ يستعيد ما قرأه، عادت بهما الذاكرة إلى الراهب الآخر الذي كان قد ظهر في لحظة حرجة سابقة من حياة باو-يو، وخلال استعادة وعيها بمُحيطهما، اندفع الراهب إلى الشقة الداخلية، وسار مُباشرة إلى غرفة باو-يو. اقترب الراهب من باو-يو وهمس في أذنه بأنّه قد أتى لإعادة قلادة حجر اليشم المفقود له. وعلى وقع تأثير هذه الكلمات، فتح باو-يو عينيه، وتناول القلادة من الراهب. نظر إليها بتقدير كبير، وقال:

- «لقد افترقنا لوقت طويل!»

انتظر الراهب في بهو الضيوف الخارجي مُصراً على أخذ العشرة آلاف تاييل، وهدّد بأنّه سيعود إلى أخذ القلادة ويرحل إذا لم يتمّ تسليمه الفضة في الحال. وصلت مُطالبته المُتدمرة وإلحاحه إلى مسامع باو-يو، الذي كان قد استعاد كامل صحته وقواه في هذه اللحظة، وخرج بعد تغلّبه على معارضة مدام وانغ والآخرين في الغرفة، للحديث مع الراهب. وبديا وكأنّهما صديقين حميمين، يتحدّثان ويضحكان معاً وكأنّهما يعرفان بعضهما منذ زمن طويل. كان حديثهما غير مفهوم بالنسبة لأولئك الذين يسمعونهم، مع أنّ بعض الكلمات مثل: «قمة المروج الخضراء»، و«أرض الفراغ العظيم»، يُمكن تمييزها. وفي النهاية، انصرف الراهب من دون المُطالبة بالعشرة آلاف تاييل.

حينما عاد باو-يو وسألته مدام وانغ إذا ما علم شيئاً عن مكان إقامة هذا الراهب، أجابها:

- «إنّ المكان الذي يعيش فيه هو بعيدٌ إن ظننتِ بأنّه بعيد، وقريبٌ إن ظننتِ بأنّه قريب.»

لم يمر مغزى وأهمية هذه الكلمات المُبهمة على مسامع بريشوس فيرتشو مرور الكرام، فقالت له:

- «هنا عُدْ إلى صوابك! فوالديك، لاو-يه وتاي-تاي لم يعد لديهما غيرك الآن لكي تجلب لهما التشريف والعز».

- «وها أنذا الآن أيضاً، أتكلّم عن التشريف»، قال باو-يو، وتابع: «ألم تسمعي بالمثل الذي يقول: 'إِنَّ الولد الذي يحترق الأرض الحمراء'⁽²⁾ سيرفع سبعة أجيال من سلالته إلى الفردوس».

حزنت مدام وانغ مِمَّا قاله باو-يُو لأنها اعتبرت أن تخليه عن العالم الأرضي كان واضحاً في كلامه، فقالت مُتأوّهة:

- «ما الذي حصل لعائلتنا! كانت أختنا الرابعة تتكلّم عن الزُهينة، والآن هذا الولد يُريد أن يكون راهباً».

ثم انفجرت باكية.

وعلى الفور، قال باو-يو ضاحكاً:

- «لا تبكي، فأنا أمزح فقط. فلا تأخذي ذلك على محمل الجد».

لكنّه في الواقع، لم يكن يمزح؛ إذ خلال حديثه مع الراهب، انكشف كل شيء له بوضوح. لقد بدأ بتذكّر حياته السابقة، ولو بشيء من الغموض-تذكّر وأدرك الحلم الذي كان فيه يتسلّى مع إلهة خيبة الأمل، وتعزّف إلى مصيره بوضوح الشكوك من حوله. فاحتفظ بهذه الأفكار لنفسه، لأنه لم يكن يرغب في إقلاق مدام وانغ والآخرين؛ وخوفاً من إمكانية أن يخون نفسه عن غير قصد، فقد عمد إلى منع الشكوك من حوله بالضحك والمزاح.

كان هناك شخص واحد فقط في يُونغ كُوْفو لا يقلق من رغبة باو-يو المخفية

(2) «الأرض الحمراء» كما سبق، هي «الأرض الفانية»، أي أرض البشر، ويقصد هنا بالتذكّر لها واحتقارها، احتقار المادة والانغماس في الرذيلة والطمع والجشع، والسلامة تكون بالعودة إلى الروحانيات والعمل بالمثل العُليا.

في دخول بؤابة بوذا؛ كانت تلك هي كومباشن سبرينغ؛ كانت تبدو دائماً وحيدة، وتنحو إلى الاعتزال، وميالة إلى التأمل. لم تكن مزة مشاركة بفرح أو غبطة في كل الحفلات التي كانت تُقام في تاكوان يوان. ولم يكن لها حميم سوى الراهبة إكسكوزيت دجايد. لم تكن لديها الشجاعة أبداً للتعبير عن طموحاتها وأمانيتها المستقبلية، لأنها كانت على يقين من أن العائلات كعائلتها لن تسمح لأيّ واحدة من بناتها باللجوء إلى المعبد، والتحوّل إلى راهبة. ولكن بعد النكسات التي أصابت العائلة، ومصير المرض الذي أصاب العديد من أعضائها، أُصيبت بخيبة الأمل أكثر من أيّ وقت مضى، وقد زوّدتها خيبة أملها هذه بالشجاعة الضرورية.

في البداية، لم تأخذ مدام وانغ ومام هسينغ أمر «رهبتها» على محمل الجدّ، ولكن عندما كانت تلخ وتُكرّر مُصمّمة على ذلك تارة، ومُهدّدة بالانتحار إذا لم يُلبّ طلبها تارة أخرى، مالتا إلى تركها تُربّي نفسها على التعاليم الطاوية كـ «كاهنة طاوية»، مع تعهدهما بتركها تتصرّف بكامل الحرية وكما تُريد. توصلت بيربل كوكو، خادمة بلاك دجايد، بأن تُرافق كومباشن سبرينغ والحصول على موافقة مدام وانغ؛ لقد حصل كل هذا خلال فترة غياب تشيا تشينغ، الذي غادر، مُباشرة بعد استعادة قلادة باو-يو، ناقلاً رفات الأم الكبيرة، وفينيكس، وبلاك دجايد وفايث إلى تشيلينغ حيث توجد مدافن سلالة تشيا.

في هذه الأثناء، بدأ موعد الامتحانات يقترب. لم تكن مُثابرة تشيا لان ومواظبتها على الدرس مُفاجأة لأحد، من حيث عاداته في العمل المُخلص لتأدية واجباته. إلاّ أنّ تبدّل باو-يو المُفاجئ دهش الجميع، وبالأخصّ بريشوس فيرتشو وبيرفايدينغ فريغرانس؛ فقد حبس نفسه في إحدى الغرف، حيث توجد الكتب الضرورية للتحضير من أجل الاختبار. وراح يقرأ ويكتب طوال اليوم، وأحياناً يوصل نهاره بليله. شعرت بريشوس فيرتشو والآخرون بالسعادة لذلك، واعتبروا نشاطه وكده، عنواناً ودليلاً واضحاً على عودته إلى صوابه ومنطقه.

في صباح اليوم الذي بدأت فيه الامتحانات، استعد كل من باو-يو وتشيا لين لأخذ إذن مدام وانغ للذهاب، فقالت:

- «ستكون هذه هي المرة الأولى التي تقضيان فيها ليلتكما خارج البيت. عليكم أن تهتما جيداً بنفسيكما، وعودا لي فور الانتهاء من واجبكما، لكي لا تشغلا بال الجميع عليكما».

ركع باو-يو أمام والدته وانحنى ثلاث مرّات قائلاً:

- «لن أكون أبداً قادراً على ردّ جميلك لي، ولكنني سأفعل أفضل ما أستطيع، وكل ما في وسعي هو الحصول على شهادة هذه الامتحانات. ولعلّ هذا سيجعل تاي-تاي سعيدة منّي، أو على الأقل، أكفّر بذلك عن سيّئاتي وأخطائي الماضية».

ثمّ انحنى أمام لي هوان مؤكداً لها أنّ ولدها تشيا لان سينجح؛ ثمّ فعل ذلك بالنسبة إلى بريشوس فيرتشو، وقال لها بلهجة وقار:

- «تشيه-تشيه، أنا ذاهب الآن. وانتظري مع تاي-تاي الأبناء السعيدة».

جاءت لهجة باو-يؤ مفعمة بالوقار إلى بريشوس فيرتشو انطلاقاً من حقيقة أنّه لم يحدث أن خرج من المنزل لوحده دونها، لكن شعور بريشوس فيرتشو الباطني، كان يُنبئها بأنّها لن تراه ثانية.

في اليوم الأخير من الامتحانات، وقفت مدام وانغ بشوق تنتظر عودة باو-يو وتشيا لان. مرّ الوقت، وأوشك النهار على النهاية، دون جدوى. أرسل الخدم لتفقد قاعة الامتحانات والتأكد من فراغها منها، ولكنهم لم يعودوا هم أيضاً. وعند المساء، عاد تشيا لان وحيداً، وبعيون مלאى بالدموع، قال بأن باو-يؤ قد اختفى.

والواقع، أنّ باو-يو كان قد خرج من قاعة الامتحانات أولاً، ووقف ينتظر تشيا لان للفراغ من المسابقة. وما إن خرجا من البوابة، حتى اختفى باو-يو بشكل مُفاجئ. فرافق تشيا لان الخدم وراحوا يبحثون في قاعة الامتحانات، ويسألون كل واحد عنه، ولكن من دون جدوى.

وخلال اليوم التالي، تمّ تفتيش كل العاصمة، وشارك في العملية عدد هائل من الأصدقاء والأصحاب والأقارب، دون العثور على أيّ أثرٍ له. انشغل كل من في يونغ كوفو، ومرّ يوم الإعلان من دون اهتمام. وفي ليلة اليوم الخامس، هرعت

مجموعة من الخادמות إلى غرفة مدام وانغ وباقي السيدات اللواتي كنّ لا تزلن صاحيات، وهتفن:

- «تهانينا لكما، تاي-تاي وناي-ناي وللجميع».

طارت مدام وانغ من الفرحة مُعتقدة أنّ باو-يو قد عاد. فهتفت:

- «ولكن أين باو-يو؟»

لم تُجب الخادמות ولا الخدم على سؤالها.

والحقيقة، أنّ كل من باو-يو وتشيا لان قد نجحا في الامتحانات-باو-يو في المرتبة السابعة، تشيا لان في المرتبة المئة والثلاثين. هتف مينغ-ين، أحد أصدقاء باو-يو، بفرح وسط هذا الوجوم الحزين الذي كان مُخيماً على المكان، وهو يقول بأنّ «الرجل الأرفع» لا يُمكن أن يضيع طالما أنّ اسمه سيتلألأ في سماء كل الإمبراطورية».

إلا أنّ كومباشن سبرينغ قالت بأنّه يُمكن أن يضيع إذا ما كان يرغب في ذلك! أمّا كويست سبرينغ التي عادت مع عائلة زوجها إلى العاصمة خلال هذه الأيام المحمومة، أشارت إلى أنّ كل الدلائل تدلّ على اختفاء باو-يو بإرادته، وليس هناك من حاجة إلى القلق على أمر حتمي.

كانت إحدى نتائج نجاح باو-يو وتشيا لان المُهمّة، صدور المرسوم الإمبراطوري بالعمو عن كل من تشيا شيه وتشيا دجين وإعادة ألقابهما وأملاكهما بالكامل؛ فعند مُراجعة جلالته لللائحة المُرشحين الناجحين، لفت انتباهه إسمي باو-يو وتشيا لان، وكلاهما من تشينلينغ. فاستفسر عمّا إذا كانا على صلة ما بمحظية الإمبراطور السابقة، وأصدر مرسوم العفو فور عودة الوزراء بنتيجة تحقّقهم من الأمر. كما أنّه ألحق مرسوم العفو، بمرسوم آخر يأمر بالبحث الرسمي عن باو-يو في كل أنحاء الإمبراطورية.

كان تشيا تشينغ عائداً من الجنوب، عندما وصلته أخبار كل هذه الأحداث الأخيرة. ولم تسعه الفرحة حينما علم بحصول باو-يو على الشهادة، لكنّه حزن بشدّة حين عرف بأمر اختفائه، ثمّ فرح من جديد نتيجة العفو عن شقيقه. وفي

المساء، جلس في كايينة المركب ليكتب رسالة للعائلة. وفي تلك اللحظة، نظر إلى القمر يتأمل وهو يكتب إلى باو-يو. وفجأة وصل إليه رجلاً حليق الرأس؛ وقف برجليه الحافيتين على قوس المركب؛ كان معطفه الأحمر المُتوهج مُغائر تماماً للثلج الذي يُغطي ضفة القناة. تقدّم الرجل منه وركع أمامه وانحنى له ثلاث مرّات، ثم نهض. اندفع تشيا تشينغ إلى الخارج ليرى من هو، فوجد نفسه وجهاً لوجه مع باو-يو. فخاطبه مُدهشاً:

- «ألسنت باو-يو؟»

ولكن قبل أن يُجيب باو-يو بشيء، تقدّم منه كاهن وراهب، فأمسك كل واحد منهما بيد من يديه، وقالوا:

- «لقد تمّ الإيفاء بكلّ التزاماتك الدنيوية. تعال من دون تأخير!»

ولم يلبث أن قفز الثلاثة إلى الشاطئ واختفوا عن الأبصار.

لما أيقن الجميع من أنّ باو-يو قد اختفى نهائياً وإلى الأبد، كانت أول تعهدات بيرفايدينغ فريغرانس لنفسها، بأن تبقى تُحبه ووفية له طوال حياتها. وبكت حتّى أكثر ممّا فعلت بريشوس فيرتشو. . . لأنها كانت تعرف باو-يو منذ مُدة أطول، وكان وضعها يعتمد عليه أكثر من سيّدها. ولكن للأسف، لا تجري الأمور دائماً كما يشتهي المرء.

وفي أحد الأيام حضر شقيقها لرؤية مدام وانغ، وأخبرها بأن إحدى عائلات تشيانغ طلبت يد شقيقته للزواج. وعلى الفور، وافقت مدام وانغ وقدمت له مبلغاً ضخماً كمهر. لم تكن بيرفايدينغ فريغرانس ترغب بمغادرة يُونغ كُوْفو، ولكنها لم تكن ترغب في القول بأنّها لا تزال وفية لـ باو-يو، لأنّها، وبكل الأحوال، هي خادمته الرئيسة في جناح إقامته. ولكن ما المُقابل من أجل أن تكون «مُخلصة»؟ منعها تواضعها من الكلام، ولكن لم تكن تعرف إلّا البكاء. كانت أفكارها تُحدّرها من الإقدام على أي عمل أحمق يتسبّب لسيّدها الطيبة معها بالحزن والإزعاج، ولكن هل ستبقى هناك إلى الأبد؟ فقد تنتحر وتموت في منزل أخيها. ثمّ فكّرت من جديد، فأدركت كم كان شقيقها وزوجته عاقلين—وكيف كانا ينظران إلى الأمور

بمنطقٍ وتفكّر، وها هُما قد أعدا التحضيرات والاستعدادات الوافية من أجل الزواج. لا، لا يُمكنها أن تموت في منزل شقيقها؛ فمن المُفترض لها أن تعيش فترة أطول، حتّى إلى ما بعد الزواج. ويا للأسف! فعائلة تشيانغ كانت عقلانية أيضاً حتّى في التحضيرات لاستقبالها. فكل واحد كان يُناديها ناي-ناي، وكان لطيفاً ومُهدّباً معها. فكيف إذن، يُمكنها أن تصب لعنة الموت على منزلها أو تُدنّس بموتها؟ فكان من المُستحيل عليها إلا التسليم للقدر وما يفرضه عليها والتسليم لحُكمه.

بعد بضعة أيام من الزواج، وجد العريس منديلاً أحمرّاً في صدرها. فأيقن بأنّه مثل منديله، الذي قدّمه يوماً إلى باو-يُو، وتأكّد على الفور من أنّه لم يتزوَج أي خادمة من يُونغ كُوْفو، وإنّما خادمة باو-يُو الشخصية. وبدأ منذ تلك اللحظة، شديد القلق والخوف على عروسه ومُعاملتها بكثير من العطف والتواضع. وعرض عليها منديلاً أخضرّاً كانت بيرفايدينغ فريغرانس قد طرّزته من أجل باو-يُو، وقام باو-يو بدوره إلى تقديمه له - والواقع أنّ هذا العريس لم يكن سوى تشيانغ يُو-هان، أو تشي-كُوَان، المُمثل الذي كان يعرفه باو-يُو.

ومع عودة كل من تشيا شيه وتشيا دجين من المنفى، واستعادتهما لألقابهما وأملاكهما بالكامل، لم يكن هناك من حاجة للقول، بأنّ جوّاً من الازدهار قد بدأت ملامحه تلوح في الأفق في قصري يُونغ كوفو ونينغ كوفو.

عندما وصلت أخبار تاريخ باو-يو الفريد إلى الإمبراطور، عبّر عن أسفه لعدم رغبة باو-يُو بخدمة البلاط، وأطلق عليه لقب: «رجل الروائع الأدبية الخالد». وبطريقة أو بأخرى، لم يخطف باو-يو كليّة من عائلة تشيا، لأنّه سرعان ما انتشر خبر حول بريشوس فيرتشو بأنّها حامل وستضع ولداً؛ ومع الوقت، اتضح بأنّه ابنه. والآن تبقى الشخصية الوحيدة في الكتاب، التي لم نأت على ذكرها، هي لوتوس؛ بعد أن تمّ سحب هُويه بان إلى السجن، ثمّ نفيه إلى المنطقة الحدودية، لم تكن كاسيا راضية عن زواجها الأشبه بالتزمل غير الفعلي، فشرعت بإغواء هُويه كيُو. وبسبب تصرّفاتِها العمياء هذه، لم تُدرك أنّ ابن عمّ هُويه بان، لم يكن فقط قادراً على الخيانة والغدر، وإنّما كان هو نفسه سعيداً بخطوبته إلى ماونتِن ريث،

التي كان سيتزوج منها عما قريب. وفي أحد الأيام، وبينما كانت كاسيا تعمل على إغواء هسويه كيؤ بحركاتها الوقحة والفاضحة، مُعتقدة من أنها أصبحت على وشك تحقيق هدفها، أذى ظهور لوتوس غير المقصود فجأة، إلى منح هسويه كيؤ فرصة الهرب التي كان ينتظرها. وبهدف الانتقام، عمدت كاسيا إلى تسميم لوتوس. لكن هذه الأخيرة، لم تكن لتموت هكذا؛ فشربت كاسيا السم بنفسها خطأ وماتت على الفور. وبعد عودة هسويه بان لاحقاً إلى المنزل، نتيجة لعفوٍ إمبراطوري عام، اتخذ لوتوس كزوجة له وعاشا معاً في المنزل نفسه.

ولربّما يعتقد المرء أنه، وبعد كل هذه الحياة الصعبة وغير السعيدة، قد خفف القدر من أحكامه عليها ومنحها فرصة التمتع بحياتها مع قدرٍ مقبول من السعادة. ولكن، هذه ليست طرق القدر؛ فقد توفيت لوتوس أثناء الولادة في غضون عام من زواجها.

المحتويات

5	الفصل الأول
23	الفصل الثاني
36	الفصل الثالث
49	الفصل الرابع
61	الفصل الخامس
75	الفصل السادس
82	الفصل السابع
93	الفصل الثامن
106	الفصل التاسع
117	الفصل العاشر
127	الفصل الحادي عشر
135	الفصل الثاني عشر
141	الفصل الثالث عشر
147	الفصل الرابع عشر
160	الفصل الخامس عشر
171	الفصل السادس عشر
180	الفصل السابع عشر
189	الفصل الثامن عشر
198	الفصل التاسع عشر

209	الفصل العشرون.....
220	الفصل الحادي والعشرون.....
229	الفصل الثاني والعشرون.....
239	الفصل الثالث والعشرون.....
252	الفصل الرابع والعشرون.....
263	الفصل الخامس والعشرون.....
278	الفصل السادس والعشرون.....
287	الفصل السابع والعشرون.....
297	الفصل الثامن والعشرون.....
307	الفصل التاسع والعشرون.....
316	الفصل الثلاثون.....
323	الفصل الحادي والثلاثون.....
334	الفصل الثاني والثلاثون.....
347	الفصل الثالث والثلاثون.....
357	الفصل الرابع والثلاثون.....
367	الفصل الخامس والثلاثون.....
375	الفصل السادس والثلاثون.....
384	الفصل السابع والثلاثون.....
391	الفصل الثامن والثلاثون.....
398	الفصل التاسع والثلاثون.....
405	الفصل الأربعون.....